جلاء القلوب من الأصداء الغينية
ببيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية

تأليف
محمد بن جعفر الكتاني
رحمة الله عليه

تحقيق
باحثي المركز الإسلامي
بمسجد الدكتور
حسن عباس زكي
إشراف الأستاذ الدكتور
علي جمعة محمد

المجلد الأول

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

الصفحة الأولى من المخطوطة

الجزء الأول

من كتاب جلاء القلوب

من الأصداء الغينية ببيان إحاطته عليه السلام

بالعلوم الكونية

تأليف

محمد بن جعفر الكتانى رحمة الله عليه

الإهداء كما وجد فى آخر صفحة من الكتاب

وقد قدمتها هدية إلى صاحبها عليه الصلاة والسلام

هدية الفقير للأمير والسوقى للإمام فإن قبلت

فيا حبذا المطلوب والمرام وإن ردت فالعفو عن

الزلل والخطأ شيمة الكرام

الصفحة الأولى من المخطوطة ((المجلد الأول))

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

قال الشيخ الإمام الحافظ الشهير

سيدي محمد بن الإمام شيخ الجماعة

سيدي جعفر الكتاني رضي الله عنهما

الحمد لله [illegible]

ترجمة المصنف

اسمه وكنيته: هو الإمام العلامة محمد بن جعفر بن إدريس بن محمد الزمزمى بن الفضيل بن العربى بن محمد فتحا بن على الكتانى، أبو عبد الله. محدث، راوية، مؤرخ، فقيه، مشارك فى بعض العلوم.

مولده ووفاته: ولد بفاس فى حدود سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٧م)، ورحل إلى المشرق وجاور بالمدينة، وسافر إلى بيروت ودمشق. وتوفى بفاس فى ١٦ رمضان سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧م).

مؤلفاته: له نحو ستين كتاباً، منها:

١- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة.

٢- الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب الغرب ومدينة فاس.

٣- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس (ثلاثة أجزاء).

٤- نظم المتناثر من الحديث المتواتر.

٥- الرحلة السامة للإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية.[1]

(١) انظر مصادر ترجمته فى معجم المؤلفين لعمر كحاله (٩/١٥٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

قال الشيخ الإمام الحافظ الشريف سيدى محمد بن الإمام شيخ الجماعة سيدى جعفر الكتانى رضى الله عنهما:

حمدًا لمن أوجد آدم الخليفة ﷺ من نور ذاته العلية وسواه، وأفرده على صورته البهية، وبحُلى صفاته حلاه، وسمَّاه بأسمائه السمية، وقدمه فى الخلق والشرف والجاه على كل مخلوق تقديما، خلق الإنسان، علمه البيان، وأظهره بالأسماء العالية والبرهان، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيما، أخرج منه العوالم، وأمد به المكونات وجميع المعالم، وأنالها به خيرا كبيرا وفضلا جسيما، شرفه بتشريف لولاه ولولاه ولولاه، وكرمه بتكريم محمد رسول الله ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وفخمه بتفخيم ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم:٤] تفخيما، نـــزل عليه الفرقان ليكون داعيا للعالمين، ونبأه بالفعل وآدم بين الروح والجسد والماء والطين، وعمم بدعوته ورسالته حقائق الموجودات ثم الأرواح ثم الذرات ثم الأشباح تعميما، أسرى به ليلا من المسجد الحرام الأدنى وعرج به إلى السماوات وزاد به إلى مقام قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وكلمه كفاحا تكليما، أمده من العلوم اللدنية والكونية بما لا يخطر ببال أحد ولا هو حاصل فى أمنيته، وتممها بالقطرة التى قطرت على لسانه ليلة الإسراء من بحر العلم الأزلى وبيده الكريمة التى وضعها بين كتفيه تتميما، شق قلبه [٣] الشريف مرارا، وغسل فى كل مرة، وملئ حِكمة وحُكْما ورأفة ورحمة وإيمانا، وزاده المولى ترقيا وتمكينا وتحققا وإيقانا، وفهمه العلوم القرآنية ومثلها معها كما ورد تفهيما، فتح له كما فى كتابه الفتح المبين، وتجلى

له كل شيء فعرفه بالتشخيص والتعيين، وما قبضه الله إليه حتى أطلعه على كل ما أخفاه عنه منّةً عليه وتكريما، جعله كنـــزا مطلسما وحجابا محجبا مكتما،

وواسطة بين الخالق وكل مخلوق تحتيما، أعجز به الخلائق، وأعلى حقيقته على جميع الحقائق، وآتاه ما لم يؤت حديثا من خلقه ولا قديما، فكان الخليفة الأعظم، وسلطان المملكة الربانية الأقوم، وروحها الذى لولاه ما ظهرت ولا قومت تقويما، فوض إليه أمر خليقته، وصرفه فيها بمجاز الأمر وحقيقته، وحكمه فى جميعها بما ألهمه إياه تحكيما، وجعل طاعته طاعته وبيعته بيعته، وكان مما أنــزل عليه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦] اللهم صلّ وسلم وبارك وأنعم عليه وعلى نوره الأحمدى وسرّه المصون الصمدى الذى فاض منه الوجود على كل موجود، واستمد وصار شيئا بعد أن كان عديما، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، الذين عرفوا قدره وأجلوا أمره وعظموه تعظيماً.

أما بعد، فإنه جرت المشيئة الإلهية الأزلية بإيجاد الإنسان الكامل أولاً وبالذات من الذات الأحدية، وجعله أصلا ومنبعا لجميع العوالم الخلقية، ومادّه ممدة لكل ذرة من ذرات البرية، فكان منه الأمر والخلق، وكل جمع وفرد، ومنه المبدأ وإليه المنتهى، وفيه كل ما يرام ويشتهى، والمفاض عليه سر الذات [٤] والمحلى بحلى الصفات، والمسمى بالأسماء العلية، والمخلوق على الصورة الجليلة البهية، والمعلّم بلا واسطة، والمقرب بدون رابطة، والمعْنىّ دون غيره حقيقة بالخطاب، والمنــزل عليه أصالةً كل ما أنـــزل من كتاب، فهو رسول الرسل ونبى الأنبياء، هو المبعوث إلى كل من تقدم أو تأخر من الأمم وسائر البرية وجميع الأصفياء والمعطى جزاما، والخليفة المفوض إليه أمر العوالم كلها وفاقا بين المحمديين من أهل الله لا خلافا، أشرف الموجودات مكانة ومكانا، وأعلاها وأسماها منـــزلة ومنـــزلا وأولاها، أدار الله عليه رحى مخلوقاته، وجعله قطب فلك جميع مصنوعاته، فكان لهذا العالم الكونى القطب الأصلى والأب الحقيقى لكل

موجود منه فرعى أو أصلى، والقطبية لغيره بحكم النيابة عنه والعارية، والكل فى قبضته وتحت ولايته الممتدة والسارية.

سبب التأليف

ولما كان مداداً من الضرورى المعلوم لدى الكثير من أرباب القلوب ومن حذاهم من جلة أهل الرسوم، وكان قد وقع بين جماعة من أهل الظاهر نـــزاع فى إحاطة العلم النبوى الباهر، بالمكونات التى هى منه وإليه، وفعولها بدءا ووسطا وانتهاء عليه، وفى أن له عليه الصلاة والسلام من ربه تعالى التفويض فى مملكته، والتحكيم فيما يرجع لدوائر سلطته، أخذتنى الغيرة وأزاحت عنى من هذا الأمر داء الحيرة، فكتبت هذه الرسالة الكفيلة ببيان ما فى المسألتين من النصوص الحفيلة، حتى يتبين لكل ذى بصيرة ووبصر أنه الجناب الذى ما مثله خلق ولا بشر، وأنه المخلوق الذى أحاط علمه بالمخلوقات، وعلم كل ما مضى منها وما حضر وما هو آتٍ، وأنه الوكيل المطلق المفوض إليه، والمجعول أمر المملكة الربانية كلها بيديه، والله أسأل التوفيق [٥] إلى أقوم طريق، وأستعيذ به، وهو الواحد من كل حاسد أو متوهم جهول مضاد وهو يرى أنه طالب للحق وهو له مصادم ومعاند.

وقد وسمتها بـــ " **جلاء القلوب من الأصداء الغينية ببيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية** " وبيان أنه الخليفة الأعظم المحكم، والوكيل المفوض الذى قيل له: تصرف بما تشاء بإذنى وتحكم.

ورتبتها على مقدمة ومقصدين وخاتمة:

أما المقدمة ففى بيان جملة العلوم وأنها بالاعتبار ثلاثة عند أرباب الإدراكات والفهوم.

وأما المقصد الأول: ففى بيان إحاطة الذات المحمدية بالعلوم الجديدة الكونية، وبيان أن لها من علوم الذات الإلهية والصفات ما ليس عند غيرها من جميع المخلوقات.

وأما المقصد الثانى: ففى بيان أنه عليه السلام خليفة الله الأكبر، وصدر المملكة الربانية الأظهر، المصّرف فيها بالحل والربط والتقييد والإطلاق شخصاً ونوعاً، وبطريق العموم والاستغراق.

وأما الخاتمة: ففى بيان أن العوالم كلها مستمدة منه وواقفة لديه وأنه لا وصول إلى الله تعالى إلا من بابه، ولا مُعَوَّل للخليقة فى الدنيا والآخرة إلا عليه.

وقد اعتمدت فيها على النصوص الشرعية والأقاويل الصحيحة المرعية، وعلى كلام أهل العرفان الذين هم أعرف وأبصر بهذا الشان.

وأما الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر ذو المحاسن التى تأخذ القلوب وتبهر، العالم العادل، القدوة الكامل، إمام الواصلين، قرة عيون الكاملين، فخر الأولياء والأقطاب العارفين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، قطب دائرة المحققين، صفوة الصفوة من المقربين، ذو المقامات الفاخرة والكرامات الظاهرة والأحوال [٦] الباهرة، سلطان أهل الحقيقة على الإطلاق، وشيخ مشايخ أهل المعرفة بالاتفاق، وكاشف الأسرار الإلهية، الموصوف بختم الولاية الجامعة المحمدية، الذى قيل فيه: إنه لا تسمع بمثله الدهور والأعصار، ولا يأتى بقرينه الفلك الدوار، الوارث المحمدى، محيى الملة والحق والدين: أبو بكر وأبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن العربى -بالألف واللام- على ما وجد بخطه، وهو الموجود فى عدة نسخ من فتوحاته وبخط جماعة من العلماء، وذكر جماعة آخرون منهم صاحب القاموس: أن القاضى أبا بكر المالكى وهو محمد بن عبد الله المعافرى الأندلسى دفين فاس وصاحب التصانيف المشهورة التى منها عارضة الأحوذى فى شرح الترمذى يقال معرفاً بالألف واللام، وأن محيى الدين هذا يقال مُنكّرا بلا لام، وهو اصطلاح اصطلح عليه الكثير وتداولوه، وسمع أيضاً من أفواه الثقات، وكأنه للتفرقة بينهما، حتى لا يلتبس أحدهما بالآخر.

وفى " نفح الطيب " كان فى المغرب يعرف بابن العربى بالألف واللام، واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقا بينه وبين القاضى أبى بكر بن العربى انتهى.

وكأنهم عرَّفوا الثانى لمناسبة كونه ظاهرياً أى: يميل إلى ظاهر الشريعة، قال: والظاهر معروف.

ونكروا الأول لمناسبة كونه باطنياً أى: يميل إلى باطن الشريعة، وهو الحقيقة، والباطن غير مألوف.

الطائى نسباً، من ذرية عبد الله بن حاتم الطائى أخى عدى بن حاتم، وأما عدى فلم يعقب، الظاهرى مع الاجتهاد فى شيء من الفروع مذهباً وتعبداً، الصوفى مشرباً وأدباً، الأندلسى إقليماً، المرسى(١) مولداً، الدمشقى دارا ووفاة ومزارا، فإنى اقتبست كثيرا من فتوحاته البهية، وتحليت بها ما أمكننى من فصوصه الشهية اللذين هما من آخر ما ألف، ولفضلهما تأنس بمطالعتهما [٧] والاقتباس من أنوارهما كل من له ذوق وتألف.

وقد علم من هذا أنه ﷺ من أهل الأندلس الذين هم من أهل المغرب الأقصى فى الفضائل المعروفة ظاهرا ونصًّا. وقد أقام بفاس مدة، ولقى بها من الأفاضل عدة، وكان له بها مسجد بعين الخيل منها يؤم فيه، ولا زال كثير من أهل الخير إلى الآن يقصده يتبرك به وينتحيه، وهذا المغرب الأقصى وخصوصا منه فاسا ونواحيها هو الذى خرجت منه الأولياء الجماهير، والكبار المشاهير، كالشيخ الأكبر هذا، وكالإمام الشهير أبى عبد الله: محمد بن سليمان الجزولى مؤلف " دلائل الخيرات " والشيخ أبى الحسن الشاذلى شيخ الطريقة الشاذلية المشهورة شرقا وغربا، والقطب سيدى أحمد البدوى دفين طنطا، والقطب الغوث سيدى عبد العزيز بن مسعود الدباغ، والغوث الذى مكث جل عمره فى الغوثانية سيدى على الجمل، وتلميذه مولاى العربى بن أحمد الدرقاوى شيخ الطريقة الشاذلية الدرقاوية وإمامها، والقطب سيدى أحمد بن إدريس العرايشى المشهور باليمن، صاحب الأحزاب والصلوات، والذى تفرعت عنه طرائق

---

(١) قال ابن العماد فى شذرات الذهب (١٩٠/٣) ولد بمرسية سنة ستين وخمسمائة ونشأ بها وانتقل إلى أشبيلية سنة ثمان وسبعين ثم ارتحل وطاف البلدان.

مختلفات، وغيرهم ممن يكثر جدا، ولكنه هاجر الكثير منهم إلى البلاد المشرقية ليعم النفع بهم سائر البرية، ولأنها منبع الأنوار والحقائق بحلول سيد السادات بها وخير الخلائق ﷺ وفى ذلك يقول صاحب الترجمة ﷺ:

رأى البرق شرقيا فحنَّ إلى الشرق ولو لاح غربيا لحنَّ إلى الغرب
إن غرامى بالبريق ولمعه وليس غرامى بالأماكن والترب[1]

ولد ﷺ ليلة الاثنين سابع رمضان المعظم سنة ستين وخمسمائة بمرسية، ثم انتقل منها لأشبيلية وللمرية، وطاف وجال فى البلاد [٨] المغربية، وكتب لبعض الولاة بالأندلس، ثم ترك ذلك وخرج تائها فى البرارى إلى أن نزل فى قبر فمكث فيه أياما، ثم خرج يتكلم بهذه العلوم التى نقلت عنه، ولم يزل سائحا فى كل بلد بحسب اللذة، ثم رحل منها، ويخلف ما ألفه من الكتب فيها، وارتحل إلى المشرق حاجًّا فحج وزار، وأقام بالحجاز مدة، ودخل مصر وبغداد والموصل وبلاد الروم وسكنها مدة، ولقى جماعة من العلماء والصلحاء وجهابذة الحديث، وأخذ عنهم وأجازوه، ولقيه هو جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه، وكان آية من آيات الله علما وعملا ودينا، وتقى وزهدا وتوكلا ويقينا، وكان أعلم زمانه بحيث إنه كان فى كل فن متبوعا لا تابعا لأحد من أقرانه، وكان فى الكشف والتصوف والتحقيق بحر لا يجارى، وإماما لا يغالط ولا يبارى، متضلعا بالحقيقة والشريعة، متمسكا منهما بأقوى ذريعة، وله فى التوحيد القدم الراسخة، وفى العلوم اللدنية والمعارف الإلهية الذروة الشامخة، محيط بما فى الكتاب والسنة من العلوم، مستنبطا منهما ما تقف دون إدراكه أقدام الفهوم، متصفا بالولاية العظمى والصديقية الكبرى، وما له من المناقب والكرامات لا تحصره مجلدات.

وقد ذكر الشيخ أبو عبد الله القورى والشيخ أبو العباس زروق وغيرهما من الفحول العارفين بالفروع والأصول: أنه كان أعرف بكل فن من أهله وذويه، وأتقن فى كل علم ممن يحاوله وينتقيه.

---

(١) البيتان لمحيى الدين بن عربي، وهما من بحر الطويل.

قال الشيخ عبد الرءوف المناوى فى " الكواكب الدرية ": وإذا أطلق الشيخ الأكبر فى عُرْف القوم فهو المراد، هو فى كلام بعضهم أنه أعطى نواطق أكثر أهل القرب والوداد، ووصل فى العلوم كلها إلى مرتبة الاجتهاد، وسبب فتحه ومنة الله عليه كان بمحاماته لفقراء الصوفية ومدافعته عنهم وانتصاره لهم [٩] كما فى كتابه روح القدس فى ترجمة شيخه أبى محمد المروزى: ولم أزل أبدا والحمد لله أجاهد الفقهاء فى حق الفقراء السادة حق الجهاد، وأذب عنهم وأحمى، وبهذا فتح لى، ومن تعرض لذمهم والأخذ فيهم على التعيين، وحمل من لم يعاشر على من عاشر، فإنه لا خفاء لجهله ولا يفلح أبدا.

وقال فى كتابه " شرح الوصية اليوسفية ": ولقد رأيت – والله أعلم – رسول الله ﷺ فى النوم أو بعض المعصومين فقال: أتدرى بم نلتَ ما نلتَ من الله تعالى؟ قلت: لا. قال: باحترامك من يدعى أنه من أهل الله سواء كان ذلك فى نفس الأمر كما ادعاه أم لا، فراعى الله تعالى لك ذلك وشكره منك، فأعطاك ما قد علمت.

ومن شيوخه وعمده فى الطريق الشيخ أبو جعفر العرينى، لقيه بأشبيلية فى أول دخوله فى طريق القوم، وكان الشيخ أبو جعفر هذا بدويا أميا لا يحسب ولا يكتب، وإذا تكلم فى علم التوحيد فحسبك أن تسمع.

ومنهم الشيخ الإمام أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكوفى العبسى من أصحاب شيخ المشايخ وسيد العارفين وقدوة السالكين أبى مدين شعيب بن الحسين المغربى البجادى دفين عباد تلمسان، ولسان هذه الطريق ومحييها ببلاد المغرب.

قال الشيخ: دخلت تحت أمره فربى وأدب، فنعم المؤدب ونعم المربى. وقال وسمعته يقول: إذا شاء الشيخ أخذ بيد المريد من أسفل سافلين وألقاه فى عليين فى لحظة واحدة. قال: وجل ما أنا فيه من بركته وبركة أبى محمد المروزى يعنى عبد الله بن الأستاذ المروزى من أصحاب الشيخ أبى مدين أيضاً وأشياخ صاحب الترجمة.

قال ﷺ: عاشرته معاشرة انتفعت به، وأطلعنى الله ليلة على المقامات ومشى بى عليها حتى وصلت مقام التوكل، فرأيت شيخنا عبد الله المروزى فى وسط ذلك المقام،

والمقام يدور عليه كدوران الرحى على قطبها وهو ثابت لا يتــزلزل [١٠] فكتبت له بذلك.

ومنهم الشيخ سيدى أبو مدين المذكور، فإنه ﷺ كان معاصرا له فى حياته بأشبيلية، والشيخ أبو مدين ببجاية وبينهما مسيرة خمسة وأربعين يوما، وكان يريد الرحلة إليه شديد الرغبة فى لقائه، ويتمنى أن يجتمع به وقد سكن أبو مدين إذ ذاك عن الحركة فأتاه غيبا وأمده بروحانيته، فاكتفى بذلك عن رؤية الحس ومصاحبته وصار يحليه بشيخنا وبسيدنا وبخلاصة الأبرار، ويذكر أحواله ومآثره، ويعظمه كثيرا ويحتج بكلامه، وقد لقى كثيرا من أصحابه، وأخذ من أخباره عنهم ما تضيق به العبارة.

وأرسل الشيخ سيدى أبو مدين مع بعضهم وهو الشيخ أبو عمران موسى السدراتى - وكان من الأبدال - يقول له: أما الاجتماع بالأرواح فقد صح بينى وبينك وثبت، وأما الاجتماع بالأجسام فى هذه الدار فقد أبى الله ذلك، فسكن خاطرى، والموعد بينى وبينك عند الله فى مستقر رحمته، ذكر ذلك الشيخ فى رسالته روح القدس: والشيوخ الذين لقيهم وأخذ عنهم وانتفع بهم كثيرون، وقد صرح بذكر الكثير منهم فى بعض كتبه كـ" الفتوحات " ورسالة " روح القدس " وألف فيهم كتابا سماه " الدرة الفاخرة فى ذكر من انتفعت به فى طريق الآخرة " ومن أسباب فتحه أيضاً دخول الخلوة.

قال العارف بالله القطب سيدى عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى فى كتابه الذى سماه بـ" الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم " وهو كتاب ذكر فيه من علوم القرآن العظيم نحو ثلاثة آلاف علم.

قال فى كتابه " الميزان ": لا مرقى لأحد من طلبة العلم الآن فيما نعلم إلى التسلق اى التسور إلى معرفة علم واحد منها بفكر وإمعان نظر فى كتاب، وإنما طريقنا الكشف الصحيح.انتهى ما نصه.

ومنها — يعنى من علوم الخلوة - أن يفتح عليه - أى على المختلى - بما شاء من نواطق الأولياء كما وقع [١١] لأخى الشيخ أبى العباس الحريثى والشيخ عمر البجائى،

ففتح على الأول بناطقة الشيخ عبد القادر الجيلى، وفتح على الثانى بناطقة أبى الحسن الشاذلى وسيدى على بن وفا، ولم يكن يعهد منهما قبل الخلوة شىء من ذلك، وكان خلوة أبى العباس أربعين يوما، وخلوة الشيخ عمر البجائى سبعة أيام كما أخبرانى بذلك، وأكمل من بلغنى أنه أعطى نواطق غالب الصوفية الشيخ محيى الدين بن عربى ﷺ وكانت خلوته ثلاثة أيام بلياليها فى قبر مندرس، ثم خرج بهذه العلوم التى انتشرت عنه فى أقطار الأرض، وكان موقعا يعنى كاتب إنشاء عند بعض ملوك المغرب، ولم يكن يعهد منه علم واحد مما أبداه فى كتبه قبل تلك الخلوة، كما ذكره الشيخ عز الدين ابن جماعة، والشيخ مجد الدين الفيروزابادى صاحب " القاموس " ﷺ انتهى.

ويقال إنه ﷺ أول من بسط الكلام فى الحقائق الإلهيات والمعارف الربانيات، وصنف الكتب الكثيرة فى هذا الشأن تنشيطا وتمثيلا على أهل السلوك فى طريق العرفان، وكلامه أول دليل على مقامه الباطن.

وقد أخبر حسبما فى " فتوحاته " وهو الصادق أنه دخل مقام القربة وتحقق به، وذلك فى شهر محرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة، ومقام القربة هذا بين الصديقية والنبوة، وهو مقام الخضر عليه السلام كما يأتى.

وقال فى الباب الحادى عشر وثلاثمائة: ما أعرف اليوم فى علمى من تحقق بمقام العبودية أكثر منى وإن كان ثم فهو مثلى، فإنى بلغت من العبودية غايتها، فأنا العبد الممحض الخالص لا أعرف للربوبية طمعا.انتهى.

وذكر فى الباب السادس والثلاثين: أن بدايته كانت عيسوية، ثم نقل إلى الفتح الموسوى الشمسى، ثم إلى هود، ثم إلى جميع النبيين، ثم إلى محمد [١٢] ﷺ.

وفى الباب الثالث والستين وأربعمائة: أنه رأى جميع الرسل والأنبياء كلهم مشاهدة عين، ورأى المؤمنين كلهم مشاهدة عين أيضا، من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة، وصاحب من الرسل وانتفع به سوى محمد ﷺ جماعة منهم إبراهيم الخليل عليه السلام قرأ عليه القرآن، وعيسى تاب على يديه، وموسى أعطاه علم الكشف

والإيضاح وعلم تقليب الليل والنهار، وهود سأله عن مسألة فعرّفه بها، فوقعت فى الوجود كما عرفه، وعاشر من الرسل محمدا ﷺ وإبراهيم وموسى وعيسى وهود أو داود، وما بقى فرؤية لا صحبة.

وقال أيضاً فى الكلام على حضرة الجمال من الباب الثامن والخمسين وخمسمائة: وهنا سر نبوى إلهى خصصت به من حضرة النبوة مع كونى لست بنبى، وإنى لوارث ثم أنشد:

إنى خصصت بسر ليس يعلمه إلا أنا والذى فى الشرع نتبعه

ذاك النبى رسول الله خير فتى لله نتبعه فيما يشرعه

وقال فى الباب السادس والعشرين وخمسمائة:وقد ذكر كتابه مواقع النجوم الذى ألفه وهو فى المرية بلاد الأندلس ما نصه: وهو كتاب يقوم للطالب مقام الشيخ يأخذ بيده كلما عثر المريد ويهديه إلى المعرفة إذا هو ضل وتاه به. انتهى المراد منه.

وذكر الشعرانى فى " الأجوبة المرضية " عنه أنه قال فى باب الحج من الفتوحات المكية: إن الكعبة كلمته وكذلك الحجر الأسود، وأنها طافت به ثم تلمذت له، وطلبت منه ترقيتها إلى مقامات فى طريق القوم فرقى بها؟ وناشدها أشعارا وناشدته.

وقال تلميذه القونوى:كان شيخنا ابن عربى متمكنا من الاجتماع بروح من شاء من الأنبياء والأولياء الماضين على ثلاثة أنحاء: إن شاء استنزل [١٣] روحانيته فى هذا العالم، وأدركه مجسدا فى صورة مثالية شبيهة بصورته الحسية العنصرية التى كانت له فى حياته الدنيوية، وإن شاء أحضره فى نومه، وإن شاء انسلخ من هيكله واجتمع به، وهذا معدود من كراماته ﷺ.

وقد أشار فى غير ما كتاب من كتبه نظما ونثرا إلى أنه خاتم الولاية المحمدية الخاصة وأقر ذلك عليه غير واحد من العارفين كسيدى على الخواص وغيره كما يأتى وفى ذلك يقول:

بنا ختم الله الولاية فانتهت إلينا فلا ختم يكون من بعدى

وما فاز بالإرث الذى لمحمد من أمته فى الكون إلا أنا وحدى

وعندما تحقق بمظهرية الذات والأسماء والصفات وصار خليفة لله فى خلقه أنشد لنفسه:

فى كل عصر واحد يسمو به ... وأنا لباقى العصر ذاك الواحد

ومن نظمه ﷺ:

خصصت بعلم لم يخص بمثله ... سواى من الرحمن ذى العرش والكرسى
وأشهدت من علم الغيوب عجائبا ... تصان عن التذكار فى عالم الحس
فيا عجبا إنى أروح وأغتدى ... غريبا وحيدا فى الوجود بلا جنس
لقد أنكر الأقوام قولى وشنعوا ... على بعلم لا ألوم به نفسى
فلا هم مع الأحياء فى نور ما أرى ... ولا هم مع الأموات فى ظلمة الرمس
فسبحان من أحيا الفؤاد بنوره ... وأفقدهم نور الهداية بالطمس
علوم لنا فى عالم الكون قد سرت ... من المغرب الأقصى إلى مطلع الشمس
تجلى بها من كان عقلا مجردا ... عن الفكر والتخمين والظن والحدس
[١٤]وأصبحت فى بيضاء مثلى نقية ... إماما وإن الناس فيها لفى لبس(١)

ومن نظمه أيضا:

أنا المختار لا المختار غيرى ... على علم من اتباع الرسول
ودنت الهاشمى أخا قريش ... بأوضح ما يكون من الدليل
أبايعه على الإسلام كشفا ... وإيمانا لألحق بالرعيل
أقدم به وعنه إليه حتى ... أبينه لأبناء السبيل(٢)

وقد كان بعض الأولياء من أهل المعرفة الإلهية يقول: أعطى الشيخ الأكبر التفصيل ونحن أعطينا التفصيل والإجمال فظن بعض الناس من هذا أن هذه زيادة على

---

(١) الأبيات من بحر الطويل.

(٢) الأبيات من بحر الوافر.

الشيخ الأكبر قال بعض وأنا أقول ليس الأمر كذلك، لأن الله تعالى يقول ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تفصيلاً ﴾ [الإسراء:١٢] فعلم الله كله مفصل ويستحيل عليه الإجمال والشيخ الأكبر كان كلما وجد الحق فصيرته إلى شيء أدركه تفصيلاً من غير إجمال، وهذا العارف كان العلم الذى يلقى إليه فيه التفصيل والإجمال، فكان مقام الشيخ أعلى.

ومن كراماته ﷺ ما حكاه صاحب " القاموس " فى جواب له من أنه لما فرغ من تصنيف " الفتوحات المكية " وضعها على ظهر الكعبة ورقا مفرقا من غير وقاية عليه فمكث على ظهرها سنة ثم أنــزلها فوجدها كما وضعها ولم يمسسها مطر، ولا أخذ منها الريح ورقة واحدة مع كثرة الرياح ولأمطار وهذا من أعظم الكرامات وأكبر الآيات وهو مما يدل على إخلاصه فى تأليفها وأنه برىء مما نسب إليه فى تصنيفها، وما أذن للناس فى كتابتها وقراءتها إلا بعد ذلك.

ومنها أيضاً: ما حكى عنه من أنه مكث مرة ثلاثة أشهر على شيء واحد، وأنه اقتات من أول المحرم إلى عيد الفطر [١٥] بلوزة واحدة.

ومنها ما حكاه الشعرانى فى " طبقاته " من أن شخصا من المنكرين عليه أتى بعد صلاة العشاء بنار يريد أن يحرق بها تابوته، فخسف به دون القبر بتسعة أذرع، وغاب فى الأرض، فلما علم أهله بالقصة جاءوا وحضروا فوجدوا رأسه، فلما حفروا نــزل وغار فى الأرض إلى أن عجزوا وردموا عليه التراب، وكراماته ومناقبه لا تحصرها مجلدات.

ومما اتفق له أنه لما أقام ببلاد الروم أمر له ملكها بدار تساوى مائة ألف درهم، فلما نــزل بها وأقام بها مر به فى بعض الأيام سائل، فقال له: شيء لله، فقال: ما لى غير هذه الدار، خذها لك. فتسلمها السائل وصارت له. ولما حلَّ دمشق حصلت له بها دنيا كثيرة، فما ادخر منها شيئا، وقيل إن صاحب حمص رتب له كل يوم مائة درهم، والقاضى ابن الزكى كل يوم ثلاثين درهما، فكان يتصدق بالجميع، وكان

يقول: أعرف اسم الله الأعظم، وأعرف الكيمياء والسيمياء بطريق التنازل، لا بطريق التكسب.

وحكى الشيخ عبد الغفار القوصى فى كتاب " الوحيد فى أخبار أهل التوحيد " قال حدثنا الشيخ عبد العزيز المنوفى عن خادم الشيخ محيى الدين ابن العربى قدس الله سره قال: كان الشيخ يمشى وإنسان يسبه وهو ساكت لا يرد عليه، فقلت يا سيدى ما تنظر إلى هذا؟ قال: ولمن يقول؟ قلت: يقول لك؟ فقال: ما يسبنى أنا. قلت: كيف؟ قال: تصورت له صفات ذميمة وهو يسب تلك الصفات، وما أنا موصوف بها انتهى.

وهذه فضيلة تدل على غاية الفضل والكمال، وهى شبيهة بما ورد فى حديث أبى هريرة من قوله عليه السلام: « أَلاَ تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّى شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ يَشْتِمُونَ مُذَمَّماً وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّماً وَأَنَا مُحَمَّدٌ ».[1] رواه الحميدى فى كتاب " الجمع بين الصحيحين " من طريق سفيان بن عيينة عن أبى الزناد [١٦] عن الأعرج عن أبى هريرة.

وقد ترجمه غير واحد ممن عاصره أو تأخر عنه من الكبار، كالشيخ الإمام العارف بالله أستاذ الحقيقة وشيخ الطريقة صفى الدين حسين بن على بن أبى المنصور الأزدى الأنصارى فى رسالته الفريدة المحتوية على من رأى من سادات مشايخ عصره، قال فيها: رأيت فى دمشق الشيخ الإمام الوحيد العالم العامل محيى الدين ابن عربى، وكان من أكبر علماء الطريق، جمع بين سائر العلوم الكسبية وما وقر له من العلوم الوهبية، ومنـــزلته شهيرة، وتصانيفه كثيرة، وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا، لا يكترث بالوجود مقبلا كان أو معرضا، وله أتباع علماء أرباب تواجيد وتصانيف، وكان بينه وبين سيدى أبى العباس الحذاء إخاء ورفقة فى السياحات.

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب رقم (٣٥٣٣).

والشيخ الحافظ محب الدين ابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد، وقال فيه: كانت رحلته إلى المشرق، وألف فى التصوف وفى التفسير وغير ذلك تواليف لا يأخذها الحصر، وله سعة وتصرف فى الفنون من العلم وتقدم فى الكلام والتصوف.

وقال أيضاً: صحب الصوفية وأرباب القلوب وسلك طريق القوم، وحج وجاور، وصنف وكتب فى علم القوم وفى أخبارهم، وفى أخبار مشايخ المغرب وزهادهم، وله أشعار حسنة وكلام مليح، اجتمعت به فى دمشق فى رحلتى إليها، وكتبت عنه شيئا من شعره، ونعم الشيخ.

والشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه الجليل الذى وضعه فى تاريخ علماء العالم، وهو فى مجلدات كثيرة، وقال الشعرانى فى كتابه " اليواقيت والجواهر ": ممن أثنى عليه الشيخ صلاح الدين الصفدى فى " تاريخ علماء العصر " وقال: من أراد أن ينظر إلى كلام أهل العلوم اللدنية فلينظر فى كتب الشيخ محيى الدين انتهى.

والشيخ الإمام شمس الدين محمد بن مسدى فى معجمه البديع المحتوى على ثلاث مجلدات، فإنه ترجمه فيه [١٧] ترجمة عظيمة مطولة، ومن جملتها قوله: وكان يلقب القشيرى لقب غلب عليه، لما كان يشتهر به من التصوف، وكان جميل الجملة والتفصيل محصلا لفنون العلم أتم تحصيل، وله فى الأدب الشأن الذى لا يلحق، والتقدم الذى لا يسبق.

وقوله أيضاً: وكان ظاهرى المذهب فى العبادات، باطنى النظر فى الاعتقادات، خاض بحار تلك العبارات، وتحقق بمحيا تلك الإشارات، وتصانيفه تشهد له عند أولى النظر بالتقدم والإقدام، ومواقف النهايات فى مزالق الأقدام، ولهذا ما ارتبت فى أمره، والله تعالى أعلم بسره انتهى.

والشيخ العلامة فريد زمانه ونادرة أوانه أبى العباس أحمد المقرى، وذلك فى كتابه الذى سماه " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " فإنه ترجمه فيه ترجمة حسنة طويلة، ونقل فيها كلام غير واحد ممن ترجمه، قال: وقد زرت قبره وتبركت به مرارا،

ورأيت لوائح الأنوار عليه ظاهرة، ولا يحيد منصف محيد الإنكار ما يشاهد عند قبره من الأحوال الباهرة.

وغيرهم ممن يكثر جدا من أهل المشرق والمغرب، ووصفه الكثير منهم بالولاية الكبرى والصلاح والعرفان والعلم والأدب وعزة الشأن.

وفى " لسان الميزان " للحافظ قال: قد اعتد بالمحتج ابن عربى أهل عصره، فذكره ابن النجار فى " تاريخ بغداد " وابن نقطة فى " تكملة الإكمال " وابن العديم فى " تاريخ حلب " والزكى المنذرى فى " الوفيات " راجع كلامه.

وقد ذكر بعضهم أن شيخه الشيخ سيدى أبا مدين ﷺ كان يلقبه بسلطان العارفين، ويسميه بالشيخ الأكبر.

وسئل عنه الإمام القطب سعد الدين الحموى حين رجع من الشام إلى بلده: كيف وجدت ابن عربى؟ فقال: وجدته فى العلم والزهد والمعارف بحرا زاخرا لا ساحل له.

وحكى اليافعى فى كتاب " الإرشاد " أن الشيخ ﷺ اجتمع مع الشهاب السهروردى فأطرق كل منهما [١٨] ساعة ثم افترقا من غير كلام، فقيل للشيخ: ما تقول فى السهروردى؟ فقال: مملؤ سنة من قرنه إلى قدمه. وقيل للسهروردى: ما تقول فى الشيخ محيى الدين؟ فقال: بحر الحقائق. وكان الشيخ كمال الدين الزملكانى من أجل مشايخ الشام يقول: هو البحر الزاخر فى المعارف الإلهية، ويقول: ما أجهل هؤلاء ينكرون على الشيخ محيى الدين ابن عربى من أجل كلمات وألفاظ وقعت فى كتبه، قد قصرت أفهامهم عن درك معانيها فليأتونى لأحل لهم مشكلاتها، وأبين لهم مقاصدها بحيث يظهر لهم الحق، ويزول عنهم الوهم.

وكان الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء يحط عليه كثيرا، ويقول: إنه زنديق. فلما صحب الشيخ أبا الحسن الشاذلى، وعرف أحوال القوم وطريقهم صار يترجمه بالولاية والعرفان والقطبية، حتى أنه سئل مرة عن القطب الفرد الغوث فى زمانه، فتبسم وقال: الشيخ محيى الدين ابن عربى.

ورفع سؤال فى شأنه وفى شأن الكتب المنسوبة إليه كـــ "الفتوحات" و "الفصوص" هل تحل قراءتها وإقراؤها ومطالعتها إلى الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى الفيروزابادى الصديقى صاحب " القاموس " فى اللغة فقال فى جوابه وأنصف: الحمد لله، اللهم أنطقنا بما فيه رضاك، الذى أعتقده فى حال المسئول عنه وأدين الله به أنه كان شيخ الطريقة حالا وعلما، وإمام الحقيقة حقيقة ورسما، ومحيى رسوم المعارف فعلاً واسماً:

إذا تغلغـــل فكـــر المـــرء فى طرفٍ   مـــن عـــلمه غرقـــت فيه خواطره[1]

عباب لا تكدره الدلاء، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء، كانت دعوته تخترق السبع الطباق، وتفرق بركاته فتملأ الآفاق، وإنى أصفه وهو يقينا فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته، وغالب ظنى أنى ما أنصفته: [١٩]

وما عـــاش إذا مـــا قلت معتقدى   دع الجهـــول يظـــن الحـــق عدوانا

والله والله العظـــيم ومـــــن   أقامـــه حجـــة الـــدين برهـــانا

إن الـــذى قلـــت بعض من مناقبه   مـــا زدت إلا لعـــلى زدت نقصـــانا

قال: وأما كتبه ومصنفاته فالبحار الزواخر التى جواهرها وكثرتها لا يعرف لها أول ولا آخر، ما وضع الواضعون مثله، وإنما خص الله بمعرفة قدرها أهلها.

ومن خواص كتبه أن من واظب على مطالعتها والنظر فيها، والتأمل لمبانيها انشرح صدره لحل المشكلات وفك المعضلات، قال: وهذا الشأن لا يكون إلا لأنفاس من خصه الله بالعلوم اللدنية الربانية. راجع كلامه، وراجع أيضاً رسالته التى خاطب بها سلطان زمانه، وهى التى سماها " بالاغتباط بمعالجة ابن الخياط " وهو رجل من أهل اليمن اسمه رضا الدين أبو بكر الخياط، عرضت عليه فتوى مجد الدين المذكور، فعارضها وخالفها، وكتب مسائل فى درج مشتملة على عقائد زائغة ومسائل خارقة للإجماع، ونسبها للشيخ ﷺ وأرسل إلى العلماء ببلاد الإسلام يسألهم عنها، وكتب

---

(١) البيت للمتنبي، وهو من بحر البسيط، وفيه: بجده بدلاً من علمه.

ذلك فى كتاب، فانتدب المجد لرد كلامه فى هذا الكتاب، وأطال فى ذكر مناقب الشيخ ﷺ وللمحقق -المدقق العالم العامل شيخ الإسلام أحمد بن سليمان ابن كمال باشا مفتى الدولة العثمانية- فتوى أبدع فيها فى مدحه ووصفه، ثم قال بعد ذلك: وله مصنفات كثيرة منها فصوص حكمية وفتوحات مكية، بعض مسائلها مفهوم النص والمعنى وموافق للأمر الإلهى والشرع النبوى، وبعضها خفى عن إدراك اهل الظاهر دون أهل الكشف والباطن، ومن لم يطلع على المعنى المرام يجب عليه السكوت فى هذا المقام لقوله تعالى ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ [٢٠] كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وكان قاضى القضاة الشافعية فى عضره الشيخ شمس الدين الخربجى يخدمه خدمة العبيد.

وقاضى القضاة المالكية زوجه بابنته، وترك القضاء وتبع طريقته بنظرة وقعت عليه منه.

وكان الشيخ مؤيد الدين الخجندى يقول: ما سمعنا بأحد من أهل الطريق اطلع على ما اطلع عليه الشيخ محيى الدين.

وكذلك كان يقول الشيخ العارف صاحب " عوارف المعارف " المجمع على إمامته فى العلوم الظاهرة والباطنة شهاب الدين السهروردى، وكذا الشيخ كمال الدين الكاشى، وقال فيه: إنه الكامل المحقق صاحب الكمالات والكرامات.

وكان الشيخ محمد المغربى الشاذلى شيخ السيوطى يترجمه بأنه مربى العارفين، كما أن الجنيد مربى المريدين ويثنى عليه بغير هذا من الكلام.

وممن أثنى عليه الشيخ الإمام العلامة الزاهد الورع الصوفى العارف بالله تعالى عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد اليمنى اليافعى نـــزيل الحرمين، وأحد الأئمة الشافعية والأولياء الكبار، وصاحب المصنفات العديدة التى منها " روض الرياحين " وذلك فى كتابه " الإرشاد والتطريز فى ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز " قال: وقد مدحه وعظمه طائفة كالنجم الأصبهانى، والتاج ابن عطاء الله وغيرهما، وتوقف فيه طائفة،

وطعن فيه آخرون، وليس الطاعن بأعلم من الخضر عليه السلام إذ هو أحد شيوخه، وله معه اجتماع كثير. ثم قال: وما ينسب إلى المشايخ له محامل. ثم ذكرها. وكذا ذكره وأثنى عليه فى كتابه " غاية المعتقد ونهاية المنتقد " والشيخ الإمام العارف الهمام تاج الدين أبو العباس أحمد بن عطاء الله السكندرى فى كتابه " لطائف المنن ".

قال السيوطى فى " تأييد الحقيقة وتشييد الطريقة الشاذلية ": وهما – يعنى اليافعى [٢١] وابن عطاء الله – شاهدا عدل مقبولان فى تـزكية مثل هذا، فإنهما فقيهان صوفيان انتهى.

وأثنى عليه أيضاً الشيخ عبد الرءوف المناوى شارح " الجامع الصغير " والشعرانى فى ترجمته من " طبقات الصوفية " لهما، وتكلم الثانى على علومه وأحواله فى كتابه " تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء " وكذا فى كثير من كتبه ككتاب " اليواقيت والجواهر " فإنه ذكر فيه نبذة من أحواله، وجماعة ممن مدحه وأثنى عليه من العلماء، واعترف له بالفضل، فليرجع إلى ذلك من أراده.

وممن أثنى عليه أيضاً العارف بالله سيدى مصطفى البكرى فى كتابه " السيوف الحداد فى أعناق أهل الزندقة والإلحاد " ونقل الثناء عليه من سيدى أبى مدين وغيره من العلماء والأولياء، وذكر عباراتهم، ثم نقل كلام صفى الدين أحمد القشاشى فى آخر رسالته " وحدة الوجود " فيه وقوله: فلو استقصى إنسان وتتبع مناقبه التى تذكر بالسياق والتقريب فى مصنفاته وفتوحاته لكان مجلدات، وذكر من جملتها قوله فى باب الحب بعد ما ذكر من ذاب منه وصار ماء بين يدى شيخه وإن حبه كان طبيعيا و لم يكن إلهيا، وإلا لثبت و لم يذب ما نصه: والله ثم والله لقد أعطانى الله من هذه المحبة ما لو وضع جزء يسير منه على السموات والأرض لذابتا، ولكن الله تعالى قوانى عليها. ثم ذكر سيدى مصطفى أبياتا وقصائد مدحه بها. فانظره.

وممن أثنى عليه الشهاب أحمد بن حجر الهيتمى المكى الشافعى فى غير ما كتاب من كتبه المشهورة، وقد قال فى شرحه لهمزية الإمام البوصيرى لدى قولها:

والكرامات منهم معجزات البيت، بعد ما ذكر أن من الكفر الصراح قول بعض الكرامية: إن الولى قد يبلغ درجة النبى. وبعض جهلة المتصوفة: إن الولاية فوق رتبة [٢٢] النبوة، وإن الولى قد يبلغ حالة يسقط عنه فيها التكليف، ونقل عن الغزالى أن قتل الواحد من هؤلاء خير من قتل مائة كافر، لأن ضررهم فى الدين أشد ما نصه: وليس من أولئك العارفان العالمان المحققان الوليان الكبيران المحيوى ابن العربى والسراج ابن الفارض وأتباعهما بحق خلافا لمن زل منهم قدمه وطغى قلمه، إلا أن يكون أراد بما قاله الذب عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المتبادرة عند من لا يحيط باصطلاحهم انتهى.

وكتب محشيه القطب الحفنى على قوله: وليس من أولئك. ما نصه: أشار بذلك للرد على ابن تيمية حيث جعلهما منهم، حاشاهما وبئس من نسبهما إلى أدنى ضلالة رضى الله عنهما وتبعنا بهما انتهى.

وممن كان يثنى عليه ويعتقده ويحبه المحبة البالغة ويعتقد أيضاً تلميذه ابن الفارض ويحبه العلامة سراج الدين الهندى الحنفى أحد الأئمة الحنفية وقاضى قضاتها بالديار المصرية، وصاحب التصانيف الجليلة كـ " شرح الهداية " و " شرح المغنى " وورث عنه هذه المحبة تلميذه العلامة قاضى القضاة شمس الدين البساطى المالكى شارح " مختصر خليل " وكل منهما له شرح على تائية ابن الفارض، وواقعة البساطى هذا مع الشيخ علاء الدين البخارى الذى كان يبالغ فى الإنكار على صاحب الترجمة مشهورة، وهى تتضمن كرامة للإمام البساطى بسبب انتصاره لصاحب الترجمة.

وللشيخ سراج الدين المخزومى شيخ الإسلام بالشام كتاب فى الرد عنه سماه " كشف الغطاء عن أسرار كلام الشيخ محيى الدين " وقال: كيف يسوغ لأحد من أمثالنا الإنكار على ما لم يفهمه من كلامه فى " الفتوحات " وغيرها، وقد وقف على ما فيها نحو من ألف عالم وتلقوها بالقبول، وأطال فى هذا الكتاب فى مدحه ومدح كتبه [٢٣] ونقل الثناء عليه من غير ما واحد من العلماء المتبحرين كشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى، والشيخ تقى الدين السبكى، وذكر أنهما رجعا عن الإنكار عليه

حين تحققا كلامه وتأويل مراده، وندما على تفريطهما فى حقه فى البداية، وسلما له الحال فيما أشكل عليهما عند النهاية.

وللحافظ السيوطى كتاب سماه " تنبيه الغبى على تنـــزيه ابن العربى " ذكر فيه أن الناس افترقوا فيه فرقتين، الفرقة المصيبة تعتقد ولايته، والأخرى بخلافها، ثم ارتضى هو اعتقاد ولايته وتحريم النظر فى كتبه، يعنى على من لم يكن أهلا للنظر فيها، بأن كان عاميا أو فقيها فى حكمه لعدم مخالطته لأهل هذا الفن، فمطالعته لها إنما هى بالحزر والظن والتخمين، لا بالفتح والتمكين، وحينئذ فإما أن يتأول الكلام على خلاف المراد فيَضل ويُضل، أو يضيع العمر فى تصفح تلك الكتب بلا فائدة، أو يحمل الكلام على ظاهره فيسىء الظن بصاحبه، وربما كفره أو بدّعه، أو نسب إليه ما هو برىء منه، ولذا نقل عن الشيخ أنه كان يقول: نحن قوم يحرم النظر فى كتبنا لمن لم يعرف مذهبنا. وفى لفظ: لمن لم يكن فى مقامنا. نقله الشعرانى فى " الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية " وغير واحد، وعن الشيخ أيضاً أنه كان ينشد ويقول من جملة أبيات:

تركـــنا الـــبحار الزاخـــرات وراءنا فمـــن أيـــن يدرى الناس أين توجّهنا

وأما إن كان أهلا بأن كان مفتوحا عليه أو مشرفا على مقام الفتح، أو كان يطالعها بحضرة شيخ عارف يفهمه إياها كما ينبغى فلا بأس، وذو الفتح الصائب والبصيرة النافذة والعلم الراسخ يأخذ منها كل مأخذ، وينال جميع ما يراد من الخير، ويقصد فيزداد بها فتحا وإيمانا وقربا إلى الله وإيقانا، وعلى [٢٤] هذا القسم يحمل كلام العلماء الذين حثوا على مطالعتها، والأولياء الذين كانوا يحضون بعض تلامذتهم وإخوانهم على معاناتها، كالشيخ إسماعيل الجبرتى شيخ الشيخ سيدى عبد الكريم الجيلى وغيره، لأن من كان مفتوحا عليه تقرب المسافة البعيدة إليه، وتسهل الطريق الصعب لديه، ولا ينافى هذا ما ذكروه من أن كتب الشيخ كتب فتح لا كتب سلوك، لأن مرادهم أنه لا يسلك بها من كان عاميا أو فى حكمه، وتأمل ما مر عن المجد الفيروزابادى: أن من خواص كتب الشيخ أن من واظب على مطالعتها انشرح صدره لحل المشكلات وفك المعضلات، وفى نقل الشعرانى عنه فى كتاب " اليواقيت والجواهر

" أن مطالعة كتبه قربة إلى الله تعالى، ومن قال غير ذلك فهو جاهل زائغ عن طريق الحق. راجعه.

ومن قصيدة للشيخ سيدى عبد الغنى النابلسى فى مدحه ﷺ ذكرها آخر كتابه " الرد المتين ":

كتبه النور لمن يبصرها ... وهى تروى كل صادى القلب رى

من كتاب الله والسنة قد ... خرجت تختال فى أبهى حلى

رام أن يطفئ قوم نورها ... فأبى الله وقاء أبو؟

وقد ألف السيوطى كتابا آخر سماه " قمع المعارض فى نصرة ابن الفارض "

وللشيخ الإمام العارف سيدى عبد الغنى النابلسى كتاب " الرد المتين على منتقض العارف محيى الدين " نقض فيها رسالة لبعض علماء الرسوم فى الطعن على هذا القطب المكتوم، وكشف فيها عن معانى العبارات المشكلة فى كلامه، وأفصح عن رفيع مقامه، وناقش عبارات المعترضين فيها بصريح كلامه، ثم ختمها بذكر من أثنى عليه من العلماء الأعلام، وذكر من سئل عنه فأفتى فيه [٢٥] بالخير من أئمة الإسلام.

وللكازرونى شارح " الفصوص " كتاب بالفارسية سماه " الجانب الغربى " رد به عن الشيخ مما اعترض به على كلامه، كقوله بإيمان فرعون، وقد نقله إلى العربية عالم المدينة السيد محمد بن رسول البرزنجى وسماه " الجاذب الغيبى "

وللشيخ الإمام العارف المربى أبى الحسن على بن ميمون شيخ الطريقة الميمونية رسالة فى مدحه والثناء عليه والحط على المنكرين لديه.

وللإمام الأجل مفتى دمشق حامد بن على العمادى رسالة سماها " قرة عين الحظ الأوفر فى ترجمة الشيخ محيى الدين الأكبر "

والمثنون عليه لا يحصون كثرة وعددا، وهم أوفر علما وأقوى مددا، وقد أخذ عنه وتخرج به أئمة كبار، منهم أخص تلاميذه الشيخ عبد الله بدر الحبشى، والشيخ إسماعيل بن سودكين، والشيخ صدر الدين القونوى الرومى ربيبه، والشيخ عمر بن الفارض.

وقد حكى فى " نفح الطيب " عن المقريزى فى ترجمة سيدى عمر بن الفارض أن صاحب الترجمة بعث إليه يستأذنه فى شرح تائيته الكبرى، فقال له: كتابك المسمى بـ " الفتوحات " شرح لها انتهى.

قال بعض: وهذا يؤذن بأنه كان يستمد فى تائيته من فتوحات الشيخ، وأن استمداده كان من فيض إمداده. ويؤيد هذا ما ذكره النجم الغزى فى " الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة " فى ترجمة القاضى زكريا الأنصارى نقلاً عن بعض إخوانه – أى إخوان النجم – أنه سمعه يحكى أنه روى أن الشيخ محيى الدين ابن العربى كان يعرض عليه سيدى عمر بن الفارض فيقول: هو كلامنا لكنه أبرزه فى قالب آخر. وكان يقول: هو ماشطة كلامنا. قال النجم الغزى: والذى يظهر من كلامهما أن ابن العربى أوسع فى المعرفة، وأن ابن الفارض أدخل فى المحبة انتهى.

وله [٢٦] ﷺ مصنفات كثيرة ورسائل صارت بها الركبان، منها ما هو كراسة واحدة، ومنها ما يزيد على مائة مجلد وما بينهما، وقد عد هو فى إجازة كتبها للملك المظفر بهاء الدين غازى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب نيفا وأربعمائة مصنف، ومن عبارة لبعضهم أنها تقارب الألف، منها تفسير القرآن العظيم المسمى بـ " الجمع والتفصيل فى أسرار معانى التنـــزيل " وهو تفسيره الكبير فى نيف وستين مجلدا، بلغ فيه إلى قوله تعالى فى سورة الكهف ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ [الكهف:٦٥] واستأثر الله فقبض روحه عند هذه الكلمة الشريفة، فكان ذلك أعظم برهان وأتم دليل وبيان على ما أوتيه من كمال العلم، واختص به من الأسرار البديعة والفهم، وهذا التفسير كتاب عظيم، كل سفر منه بحر لا ساحل له، ولا غرو فإنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى.

ومنها " فصوص الحكم " وقد ذكر هو فى أولها: أنه رأى النبى ﷺ وبيده الكريمة كتاب، فقال له: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس – يعنى بهم ناس المخصوص – ينتفعون به. ثم قال: فلا ألقى إلا ما يلقى إلى، ولا أنـــزل فى هذا المسطور إلا ما ينـــزل على، ولست بنبى ولا رسول، ولكنى وارث، ولآخرتى حارث.

وقد ذكروا أنه أودع فيه جميع علمه مع صغر حجمه، وكشف فيه عن الحقيقة الإنسانية، وبين مظاهرها النبوية، وقال ﷺ من معشراته:

فرصة قد أودعت علمى لديها ... فى كتاب وسمته بالفصوص

قال الشيخ صدر الدين القونوى فى أول فصوصه: وهو خواتم منشآته [٢٧] وأواخر تنزلاته ورد عن منبع المقام المحمدى والجمع الأحمدى، فجاء مشتملاً على زبدة ذوق نبينا انتهى.

وقال بعضهم: من أراد الاطلاع على أذواق مشارب الأنبياء فعليه بكتاب " فصوص الحكم " لأنه ذكر فى فص كل نبى ذوقه ومشربه.

وفى معروضات المفتى أبى السعود الحنفى أنه تيقن أن بعض اليهود افترى عليه فى كتابه هذا كلمات تباين الشريعة، وأنه تكلف بعض المتصلقين — أى المتكلفين — لإرجاعها إلى الشرع، قال: فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات انتهى.

قلت: إن صح هذا فهذه الكلمات لا تعرف الآن باليقين، وإنما هى ظن وتخمين، والله أعلم بالواقع، وقد طعن فى الشيخ ﷺ بسبب كتابه هذا وغيره من كتبه كـ " الفتوحات " جماعة من علماء الرسوم ممن لم يفهم مقاصده فيها ولا رموزه وإشاراته، وحمل الكلام على أول احتمالاته، كالشيخ سعد الدين التفتازانى والشيخ ملا على القارى، فألف كل منهما رسالة فى الرد والتكفير، وبالغ فى التضليل والتنفير، وأورد الثانى فى رسالته نص كلامه فى مواضع من " الفصوص " وهى بضع وعشرون موضعا، وردها كلها بغاية الرد، وألف رسالة أخرى سماها " فر العون ممن يدعى إيمان فرعون " وما هذه بأول هفوة صدرت منه، وللشيخ تقى الدين الفاسى المكى كتاب " تحذير النبيه والغبى من الافتتان بابن عربى " والمحققون والعلماء وأهل الله على خلاف كلامهم، وعدم قبول ثلمهم، وعده من هفواتهم، وقبيح ما يؤثر من عثراتهم.

وقد ذكروا أن الشيخ ﷺ نهى أن يجمع بين كتابه هذا — أعنى الفصوص — وبين غيره من الكتب فى جلد واحد، وإن كان من مؤلفاته، لأنه من الإرث المحمدى، وقد شرحه من [٢٨] لا يحصى من العلماء، كالشيخ مؤيد الدين الجندى، والكازرونى،

والكاشى، والقيصرى، والقاشانى، وكمال الدين الزملكانى، وسعد الدين الفرغانى، وعفيف الدين التلمسانى، والشيخ عبد الرحمن الجامى، وعلى المهايمى، والجلال محمد الدوانى، وعبد الله الرومى، والشيخ بدر الدين ابن جماعة، وعبد الغنى النابلسى، وغيرهم ممن يكثر.

ومنها كتاب " الفتوحات المكية " وقد قال عنه فى الباب الثالث والستين وثلاثمائة منه: والله ما كتبت منه حرفا إلا عن إملاء إلهى وإلقاء ربانى أو نفث روحانى فى روع كيانى انتهى.

وقال فى موضع آخر منه: وهذا الكتاب مع طوله وكثرة أبوابه وفصوله فما استوفينا فيه خاطرا واحدا من خواطرنا فى الطريق.

قال الشيخ العارف بالله الأستاذ سيدى مصطفى بن كمال الدين البكرى فى " روضاته العرشية " بعد نقله ما نصه: باب فى النفس الواحد يدخل قلب العارف من الحكم والمعارف ما لا يدخل تحت حد ولا حساب لأنه عن فيض الوهاب انتهى.

وقال فى الفصل الرابع عشر من الباب الثامن والتسعين ومائة فى معرفة النفس ما نصه: وإنما نورد فى كتابنا وجميع كتبنا ما يعطيه الكشف ويمليه الحق انتهى.

ومما أنشده بعضهم فيه ﷺ:

هـو الشيخ محيى الدين عارف وقته ... وأفكـار أهل الجهل عن علمه تقصر
وقـد شاع إيمانى بكـل كلامـه ... فمـن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

ومن أحسن ما مدح به قول القائل، وهو الشيخ محمد بن سعد الكاشى كما ذكره فى " نفح الطيب " مشيرا لتاريخ وفاته:

إنمـا الحـاتمى فى الكـون فـرض ... وهـو غـوث وسـيد وإمـام
كـم علـوم أتـى بها من غيوب ... مـن بحار التوحيد يا مستهام [٢٩]
إن سـألتم مـتى تـوفى حمـيدا ... قلـت أرخـت مـات قطب همام

ومجموع ذلك ستمائة وثمانية وثلاثون، وهى سنة وفاته، وكانت على التحقيق ليلة الجمعة سابع أو ثامن عشر ربيع الآخر منها بدمشق الشام، ودفن بسفح جبل

قاسيون بتربة القاضي ابن الزكي، وقبره هناك مشهور تستجاب عنده الدعوات، وتكشف الخطوب والأزمات، وقد دفن عنده ولداه الإمامان محمد سعد الدين المتوفى سنة ست وخمسين وستمائة، ومحمد عماد الدين المتوفى سنة سبع وستين وستمائة، وقد اعتنى بتربته بصالحية دمشق سلاطين بنى عثمان، وبنى عليه السلطان المرحوم سليم خان قبة وضريحا، وهو الذى أظهره ولم يكن ظاهرا، وبنى أيضاً بجواره تكية وجامعا للخطبة، ورتب له الأوقاف، فجزاه الله على ذلك خيرا، ومن قصيدة لسيدى عبد الغنى النابلسى ﷺ فى مدحه، ذكرها فى آخر كتابه " الرد المتين "

إن محيى الدين أحيا الدين قل	والمسمى غالبا طبق السمى
زره واغتم فضل قبر ضمه	وانشق من نحوه طيب الشذا
وتوسل عند مولاك به	كلما نابك خطب يا أخى
فالذى يقصده فاز وما	خاب من يلجأ إلى ذاك الحمى
لم يزل رضوان ربى دائما	عنه ما حنَّ اشتياقا ذو الهوى

وفى " الطبقات الشعرانية " قال: أجمع المحققون من أهل الله عز وجل على جلالته فى سائر العلوم، كما يشهد لذلك كتبه، وما أنكر من أنكر عليه إلا لدقة كلامه لا غير، فأنكروا على من يطالع كلامه من غير سلوك طريق الرياضة خوفا من حصول شبهة فى معتقده يموت عليها، لا يهتدى لتأويلها على مراد [٣٠] الشيخ انتهى.

قال الشيخ مولانا عبد الغنى فى شرحه للديوان الفارضى: ولقد أنصف الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الغفار رحمه الله تعالى فى قوله فى شأنه قدس سره:

حاشاك يا محيى الدين الذى اجتمعت	له الفضائل فى علم وفى عمل
أن تقتضى غير ما جاء الكتاب به	أو تبتغى بدلا عن أشرف الملل
وأن تهد أساس الشرع معتقدا	فيه عقيدة أهل الزيغ والزلل
عمرى لقد كذبوا فى كل ما نسبوا	إليك من خطإ يضميك أو خطل
أن غرهم كلمات منك ظاهرها	يخالف الشرع فى فهم لهم خبل

فذكرهم قول عبد الله حسبك أو أبى هريرة أو قول الإمام علـى
أو ينشدوا شعر زين العابدين وإن شاءوا فقصة موسى أوضح السبل

وقد أراد بعبد الله عبد الله بن عباس، وسيأتى كلامه مع كلام أبى هريرة وعلى، وكذا كلام زين العابدين، وأراد بقصة موسى قصته مع الخضر عليهما الصلاة والسلام وهى معلومة.

وقال الشيخ مولانا عبد الغنى أيضاً فى مدحه تعريبا لأبيات فى ذلك باللغة التركية لبعض فضلاء الروم:

طيب محيى الدين مسك فى الورى فاح لكن كل أنف لا يشم
وعلوم خرجت من فيه كل فهم بهداها ما لا يلسم
قوسه من ذا الذى يرمى به غرض التحقيق يا قوس هلم(1)

قلت: سبب الاعتراض والملام عدم فهم المراد - كما أُشير إليه من الكلام - بسبب الجهل بما فى كلامه من الرموز والروابط والإشارات والضوابط والحذف لمضافات، هى فى علمه وعلم أمثاله معلومات، وما فيه من الألسن [٣١] المنوعة، والطرائق المتنوعة، والمناهج والاصطلاحات والمذاهب المختلفات، فتارة تجده فقيها مقلدا، وتارة إماما مجتهدا، وتارة صوفيا كاملا، وتارة بالحقيقة المغطاة عاملا، وتارة بالمجردة قائلا، وتارة لا يدرى وجهه ومقصده، وتارة يكون عن كشف وذوق وشهود وعيان خبره وشهده، وهذه الألسن كلها طرائق ومسالك ومناطق، ولكل طريق منها أنوار، يدركها أرباب المعارف والأسرار، وكلامه فيها هو كسبب مقتضى حاله، وما يوقعه المولى تبارك وتعالى فى قلبه وباله، ثم له هو اصطلاح خاص سوى ما يتبعه من اصطلاح غيره من الصوفية الخواص، فمن ثم يختلف على المطالع لكلامه الأمر أحيانا، وحذر الناصحون من مطالعته إلا ممن رسخ فى العلم، أو يدركه بالذوق إيقانا.

وقال بعض المحققين: ليس الشأن فى فهم مرامه، إنما الشأن فى الجمع بين كلامه.

(١) الأبيات من مجزوء البسيط.

وفى " الرحلة العياشية " نقلاً عن كثير من المشايخ من جملتهم شيخ الإسلام وإمام الأئمة الأعلام أبي محمد سيدى عبد القادر بن على الفاسى: إنهم كانوا يقولون محكم كلامه يقضى على متشابهه، ومطلقه يرد إلى مقيده، ومجمله إلى مبينه، ومبهمه إلى صريحه، كما هو شأن كل كلام ظهرت عدالة صاحبه.

وإذا علم هذا فليحذر القابل للنصيحة كل الحذر من التعرض للإنكار عليه وعلى أحد ممن ظهرت عدالته، وثبت لدى أهل المعرفةوالتوفيق فضله وكرامته، فإن ذلك بالتجربة والمشاهدة والعيان سم قاتل، ومجرٌّ إلى الطرد والمقت والخزى والهوان، وليقدر كلام الأولياء قدره، وليعظم شأنه وأمره، وليلحظ باطن إشاراتهم، ولا ينظر إلى ظاهر عباراتهم، لأنه ليس مبنيا على العقول [٣٢] والأذهان، ولا على ترتيب النطق وفصاحة اللسان، بل على نور القلب وقواعد العرفان، فمن كان من أهل هذا الشأن فسيغنيه الشهود والعيان عن الدليل والبرهان، وإلا فعليه بالتسليم والإذعان، فإنه أولى بأهل التثبت والإيمان، لئلا يقعوا فى البعد والحرمان.

لا تكــن قانــتاً فى حكــم أمــور لطــوال الــرجال لا للقصــار

وإذا لم تــر الهــلال فســلم لأنــاس رأوه بالأبصــار

قال الشيخ عبد الرءوف المناوى الشافعى فى كتابه " إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن ": ولا زال أهل العلم والأخيار والأكابر يلتمسون لكلام هذه الطائفة أحسن المخارج، لعلمهم أن كلامها يرتقى عن دائرة العقول، ويشذ على ظواهر المنقول، فإما تأويل حسن، وإما ظن حسن، وقال السيد الشريف مسعود بن حسن بن أبي بكر القناب الشافعى فى شرحه للامية ابن الوردى لدى قوله:

لا تخــض فى ســب سادات مضوا إنهــم ليســوا بــأهل للــزلل

ما نصه: وكذا يحرم التكلم فى السادات الذين تكلموا فى الطريق، وأظهروا خوارق العادات، كالسرى السقطى، وأبى القاسم الجنيد، والحسين الحلاج، وأشباههم من المتقدمين، وكالشيخ محيى الدين ابن عربى، وسيدى عمر بن الفارض، وغيرهما من المتأخرين، فهؤلاء السادات رضى الله عنهم وإن كانوا قد تاهوا وتكلموا بأشياء

خارقة، فلا يجوز سبهم، ولا اعتراض عليهم بحال من الأحوال، لأنهم ملازمون لقواعد الشرع، فلا يصدر منهم قول ولا فعل مخالف للشرع، وما أحسن قول بعضهم: من لم يعرف مصطلحنا لا يجوز له الخوض [٣٣] فى طريقتنا، فيجب على كل مسلم أن يلزم الأجوبة الحسنة عن الأكابر المتقدمين من أنبياء وصحابة وتابعين ومجتهدين وعارفين. انتهى منه بلفظه.

وقال الشيخ إبراهيم بن حسن الكورانى فى " تنبيه العقول على تنـزيه الصوفية عن اعتقاد التجسيم والعينية والاتحاد والحلول " قال الشيخ محيى الدين نفع الله به فى كتاب " الفناء فى المشاهدة ": **ينبغى لمن وقع فى يده كتاب فى علم لا يعرفه ولا سلك طريقه أن لا يبدى فيه ولا يعيد، وأن يرده إلى أهله، ولا يؤمن به ولا يكفر، ولا يخوض فيه البتة، رب حامل فقه ليس بفقيه ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩] ﴿ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٦] فقد ورد فيهم الذم حيث تكلموا فيما لم يسلكوا طريقه. قال: وإنما سقنا هذا كله لأن كتب أهل طريقتنا مشحونة من هذه الأسرار، ويتسلط عليها أهل الأفكار بأفكارهم، وأهل الظاهر بأول احتمالات الكلام، فيقعون فيهم، ولو سئلوا عن مجرد اصطلاح القوم الذى تواطئوا عليه فى عباراتهم ما عرفوه، فكيف ينبغى لهم أن يتكلموا فيما لم يحكموا أصله. انتهى منه بلفظه.**

وقد نقل كلام الشيخ هذا أيضاً الشيخ سيدى عبد الغنى النابلسى فى " شرحه للطريقة المحمدية " بعد أن صدره بقوله: وقال الشيخ الأكبر محيى الدين ابن العربى قدس الله سره فى رسالته التى فصنعها فى تحقيق مقام الفناء فى الشهود: فينبغى... إلى آخره.

وقال أيضاً فى شرحه المذكور بعد ما نقل فيه عن بعضهم: إن من ولى هذا المنصب فارتقى عن مقام الولاية إلى مقام الوراثة عظمت عداوة الجهال له ما نصه: ومن هنا خوض السفلة ورعاع المتفقهة فى حق الشيخ الأكبر محيى الدين ابن العربى، والشيخ شرف الدين ابن الفارض، والعفيف [٣٤] التلمسانى، وابن سبعين، ونحوهم مما لا يعرفه الفقيه المحجوب بحجب عالم الخلق عن أسرار عالم الأمر، الذى هو كلمح

البصر، وخاضوا فى فهم كلماتهم بما هم بريئون منه، وافتروا عليهم فى نسبة المعانى الفاسدة التى تخالف الشريعة إليهم، وسووا بينهم وبين الباطنية والزنادقة والملحدين، ولم يقدروا - من كثرة جهلهم وشدة غباوتهم مع دعواهم العلم - أن يفرقوا بين كلامهم وكلام الكفار، فوسوسوا فى صدور عامة المؤمنين الذين هم خير منهم، وأفسدوا عليهم اعتقادهم فى أولياء الله تعالى، وحرموهم التماس بركاتهم، وأوقعوهم فى الإنكار عليهم، وعرضوهم لغضب الله تعالى وحرمانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم انتهى.

وقال أيضاً فيه فى موضع آخر ما نصه: ومن أجل الحكماء الإلهيين الشيخ الأكبر محيى الدين ابن العربى، والشرف ابن الفارض، والعفيف التلمسانى، وابن سبعين، وغيرهم رضى الله عنهم من العارفين المحققين، فإن كلامهم أنفع للفقيه إذا سلك به فى معرفة أسرار الفقه، ولكن بعد اعتقادهم ومحبتهم، ونبذ كلام من تكلم فيهم بسوء من أهل الجهل والغباوة الذينهم ليسوا على طريقهم، ولا يعرفون اصطلاحهم، فإن من جهل شيئا عاداه، ولا عبرة بنقل المنكرين عليهم لكلامهم وزعمهم أنهم فهموه، لأنهم إن فهموه لما ظهر من تقريرهم كفر أو إضلال بل كان يظهر إيمان وتوحيد، ولكن كل إناء بالذى فيه ينضح، وآنيتهم لما تنجست بكفر الإنكار على أولياء الله

تعالى وبغضبهم والتعصب عليهم، كان كل كلمة من كلام أهل الله تعالى إذا دخلت ذلك الإناء النجس تنجست به، وكانت إيمانا فى الآنية الطاهرة [٣٥] فصارت كفرا فى الآنية النجسة القذرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء انتهى.

وفى رسالة الحافظ السيوطى المسماة بـــ " تنبيه الغبى ": إن الصوفية تواطئوا على ألفاظ اصطلحوا عليها وأرادوا بها معانى غير المعانى المتعارفة منها بين الفقهاء، فمن حمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العلم كَفَرَ أو كفَّر، نص على ذلك الغزالى فى بعض كتبه، وقال: إنه شبيه بالمتشابه فى القرآن والسنة من أن حمله على ظاهره كفر، وله معنى سوى المتعارف منه.

وفيها أيضاً أنه سأل بعضُ أكابر العلماء بعضَ الصوفية في عصره: ما حملكم على أنكم اصطلحتم على هذه الألفاظ التي يستشكل ظاهرها؟ فقال: غيرة على طريقنا هذا أن يدعيه من لا يحسنه، ويدخل فيه من ليس من أهله.

وترجمة الشيخ ﷺ طويلة جدا، وهذا قل من كثر، للتبرك به وبذكره رزقنا الله محبته ومحبة أهل الله كلهم ورضاهم، وجعلنا من جملتهم وفي زمرتهم وتحت لوائهم آمين، ولنشرع في المقصود بعون الملك المعبود، فنقول ومن الله سبحانه وتعالى أستمد، وبه نصول ونجول.

– المقدمة –

فى بيان جملة العلوم وأنها بالاعتبار ثلاثة عند أرباب الإدراكات والفهوم

اعلم أن العلوم على ما قاله غير واحد ثلاثة:

الأول منها: علم الشريعة الظاهرة، وهو قسمان:

أحدهما: علم الشريعة المتعلق بالأعمال البدنية، أعنى به علم الحلال والحرام، والأمر والنهى، والوعد والوعيد، ونحوها [٣٦] مما هو متعلق ومرتبط بتكميل ظاهر الذوات من أقوالها وأفعالها ولوازمها، وتحسين هيئاتها مثل الصلاة والزكاة، والصوم والحج والجهاد، وأنواع الأذكار والأدعية وتلاوة القرآن، واستكمال خصال الفطرة، وغير ذلك من كل ما له تعلق وارتباط بالسير الجسمانى المتعلق بالأعمال البدنية الظاهرة.

والثانى: علم الشريعة المتعلق بالأعمال القلبية وأدوائها وعلاجاتها، وما تصلح به وما لا، أعنى به علم كيفية الرجوع إلى الله وإلى طريقه، ومعرفة الآفات الطارئة على سائر هذا الطريق من دسائس النفوس وغوائلها وشهواتها، وما تصلح به تلك الآفات، وتـــزال به الانحرافات والأخلاق، ويتبدل به مذمومها لمحمودها، وتتخطى به المقامات من التوبة والزهد، والمحاسبة والمراقبة، والتوكل والرضا، والتسليم والخوف، والرجاء والصبر، والشكر والمحبة، وغير ذلك من كل ما له تعلق وارتباط بالسير النفسانى والروحانى المتعلق بالقلوب، وهذا هو علم الظاهر المنقول، الذى هو علم الحكمة والعبودية، ويسمى أيضاً بعلم الكتب والأوراق، ومنها كما ذكرناه العلم الثانى وهو المسمى عندهم بعلم الطريقة، الذى هو العلم المتعلق بكيفية تعديل الهيئات النفسانية والروحانية، وهو وإن كان متعلقا بالقلوب، والقلوب باطنية لكنه يؤدّى بالعبارة، والعبارة تظهره وتوضحه، فصار من قبيل علم الظاهر، وهو تصوف، وقد احتوت عليه كتب كثيرة قديمة كـــ " الرسالة " للقشيرى و " القوت " و " الإحياء " وحادثة ككتب ابن عطاء الله و " شرح الحكم " لابن عباد، وكتب الشيخ زروق فى

التصوف، والشعرانى، وهذه الكتب بها يحصل السلوك فى طريق القوم لنهجها [٣٧] للعبيد، وببيانها للطريق التى بها يصل المريد، مع خلوها من الحقائق التى قد تكون سببا فى قطعه، وهو أيضاً باطن علم الشريعة المتعلق بالأعمال البدنية ولُبه، وعلم الشريعة المذكور ظاهره وقشره، لأنه الذى يصونه، كما أن علم الطريقة قشر لعلم الحقيقة، لأنه هو الذى يصونها، فإن من رام الوصول إلى علم الحقيقة ولم يطرق إليه من علم الطريقة فسد حاله، فصارت حقيقته زندقة، ولذا قالوا: **لا وصول إلى حقيقة إلا بعد تحصيل الطريقة.**

وقال أبو سليمان الدارانى ﷺ: وإنما حرموا الوصول – يعنى إلى الحقيقة – بتضييعهم الأصول – يعنى الطريقة – وكذا صاحب الطريقة إذا لم يؤت الشريعة حقها فسد حاله، وصارت طريقته هوسًا ووسوسة.

العلم الثانى منها: علم الحقيقة الباطنة الذى هو علم التوحيد الخاص وأسرار الشريعة وحكمها، وما ينشأ عن العمل بها من الكشوفات والأذواق والمعارف والأسرار ونحو ذلك، وهو علم الباطن الموهوب الذى هو علم القدرة والربوبية، ويسمى أيضاً بعلم الأذواق، وهو علم وهبى ذوقى لا ينال بتعلم، وإنما يهبه الله لمن يشاء من خلقه، ولا يؤديه من وصل إليه بالعبارة، وإنما يرمز له بالإشارة، وهو تصوف أهل الباطن، ومثال العلم الظاهر كجسم فيه روح كامن، فالجسد لا يقوم بغير روح، والروح لا تظهر من غير جسد، وإذا خلى الجسد عن الروح كان ميتا ولا عبرة به، ولذلك كانت الشريعة بدون الحقيقة عاطلة، وإذا خلت الروح عن الجسد بطنت ولم يظهر لها، ولذا كانت الحقيقة بدون شريعة باطلة.

من تصوف ولم يتفقه فقد تـــزندق

وقد نقل الشيخ عبد الرعوف المناوى فى " إرغام أولياء [٣٨] الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن " فى الباب الخامس فى أصول علم التصوف عن إمامنا مالك ﷺ قال: من تصوف ولم يتفقه فقد تـــزندق. أى لأن حقيقته تصير عارية بدون كسوة

فيقتل عليها، فإن كان محقا وغلبه السكر كان شهيدا، وإن كان مدعيا مبطلا كان بعيدا، وعن الحضرة طريدا. ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق. أى لأن أعماله أشباح بلا أرواح. ومن جمع بينهما فقد تحقق.

الفرق بين العارف بعلم الحقيقة الباطنة والعالم بها

والعالم بهذا العلم الثانى هو المسمى عارفا، ومن يصل إليه وكان من أهل العلم الأول سمى عالما، والفرق بينهما أن العالم دون ما يقول، والعارف فوق ما يقول، والعالم يصف الطريق بالنعت، والعارف يصفها بالعين، لأنه سار معها وعرفها، والعالم محجوب والعارف محبوب، والعالم يدلك على العمل، والعارف يخرجك عن شهود العمل، والعالم يعرفك بأحكام الله، والعارف يعرفك بذات الله، إلى غير ذلك، ومن لم يسعده الله تعالى بملاقاة عارف لا يشك أنه فى مهاد نفسه تالف.

ولذا قال أبو الحسن الشاذلى ﷺ: وكم يتغلغل فى علمنا هذا – يعنى علم القلوب – وما يعرف به علام الغيوب بات مصراً على الكبائر وهو لا يشعر.

قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن علان الصديقى البكرى المكى الشافعى فى " شرح حكم أبى مدين " ولقد صدق فيما قال، فأى شخص يا أخى يصوم ولا يعجب بصومه؟ وأى شخص يصلى ولا يعجب بصلاته؟ وهكذا سائر الطاعات إلا ارتحل عليه عناية مولاه بمعرفة آداب الخدمة من مجالسة أطباء القلوب وحلول عنايتهم عليه حتى تمحق العجب الذى حل به من تلك الطاعات، ولا يعجب بعد ذلك إلا بفضل مولاه، كما قال [٣٩] فى " الحكم العطائية ": لا تفرحك الطاعة من حيث أنها برزت منك، وافرح بها لأنها برزت من الله إليك ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨] فلا تفرح يا أخى ولا تعجب إلا بنواله، ولا تصحب إلا من يعلمك العلوم التى تقربك إلى حضرة كماله انتهى. نقله فى " الحديقة الندية فى شرح الطريقة المحمدية ".

وقال بعض العارفين كما فى " القوت " و " الإحياء ": من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله.

وقال أبو على الثقفى ﷺ: لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لم يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات.

وقال الشيخ أبو العباس المرسى: والله ما صار الأبدال أبدالا حتى يلقوا مثلنا، فإن لقوه كان بغيتهم، وقالوا: ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح، وكيف يفلح من لم يصاحب مفلحا، ولله در صاحب نظم بداية السلوك إذ يقول فيه:

إن لم تـــلاق عارفـــا فى مدتـــك لا عـــاش عمـــر عيشـــه كعيشـــك

المختار عند العلماء فى العارفين بالله والعلماء بأحكام الله

ومن هنا كان الصحيح المختار عند العلماء الموفقين الأبرار أن العارفين بالله أفضل بكثير، وأعلى بمقدار كبير من العلماء بأحكام الله، وهكذا قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام وغيره.

وقال ابن دقيق العيد بعد أن ذكر بعض الأولياء ممن رآه وكان يعتقده ويخضع له: هو عندى خير من مائة فقيه، أو من ألف فقيه.

ونقل اليافعى فى " روض الرياحين " عن القاضى نجم [٤٠] الدين الطبرى: أنه جاء خبر إلى مكة بوفاة العارف بالله إسماعيل بن محمد الحضرمى، فقال العارف بالله أحمد بن موسى بن عجيل، وكان حينئذ بمكة: أرجو أن يفديه الله بمائة فقيه. ثم جاء الخبر الصحيح أنه حى ولم يمت إلا بعد مدة طويلة.

وفى " الإحياء " للغزالى فى الباب الخامس من كتاب العلم: إن الرتبة العليا فى معرفة الله والعلم به الأنبياء، ثم الأولياء العارفين، ثم العلماء الراسخين، ثم الصالحين على تفاوت درجاتهم. راجعه.

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيرى فى أول " رسالته ": أما بعد، فقد جعل الله تعالى هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه، ثم جعل قلوبهم معادن أسراره، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغياث للخلق والدائرون فى عموم أحوالهم مع الحق انتهى.

وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فى جواب له: **لا يشك عاقل أن العارفين بما يجب لله من أوصاف الجلال ونعوت الكمال، وما يستحيل عليه من العيب والنقصان أفضل من العارفين بالأحكام، بل العارفون بالله أفضل من أهل الفروع والأصول. راجع كلامه برمته فى " تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية " للسيوطى.**

وقد تكلمنا على هذه المسألة أيضاً فى كتابنا " **سلوة الأنفاس** " فلتنظر فيه.

العلم عند الإمام الجنيد

ولهذين العلمين يشير أبو القاسم الجنيد ﷺ بقوله: **العلم علمان**: علم العبودية، وعلم الربوبية، والبواقى حدس النفس.

وفى " **الروضات العرشية فى الكلام على الصلوات المشيشية** " للشيخ سيدى مصطفى بن كمال البكرى لدى قولها: **وتنـــزلت علوم آدم ما نصه: واعلم أن أصول العلوم على ما قاله بعض أهل الفهوم مائة [٤١] ألف علم أو أكثر، وأما الفروع فلا تحصر، وهى من حيث هى منقسمة إلى قسمين: علم درسى، وعلم نفسى. والأول** علم الطروس، والثانى علم الصدور المحروس، والأول سفيره الإفهام، والثانى الإلهام، والأول كسبى، والثانى وهبى، والأول طريقه الجد والعناء، والثانى الغبطة والغناء، والأول حجة، والثانى محجة لقوله ﷺ: العلم علمان: علم فى القلب، فذلك العلم النافع، وعلم فى اللسان، فذلك حجة الله على ابن آدم.[1] كذا فى " الجامع الصغير "

---

(١) أخرجه الدارمى (١/١١٤)رقم ٣٦٤،والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/٢٥٢).

والأول لا يستغنى فيه عن الوسائط الجمة، والثانى ربما يستغنى فيه عنها آخرا عند رفع الحجب المدلهمة، أو ثمل فيقول الذى قلت وسائطه حدثنى قلبى عن ربى. ويقول من استغنى عنها حدثنى ربى. أى بطريق الإلهام.

قال أبو يزيد قدس الله سره: أخذتم علمكم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت.

وأنشد سيدى عمر بن الفارض قدس الله سره:

ولا تـــك ممـــن طيشـــته دروســـه	بحيـــث اســـتغلت عقلــه واستقرت
فـــثم وراء الـــنقل عـــلم يدق عن	مـــدارك غايـــات العقـــول السليمة
تلقيـــته مـــنى وعـــــنى أخذتـــــه	ونفســـى كانت من عطائى ممدتى[1]

قال: ثم العلم على قسمين من حيث أصل تقسيمه: قديم وحادث، فالقديم هو الصفة الكاشفة القديمة المتعلقة بالواجبات والجائزات والمستحيلات، والحادث هو ما أفاض به الحق وجاد به على عباده متنوعا متكثرا مجملا ومفصلا، وما يفيضه عليهم دنيا وأخرى، فإن فيض الحق لا ينقطع أبدا، وهذا العلم وإن حصل منه ما حصل فنسبته إلينا [٤٢] مجازية، وإليه حقيقية، لأنا بالنظر إلى أنفسنا لا علم لنا، وبالنظر لتعليمه كما قال تعالى ﴿ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ** ﴾ [النساء: ١١٣] ولما كان الأمر كذلك قال تعالى ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢١٦] وهذه العلوم منها ما هو من العلوم الشهودية، ومنها ما هو من العلوم الوجودية، ومنها حسية ومعنوية، وشرعية وعقلية، وعرشية وفرشية، وجلالية وجمالية، ودنيوية وبرزخية، ونشرية وحشرية، وأخروية وكثيفية، وفعلية وأسمائية، وصفاتية وذاتية، وغيبية وعينية، وملكية وملكوتية، وجبروتية ولاهوتية، وغير ذلك من العلوم التى لا تتناهى، وكل واحد من هذه العلوم له مراتب في ظهوره وبدو نوره، ففى أول الظهور قبل المعاينة يسمى علم

---

(١) الأبيات من بحر الطويل.

يقين، وبعدها علم عين اليقين، وبعد التحقق فيه والاطلاع على ظواهره وخوافيه يسمى علم حق اليقين، ومع كثرة العلوم وتشعب الفهوم عند أهل الكشف وأهل الرسوم قال الله الحي القيوم ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء:٨٥] فانظر هذا الخطاب الذى عم نظرا جميلا، وقول الخضر عليه السلام لموسى الكليم عليه الصلاة والسلام: ما أخذت أنا وأنت من علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور بمنقاره من البحر [١]، أو ما معناه تنمحق دعاويك الباطلة وتنسحق مساويك الهاطلة.

العلوم الربانية فيضها عجيب

قال: واعلم أن العلوم الربانية والأسرار الرحمانية فيضها عجيب، وسرها غريب، لا تدرك إلا من طريق الذوق والوجدان، ولا تعرف إلا بعد المشاهدة والعيان، فقد يفتح على العبد المعتنى به فى لحظة واحدة ما لو جلس يقرر فيه مدة عمره ما وفى به، إذ فيض الحق سبحانه [٤٣] وتعالى لا يقاس بغيره، فإنه فيض واسع من واسع عم الأنام ببره وخيره. انتهى المراد منها بلفظها.

قال بعض أهل الأنوار الغريقين في بحار الأسرار: والعجب من أرباب العلوم الظاهرة المحصلين من الاصطلاحات ما يقتبسون به من أنوار الكتاب والسنة الباهرة، كيف لا يشتغلون بعد تحصيلها بذكر الله ومراقبته، والإعراض عن كل ما سواه ومجانبته، على يد من هو أهل لذلك، ممن أقامه الله لإرشاد الخلق هنالك، حتى تنصب إلى قلوبهم مياه العلوم اللدنية، والأسرار الوهبية القدسية، التي لو عاش أحدهم ألف سنة فما فوقها في تدريس الاصطلاحات وتصنيفها لا يشم منها رائحة، ولا يشاهد من آثارها وأنوارها لمعة ولا لائحة، ولكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٧/٣، رقم ٣٢٢٠).

ولذا قال أبو محمد سهل بن عبد الله التسترى ﷺ: خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء، ثم تلا ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام:٥٩] وقد وقع لغير واحد ممن فعل ما ذكرناه، واقتفى سبل ما أرشدنا إليه وبيناه، أنهم كانوا إذا سئلوا عن مسألة دقيقة غامضة أتاهم الجواب من فيض الكريم الوهاب قبل تمام السؤال، فيجيبون من غير روية ولا فكر ولا إشغال بال بجواب سديد، محرر مفيد، فأين الفهم والأوراق من هذه الأذواق، ومن كان معلمه الحق، واستمداده من حضرة خير الخلق تضاءلت له الفهوم، وطافت بكعبة قلبه غرائب العلوم، كما جرى ذلك لغير واحد، ممن امتن عليه الكريم الوهاب الواحد، ومن المعلوم [٤٤] لدى أهل السلوك والعلوم أنه لا تنفتح للسالك طرق المشاهدة إلا بعد الكد والمجاهدة، ولا تشرق أنوار العلوم اللدنية في جنانه، وتنفجر ينابيع الحكمة منه إلى لسانه إلا بالذكر والمراقبة، والإعراض عن السوء والمجانبة، وإن كتب التعليم لا تفى بذلك، ولا ترشد السالك إلى ما هنالك، والسلوك إليه تعالى من غير ملاحظة أحد من أرباب القلوب لا يسلم صاحبه غالبا من الدسائس والآفات والعيوب، ولا يوصله إلى معرفة الله المعرفة المطلوبة عند العارفين، ولو عبد الله عمر نوح عليه السلام أو ما زاد عليه من السنين، بل أجمعوا على أن من لم يصح له نسب في طريق القوم كان لقيطا، وفعله وقوله تخليطا وتخبيطا، والسير إليه تعالى بغير دليل يوقع السائر غالبا في التيه والعطب والتهاويل.

الشيخ المربى هو الدليل

والدليل هو الشيخ المربى يعرفك بحقائق الكائنات، ويوقفك على معانى التجليات، فلا يضرك شيء من الأشياء، ولا تحجبك الظلالات والأفياء، ثم إنه تارة يربى بالإلقاء الإلهامى من القلب إلى القلب، وتارة بتقرير العبادات وتبيين الإشارات، وبيان ما في السلوك إلى ملك الملوك، وتارة بإلباس خرقة الصوفية المشهورة، وما يناسبها من الخلوة وغيرها، وتارة بنظره وهمته وحاله، فيسرى الحال الصادق منه إلى المريد الصادق،

وتارة التربية بنظر المريد إليه وذلك أنه إذا رأى الشيخ ذكرَ الله، فيصل بذلك وينجذب به إلى الله، ويختلف ذلك سرعة وبطئًا باختلاف الاستعدادات، وبالإخلاص في الخدمات والأدب [٤٥] مع المشايخ وحفظ حرمتهم غيبة وحضوراً.

طريق من أراد السلوك ولم يجد مُسلِكا

وطريق من أراد السلوك ولم يجد بحسب الظاهر مُسلِكا ولا مستجمعا للشروط **متفانيا فى الله هالكا أن يلتجئ إلى الله تعالى ويرفع إليه أمره، ويشكو له حاله وضره، ويتشفع إليه بالرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته ورفعة ذاته، فى أن يدله على من يدله عليه، ويوصله إلى من يوصله إليه، ويبالغ فى اللجإ والسؤال** فى كل وقت وكل حال، وليحذر أن يلقى نفسه إلى كل من يلقاه من المتمشيخين فى هذا الزمان، الذى ظهرت فيه أهل الدعاوى، واختفت فيه أرباب العرفان، وليكثر من زيارة الصالحين الأموات لذلك، فإنها محوبة لقضاء وطره هنالك، وليكثر أيضاً من الاستخارة بعد استعمال ما يمكن من الاستشارة، فإنه ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، كما فى الحديث، إلى أن ينشرح صدره الانشراح التام، **ويبتهج قلبه وقالبه بأحد من مشيخة الأنام، إما بمرائى منامية تـــزيل الريب، وإما بدلالة أحد من رجال الغيب، ولذا استحب أهل الطريق الخلوتية وغيرهم من بعض أهل الطرق الجلية أمر المريد بالاستخارة التى بالمراد ناطقة، ليدخل الطريق بهمة عالية صادقة، وإذا صدق** المريد فى الطلب أوقعه الله لا محالة على شيخ يزيل العطب.

وجدان الشيخ الكامل المربى لازم من صدق المريد

وقد قال القوم رضوان الله عليهم: وجدان الشيخ الكامل المربى لازم من صدق المريد، فمتى صدق المريد فى إرادة الله تعالى وجد الشيخ الكامل المرشد إلى الله، لأنه حجة الله تعالى على خلقه فى الأرض، لا ينقطع ولا يبرح عنها إلى يوم [٤٦] القيامة، ومتى كذب المريد فى طلبه لم يجد له مرشدا أصلا، قال تعالى ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ

الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِياً مُّرْشِداً ﴾ [الكهف:١٧] بل إذا كان المريد **صحيح النية والاعتقاد ووقع على متمشيخ من أهل الدعاوى والبعاد أوقع الله فى نفس ذلك المتمشيخ ما يفتح به على هذا المريد، وأوصله بصدق نيته إلى كل ما يريد، فعاد** النفع على المتمشيخ بذلك، وربما كان المريد سببا فى رجوعه وتوبته عما هو فيه هنالك، فالمدار على الصدق، فيه ينال من الله تعالى كل خير ورفق، فإن تعزر عليه بكل وجه وجوده، وتعسرت عليه بالكلية رؤيته وشهوده، فليتعرف عيوب نفسه وعلاجاتها من كتب القوم العارفين والنصحاء الواصفين، وليشتغل بما ينشر له من أخلاقهم وشمائلهم وآثارهم، وليستروح إلى ما يجده من سيرهم ومأثور حكاياتهم وأخبارهم، كما أنه إذا لم يجد المتطهر ماء يتيمم بالصعيد إلى أن يجد الماء الطاهر النقى المعد، والله الهادى، وبه التوفيق إلى سلوك أسلم طريق.

علم الغيب

العلم الثالث منها: علم الغيب الذى هو كل ما غاب عن الخلق ولم تنصب عليه علامة ولا دليل، ولم تمكن معرفته إلا بإعلام الملك الجليل، والغيب الحقيقى هو المشار إليه بقوله تعالى **﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾** [الجن:٢٦-٢٧] **والولى التابع للرسول منه يغترف وعنه يأخذ، وبإمداده يستمد، وإليه فى كل حالة يستند.**

فالأول: وهو علم الشريعة للخاص والعام.

والثانى: وهو علم الحقيقة لخواص الأولياء والصالحين.

والثالث: وهو علم الغيب للأنبياء والمرسلين، ومن كان على [٤٧] قدمهم، وهم متفاوتون فى هذه العلوم بحسب أذواقهم ومشاربهم، وقابليتهم واستعدادهم، وربما اختص بعضهم بشىء منها دون الآخر، كما اختص رسول الله ﷺ بأشياء منها لا تليق إلا به وبكونه الممد بها كلها والقاسم لأعطيتها، والمانح لكل ذى قسط قسطه منها،

لأنه الواسطة فى كل شىء، وعلى يده الهبة من الله تعالى لكل شىء، ولا يخرج عنه شىء ﷺ.

تقسيم آخر للعلوم

وبعبارة أخرى: العلوم ثلاثة: علم ضرورى أو نقول بديهى، وهو ما يدركه العقل بالبداهة، أعنى بمجرد الالتفات إليه من غير احتياج إلى ناقل، ولا إعمال فكر ولا إلى استدلال.

وعلم نظرى، أو نقول كسبى، وهو ما يحتاج العقل فى إدراكه إلى تعلم واكتساب أو نظر واستدلال، وهو المشار إليه بحديث: إنما العلم بالتعلم. أخرجه ابن أبى عاصم والطبرانى من حديث معاوية[1] قال فى " فتح البارى " [2]: وإسناده حسن لأن فيه مبهما اعتضد بمجيئه من وجه آخر انتهى.

وعلم وهبى، أو نقول لدنى، وهو ما يهجم على القلب ويفيض على الصدر، لا بالدراسة والتعلم، ولا بالنظر فى الكتب والتفهم، بل بالاستقامة على قدم المصطفى، والتخلق بأخلاقه الكريمة وحسن الاقتفا، والزهد فى الدنيا والتبرؤ من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها، والإقبال بكنه الهمة على الله، عرف سببه الذى ألقى منه أم لا، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: من زهد فى الدنيا علمه الله بلا تعلم، وهداه بلا هداية، وجعله بصيرا، وكشف عنه العمى. أخرجه أبو نعيم فى " الحلية " والديلمى فى " مسند الفردوس " [3].

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٣٩٥/١٩، رقم ٩٢٩) قال المنذرى (٥٠/١): فى إسناده راو لم يسم. وقال الهيثمى (١٢٨/١): فيه رجل لم يسم، وعتبة بن أبى حكيم وثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان وضعفه جماعة.

(٢) فتح البارى (١٥٦/١).

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٧٢/١).

وقوله: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم. أخرجه فى " الحلية " من حديث [٤٨] أنس وضعفه [1].

وبقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:٦٩] أى الطريق الموصلة إلينا.

وبقوله ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٨٢]

وقوله ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ [الأنفال:٢٩] أى هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، وتخرجون بها من الشبهات.

وقوله ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق:٢-٣] قيل فى تأويله: يجعل له مخرجا من الإشكالات والشبه، ويعلمه علما من غير تعلم.

وقوله ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١] ومن أحبه الله فتح له الباب، وأدخله حضرة الاقتراب، وأجلسه مع الأحباب، فرأى الغيب شهادة، وصار له من الله الكشف عادة، وأفيضت على قلبه مياه الحقائق، وانكشفت له البراقع عن وجوه الدقائق، وعلمه الله من لدنه علما وعرفه بنفسه، وأدرك السر الأسمى.

تقسيم آخر

ويقال أيضاً العلوم ثلاثة: علم جهر وعلانية، أو نقول شهادة، وهو كل ما ظهر للحس، أو أمكن عادة إدراك الحس له ولو فى وقت ما، ويدخل فيه كل ما أبرزه الحق تعالى من المخلوقات، وأظهره من العوالم وسائر المصنوعات.

وعلم سر، أو نقول غيب، وهو كل ما غاب عن الحس و لم يمكن بحسب العادة إدراك الحس له، وإنما يدرك بالعقل إما بالدليل القاطع أو بالخبر الصادق، وهو إدراك

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٠/١٥).

الإيمان، ويدخل فيه كل ما لم يوجده تعالى من الممكنات أو كان بينه وبين خلقه من الأسرار المبهمات.

. وعلم ما هو أخفى من السر، وهو ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ولا يمكن أن يعلمه غيره، كعلمه تعالى بنفسه.

وإلى هذه الثلاثة على أحد التأويلات الإشارة بقوله تعالى ﴿ **وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾ [طه: ٧]

تقسيم آخر

وقيل [٤٩] أيضاً العلوم ثلاثة: علم يتعلق بكل ما سوى الحق تعالى، ويسمى بعلم الحوادث والأكوان.

وعلم يتعلق به تعالى من حيث تجليه فى حقائق العالم، أو نقول من حيث ارتباط العالم به، وارتباطه تعالى بالعالم ارتباط الإله بمألوه ومألوه بالإله، ويسمى عند أهل الله تعالى بعلم التجلى الظاهر فى أعيان الممكنات.

وعلم يتعلق به من حيث باطنه وهويته، أو نقول من حيث هو هو مع قطع النظر عن تعلق العالم به وتعلقه بالعالم، ويسمى عندهم بعلم الهوية الباطنة، يعنون بها ذات الحق سبحانه.

تقسيم آخر

وذكر ابن العربى الحاتمى والشعرانى وغيرهما أن العلوم على ثلاث مراتب، أو نقول منازل: علم العقل، وهو كل علم يحصل لك ضرورة، أو عقب نظر فى دليل، وعلامته أنه كلما بسطت عبارته حسن وعذب.

وعلم الأحوال، ولا سبيل إليه إلا بالذوق، ولا يقدر عاقل على حده ولا على أن يقيم دليلا على معرفته البتة، كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع، والعشق والوجد والشوق وما شاكل ذلك، ولا يلتذ به إذا جاء عن غير معصوم إلا أصحاب الأذواق السليمة.

وعلم الأسرار، وهو العلم الذى فوق طور العقل، وليس للعقل فيه دخول بفكر، ولذلك يتسارع إلى صاحبه الإنكار لأنه حاصل من طريق الإلهام الصادق، الذى هو نفث فى الروع وفيض إلهى لا يخطئ، ويختص به النبى والولى، وعلامته أنه إذا أخذته العبارة سمج وبعد عن الأفهام دركه، وربما رمت به العقول الضعيفة أو المتعصبة التى لم توفه النظر والبحث حقه.

وأكثر علوم الكمل من الأنبياء والأولياء من هذا القبيل. راجع " اليواقيت " وكذا " الفتوحات المكية " فى أول مقدمتها [٥٠].

وقال بعضهم: العلوم ثلاثة: علم القول وصاحبه يستند فى قوله إلى غيره حاكياً عنه.

وعلم الفهم، وصاحبه يستند فى تصوره إلى ذهنه حاكياً عنه.

وعلم الشهود، وصاحبه يستند فى شهوده إلى حقيقة ما شاهده حاكياً عنه.

فمعلم الأول آخر مثله، والثانى فكره وذهنه، والثالث ربه كما قال بعض العارفين، وهو أبو يزيد البسطامى يخاطب علماء زمانه: أخذتم علمكم ميتا عن ميت حين جهلتم أنه عن ربكم، وأخذنا نحن علمنا عن الحى الذى لا يموت بلا واسطة، بل **قلبنا يحدثنا عن ربنا، وشتان بين من ينطق عن غيره أو عن فكره وبين من ينطق عن ربه.**

وقد انقسم الإيمان إلى هذه الأقسام الثلاثة: فبالقول: إيمان المقلدين مع طمأنينة قلوبهم إليه من غير فهم أى استدلال، وقد اعتبره الشارع وسماه إيمانا.

وبالفهم: إيمان المستدلين، وقد دعا الله تعالى إليه فى كتابه فى غير ما آية كقوله ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ** ﴾ [الذاريات:٢١] وقوله ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ [آل عمران: ١٩٠] الآية وقوله ﴿ **أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ [الغاشية:١٧] الآية.

وبالشهود: إيمان العارفين، وهو أعلى مراتب الإيمان، وكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة أقسام ثلاثة كما يأتى، وكلام أهل الله تعالى وحقائقهم التى ذكروها فى كتبهم

إنما هى فى إيمان أهل الشهود لا إيمان أهل الأقوال، ولا إيمان أهل الاستدلال، فلا يفهمه إلا من ترقت همته عن حضيض القول والفهم وانخرق له حجاب الوهم، وإلا فمن كان إيمانه مجرد لقلقة اللسان أو محض تصورات الأذهان فبعيد عنه فهم تلك الحقائق وشهود هاتيك الدقائق، بل لا يعقلها إلا العالمون أصحاب الأرواح القدسية التى عندها فهم الأمور الكلية [٥١] الخفية كالأمور الجزئية الجلية اقتباسًا من الروح الكلى القدسى وهو روحه ﷺ.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين والصوفية وأهل السير حديثًا مرفوعاً إلى النبى ﷺ قال: إن الله تعالى أنــزل علىّ ثلاثة علوم: علم أخذ علىّ العهد فيه أن أعلمه للخاص والعام، وعلم أخذ علىّ العهد فيه أن أخبر به ولا أطلع عليه إلا خواص أمتى، وعلم اختصنى به لعلمه أنه لا يقدر على حمله غيرى.

وأورده جماعة منهم العارف بالله وجيه الدين السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس الحسينى نــزيل مصر، وأحد شيوخ الشيخ مرتضى الزبيدى الحسينى وغيره من علمائها الكبار فى " شرحه لصلاة أبى الفتيان القطب الأشهر سيدى أحمد البدوى " **بلفظ قال ﷺ: أورثنى ربى علومًا شتى، فعلم أخذ علىّ كتمانه، وعلم خيرنى فيه، وعلم أمرنى بتبليغه إلى الخاص والعام.**

وأورده فى " روح البيان " فى تفسير سورة الإسراء بلفظ آخر يأتى بعد إن شاء الله تعالى.

وقال فى تفسير سورة النجم لدى قوله تعالى ﴿ **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى** ﴾ [النجم: ١٠] ما نصه: يقول الفقير: لا شك أن ما أوحى إليه عليه السلام تلك الليلة على أقسام: قسم أداه إلى الكل، وهو الأحكام والشرائع، وقسم أداه إلى الخواص، وهو المعارف الإلهية، وقسم أداه إلى أخص الخواص، وهو الحقائق ونتائج العلوم الذوقية، وقسم آخر بقى معه لكونه مما خصه الله به، وهو السر الذى بينه وبين الله المشار إليه بقوله: لى مع الله وقت.. إلى آخره، فإنه تجلٍّ مخصوص وسر مكتوم لا يُفشى، وهكذا كل ورثته فإن لهم نصيبًا من هذا المقام، حيث إن بعض علومهم ترتحل

معهم إلى [٥٢] الآخرة ولا يوجد له محل يؤدى إليه، إما لكونه من خصائصهم، وإما لفقدان من يستعد لحمله، وذلك بحسب الزمان، ولهذا جاء نبى فى الأولين وبقيت معه الرسالة ولم يقبلها أحد من أمته لعدم الاستعداد فيهم. انتهى منه بلفظه.

تقسيم ما أوحى له ﷺ

وقال العارف بالله الفقيه العلامة أبو العباس أحمد بن محمد الصاوى المالكى الخلوتى المصرى فى " حواشيه على ذى الجلالين " لدى قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنـزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾ [المائدة:٦٧] الآية ما نصه: اعلم أن ما أوحى إلى رسول الله ﷺ ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ما أمر بتبليغه، وهو القرآن والأحكام المتعلقة بالخلق عمومًا فقد بلغه ﷺ ولم يزد عليه حرفًا، ولم يكتم منه حرفًا، ولو جاز عليه الكتم لكتم آيات العتاب الصادر له من الله تعالى كآية ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّى** ﴾ [عبس:١] وآية ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى** ﴾ [الأنفال:٦٧] وسورة ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ** ﴾ ولفظ ﴿ **قُلْ** ﴾ من ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ** ﴾ [الكافرون:١] و ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص:١] و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ** ﴾ [الفلق:١] و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ [الناس:١]وقد شهد له بتمام التبليغ حيث أنـزل عليه قبل وفاته ﷺ ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ [المائدة:٣]

وورد أنه قال لعزرائيل حين قبض روحه: اقبض فقد بلغت. وما أمر بكتمه فقد كتمه ﷺ ولم يبلغ منه حرفًا، وهو جميع الأسرار التى لا تليق بالأمة، وما خير فى تبليغه وكتمه فقد كتم البعض وبلغ البعض، وهو الأسرار التى تليق بالأمة، وإنه ورد عن أبى هريرة ﷺ أنه قال: أعطانى حبيبى جرابين من العلم لو بثثت لكم أحدهما لقطع منى هذا البلعوم انتهى.

وفى " الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل " للعارف الربانى والهيكل الصمدانى [٥٣] عبد الكريم بن إبراهيم الجيلى فى الباب السادس والثلاثين بعد ذكره فيه لما أمر به سيدنا موسى عليه السلام من كتم سر الربوبية والقدرة المنـزلين عليه فى

لوحين من ألواح التوراة التسعة والتبليغ لما عداهما، وهو السبعة الباقية ما نصه: كما أمر نبينا ﷺ بكتم أشياء مما لا يسعه غيره للحديث المروى عنه ﷺ أنه قال: أوتيت ليلة أسرى بى ثلاثة علوم: فعلم أخذ علىَّ فى كتمه، وعلم خيرت فى تبليغه، وعلم أمرت بتبليغه. فالعلم الذى أمر بتبليغه هو علم الشرائع، والعلم الذى خير بين تبليغه هو علم الحقائق، والعلم الذى أخذ عليه فى كتمه هو الأسرار الإلهية، ولقد أودع الله جميع مما ذلك فى القرآن. انتهى المراد منه.

وفى " الدر النفيس فى نظم جواهر التدريس " لسيدى أحمد بن إدريس ﷺ ما نصه: وقال ﷺ: علم الله نبيه ﷺ ليلة الإسراء به ثلاثة علوم: علم الشريعة، وعلم الخواص، وعلم خواص الخواص، فعلم الشريعة فى جميع الأمة، يعلمه الخاص والعام، وعلم لم يعلمه إلا الخواص، وعلم لم يعلمه إلا خواص الخواص، وهو معنى قول على ﷺ: ها هنا — وأشار إلى صدره — علم ما وجدت له حملة. وقول أبى هُرَيْرَةَ ﷺ: أخذتُ وِعَاءَيْنِ من علم عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ لَقُطِعَ منى هَذَا الْبُلْعُومُ[1] انتهى.

وفيه أيضاً ما نصه: وقال ﷺ لما سئل عن معنى قول الله تعالى ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ [النجم:١٠] أعطى الله تعالى رسوله ﷺ ليلة الإسراء به ثلاثة [٥٤] علوم: علم أمره بتبليغه، وعلم أمره بكتمه، وعلم خيره فيه، فالذى أمره بتبليغه هو علم الشريعة، وقد قام بها حق القيام من غير تبديل ولا تغيير، بل سلك الطريق التى نهجها له الكتاب والسنة بحسن نية وإخلاص، تولى الله تعالى تعليمه العلمين الآخرين وهو معنى قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[البقرة:٢٨٢] وقوله ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:٦٩] وذلك لأن هذه الشريعة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام هى أصل كل سعادة، ومنها تتفرع الخيرات وتنمو البركات، وهى الحبل الممدود من السماء إلى الأرض، فمن حفظ هذا العلم الظاهر

(١) أخرجه البخاري فى صحيحه كتاب العلم حديث رقم (١٢٠).

حق حفظه حتى عمل بمقتضاه علمه الله أسراره، وأسراره هى العلمان الآخران، لأن القرآن جامع الثلاثة علوم، فمن فتح الله بصيرته اطلع على أسراره، ولا يكون ذلك إلا بالقيام بحق ظاهره من جميع الوجوه، رزقنا الله ذلك وبلغنا ما هنالك، آمين يا رب العالمين انتهى.

قلت: مجموع كلامه الأول والثانى يفيد أن العلمَ المأمور بكتمه يعلمه خواص الخواص، ولعله فهم من الأمر بالكتم فيه كتمه عن العامة والخاصة، لا عن خاصة الخاصة، وتكون القسمة على هذا رباعية، والرابع هو ما اختص به ﷺ دون غيره من سائر الخلق، كما تقدم نحوه عن صاحب " روح البيان " وتقدم عن الصاوى أن العلم الذى أمر بكتمه كتمه ولم يبلغ منه حرفًا، وهو أوفق باللفظ الذى صدرنا به لقوله فيه: وعلم اختصنى به لعلمه أنه لا يقدر على حمله غيرى. وعليه فما كان من علم الخواص وخواص الخواص داخل فى [٥٥] قسم العلم المخير فيه، فالخلاف لفظى.

وقال الخادمى فى " شرحه للطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية للشيخ محمد البركونى " ما نصه: وأما سيرته يعنى النبى ﷺ الخاصة الباطنة فأسرَّها لخواص أصحابه، لأنها العلوم المخزونة والمعارف الإلهية المكنونة.

وقال فى حديث المعراج: وعلمنى علومًا شتى: فعلم أخذ علىَّ كتمانه، وعلم خيرنى فيه، وعلم أمرنى بتبليغه... الحديث، فهى موروثة عنه عليه السلام كالعلم الظاهر انتهى.

وقال النابلسى فى " شرحه لها " أيضاً ما نصه: وقد قال ﷺ فى حديث المعراج كما ذكره القسطلانى فى " مواهبه " وغيره: وسألنى ربى فلم أستطع أن أجيبه، فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها، فأورثنى علم الأولين والآخرين، وعلمنى علومًا شتى: فعلم أخذ علىَّ كتمانه إذ علم أنه لا يقدر على حمله أحد غيرى، وعلم خيرنى فيه، وعلمنى القرآن، فكان جبريل يذكرنى به، وعلم أمرنى بتبليغه إلى العام والخاص من أمتى. انتهى. وانظره فقد ذكر أن العلم الذى أمره بتبليغه هو علم الشرائع والأحكام، وأن العلم الذى أخذ عليه كتمانه هو علم النبوة مما لا يعلمه إلا

نبى، وأما العلم الذى خيره فيه هو علم الولاية وعلم باطن الشريعة وحقيقتها وأسرارها مما لا يؤخذ إلا بالتقوى وصفاء المعاملة مع الله، وهو العلم الموروث للعلماء بالله وباطنيته محمد ﷺ بأسانيد الإلهام، ونقله الكشف التام إلى قلبه ﷺ وباطن حاله.

وقال العلامة أبو مرزوق فى " شرحه لبردة المديح " لدى قولها فى الكلام على الإسراء: وسِرٌ أى مكتتم بعد أن نقل عن [٥٦] بعضهم أنه استشكل أن يقع هذا السر ولا يخبر به رسول الله ﷺ ما نصه: قلت بل هناك علوم لا تُعد وأسرار لاتُحصى لم يفشها رسول الله ﷺ لأحد من البشر إلى أن مات بها ﷺ إذ لا يطيق حملها غيره، وكيف لا وهو مدينة العلم، وإذا كان باب العلم على ﷺ يقول: لو شئت أن أفسر فاتحة الكتاب بوقر سبعين بعيرًا لفعلت.

وقد فسر ليلة لترجمان القرآن ابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حروف كلمة الحمد من بعد العشاء إلى انفجار الصبح ولم يفرغ منها، وكان يضرب صدره بيده ويقول: ها هنا علم لو وجدت له حملة. أترى مدينة العلم التى لا نهاية لها كما أن المتمدن فيها الذى هو العلم كذلك يحاط بسككها وأزقتها هيهات.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: علمنى ربى ليلة الإسراء علومًا شتى: فعلم أخذ علىَّ كتمانه، وعلم خيَّرنى فيه، وعلم أمرنى أن أبلغه. وهو قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنـزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة:٦٧] وكان النبى ﷺ يُسرُّ إلى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم مما خيره فيه ربه كما يُسرُّ إلى حذيفة ﷺ من علم الحدثان وعلم المنافقين. انتهى المراد منه بلفظه.

وقال الشيخ جلال الدين المحلى فى " شرحها " لدى المحل المذكور ما نصه: وهذا السر أى الذى أشار إليه البوصيرى مأخوذ من حديث: علمنى ربى ليلة الإسراء علومًا شتى: فعلم أخذ على كتمانه، وعلم خيرنى فيه، وعلم أمرنى أن أبلغه. قال علىٌّ: فكان يُسر إلى أبى بكر وعمر وعثمان وإلىَّ مما خير فيه. ذكره جمع من الشراح ولم أقف على [٥٧] أصله فى كتب الحديث. انتهى منه بلفظه.

قلت: ذكره الإمام الخطيب أبو الربيع سليمان بن سبع السبتى فى كتابه " شفاء الصدور من حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى الإسراء " عن علىٍّ كرم الله وجهه، وأبو الربيع هذا من علماء الأندلس، وقد أتوا فى كتبهم بغرائب لم يقف عليها حفاظ المشرق، ولعلهم وجدوها فى بعض الكتب الحديثية المغربية التى اندثرت قديما، ولم تصل إلى متأخرى الحفاظ، وهو بلدى القاضى عياض وأقدم منه، وإياه تبع عياض فى كتابه " الشفا " فى أحاديث انتقضت عليه، ونصه فى هذا الحديث يأتى بعد إن شاء الله تعالى لكن يأتى عن الحافظ الشامى أنه كذب.

قلت: والجملة المذكورة منه وهى: أورثنى ربى أو علمنى ربى علومًا ثلاثة.. إلى آخرها صحيحة المعنى واضحة المبنى، ولذا ذكرها غير واحد مُسَلَّمةً، والله أعلم.

وفى " شرح الشيخ الإمام العارف بالله تعالى أبى محمد عبد الله بن أبى جمرة للأحاديث التى انتخبها من البخارى " فى الكلام على حديث أسماء فى صلاة الكسوف ما نصه: فيه دليل على ما أُرى له ﷺ من الغيوب، فله الإخبار به، وله أن لا يخبر به، وله أن يخبر ببعضه ولا يخبر بالبعض، بخلاف الوحى فإن عليه أن يخبر به كله، لأنه عليه الصلاة والسلام لما أُرى له هنا ما أُرى أخبر ببعض ما رأى، وهو الجنة والنار، وسكت عن الغير، ولم يكن ليفعل ذلك فى الوحى إلا أن يخبر به كله كما أُوحى إليه، والحكمة فى ذلك والله أعلم أنه قد يكون مما يرى أشياء لا يمكن لأحد الاطلاع عليها، ولا يقدَر على ذلك إلا هو عليه الصلاة والسلام لما أمده الله به من العون والقوة، بخلاف الوحى فإنه لا يكون إلا بقدر ما [٥٨] تقدر الأمة على نقله. انتهى منه بلفظه.

وقد علم منه ومما قبله أن العلم الأول من العلوم التى ذكرناها أولاً وهو علم الشريعة الظاهرة بثه ﷺ كله للخاص والعام، ولم يكتم منه حرفًا، وحاشاه من ذلك والله تعالى يقول ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنــزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة:٦٧] والنبى ﷺ يقول: ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. وعائشة

رضى الله عنها تقول: أعظمَ الفريةَ على الله من قال إن محمدًا ﷺ كتم شيئا من الوحى[١].

وفى رواية: مما أُمر به. وأن العلمين الأخيرين وهما علم الحقيقة الباطنة وعلم الغيب منهما ما هو مخير فيه، ومنهما ما هو مختص به، فالمختص به كتمه جميعَه ولم يفشِ منه لأحد من الخلق حرفًا ولا كلمة، لأنه لا يطيقه غيره، والمخير فيه أفشى منه لخاصة الخاصة ما يليق بكمالهم ومرتبتهم، ثم للخاصة ما يليق بقابليتهم واستمداداتهم، كل واحد على قدر مرتبته وما يليق بمقامه وحالته.

وممن اختصهم النبى ﷺ بالعلم المخير فيه – أبو بكر الصديق – ﷺ

ومن الصحابة الذين خصهم النبى ﷺ بشىء من هذا العلم المخير فيه كما أشير إليه سابقًا سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ فإنه انفرد عنه ﷺ بعلم المعرفة بالله تعالى المعرفة الخاصة الكاملة الوافية، وبما يفيد قوة الإيمان واليقين والقدرة بعده على تقوية الدين وبمعرفة دقائق التوحيد وخفاياه التى لا يطلع عليها كل العبيد، وبالاطلاع على الأسرار الخفية والكمالات الحقيقية النبوية على ما يقع فى نفسه ﷺ من المرادات وما يبديه من الرموز والإشارات.

وقد ذكر بعضهم أنه كان بينه وبين النبى ﷺ إشارات أزلية [٥٩] لا يعرفها غيرهما، وأن صحبته لرسول الله ﷺ كانت أزلية.

وأخرج الشيخ أبو حفص الملائى فى " سيرته " كما عزاه له المحب الطبرى فى " الرياض النضرة " عن عمر ﷺ قال: كنت أدخل على رسول الله ﷺ وهو وأبو بكر يتكلمان فى علم التوحيد، فأجلس بينهما كأنى زنجى، لا أعلم ما يقولان.

وفى لفظ عنه ذكره بعضهم: أن رسول الله ﷺ كان يتكلم أحيانًا مع أبى بكر بكلام لا أفهمه، كأنى بينهما رجل طمطمانى. يعنى أعجميا لا يفهم كلام العرب.

---

(١) أخرجه ابن حبان فى صحيحه (١/٢٥٧، رقم ٦٠) وأبو عوانه (١/١٣٦).

وأخرج الشيخان فى مواضع ومسلم فى الفضائل عن أبى سعيد الخدرى: أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر – وفى رواية: خطب الناس – فقال: إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده، فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فعجبنا له – وفى رواية: لبكائه – وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به... الحديث (1).

فهم أبو بكر من قوله إن عبدًا... إلى آخره إشارته ﷺ وأنه يريد نفسه الشريفة لكمال اطلاعه على باطنه ﷺ وإشاراته، ولذلك بكى، ولم يفهم ذلك غيره لبعده عن مرتبته، ولذلك تعجبوا من بكائه.

وفى " لطائف المنن " لابن عطاء الله ما نصه: وسمعته يعنى الشيخ أبا العباس المرسى رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ [٦٠] لأبى بكر: يا أبا بكر أتريد أن أدعوك لأمر؟ قال: وما هو يا رسول الله؟ قال: هو ذاك.

قال: وسمعته يقول قال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر أتعلم يوم يوم؟ قال: نعم يا رسول الله سألتنى عن يوم المقادير، ولقد سمعتك حينئذ وأنت تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله انتهى.

وفى عبارة غيره: أن النبى ﷺ كان يقول له: يا أبا بكر أتدرى يوم لا يوم؟ ويتبسم فيقول نعم يا رسول الله. قال: ومعناه أتدرى لما كان كذا وكذا قبل خلق الأيام انتهى.

وفى " اليواقيت " للشعرانى ما نصه: اعلم رحمك الله أن أصل دليل القوم فى رمزهم الأمور ما روى فى بعض الأحاديث: أن رسول الله ﷺ قال يوما لأبى بكر

---

(١) أخرجه البخارى (٣/١٤١٧، رقم ٣٦٩١) ومسلم (٤/١٨٥٤، رقم ٢٣٨٢)، والترمذى (٥/٦٠٨،رقم ٣٦٦٠) وقال: حسن صحيح.

الصديق: أتدرى يوم يوم؟ فقال أبو بكر: نعم يا رسول الله، لقد سألتنى عن يوم المقادير.

وروى أيضاً أنه قال له يوما: يا أبا بكر أتدرى ما أريد أن أقول؟ فقال: نعم، ر ذاك هو ذاك. حكاه الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله فى بعض كتبه انتهى.

وفى " الإبريز " نقلاً عن شيخه ﷺ قال: إن الإيمان بالله تعالى كان فى النبى ﷺ على كيفية خاصة لو طرحت على أهل الأرض صحابة وغيرهم لذابوا، وورث أبو بكر ﷺ من تلك الكيفية شيئا قليلا على قدر ما تطيقه ذاته، ومع ذلك لم يكن فى أمة النبى ﷺ من يطيق أبا بكر فى ذلك ولا من يدانيه، لا من الصحابة ولا من غيرهم من أهل الفتح الكبير، لأن النبى ﷺ بلغ فى أسرار الألوهية وحقائق الربوبية ودقائق العرفان مبلغا لا يكيف ولا يطاق، وكان يتكلم مع أبى بكر فى البحور التى [٦١] كان يخوضها عليه السلام فارتقى أبو بكر المرتقى المذكور، ومع ذلك فكان النبى ﷺ فى الثلاث سنين الأخيرة لا يتكلم معه فى تلك الحقائق خيفةً عليه أن يذوب انتهى.

وفيه أيضاً نقلاً عن شيخه أنه كان يقول: ما فى أمة النبى ﷺ من يطيق أبا بكر فى العرفان، وليس فى أوليائها وصالحيها من يعرف باطن النبى ﷺ كمعرفة أبى بكر، فهو سيد العارفين وإمام المحبين انتهى.

وممن اختصهم النبى ﷺ بالعلم المخير فيه– عمر بن الخطاب –ﷺ

ومنهم سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ فإنه انفرد عنه ﷺ بمعرفة الشريعة وأسرارها وحكمها، وما ينشأ عن العمل بها، وبخصلة النصيحة للمؤمنين والنظر لهم وإيثارهم على نفسه، وتدبير أمر جيوشهم، وما يصلح عامتهم وخاصتهم، وبمرتبة المحادثة التى هى مرتبة كبرى ودرجة زلفى يخص الله بها من أحبه من صفوته وكبار أهل ولايته.

أخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذى وحسنه وصححه والطبرانى فى " الكبير " عن ابن عمر، وأحمد وأبو داود وأبو يعلى والرويانى والضياء والحاكم عن أبى ذر[١]، وأحمد وأبو يعلى وتمام وأبو نعيم فى " الحلية " والحاكم وصححه على شرط مسلم وأقروه عليه عن أبى هريرة، وتمام وابن عساكر عن أبى سعيد، والطبرانى فى " الكبير " عن بلال المؤذن وعن معاوية بإسناد فيه ضعفاء ومختلط عن النبى ﷺ قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه[٢].

وأخرج الحكيم الترمذى فى " النوادر " من حديث الفضل بن العباس مرفوعاً: الحق بعدى مع عمر[٣].

وأخرج الطبرانى فى " الكبير " وابن عدى فى " الكامل " وأبو نعيم فى " فضائل الصحابة " وابن عساكر فى " تاريخه " عنه أيضاً مرفوعاً: عمر معى، وأنا مع عمر، والحق بعدى مع عمر حيث كان.

وأخرج أحمد والترمذى والحاكم عن عقبة بن عامر، والطبرانى فى " الكبير " عن عصمة [٦٢] بن مالك مرفوعاً: لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب.

وأخرج الترمذى والحاكم فى " المستدرك " عن أبى بكر مرفوعاً: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر[٤]. أى أن ذلك يكون فى زمن إفضاء الخلافة له إلى موته فإنه حينئذ أفضل أهل الأرض.

---

(١) حديث أبى ذر: أخرجه أحمد (١٦٥/٥، رقم ٢١٤٩٥) وأبو داود (١٣٩/٣ رقم ٢٩٦٢) والحاكم (٩٣/٣ رقم ٤٥٠١). قال الهيثمى (٦٦/٩): رواه الطبرانى، وفيه أبو بكر بن أبى مريم، وقد اختلط.

(٢) ذكره الحكيم (٣١/٢)، وأخرجه ابن عساكر(١٢٦/٤٤).

(٣) أخرجه الطبرانى (٢٨٠/١٨، رقم ٧١٨) والأوسط (١٠٤/٣، رقم٢٦٢٩) قال الهيثمى (٩/ ٢٦)فيه من لم أعرفهم. وابن عساكر(١٢٦/٤٤) والديلمى (٥٦/٣، رقم ٤١٤٧).

(٤) أخرجه الترمذى (٦١٨/٥ رقم ٣٦٨٤) وقال: غريب. والبزار (١٥٩/١ رقم ٨١)، والحاكم (٩٦/٣ رقم ٤٥٠٨) وقال: صحيح الإسناد وقال الذهبى (٩١/٤): هو كذاب.

وأخرج الطبراني وأبو نعيم: أنه ﷺ صعد المنبر يوما وقال: الحمد لله الذى صيرني ليس فوقي أحد. ثم نـزل، فقيل له فى ذلك، فقال: إنما فعلته إظهارا للشكر.

وأخرج أحمد والبخارى عن أبي هريرة، وأحمد ومسلم والترمذى والنسائى عن عائشة مرفوعاً: قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس محدثون[1]. قيل معناه ملهمون، وقيل صادقو الظن، ما ظنوا شيئا إلا كان كما ظنوا، وقيل يجرى الصواب على ألسنتهم بلا قصد منهم، وقيل تكلمهم الملائكة بلا نبوة.

وقال الشيخ فى " فتوحاته ": هم صنفان: صنف يحدثهم الحق تعالى من خلف حجاب، وصنف تحدثهم الأرواح الملكية فى قلوبهم، وأحيانا على آذانهم، وقد يكتب لهم، وهم كلهم أهل حديث. راجعه فى الباب الثالث والسبعين، قال فى الحديث: فإن يكن فى أمتى منهم أحد فإنه عمر بن الخطاب.

وقد ذكروا أنه ﷺ كان يزن الواردين عليه بميزان الشرع فلا يخطئ، وما سمع يقول لشيء قط إني لأظنه كذا إلا كان كما ظن.

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عمر مرفوعاً: **ما قال الناس فى شيء وقال فيه عمر بن الخطاب إلا جاء القرآن نحو ما يقول**[2].

وله ﷺ موافقات وافق فيها الله، وإن شئت قلت وافقه الحق تعالى فيها، ولما توفى قال ابن مسعود: إنى لأحسب هذا الرجل ذهب بتسعة أعشار العلم، فقيل له: أتقول هذا وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون؟ فقال: إنى لست أعنى العلم الذى تذهبون

---

(١) حديث أبي هريرة: أخرجه أحمد (٣٣٩/٢، رقم ٨٤٤٩)، والبخارى (١٢٧٩/٣، رقم ٣٢٨٢)،حديث عائشة: أخرجه أحمد (٥٥/٦ رقم ٢٤٣٣٠) ومسلم (١٨٦٤/٤ رقم ٢٣٩٨)، والترمذى (٦٢٢/٥ رقم ٣٦٩٣) وقال: حديث صحيح. والنسائى فى الكبرى (٣٩/٥ رقم ٨١١٩).

(٢) أخرجه ابن عساكر (١١١/٤٤).

إليه، إنما أعنى العلم بالله عز وجل. أخرجه أبو خيثمة فى " كتاب العلم " وذكره فى " القوت " [٦٣] و " الإحياء " والشيخ عبد الجليل بن موسى القصرى فى " شعبه ".

ومن اختصهم النبى ﷺ بالعلم المخير فيه – عثمان بن عفان – ﷺ

ومنهم سيدنا عثمان بن عفان ﷺ فإنه انفرد عنه ﷺ بمعرفة علم الطريقة المتعلق بالقلوب وأدوائها وعلاجاتها وما تصلح به وما لا، وبعلم المكاشفات والرياضات والمعاملات، وما يحصل به الرسوخ والثبات، وبخصلة الحياء التى هى من أخص خصال الإيمان وأكملها وأشرفها حتى إن كانت الملائكة لتستحيى منه من كثرة حيائه، وقال عليه السلام فيه: **ألا أستحيى من رجل تستحيى منه الملائكة.** خرجه أحمد ومسلم عن عائشة(١).

زاد فى حديث آخر: والذى نفس محمد بيده إن الملائكة لتستحيى من عثمان كما تستحيى من الله ورسوله. أخرجه أبو يعلى عن ابن عمر، والرويانى وابن عدى عن ابن عباس(٢).

وأخرج الملائى فى " سيرته " عن ابن عمر مرفوعاً: عثمان أحيى أمتى وأكرمها(٣).

وفى حديث أحمد عن عائشة وحفصة مساررة النبى ﷺ له فى مرضه الذى توفى فيه ثلاث مرات، وفى كلها يقول له النبى ﷺ: أفهمت ما قلت لك؟ فيقول: نعم. ولم يدر أحد ما ساره به. راجع " الرياض النضرة " لمحب الدين الطبرى.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٦٦/٤، رقم ٢٤٠١) وأحمد (٦٢/٦، رقم ٢٤٣٧٥).

(٢) حديث ابن عمر: أخرجه أبو يعلى (٣٧٩/١٢، رقم ٦٩٤٧)، وقال الهيثمى (٨٢/٩): فيه إبراهيم بن عمر بن أبان وهو ضعيف، وحديث ابن عباس: أخرجه ابن عدى (٢١/٧، ترجمة ١٩٦٠ النضر بن عبد الرحمن الخزاز).

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٥٦/١).

وممن اختصهم النبي ﷺ بالعلم المخير فيه – على بن أبى طالب – ﷺ

ومنهم سيدنا على بن أبى طالب ﷺ وكرم وجهه فإنه انفرد عنه ﷺ بخطة الشجاعة وبعلم الباطن الحقيقى الذى تتفرع عنه سائر العلوم، وتعرف به الأشياء كلها، وتستنطق منه جميع الفهوم.

أخرج الترمذى فى المناقب من " جامعه " والحاكم فى " المستدرك " وأبو نعيم فى المعرفة وابن مردويه والخطيب فى تلخيص المتشابه وابن النجار فى تاريخه وأبو الحسن على بن عمر الحربى فى أماليه عن على والحاكم فى المستدرك وصححه أيضاً والطبرانى فى " الكبير " وأبو الشيخ ابن حيان فى كتاب " السنة " له [٦٤] وابن حبان والعقيلى كلاهما فى " الضعفاء " وابن عدى فى " كامله " والخطيب فى " جامعه " كلهم من حديث أبى معاوية الضرير – وهو ثقة حافظ – عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس، والحاكم فى " المستدرك " وابن عدى فى " كامله " عن جابر رفعوه: أنا مدينة العلم وعلى بابها[1].

زاد الحاكم وابن عدى فى روايته عن جابر، وابن مردويه عن على، والخطيب وغيره عن ابن عباس: فمن أراد العلم فليأت الباب.

والطبرانى فى " الكبير " عن ابن عباس: فليأته من بابه[2].

ولابن جرير فى " تهذيبه " والعقيلى عنه: فمن أراد المدينة فليأتها من بابها.

ولابن حبان عنه: فمن أراد الدار فليأتها من قبل بابها.

ولأبى الحسن الحربى فى " أماليه " عن على: أنا مدينة العلم وأنت بابها يا على، كذب من زعم أنه يدخلها من غير بابها.

---

(١) حديث ابن عباس: أخرجه الحاكم (٣/١٣٧، رقم ٤٦٣٧) والخطيب (٧/١٧٢) وابن عدى (٣/٤١٢ ترجمة ٨٤٠). حديث جابر: أخرجه الحاكم (٣/١٣٨، رقم ٤٦٣٩).

(٢) أخرجه الطبرانى (١١/٦٥، رقم ١١٠٦١)، قال الهيثمى (٩/١١٤): فيه عبد السلام بن صالح الهروى وهو ضعيف.

وأورده فى " المصابيح الحسان " عن على بلفظ: أنا دار العلم وعلى بابها.

والصواب أنه حديث حسن كما انفصل عنه السيوطى فى " اللآلئ الكبرى " و" التعقيبات " و " الدر " وغيرها، والسخاوى فى " المقاصد الحسنة " وسبقهما إليه الحافظان صلاح الدين الملائى فى " أجوبته عن الأحاديث التى تعقبها السراج القزوينى على مصابيح البغوى " وادعى أنها موضوعة، وابن حجر فى فتيا له، وفى " أجوبته " أيضاً عن الأحاديث المذكورة خلافا لابن الجوزى فى " موضوعاته " والذهبى فى " الميزان " وغيره وابن تيمية فى " فتاويه " وغيرهم، ولا صحيح خلافا للحاكم.

وفى " التيسير " للشيخ عبد الرءوف المناوى: هو حسن باعتبار طرقه لا صحيح ولا ضعيف فضلا عن كونه موضوعا، ووهم ابن الجوزى. انتهى.

وفى " شرح ابن حجر على همزية البوصيرى ": التحقيق أنه حسن. ثم قال بعد كلام: فثبت أنه حسن مقارب الصحيح لما علمت من قول ابن حجر: إن رواته كلهم رواة الصحيح إلا الهروى، وإن الهروى وثقه جماعة وضعفه آخرون انتهى.

وفى " اللآلئ " أن أبا الصلت عبد السلام بن صالح الهروى هذا لم ينفرد به عن أبى معاوية، [٦٥] بل تابعه عليه محمد بن جعفر العبدى، وهو ثقة كما قاله ابن معين، ثم نقل عن الخطيب فى " تاريخه " قال: قال القاسم بن عبد الرحمن الأنبارى سألت يحيى عن هذا الحديث فقال: هو صحيح. قال الخطيب: أراد أنه صحيح من حديث أبى معاوية وليس بباطل، إذ قد رواه غير واحد عنه.

وفى " جمع الجوامع " للسيوطى بعد نقله لقول من صوب أنه من قسم الحسن ما نصه: وقد كنت أجيب بهذا الحديث دهرا إلى أن وقفت على تصحيح ابن جرير لحديث على فى " تهذيب الآثار " مع تصحيح الحاكم لحديث ابن عباس فاستخرت الله تعالى وجزمت بارتفاع الحديث عن مرتبة الحسن إلى مرتبة الصحة، والله أعلم.

وفى كتاب " مفاتيح الخزائن العلمية " لسيدى على وفا قال: جاء فى الخبر المحمدى: أنا مدينة العلم وعلى بابها. وهذا الخبر وإن كان ناقلوه عند المحدثين غير ثقات فإن شاهد الحال وهو الكشف الصحيح يشهد به.

ومفاد هذا الحديث أنه عليه السلام هو محل العلم الإلهى والكونى ومعدته ومقره وموطنه، والجامع لأصوله وفروعه كلها، والمستولى على وسائله ومقاصده بأجمعها، ومنه يلتمس، وعنه يؤخذ ويقتبس، وما من علم من العلوم الظاهرة والباطنة الدنيوية والأخروية الأصلية والفرعية إلا وإليه مرجعها وهو منبعها، فهو ﷺ مفيد لا مستفيد، وأرواح العظماء وقلوب العارفين من الأنبياء والمرسلين وسائر عباد الله الصالحين تتلقى من روحه العلم والحكمة والمعارف الربانية والأسرار الملكوتية، ولهذا سمى روحه أبا الأرواح كما روى فى قوله: أنا يعسوب الأرواح. أى أصلها وكبيرها، فعلوم العلماء ومعارف العارفين وحكم الحكيمين مستفادة من علومه ﷺ ومعارفه وحكمه، وكل ما علمه العالمون واستفاده العارفون [٦٦] وفهمه الحكماء من علوم ومعارف وحكم الجميع نقطة من بحره ﷺ فهو مدينة العلوم وبحرها، وقلبه معدها وباطنه مهبطها ومرساها، وعلى ﷺ هو الباب والطريق الذى يسلك منه إلى هذا الجناب.

وأخرج الترمذى وقال حسن غريب، وأبو نعيم فى " الحلية " وابن جرير فى " تهذيبه " وقال هذا خبر عندنا صحيح، وابن مردويه عن على مرفوعاً: أنا دار الحكمة وعلى بابها[1].

وأخرج أبو الحسن شاذان الفضلى فى " خصائص على " والخطيب فى " تلخيص المتشابه " من طريق الدارقطنى عن جابر مرفوعاً: أنا مدينة الحكمة وعلى بابها، فمن أراد المدينة فليأت إلى بابها.

وأخرج الديلمى فى " مسند الفردوس " من حديث أبى ذر مرفوعاً: على باب علمى، ومبين لأمتى ما أرسلت به من بعدى، حبه إيمان، وبغضه نفاق، والنظر إليه رأفة[2].

---

(١) أخرجه الترمذى (٥/٦٣٧، رقم ٣٧٢٣) وقال: غريب. وأبو نعيم فى الحلية (١/٦٤).

(٢) أخرجه الديلمى (٣/٦٥، رقم ٤١٨١).

وأخرج ابن عدى فى " كامله " من حديث ابن عباس مرفوعاً: على عبية علمى[١]. أى موضع سرى ومحل نفائسى.

وأخرج أبو عمر فى " الاستيعاب " عن ابن عباس أيضاً قال " والله لقد أعطى على بن أبى طالب تسعة أعشار العلم، وايم الله لقد شارككم فى العشر العاشر.

وأخرج الديلمى عن سلمان مرفوعاً: أعلم أمتى من بعدى على بن أبى طالب[٢].

وأخرج القلعى وأبو عمر فى " الاستيعاب " عن عبد الملك بن أبى سليمان قال قلت لعطاء: أكان فى أصحاب رسول الله ﷺ أحد أعلم من على؟ قال: لا والله ما أعلمه. وفى رواية قال: ما أعلم.

وقد كان ﷺ يقول معاشر الناس: سلونى قبل أن تفقدونى. يقولها ثلاث مرات، ويقول: سلونى فإنكم لا تسألون مثلى. ويقول: سلونى عن طرف السماء فإنى أعلم به من طرف الأرض.

وأخرج عبد الرزاق وابن عبد البر وابن الأنبارى فى " المصاحف " عن أبى الطفيل قال: شهدت عليا وهو يخطب ويقول: سلونى فوالله لا تسألونى عن شىء يكون إلى يوم القيامة إلا [٦٧] حدثتكم به. وفى رواية ذكرها ابن عبد البر: فوالله لا تسألونى عن شىء إلا أخبرتكم، وسلونى عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نــزلت أم بنهار، أم فى سهل أم فى جبل[٣].

---

(١) أخرجه ابن عدى (٤/١٠١، ترجمة ٩٥٠ ضرار بن صرد) وقال: هو فى جملة من ينسبون إلى التشيع بالكوفة. وأورده الذهبى فى الميزان (٣/٤٤٩ ترجمة ٣٩٥٥ ضرار بن صرد) وقال: قال البخارى وغيره: متروك.

(٢) أخرجه الديلمى (١/٣٧٠، رقم ١٤٩١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره (٣/٢٤١)، والشاشى (٢/٩٦، رقم ٦٢٠)، وابن جرير (٢٦/ ١٨٦).

وأخرج أحمد فى " المناقب " والبغوى فى " المعجم " عن سعيد بن المسيب قال: لم يكن أحد يقول سلونى إلا علياً.

وأخرجه أيضاً أبو عمر فى " الاستيعاب " ولفظه: ما كان أحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الناس يقول سلونى غير على بن أبي طالب[1].

وأخرج ابن سعد فى " طبقاته " وأبو نعيم فى " الحلية " عن على قال: والله ما نـــزلت آية إلا وقد علمت فيم نـــزلت، وأين نـــزلت، وعلى من نـــزلت، إن ربى وهب لى قلباً عَقُولاً، ولساناً طلقاً سئولاً [2].

وأخرج ابن أبي شيبة فى " المصنف " وأبو نعيم فى " الحلية " عن على أيضاً أنه قال على منبره: وإنى أنا فقأت عين الفتنة ولم أكن فيكم ما قوتل فلان وفلان وأهل النهروان، وايم الله لولا أن تتكلوا وتدعوا العمل لحدثتكم بما سبق لكم على لسان نبيكم ﷺ ثم قال: سلونى فإنكم لا تسألونى عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا حدثتكم به[3].

وروى عنه مما ذكره غير واحد كالشيخ الأكبر فى " فتوحاته " فى الباب الثلاثين وصاحبا القوت والإحياء والراغب الأصبهانى فى كتاب " الذريعة " وابن القيم فى " مفتاح دار السعادة " أنه ضرب بيده إلى صدره وتنهد وقال: إن ها هنا علوما جمة لو وجدت لها حملة. وهو جملة من حديث طويل أخرجه ابن الأنبارى فى " المصاحف " والمرهبى فى " العلم " ونصر فى " الحجة " وأبو نعيم فى كتابه " الحلية " وابن عساكر عن كميل بن زياد قال:

---

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢/٦٤٦ رقم ١٠٩٨) وذكره النووى فى تهذيب الأسماء (١/٣١٧).

(٢) أخرجه ابن سعد (٢/٣٣٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/٥٢٨، رقم ٣٧٧٣٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/١٨٦).

أخـــذ بـــيدى على بن أبى طالب فأخرجنى إلى ناحية الجبانة، فلما أصحر أى برز للصـــحراء جلـــس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاهـــا، احفظ عنى ما أقول لك [٦٨] الناس ثلاثة، فعالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجـــاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجـــئوا إلى ركـــن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد موته، وصنيعة المال تـــزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجـــودة، هـــاه إن ها هنا – وأشار بيده إلى صدره – علما لو أصبت له حملة، بلى أصـــبته لقنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بحجج الله على كتابه، وبـــنعمه على عباده، أو منقادا لأهل الحق لا بصيرة له فى إحيائه، يقتدح الشك فى قلبه بـــأول عارض من شبهة، لاذا ولا ذاك، أو منهوم باللذات سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والادخار وليسا من دعاة الدين أقرب شبها بهما الأنعام السائمة، كذلـــك يمـــوت العلم بموت حامليه، اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة لئلا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك هم الأقلون عددا، الأعظمون عند الله قدرا، بهم يدفع الله عـــن حججـــه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العـــلم عـــلى حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجـــاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى، أولئك خلفاء الله فى بلاده ودعاته إلى دينه، هاه وهاه إن ها هنا وأشار بيده إلى صدره لعلماً جما لو أصبت لـــه حملـــة يعنى من يحمله ويفهمه، وهذا فى زمانه مع كثرة الصحابة ووفرة أنوارهم وإخلاصهم.

وفى الرســـالة اللدنـــية للغزالى ما نصه: وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهـــه: أدخلت لسانى فى فمى فانفتح فى قلبى ألف باب من العلم مع كل باب ألف

بــاب، وقــال: لــو وضعت لى وسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بــتوراقم، وبــين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم، ولقلت فى الباء من بسم الله الرحمن الرحيم وقر سبعين جملا.

قال الغزالى: وهذه مرتبة لا تنال بمجرد التعلم البشرى بل يتحلى المرء بهذه المرتبة بقوة العلم اللدنى انتهى.

وفى الغــوث والإحــياء وشرح ابن أبى جمرة لمختصره للبخارى نقلا عنه ﷺ قال لو شئت لأتيتك سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب.

قال القاشانى فى لطائف الأعلام فى إشارات أهل الإلهام فى ترجمة العلم اللدنى بعد نقله لكلام الغزالى السابق ما نصه: بل أقول قد رأينا من شيخنا علاء الدولة السمنانى رحمه الله أنه صلى المغرب ثم جلس فى محرابه ففتح عليه فى تفسير الباء من بسم الله فيما بين صلاة المغرب والعشاء من العلوم ما لا يمكن تدوينه وكتابته إلا فى شهور كثيرة، ومن رأى مــثل هــذا من بعض التابعين علم معنى ما ذكره على كرم الله وجهه فإنه أولى بذلك كما شهد له رسول الله ﷺ بقوله أنا مدينة العلم وعلى بابها.

وفى درر الغــواص نقلا عن سيدى على الخواص ﷺ أنه عليه السلام لما لقن على بن أبى طالــب كلمة الشهادة وخلع عليه علومها صار يقول عندى من[٦٩] العلم الذى أســره إلى رسول الله ﷺ ما ليس عند جبريل وميكائيل فقال ابن عباس: كيف ذاك يا أمــير المؤمنين فقال إن جبريل عليه السلام تخلف عن رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، وقال ما منا إلا وله مقام معلوم، فلا يدرى ما وقع لرسول الله ﷺ بعد ذلك.

وقــد قــال الشيخ عز الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسى فى كتابه حل الــرموز ومفاتــيح الكنوز لدى ذكره لحديث أنا مدينة العلم وعلى بابها ما نصه: فلا يخــرج من المدينة شيء حتى يمر بالباب، ومن سر هذا الكشف كان يقول على ﷺ لو كشــف الغطاء ما ازددت يقينا معناه لو كشف الغطاء عن المخلوقات حتى أشاهدها

بعين البصيرة مما وراءه من علم الأولين والأخرين فما أراد بكشف الغطاء إلا عن المخلوقات لا عن الخالق لأنه لا يوصف بذلك انتهى.

وفى اللوائح للشيخ إسماعيل حقى صاحب روح البيان فى لائحة هذا الحديث بعد ما ذكر أن الباب يعد من البيت وأجزائه ما نصه: فعلم منه أقربية على كرم الله وجهه لرسول الله ﷺ من سائر الأصحاب فى العلم اللدنى فهو أسرار الخليفى على التحقيق، وهو قطب الوجود بعد رسول الله ﷺ فى التجلى الحقى بعد العلمى والعينى، وأما غيره من الخلفاء فليسوا بهذه المثابة، وإن كانوا كلهم واصلين إلى عين اليقين لكن ذلك لا يقدح فى شأنهم أصلا لأن المقصود الوصول إلى الحقيقة سواء أعطى التصرف فيها أم لا، وقد حصل هذا الوصول للكل باعتبار هذا، واعرف سر رجوع سلسلة أرباب الطرق من أهل الحق إليه ﷺ دون غيره والتفصيل أن لكل ولى حالة غالبة فى ذاته من الجلال والجمال والفيض والبسط والشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة فأبو بكر ﷺ [٧٠]ومن يليه فى الخلافة لكل منهم فى المراتب الأربع، لكن المعرفة كانت غالبة فى الصديق، والشريعة فى الفاروق، والطريقة فى ذى النورين، والحقيقة فى المرتضى، انتهى المراد منه بلفظه.

وفى " جواهر المعانى وبلوغ الأمانى " فى فيض أبى العباس أحمد بن محمد بن المختار التجانى الحسنى نقلاً عن شيخه المذكور قال: ما يصل شيء فى الوجود من العلم مطلقا إلا من صهريج على ﷺ لأنه باب مدينة علمه ﷺ لا من الخلفاء الأربعة ولا من الصحابة بأجمعهم، وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما: انقسم العلم كله عشرة أجزاء، تسعة كلها لعلى ما شاركه فيها أحد، والعشر كله مقسوم بين الخلق، وكان أعلم الناس بالعشر الباقى انتهى.

وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول: جميع ما أبرزته لكم من التفسير فإنما هو عن على كرم الله وجهه.

وسيأتى قريبا فى كلام عز الدين ابن غانم المقدسى أن عليا ﷺ كان يقول: إن بين جنبيَّ علما لو قلته لخضبتم هذه من هذه.

وأورده غيره بلفظ: لو وضعتم الصمصامة على رأسى، أو لأطحتم هذه – يعنى الجمجمة – من هذه – يعنى الجثة. والكلام فى علمه ﷺ كثير.

ومن اختصهم النبى ﷺ بالعلم المخير فيه (عبد الله بن عباس رضى الله عنهما)

ومنهم سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فإنه انفرد عنه ﷺ بمعرفة رموز القرآن وإشاراته، وما انطوى عليه من أسراره ومخبآته، حتى أنه كان يقول: لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى، ولذا لقب بالبحر وبالبحير وبحبر الأمة وبترجمان القرآن، وفى البخارىْ عنه قَالَ: ضَمَّنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى صدره وَقَالَ « اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ »[١].

وأخرج البغوى فى " معجم الصحابة " عن ابن عمر عن عمر قال لابن عباس: إنى رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوما فمسح رأسك وقال: اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل.

وأخرج ابن سعد فى " طبقاته " [٧١] عن طاوس عن ابن عباس قال: دعانى رسول الله ﷺ فمسح على ناصيتى وقال: اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب[٢].

وفى " الفتوحات المكية " فى الباب الثلاثين ما نصه: وكان من الأفراد أيضاً – يعنى أفراد الأولياء الحاملين للأسرار – عبد الله بن عباس البحر، كان يلقب به لاتساع علمه، فكان يقول فى قوله عز وجل ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ** ﴾ [الطلاق:١٢]: لو ذكرت تفسيره لرجمتمونى. وفى رواية أقوى: لقلتم إنى كافر انتهى.

ومثله نقله فى مقدمة الكتاب، وذكره أيضاً الغزالى فى كتابه " الإحياء " فى الفصل الثانى من كتاب قواعد العقائد.

---

(١) أخرجه البخارى كتاب العلم حديث رقم (٧٥).

(٢) أخرجه ابن سعد (٢/٣٦٥).

وفى " القوت " لدى ذكره لهذه الآية ما نصه: وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول: لو فسرت لكم هذه الآية لكفرتم. قيل: وكيف؟ قال: تنكروها، وإنكاركم لها كفر بها. وفى لفظ آخر: لو فسرت الآية التى فى سورة النساء القصرى – يعنى سورة الطلاق – لرجمتمونى بالحجارة، معناه لكفرتمونى لأنهم لا يقتلون إلا كافرا عندهم انتهى.

ومن اختصهم النبى ﷺ بالعلم المخير فيه – حُذيفة بن اليمان – ﷺ

ومنهم سيدنا حذيفة بن اليمان ﷺ فإنه انفرد عنه ﷺ بعلم الكوائن والفتن التى تحدث، وبالاطلاع على أسرار المنافقين وأحوالهم، فأخرج مسلم عنه قال: والله إنى لأعلم الناس بكل فتنة هى كائنة فيما بينى وبين الناس، وما بى إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسرَّ إلىَّ فى ذلك شيئا لم يحدثه غيرى.

وأخرج أيضاً عنه قال: أخبرنى رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شىء إلا قد سألته إلا أنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة.

وأخرج أحمد ونعيم بن حماد فى " الفتن " والرويانى عنه قال: أنا أعلم الناس بكل فتنة هى كائنة إلى يوم القيامة، وما بى أن يكون رسول الله ﷺ [٧٢] أسرَّ إلىَّ فى ذلك شيئا لم يحدث به غيرى، ولكن رسول الله ﷺ حدث مجلسا أنبأهم فيه عن الفتن التى تكون، منها صغار ومنها كبار، فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى[١]. قال فى " كنـــز العمال " و " منتخبه ": وسنده حسن.

وأخرج نعيم بن حماد فى " الفتن " عنه قال: لو حدثتكم بكل ما أعلم ما رقدتم فى الليل[٢]. قال فى " الكنـــز " و " منتخبه ": وسنده ضعيف.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٨٨، رقم ٢٣٣٣٩)، ونعيم بن حماد (١/٢٨، رقم ٣).
(٢) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (١/٣٢، رقم ١٨).

وأخرج أيضاً عنه قال: ما أنا إلى طريق من طرقكم بأهدى منى بكل فتنة كائنة هى وسائقها وقائدها إلى يوم القيامة[١].

وأخرج أيضاً عنه قال: والله ما أنا بالطريق إلى قرية من القرى ولا إلى مصر من الأمصار بأعلم منى بما يكون من بعد عثمان بن عفان [٢].

وأخرج ابن أبى شيبة عنه قال: لو حدثتكم ما أعلم لافترقتم على ثلاث فرق: فرقة تقاتلنى، وفرقة لا تنصرنى، وفرقة تكذبنى [٣].

وأخرج أيضاً عنه أنه قال لعثمان: والله لتخرجَن إخراج الثور، ولتذبحن ذبح الجمل [٤].

وأخرج أيضاً عن جندب الخير قال: أتينا حذيفة حين سار المصريون إلى عثمان فقلنا: إن هؤلاء قد ساروا إلى هذا الرجل، فما تقول؟ قال: يقتلونه والله. قلنا: فأين هو؟ قال: فى الجنة والله. قلنا: فأين قتلته؟ قال: فى النار والله [٥].

وأخرج نعيم بن حماد عنه قال: لو حدثتكم أن أمكم تغزوكم أتصدقوننى؟ قالوا: أوحى ذلك؟ قال: نعم [٦].

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى وأبو نعيم عنه أنه قيل له: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: لو فعلت لبهتمونى. قلنا: سبحان الله. قال: لو حدثتكم أن بعض أمهاتكم تغزوكم فى كتيبة تضربكم بالسيف ما صدقتمونى. قالوا: سبحان الله ومن يصدقك بهذا؟ قال: أتتكم الحمراء فى كتيبة تسوق بها أعلامها. قال البيهقى: أخبر بهذا حذيفة ومات قبل مسير عائشة.

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد (١/٣٤، رقم ٢٦).

(٢) أخرجه نعيم بن حماد (١/٣٤، رقم ٢٧).

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة (٧/٤٥٤، رقم ٣٧١٦٩).

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة (٧/٥١٨، رقم ٣٧٦٨٢).

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة (٧/٥١٦، رقم ٣٧٦٦٧).

(٦) أخرجه نعيم بن حماد (١/٨٥، رقم ١٩٢).

وأخرج نعيم بن حماد فى " الفتن " عنه قال: ما من صاحب فتنة تبلغ من بعد ثلاثمائة [٧٣] إلا ولو شئت أن أسميه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة، كل ذلك مما علمنيه رسول الله ﷺ إنكم كنتم تسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وأسأله عن الشر، وتسألونه عما كان وأسأله عما يكون.

وأخرج رسته فى " الإيمان " عن زيد بن وهب قال: مات رجل من المنافقين فلم يصل عليه حذيفة، فقال له عمر: أمن القوم هذا؟ قال: نعم. قال: بالله أمنهم أنا؟ قال: لا، ولن أخبر به أحداً بعدك.

والآثار فى هذا ونحوه عنه كثيرة، وفى " القوت " لأبى طالب عبد بن على المكى ما نصه: وكان سيدنا حذيفة ﷺ قد خص بعلم المنافقين، وأفرد بمعرفة علم النفاق وبسرائر العلم ودقائق الفهم، وخفايا اليقين من بين الصحابة، فكان عمر وعثمان وأكابر أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الفتن العامة والفتن الخاصة، ويرجعون إليه فى العلم الذى خص به، ويسألونه عن المنافقين، وهل بقى منهم ممن ذكر الله تعالى وأخبر عنهم أحد؟ فكان يخبر بأعدادهم ولا يذكر أسماءهم، وكان عمر يستكشفه عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق؟ فيبرئه منه، ثم يسأله عن علامات النفاق وآية المنافق، فيخبر من ذلك بما يصلح مما أذن له فيه، ويستعفى عما لا يجوز له أن يخبر به، فيعذر فى ذلك.

وكان عمر ﷺ إذا دعى إلى جنازة ليصلى عليها نظر فإن رأى حذيفة صلى عليها، وإن لم ير حذيفة لم يصلِّ عليها.

وكان حذيفة يسمى صاحب السر، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سئلوا عن علم يقول أحدهم: تسألونى عن هذا وصاحب السر فيكم. يعنى حذيفة. انتهى منه بلفظه.

وفى " البخارى " أن أبا الدرداء قال لعلقمة: أَلَيْسَ فِيكُمْ - أَوْ مِنْكُمْ - صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِى لاَ يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ [٧٤] يَعْنِى حُذَيْفَةَ(١).

وفى " الفتوحات " فى الباب الثالث والسبعين ومائتين عند تعرضه فيه لما فتح به عليه من علوم السير المهلكة التى تعلم لتحذر ما نصه: وكان ممن اختص بها من الصحابة رضى الله عنهم حذيفة بن اليمان ﷺ خصه بها رسول الله ﷺ فلذلك كان بين الصحابة يقال له صاحب السر، وبه كان يَعرِفُ أهلَ النفاق، حتى إن عمر بن الخطاب ﷺ استحلفه يوما بالله: هل فىَّ من ذلك شىء؟ فقال: لا، ولا أقوله لأحد بعدك.

وكان عمر بن الخطاب لا يصلى على جنازة بحضور حذيفة حتى يرى حذيفة يقول بالصلاة عليها، فإن صلى حذيفة صلى عمر، وإلا فلا انتهى.

وفى " الجرعة الصافية والنفحة الكافية " و " الرسالة العامة " كلاهما للشيخ الأستاذ المربى أبى زين العابدين القطب سيدى المختار بن أحمد بن أبى بكر الكنتى ثم الوافى، وكل منهما فى مجلد بعد ما تكلم فيهما على العلوم وأنها ثلاثة، وذكر حديث: إن الله تعالى أنــزل علىَّ ثلاثة علوم... إلى آخره طبق ما ذكرناه أولاً ما نصه: وأما علم الكوائن وتواريخ الدنيا وتصاريف الدول فقد اختص به سيدنا حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال ﷺ والله ما مات رسول الله ﷺ حتى تركنا وما يخفق طائر بجناحيه إلا وعندنا منه علم، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، وما من قائد قوم يبلغ أتباعه ثلاثمائة فصاعدا إلا وقد أخبرنا بأسمائهم وأسماء آبائهم وصفاتهم وألوان خيولهم إلى قيام الساعة، ولقد كنت أعرفهم إذا رأيتهم كما يعرف الرجل وجه الرجل إن توارى عنه بحائط ثم رآه.

وسأله أهل العرفان فقالوا له: إن رسول الله ﷺ قد أخبرك بعلم الكوائن فما هو كائن فى عامنا هذا. قال: أفرأيتم إن [٧٥] أخبرتكم أكنتم تصدقونى؟ قالوا نصدقك

---

(١) أخرجه البخارى برقم (٣٧٤٣).

ولا نشك. قال: إن إحدى أمهاتكم تسير إليكم فى عامكم هذا لتقاتلكم. قالوا: هذا مما لا يكون أبداً. فقال:والله إنه لحق، وإنها لتأتيكم يوم كذا وكذا، وإنه يقتل حولها قتلى عظيمة من المسلمين، منهم طلحة بن عبيد الله، وإن الزبير لينصرف عن القتال تائباً مقلعاً، وإن رجلاً من تميم يسمى ابن جرموز أى عمرو بن جرموز التميمى يقتله غيلة، وإنى ميت من عامى هذا قبل الواقعة، وإنها لأول الفتن وما بعدها أشر منها. انتهى المراد منها بلفظه.

وممن اختصهم النبى ﷺ بالعلم المخبر فيه – أبو هريرة – ﷺ

ومنهم سيدنا أبو هريرة ﷺ فإنه انفرد عنه ﷺ أيضاً بشىء من علوم الأسرار الخاصة، ومن أسماء أمراء الجور وأحوالهم وما يقع من فساد الأحوال وتغير الزمان والفتن وأشراط الساعة، ولذا قال حفظت من رسول الله ﷺ خمس جُرُب، أخرجت منها جرابين، ولو أخرجت الثالث رجمتمونى بالحجارة. نقله الشيخ عبد الرءوف المناوى فى " الكواكب الدرية فى تراجم السادات الصوفية " فى ترجمته.

وقال أيضاً: يَقُولُونَ أَكْثَرْتَ فَلَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ رَمَيْتُمُونِى بِالْقَشْعِ وَمَا نَاظَرْتُمُونِى. أى من المناظرة. أخرجه أحمد فى " مسنده " من حديث يَزِيدَ بْنِ الأَصَمِّ عنه [(١)].

يروى بالقَشْع بفتح فسكون، وهو محتمل لأن يكون من القشع الذى هو الجلد اليابس يعنى ضربتمونى بالسوط المتخذ من الجلود اليابسة مبالغة فى زجرى، أو من القشع الذى هو الأحمق يعنى سميتمونى بالأحمق، أو من القشع الذى هو النخامة التى ترمى، يقتلعها الإنسان من صدره ويخرجها بالتنخع، يعنى بزقتم فى وجهى استخفافًا بى وتكذيبا لقولى، ويروى بكسر ففتح على أنه جمع قشع على غير قياس، وقيل إنه جمع [٧٦] قشعة كبدرة وبِدَر، وهى ما يقشع عن وجه الأرض من الحجر والمدر، أى يقلع،

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٥٣٩، رقم١٠٩٧٢).

يعني ضربتموني بكل ما تأخذونه من وجه الأرض من حجر ومدر، ويروى بكسر فسكون، وفسر بالبزاق، حكاه الهروي في " الغريبين ".

وقال أيضاً: إنكم تقولون أكثر أبو هريرة وما أكثرت، لقد أخذت عن رسول الله ﷺ جرابي علم، أما أحدهما فقد بثثته، وأما الآخر فلو قلت منه كلمة واحدة لقطعتم هذا البلعوم قبل أن أتمها.

ولفظ البخاري في " صحيحه "(١) في باب حفظ العلم بسنده عنه قال: حَفِظْتُ عن — وفي رواية مِنْ — رَسُولِ اللّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ — أي نوعين من العلم — فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ — أي أذعته ونشرته — زاد الإسماعيلي: في الناس، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ. وفي رواية الإسماعيلي: لقطع هذا يعني رأسه.

قال الحافظ: ووقع في " المسند " عنه: حفظت ثلاثة أجربة بثثت منها جرابين. قال: وليس هذا مخالفا لحديث الباب، لأنه حمل على أن أحد الوعاءين كان أكبر من الآخر بحيث يجيء ما في الكبير في جرابين، وما في الصغير في واحد، ووقع في " المحدث الفاصل " للرامهرمزي من طريق منقطعة عن أبي هريرة: خمسة أجربة. وهو إن ثبت محمول على نحو ما تقدم. وعلى رواية البخاري وعاءين.

فالوعاء الأول: قال العلماء: هو ما حفظه من الأحاديث المتعلقة بالأحكام والشرائع وما يتعلق بها، وهو علم الظاهر الذي تعرفه الفقهاء من أحكام الشريعة المحمدية.

والثاني: اختلفوا فيه على أقوال، فقيل هو ما كتمه من فساد الأحوال وتغير الزمان والفتن وأشراط الساعة، وقيل ما كتمه من أسماء أمراء السوء وأحوالهم وأزمنتهم، ففي الصحيحين عنه قَالَ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ يَقُولُ:« هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٦/٢،رقم١٢٠).

مِنْ [٧٧] قُرَيْشٍ ». فَقَالَ مَرْوَانُ: لعنة الله عليهم غِلْمَةٌ. قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ أقول بَنِي فُلاَنٍ وَبَنِي فُلاَنٍ لفعلت(١).

قال فى " إرشاد السارى ": وكأنَّ أبا هريرة كان يعرف أسماءهم، وكان ذلك هو الجراب الذى لم يبثه فلم يتبن أسماء أمراء الجور وأحوالهم، نعم كان يكنى عن بعضهم ولا يصرح به خوفاً على نفسه انتهى.

وكان ﷺ يقول: أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان. يشير إلى خلافة اليزيد، لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاءه فمات قبلها بسنة، وقيل بل المراد به علم الحقائق الربانية والكمالات المحمدية والأسرار الخاصة الباطنية التى هى نتيجة علم الشرائع، والعمل بما جاء به الرسول، والوقوف عند ما حَدَّهُ وهى التى لا يعرفها إلا المقربون ولا يظفر بها إلا الغواص فى بحار المجاهدات، ولا يسعد بها إلا المصطفون، ولا تطيقها عقول أكثر الخلق، وهذا القول هو الصواب، وإليه نحا كثير من أهل الاقتراب، وقد قالوا: لو اطلع أهل كل مرتبة من مراتب الخصوصية على علوم من فوقهم لاستباحوا دماءهم، وقال الجنيد: لا يبلغ أحد درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق. وفى لفظ: لا يبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجال حتى يشهد فيه ألف صديق من علماء الرسوم بأنه زنديق. نقله غير واحد، ومنهم الشعرانى فى " الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية " ولفظه هو الثانى، وزاد وذلك لأن أحوالهم من وراء النقل والعقل، وفوق كل ذى علم عليم.

ومنهم الشيخ الأكبر فى " فتوحاته " قال: وذلك لأنهم يعلمون من الله ما لا يعلمة غيره انتهى.

وفى " الجواهر والدرر " وسمعته – يعنى الشيخ سيدى عليا الخواص ﷺ – يقول: الخلق على طبقات عامة: فقهاء ومتصوفة وصوفية وعارفون وكاملون ومكملون وأقطاب، وكل من كان فى مرتبة من هذه [٧٨] المراتب أنكر ما وراءها لعدم ذوقه

---

(١) أخرجه البخارى (٢٥٨٩/٦، رقم ٦٦٤٩).

له، فالفقيه ينكر على المتصوف، والمتصوف على الصوفية، والصوفية تنكر على العارفين وهكذا، والقطب لا ينكر على أحد، لمروره على المراتب كلها، ومرادنا بالإنكار من حيث الفهم لا الإنكار من حيث الأحكام الشرعية التي جاءت بها الشريعة انتهى.

وقد ذكر المحققون من أهل الله تعالى شرف هذا العلم وعظيم قدره، وقالوا إنه ينبغي للمريد أن يرحل إليه، بل يجب عليه ذلك إن وجد له حاملا فى أى بلد كان، ولم يزل القوم يطلبونه من بعضهم بعضا، ويسيحون فى الأرض للوقوع على رجل يفيدهم فيه مسألة، وهنا قال الجنيد: لو علمت أن تحت أديم السماء علما أشرف من علمنا هذا – يعنى علم الحقائق – لرحلت إليه. وقالوا: قد ينال المرء بمسألة من مسائل هذا العلم ما لا يناله بمجاهدة خمسين سنة. وكان من المشايخ من لا يعرف له شيء من أعمال الطريق سوى مطالعته لكتب الحقائق حتى بلغ من هذا العلم ما سبق به كثيرا من السابقين.

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلى فى رسالته " مراتب الوجود ": ولقد رأيت فى زماننا هذا طائفة كثيرة من كل جنس من أجناس العرب والفرس والهند والترك وغير ذلك من الأجناس كلهم بلغوا بمطالعة كتب الحقيقة مبالغ الرجال، ونالوا منها مقاصد الآمال.

وقال فيها أيضاً: إن المراتب المشار إليها بعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين التى ذكرنا أنها مائدة الكتب، يعنى كتب أهل الحقائق تكاد أن لا تصل إليها بل إلى أقلها باجتهادك العمر كله، فإنى قد رأيت صبيانا من أهل الطريق من إخوانى بلغوا بمطالعة هذه الكتب فى الأيام القليلة ما لم تبلغه رجال باجتهاد أربعين أو خمسين سنة.

وقال فيها أيضاً بعد إيراد حكايات فى الترغيب فى هذا العلم: وإنما أوردت لك هذه الحكايات كلها حتى أفهمك قدر هذا العلم وعلو شأنه، لترغب فى تحصيل هذا العلم الشريف بمطالعة هذه [٧٩] الكتب ومدارستها، ومذاكرة أهلها حيث كانوا، فإن الرجل منهم قد يفيدك بكلمة ما لا تفيدك الكتب كلها فى العمر كله، لأنك لا

تأخذ من الكتب إلا بفهمك، والرجل العالم بالله إذا أرادك لفهم مسألة على ما هى عليه أعطاك فهمه فيها، وكم بين فهمك وفهمه، ولهذا كانت مطالعة كتب الحقيقة عند المحققين أفضل أعمال السالكين، ومجالسة أهل الله تعالى مع التأدب معهم أفضل من مطالعة الكتب كلها، فعليك ثم عليك بملازمة الشيوخ الهداة إلى الله تعالى، فإن لم تجدهم فعليك ثم عليك بملازمة المطالعة فى كتب الحقائق، والعمل بمقتضى علومها، فإنك تصل بذلك إلى مقصودك، وتقع به على معرفة معبودك إن شاء الله تعالى انتهى.

وقال سيدنا عبد الغنى النابلسى فى " شرحه للديوان الفارضى " فى كلامه على التائية الكبرى إن فى حضور مجالس العارفين بربهم، وفى سماع كلامهم فى علوم الحقائق من أفواههم ما لا يجحد من الإفادات والفهوم بخلاف السماع ممن ينقل عنهم، فإنه كما قيل: وما آفة الأخبار إلا رواتها. وهذا إذا وجد شيخا منهم، وإذا لم يجد فمطالعة كتب الحقائق مع اعتقاد هذا العلم وأهله من أهم المهمات فى الدين المحمدى انتهى.

ومن هذا المعنى ما نقل عن الشيخ إسماعيل الجبرتى شيخ الشيخ سيدى عبد الكريم الجيلى وجماعة من حثهم لبعض تلامذتهم وإخوانهم على مطالعة كتب الشيخ محيى الدين ابن العربى تقريبا للمسافة البعيدة إليهم وتسهيلا للطريق الصعب عليهم، لأن المرء قد يدرك بمسألة من مسائل هذا العلم ما لا يدركه بمجاهدة السنين الطويلة، وما ورد عن بعض أهل الله من منع بعض التلامذة من مطالعة كتب الحقائق هو لإشرافه على قصور ذلك المريد عن فهم ما وضع فى كتب الحقيقة، لأن هذا الكلام كله إنما هو بالنسبة [٨٠] لمن يطالعها على فهم وبصيرة، فإن كان مفتوحا عليه أو مشرفا على مقام الفتح أو يطالعها بحضرة شيخ عارف يفهمه إياها كما ينبغى، وأما قاصر الفهم وهو العامى والفقيه الذى هو فى حكمه لعدم مخالطته لأهل هذا الفن فمطالعته لها ضرر وخدش فى الاعتقاد، لأنه إما أن يتأول كلامهم على خلاف ما أرادوه فَيَضل ويُضل، أو يضيع العمر فى تصفح الكتب بلا فائدة، أو يحمل الكلام على ظاهره فيسىء الظن بأربابه، وربما كفرهم أو بدعهم أو نسب إليهم ما هم بريئون منه، وذو العقل الزكى

والفهم الصائب الجلى والإيمان القوى والعلم الراسخ ألسمى يأخذ من هذه الكتب كل مأخذ وينال منها كل ما يراد ويقصد، وقد كان من عادة أهل هذا الفن صيانته بكل الصيانة، وكانوا يرون أن حفظه وكتمه ديانة وأمانة ولا سيما الحقائق الغريبة، ومقامات التوحيد الخاصة العجيبة شفقة منهم على عامة المسلمين، ورفقا بالمجادل من المحجوبين، وأدبا مع أهله من أكابر أهل الله العارفين.

حكى الشيخ عبد العزيز المنوفى رحمه الله قال: إن أصحاب الشيخ الشهير العارف الكبير أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشى طلبوا منه مرة أن يسمعهم شيئا من علم الحقائق، فقال لهم: كم أصحابي اليوم؟ فقالوا: ستمائة رجل. فقال: اختاروا لكم منهم مائة. فاختاروا، فقال: اختاروا من المائة عشرين. فاختاروا، فقال: اختاروا من العشرين أربعة. فاختاروا، وكان هؤلاء الأربعة أصحاب كشوفات ومعارف، أحدهم الشيخ قطب الدين القسطلانى، فقال الشيخ: والله لو تكلمت لكم فى علم الحقائق والأسرار بكلمة لكان أول من يفتى بقتلى هؤلاء الأربعة. ثم من سد باب الكلام فيه رأسا حتى مات وأحال ذلك على السلوك وقال: من سلك طريقهم اطلع على ما اطلعوا عليه وذاق ما ذاقوا، واستغنى [٨١] عن كلام الناس، وقد قال الله ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** ﴾ [البقرة:٢٨٢] وقال ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ [العنكبوت:٦٩] وقال ﴿ **إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا**﴾ [الأنفال:٢٩] وهذا هو مقام الأمناء، وهم طائفة من الملامية هم أكبر الملامية وخواصهم، لا يفشون شيئا من الأسرار والحقائق لأحد من الخلائق إلا بأمر خاص، وعليه قول الشيخ سيدى أحمد الرفاعى ﷺ وذلك حين سئل عن بعض العلوم الخاصة:

ومستخبر عن سر ليلى رددته	بعمسياء من ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها	وما أنا إن أخبرتهم بأمين[1]

---

(١) البيتان للأحوص الأنصارى، وهما من الطويل.

وقد أنشدهما فى " الفتوحات " لما تعرض لذكر الأمناء من الأولياء إلا أنه لم ينسبهما لأحد، قال: ولولا أن الخضر أمره الله أن يظهر لموسى بما ظهر به ماظهر له بشيء من ذلك فإن من الأمناء، ثم ذكر أن هؤلاء الأمناء يزيدون على سائر الطبقات أنهم لا يُعرف بعضهم بعضا بما عنده، فكل واحد يتخيل فى صاحبه أنه من عامة المؤمنين، قال: وهذا ليس إلا لهذه الطائفة خاصة، لا يكون ذلك لغيرهم انتهى. وأنشد بعضهم:

من سارروه فأبدى السر منكشفا   لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وأبعـدوه فلـم يحظى بقربـهم   وأبـدلوه مكان الأنس إيحاشا[1]

ومنهم من كان يتكلم فيه مع الخصوص ويسد الأبواب عند الخوض فيه حتى لا يطلع على مخبئه غشوم أو جهول فيهلك ويهلك نظرًا إلى أن منع المستحق ظلم.

وقد ورد: مانع الحديث أهله كمحدثه غير أهله. أخرجه الديلمى عن ابن مسعود[2].

وفى " الحلية " عن ابن عباس مرفوعاً: أن عيسى ابن مريم قام فى بنى إسرائيل، فقال: يا بنى إسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها، ولا تمنعوها [٨٢] أهلها فتظلموهم[3].

---

(١) البيتان للحلاج، وهما من البسيط.

(٢) أخرجه الديلمى (١٥٤/٤، رقم ٦٤٧٥).

(٣) أخرجه الطبرانى (٣٢٠/١٠،رقم ١٠٧٨١) قال الهيثمى(٥٩/٨):فيه هشام بن زياد أبو المقدام، وهو متروك. والعقيلى(٣٤٠/٤، ترجمة هشام بن زياد بن سعدويه)وقال: ليس لهذا الحديث طريق يثبت. والحاكم (٣٠١/٤، رقم ٧٧٠٧) وقال: صحيح، وقال الذهبى: هشام متروك ومحمد بن معاوية كذبه الدارقطنى فبطل الحديث. والبيهقى (٢٧٢/٧، رقم ١٤٣٦٥) وقال: وروى ذلك أيضاً عن هشام بن زياد أبى المقدام عن محمد بن كعب، وروى من وجه آخر منقطع عن محمد بن كعب و لم يثبت فى ذلك إسناد، وابن عساكر (١٣٢/٥٥).

وقد كان الحسن البصرى وبعده معروف الكرخى والسرى السقطى والجنيد والشبلى وغيرهم لا يقررون مسائل التوحيد والعلم بالله إلا فى قعر بيوتهم بعد غلق أبوابها، وجعل مفاتيحها تحت وركهم خوفا على إفشاء أسرار الله تعالى بين المحجوبين عن حضرته، ويقولون: أتحبون أن ترمى الصحابة والتابعون الذين أخذنا عنهم هذا العلم بالزندقة بهتانا وظلما، قال فى " كشف الحجاب والران ": ولا يجوز لمسلم قط أن يقول فى هؤلاء السادة إنهم زنادقة، وإن ما يقررونه مخالف للشريعة، حاشاهم من ذلك انتهى. راجع " اليواقيت " و " كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان " للعارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى ﷺ.

وقد بلينا فى هذا الزمان فى غير ما بلدة من البلدان بأناس يتكلمون فى الحقائق والعرفان مع العامة وبعض الصبيان ومن لا يفقه ذلك، وربما ينكره من المغفلين العميان فأدّى ذلك إلى قيل وقال، وعظيم إنكار حتى من الفضلاء الأخيار لا سيما ومن الجهال الذين يسمعون ذلك من صار يتفوه فى المجالس بالحقائق الصرفة هناك من غير حال ولا ذوق ولا وجدان، بل بمجرد اللقلقة باللسان مع إهمال التكاليف الشرعية والتكاسل عن العمل بآدابها المرعية، ومثل هذا يجب زجره وتعزيره بحسب الحال، وما يقتضيه المقال حتى ينكف عن هذه الهفوة ولا يتكلم بهذه الألفاظ لا فى خلوة ولا جلوة إلا أن يكون ذلك عن ذوق ومعرفة ووجدان بالشروط المقررة عند أهل هذا الشأن: وهى مراعاة الزمان والمكان وأهلية الإخوان، والحقيقة النورانية لا تكون إلا مع القيام بالوظائف الحقانية، بل حقيقة الشريعة: الشريعة المحمدية الظاهرة هى عين [٨٣] الحقيقة الأحمدية الباطنة، كما صرح بذلك أهل الكمال والعارفون من الرجال.

ذكر الشيخ عبد الرءوف المناوى فى كتابه " طبقات الأولياء " قال: ومن وصايا الشيخ العارف المحقق عبد الحق ابن سبعين قدس الله سره إلى تلامذته وأتباعه: عليكم بالاستقامة على الطريق، وقدموا فرض الشريعة على الحقيقة، ولا تفرقوا بينهما فإنهما من الأسماء المترادفة، واكفروا بالحقيقة فى زمانكم هذا، وقولوا عليها وعلى أهلها اللعنة انتهى.

وفيه أيضاً فى ترجمة العارف الكامل المحقق الشيخ إبراهيم الدسوقى قدس الله سره قال: عليك بالوحدة، فإنك فى القرن السابع الذين أكثرهم يجعل الحقيقة مخالفة للشريعة، ويقولون: باب العطاء أغلق حين رأوا باب العطاء أغلق دونهم، وما علموا أن لله عبادًا أفاض عليهم من جوده ما لا عين رأت من علوم ومعارف وأسرار انتهى. يعنى بسبب قيامهم بوظائف العبودية ومحافظتهم عليها وعلى أسرار الربوبية، فاعرف يا أخى زمانك وحافظ على أسرار الله وعلى شريعة نبى الله ﷺ ولا تحدث قوما إلا على قدر أفكارهم وعلومهم، وبما هو ملائم لعقولهم وأفهامهم، والله يتولى هدانا وهداك، ويرشدك إلى ما فيه صلاح دينك ودنياك، آمين.

وقد قال فى " القوت " نقلاً عن بعض السلف قال: ما من عالم يحدث قوما بعلم لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم.

قلت: وأصله فى الحديث المرفوع، ولفظه: ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة. أخرجه ابن عساكر فى " تاريخه " والعقيلى فى " الضعفاء " وابن السنى وأبو نعيم فى " رياضة المتعلمين " عن ابن عباس مرفوعًا[1].

وأخرج مسلم فى مقدمة " صحيحه " عن ابْنِ مَسْعُودٍ موقوفا عليه قَالَ مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْماً [٨٤] حَدِيثاً لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً [2].

وفى " القوت " أيضاً ما نصه: وكان عند أهل هذا العلم أن علمهم مخصوص لا يصلح إلا للخصوص، والخصوص قليل، ولم يكونوا ينطقون به إلا عند أهله، ويرون أن ذلك من حقه، وأنه واجب عليهم كما وصفهم على ﷺ وكرم وجهه فى قوله: حتى يودعوه عند أمثالهم ويزرعوه فى قلوب أشكالهم.

وكذلك جاءت الآثار بذلك عن نبينا ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر (٣٥٦/٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (١١/١،رقم ٥)

وعن عيسى عليه السلام: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق الذى يضع الدواء فى موضع الداء. وفى لفظ آخر: من وضع الحكمة فى غير أهلها جهل، ومن منعها أهلها ظلم، إن للحكمة حقا، وإن لها أهلا، وإن لأهلها حقا، فأعط كل ذى حق حقه.

وفى حديث عيسى عليه السلام: لا تعلقوا الجوهر فى أعناق الخنازير، فإن الحكمة خير من الجوهر، ومن كرهها فهو شر من الخنـــزير.

وكان بعض هذه الطائفة يقول: نصف هذا العلم سكوت، ونصفه تدرى أين موضعه. وقد قال بعض العارفين: من علم الناس بمبلغ علمه وبمقدار عقله ولم يخالطهم بقدر حدودهم فقد بخسهم حقهم ولم يقم بحق الله عز وجل فيهم.

وكان يحيى بن معاذ يقول: اعرف لكل واحد من نهره، واسقه بكأسه. ونحن نقول بمعناه: كِلْ لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع بك، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار. انتهى المراد منه وراجعه.

وفى الحديث: واضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب. أخرجه ابن ماجه وغيره من حديث أنس[1].

وفيه أيضاً: لا تطرحوا الدر فى أفواه الخنازير. أخرجه ابن النجار من حديثه أيضا[2].

ولفظ رواية المخلص عنه: فى أفواه [٨٥] الكلاب[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٨١/١ رقم ٢٢٤) قال البوصيرى (٣٠/١): هذا إسناد ضعيف. وابن عدى (٧١/٦ ترجمة كثير بن شنظير المازنى) وقال: وليس فى حديثه شيء من المنكر وأحاديثه أرجو أن تكون مستقيمة.

(٢) أخرجه الخليلى فى الإرشاد (٤٩٢/٢، رقم ١٤١).

(٣) أخرجه ابن عدى (٢٢٣/٧، ترجمة يحيى بن عقبة بن أبى العيزار) وقال: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. والرامهرمزى فى أمثال الحديث (١٢٢/١، رقم ٨٦)، والديلمى (٢٤/٥، رقم ٧٣٣٤).

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعاً: لا تحدثوا أمتي من أحاديث إلا بما تحمله عقولهم[١].

وأخرج أبو بكر بن الشخير في الجزء الثاني من حديثه عن ابن عمر مرفوعاً: أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم.

وأخرج الديلمي عن علي رفعه: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله. وهو في " البخاري " موقوف عليه[٢]، وإسناد المرفوع ضعيف، بل قيل موضوع.

وعن أبي الطفيل قال سمعت عليا يقول: أيها الناس تحبون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله، حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون.

أخرجه الخطيب في " جامعه "[٣].

وللإمام الشافعي ﷺ وقد طلب منه شيء من العلم الإلهي:

أأنثر درًّا بين سارحة النعم ... وأنظم منثور القوم ذوي سقم

أكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي ... ولا أنشر الدر النفيس على الغنم

فإن يسر الله الكريم بفضله ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم

بثث مفيدا واستفدت ودادهم ... وإلا فمخزون لدي ومكتتم

فمن منح الجهال علما أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم[٤]

وليس من هذا أعني من خطاب الناس بما لا تبلغه عقولهم وبما ينكرون ولا يعرفون ما يوجد في بعض كتب العارفين من الصوفية كابن العربي وابن الفارض وابن سبعين والعفيف التلمساني وعبد الكريم الجيلي وأضرابهم من العبارات المجملة أو الموهمة التي

---

(١) أخرجه الديلمي (١٧/٥، رقم ٧٣١٢).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٢٧).

(٣) أخرجه الخطيب في الجامع (١٠٨/٢، رقم ١٣١٨).

(٤) الأبيات من الطويل.

يفهم الجاهل بعلومهم خلاف مرادهم الحق، لأنهم ما خاطبوا بها إلا أمثالهم من العارفين ومن يعرف اصطلاحهم، ويفهم كلامهم على طبق مرادهم الموافق لمذهب أهل السنة والجماعة من غير شوب مخالفة أصلا دون غيرهم من الجاهلين باصطلاحهم القاصرين عن [٨٦] مراتبهم، المقصرين فى الأعمال الصالحة، المحجوبين المطموسين بأفهامهم الدنسة وأفكارهم النجسة بالغذاء الحرام، المكبين على جمع الحطام، فإن هؤلاء لا حظ لهم فى كلام القوم ولا دخل لهم فيه بوجه ولا حال، ولا تسوغ لهم مطالعته أصلاً لما ينشأ عنها من الأفهام السقيمة والمطاعن الوخيمة والتلبيس على الناس بما يلقيه إليهم الوسواس الخناس، وهؤلاء السادات لم يخاطبوا بكلامهم أمثال هؤلاء ولا صنفوا كتبهم لهم، ولو أرادوهم وخاطبوهم لكانوا مخاطبين للعوام بما لا تبلغه عقولهم، وحاشاهم من ذلك، فإن لكل علم رجالاً، ولكل مقدار مجالا، وكذا كل علم كتبه مصنفه لأهله، وغير الأهل لا يراد، أصلح الله شئوننا وشئون سائر عباد الله بمنه وكرمه، آمين.

وفى كتاب " حل الرموز " لابن غانم المقدسى بعد ذكره لحديث: لا تودعوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم. ما نصه: فما كل قلب يصلح للسر، ولا كل صدف ينطبق على الدر، فلكل قلب مقال، وما كل قلب يعلم ما يقال، قال القائل لأبى زيد ﷺ: ما لنا لا نفهم كثيرا مما تقول؟ فقال: لأن كلام الأخرس لا يفهمه غير أمه:

فإذا كنت بالمدارك غرا ... ثم أبصرت حاذقا لا تمارى

وإذا لم تر الهلال فسلم ... لأنـاس رأوه بالأبصار[1]

وعن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: إنى لأعلم فى قوله تعالى ﴿ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ [الطلاق:١٢] ما لو قلته لكفرتمونى.

(١) البيتان للأمير الصنعاني.

وهذا أبو هريرة ﷺ قال: أخذت عن رسول الله ﷺ جرابين من العلم: جرابا ألقيته وجرابا لو أديته لكم لرجمتموني.

وهذا على ﷺ [٨٧] يقول: إن بين جنبى علما لو قلته لخضبتم هذه من هذه.

وقال شعرا:

إنى لأعلم علما لو أبوح به لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستباح رجال مسلمون دمى يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وأما أهل التمكين فإنهم علموا وكتموا ما علموا، لما يعلمون من ضعف احتمال عقول الأطفال. انتهى المراد منه بلفظه، وما نسبه من البيتين لسيدنا على فهو لغير واحد كالشيخ أبي سالم العياشى فى " الرحلة " والشيخ المختار الكنتى فى كتابه " الجرعة الصافية والرسالة العامة " ويأتى نصهما ونسبهما فى " الإحياء " وغيرها لزين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم.

وفى " الفتوحات " فى الباب الثلاثين لعلى بن الحسين هذا ثم قال: وما أدرى هل هما من قيله أو تمثل بهما. قلت: والشائع هو نسبتهما لزين العابدين كما ذكر، وعليه جرى الشيخ عبد الرءوف المناوى فى " طبقات الصوفية " له، وكذا فى " الصفوة بمناقب آل بيت النبوة " فى ترجمته ﷺ قائلا فيهما ما نصه: وكان ﷺ عاملاً على كتم أسرار الله تعالى فى العالم، كما أشار إليه بقوله:

يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى يرون أقبح ما يأتونه حسنا[1]

انتهى.

وفى " كنز البراهين " للسيد شيخ بن محمد الجفرى العلوى أثناء ترجمته لزين العابدين هذا ما نصه: ومن شعره ﷺ

إنى لأكتم من علمى جواهره كى لا يراه أخو جهل فيفتتنا

---

(١) البيتان نسبا للحلاج أيضا.

وقد تقدم فى هذا أبو حسن إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا

يا رب جوهر علم...

إلى آخر البيتين السابقين، فزاد قبلهما بيتين [٨٨] آخرين، ونسب الكل لزين العابدين.

وفى " اليواقيت " للشعرانى: قال الغزالى: والمراد بهذا العلم الذين يستحلون به دمه هو العلم اللدنى الذى هو علم الأسرار لأمر من يتولى من الخلفاء ومن يعزل، كما قال بعضهم، لأن ذلك لا يستحل علماء الشريعة دم صاحبه ولا يقولون له أنت ممن يعبد الوثن انتهى.

وقال الشيخ عبد الغنى النابلسى فى " إيضاح الدلالات فى سماع الآلات " ما نصه: والمراد به علم الأسرار الذى هو حق فى نفسه لأنه من لوامع الأنوار، ولكن لا تؤديه عبارة ولا تكشفه إشارة، بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم، فلو قالوه بعبارة واضحة وإشارات راجحة لما قدرت العبارات قدره، ولا أظهرت الإشارات أمره، فيفهم منها غير الأهل ما لا يراد، ولا يقدر من لم يكن عنده ذوق ووجدان أن يسلك فيها سبيل الرشاد، وهذا النوع من العلم ورد فى كلام الله تعالى وفى كلام رسله عليهم الصلاة والسلام، واسمه المتشابهات، ولعلماء الرسوم فيه أقوال كثيرة استوفيناها فى كتابنا " المطالب الوفية " فمنهم من أولها، ومنهم من سلمها، وقد نطق بالمتشابهات أيضاً علماء المعرفة من أهل الله تعالى، فسلمها قوم وأنكرها عليهم آخرون، والإنصاف التسليم، والله بكل شىء عليم، والحق أن تكلم أهل المعرفة بما لا يفهمه من علوم الأسرار من غير منكر، لأن التكلم بالمتشابهات سنة الله وسنة رسله، ولكن أهل الجهل والقصور تعدوا أطوارهم ولم يعرفوا أقدارهم، جازاهم الله تعالى بأعمالهم فى الدنيا والآخرة. انتهى منه بلفظه.

وفى " الرحلة العياشية " فى ترجمة صفى الدين القشاشى ﷺ فى الكلام على مكاشفاته ما نصه: ولقد أخبرنى الملا — يعنى إبراهيم الكورانى — أن الشيخ كان مع تمكنه من الحقائق إذا أراد [٨٩] أن يقرأ عليه شيئاً من المواضع المشكلة فى " الفتوحات

" أو غيرها لا يأذن له حتى ينصرف الناس، ويخلو المكان إلا من خواص أصحابه صفة العارفين فقد كان الجنيد ﷺ لا يتكلم فى الحقائق إلا مع خواص أصحابه ويقول: علمنا هذا إنما هو خاص لخاص، وشاهد ذلك كله قوله ﷺ: خاطبوا الناس بما يفهمون.. الحديث، وقول أبى هريرة ﷺ: ملأت من النبى ﷺ وعاءين، أما أحدهما فها أنا أبثه لكم، وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم [1]. وليس هذا الوعاء الآخر إلا علوم الحقائق التى هى خاصة، وقد أخطأ من زعم أنها علم الحدثان، إذ لا يكون ذلك وعاءً يقابل به الوعاء الذى بثه فى الناس من علوم الشريعة، لأن النبى ﷺ إنما ذكر لأصحابه من أمور الكائنات أشياء قليلة لعدم تعلق علم ولا عمل بذلك، بخلاف علوم الحقائق، فقد كان النبى ﷺ مع أصحابه كالشيخ مع المريدين، يأمرهم بالتكاليف والأحكام العامة لسائر المؤمنين، ويخص من شاء منهم بما شاء من الحقائق والمعارف، ويأمر البعض بقيام الليل، ويترك البعض، وينهى البعض عن سرد الصوم، ويقر عليه آخر، كل ذلك منه ﷺ لطفُ تربية وحسن تغذية بالأعمال والمعارف، ومما ينسب لعلى بن أبى طالب ﷺ:

يا رب جوهر علم لو أبوح به...

البيتين. انتهى.

وقوله إن النبى ﷺ إنما ذكر لأصحابه من أمور الكائنات أشياء قليلة، فيه نظر مع قول حذيفة ﷺ: قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، فما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه. وقول أبى ذر وأبى الدرداء رضى الله عنهما: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلا ذكرنا منه علمًا[2]. وقول [٩٠] غير واحد من الصحابة: أن النبى ﷺ حدثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة. وسيأتى ذلك كله بعد إن شاء الله تعالى والصحابة

---

(١) أخرجه البخارى(٢/١٨٦،رقم١٢٠).

(٢) حديث أبى ذر: أخرجه الطبرانى (٣/١٥٥، رقم ١٦٤٧).

الذين أطلعهم النبى ﷺ على شىء من هذه العلوم السرية كثيرون، كسيدنا سلمان الفارسى وغيره، وقد سئل سيدنا علىٌّ عن سيدنا سلمان هذا، فقال: أدرك العلم الأول والآخر، بحر لا ينــزف. بل ما من أحد من أصحابه إلا وقد انفرد عنه بسر مخصوص، وعلم أفرده به على سبيلْ الخصوص، ولذا قال: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم [(1)]. وقال: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. وكفاهم سرا وشرفا وفضلا نظرهم إلى طلعته الكريمة، وتنسمهم لأنفاسه العظيمة التى أجل مطلوب ومنى وأفضل شىء يدرك أو يتمى، أنالنا الله محبتهم ورزقنا رضاهم وعطفتهم، آمين.

اطلاع الأنبياء والرسل على الغيب

ثم اطلاع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ومن كان على قدمهم من ورثتهم على العلم الثالث من العلوم الثلاثة المذكورة أولاً، وهو علم الغيب لا ينكر، قال تعالى خطابا لكفار قريش ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ [آل عمران:١٧٩] أى يطلعه على غيبه، فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة نفسه، وقال ﴿ **عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ** ﴾ أى يطلع ﴿ **عَلَى غَيْبِهِ أحداً** ﴾ [الجن:٢٦] أى من خلقه ﴿ **إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن:٢٧] فإنه يطلعه على ما يشاء من مغيباته بواسطة أو بدونها معجزة له، وتخصيص الرسل لم يُرد به إخراج الولى للقطع بإطلاع الله تعالى أولياءه على كثير من مغيباته، بدليل إخبار غير واحد منهم فى كل عصر وكل قطر بمغيبات ظهر صدقها فى المستقبل، وذلك منقول عنهم بطريق التواتر، بل لإخراج الكهنة والعرافين والمنجمين ونحوهم ممن كانوا يزعمون أنهم يعلمون الغيب، ولذا ورد النهى عن تصديقهم و لم يرد فى [٩١] الشرع نهى عن تصديق الولى فيما يخبر به، بل ورد عن الصحابة ومنهم الخلفاء الأربعة رضوان

---

(١) أخرجه الترمذى فى نوادر الأصول (٦٢/٣).

الله عليهم إخبار بمغيبات كثيرة، وظهر صدقهم فيها بعد، وذلك معلوم عند من مارس أخبارهم وطالعها.

ولهذا قال غير واحد من المعتبرين: إن الولى التابع للرسول داخل معه لاغترافه من بحره، واستمداده من فيضه، كدخول التابع مع المتبوع فيما يكرم به المتبوع، أو يخص من أنواع البر والإتحافات.

وقال تعالى فى حق آدم عليه السلام ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] قال العارفون: يعنى أسماء الكائنات مع مسيماتها، وأسماء الحق تعالى التى لها توجه إلى العالم وتطلب الآثار فيه.

وفى حق إبراهيم عليه السلام ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأنعام:٧٥] قيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما، روى أنه كشف له عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين، وقيل آياتهما، وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض الجبال والأشجار والبحار.

وفى حق يعقوب عليه السلام ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٦٨].

وفى حق يوسف عليه السلام ﴿ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ [يوسف:٣٧] أى بعض من العلوم التى علمنيها.

وفى حق موسى عليه السلام ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٤٥] يعنى من الغيوب وغيرها. وفى الحديث: إن آدم قال لموسى: أنت الذى أعطاه الله كل شيء.

وفى حق سليمان عليه السلام ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ قال المفسرون: يعنى ومنطق [٩٢] كل شيء من حيوان وشجر ونبات وجماد، ويدل لما قالوه قوله بعد ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أى من علمه وما يجرى عليه ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ ﴾ [النمل:١٦]

وفى حقه وحق والده داود عليه السلام ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً ﴾ [الأنبياء:٧٩] أى من العلوم الخاصة الوهبية الربانية التى تنكشف بها الحقائق وتتضح بها المخبآت والدقائق.

وفى حق عيسى عليه السلام ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ [آل عمران:٤٩]

وفى حق الخضر عليه السلام، وهو ولى لا نبى على الصحيح عند العلماء والعارفين ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ [الكهف:٦٥] قال العارفون: وهو علم المكاشفة والاطلاع على المغيبات، وهو العلم اللدنى، وعبارة البيضاوى فى " تفسيره " ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ [الكهف:٦٥] مما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا، وهو علم الغيوب[1]. انتهى.

وفى حق ذى القرنين عليه السلام، وهو على الأصح ومذهب الأكثرين ملك صالح عادل أحب الله فأحبه الله، وناصح الله فناصحه الله، ولم يكن نبيا ولا ملكا ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ ﴾ [الكهف:٨٤] يعنى جعلنا له فيها مكانة واعتلاء وتصرفا يتصرف فيها كيف شاء، قال على: سخر الله له السحاب فحمل عليه، ومد له فى الأسباب، وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء، وسهل عليه السير فى الأرض، وذلل له طريقها. ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يعنى أراده وتوجه إليه ﴿ سَبَباً ﴾ [الكهف:٨٤] أى وصلة توصله إليه من العلم به والقدرة عليه، والآلة التى بها يتوصل إليه.

وفى حق سيدنا محمد ﷺ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ إلى قوله ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ أى عجائب ملكنا وملكوتنا ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ لتلك الآيات ﴿ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء:١] بها، فالضمير فى ﴿ إِنَّهُ ﴾ [٩٣] يعود عليه ﷺ كما هو المتبادر من الآية، وذكره الشيخ الأكبر فى " فتوحاته " قال: فإنه أسرى به

---

(١) تفسير البيضاوى (٣/٥١٠).

فرأى الآيات وسمع صريف الأقلام، فكان يرى الآيات ويسمع فيها ما حظه السماع، وهو الصوت انتهى.

وقال فى حقه أيضاً ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم:١٨] يعنى الآية الكبرى، وهى حقيقته عليه السلام، إذ لم يخلق الله آية هى أكبر منها ولا أفخر ولا أعجب، كيف وهو أول المخلوقات، ولأجلها ومنها تفرعت الكائنات، وقيل معناه الآيات العظام، أى الآيات التى هى أكبر الآيات وأعظمها وأجلها، دفعا لما يتوهم من أنه إنما اطلع على الآيات الصغار، وكيف وهو أفضل الخلق وأكرمهم على الله تعالى، فالمناسب لقدره كبار الآيات لا صغارها مما لم يكشف لأحد سواه ﷺ.

وقال فى حقه أيضاً ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٥١] يعنى من أمور الدين وأحوال الدنيا والآخرة وما يجرى فيهما.

وقال ﴿ وَأَنـزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ [النساء:١١٣] قيل ما لم تكن تعلم من أمر الدين وأحكام الشرع، وقيل من علم الغيب، وقيل من خفيات الغيوب وضمائر القلوب، وأسرار المنافقين وكيدهم، وغير ذلك.

وقال ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾ [الحج:١٨] فأخبر أنه أشهده سجود كل شيء من العالم العلوى والسفلى فشهده ورآه، ولذا قال له ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ولم يقل: ألم تروا، فكان سجودهم لنا إيمانا، وله ﷺ مشاهدة وعيانا، وكذا قال ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [النور:٤١] فإنه أخبر أنه [٩٤] أشهده أيضاً تسبيحهم وعبادهم ونطقهم، وذلك يتضمن أيضاً سماعه لأصواهم ومعرفته بلغاهم.

وقال فى حق أهل الكشف الذين رسول الله ﷺ رأسهم وإمامهم ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ اليَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾

[النحل:٤٨] فأخبر أنه أشهدهم ظلالات العالم وتفيأها يمينا وشمالا وسجودها لله تعالى وهى داخرة، أى ذليلة حقيرة، وما شهدوا ذلك إلا به ﷺ وبمرآته، وقد تواترت الأخبار واتفقت معانيها على اطلاعه ﷺ على الغيب كما ذكره عياض فى " الشفا " وغيره، وأجمع العلماء على أنه أوتى من علم المغيبات ما لم يؤت غيره من سائر المخلوقات.

علمه ﷺ اتسع اتساعاً عظيماً خارقاً للعادات، خارجاً عن دائرة العقول القاصرة والكمالات

وذكر أرباب القلوب أن علمه ﷺ اتسع اتساعاً عظيماً خارقاً للعادات، خارجاً عن دائرة العقول القاصرة والكمالات، وأن الله تعالى أطلعه على كل ذرة من ذرات العالم الكونى، وعلى حقيقتها وما هى عليه فى نفسها، وعلى أسمائها ومفهوماتها وما يجرى عليها من ابتداء خلقها إلى انتهائه، وعلى جميع لغات الحيوانات كلها، والجمادات بأسرها، والمخلوقات بأجمعها أصولها وفروعها، وأنه علم من العلوم والأسرار والمعارف والفهوم ما علمه آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء والملائكة الكرام وسائر الخلق من الأولين والآخرين، وزاد عليهم بعلوم أخر لا تحصى ولا تحصر، **انفرد بها عنهم واختص بها دونهم، ولم يبثها لجبريل ولا لميكائيل ولا لغيرهما، لأنه لا تطيقها إلا ذاته الكريمة، ولا يقدر على حملها سواه ﷺ** وإن علوم [٩٥] الأولين والآخرين وسائر المخلوقات أجمعين بالنسبة إلى علمه ﷺ كنقطة من بحر، أو حبة رمل من بين الرمال، وهذا لا يستغرب فإن ربنا سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ويؤتى من شاء ما شاء بلا حجر عليه، يفعل ما يشاء ويعطى بلا سبب، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وذكروا أيضاً أن علوم العلماء كلهم لا تخلو عن شيء من الاحتمالات والظنون، ولو فى بعض المسائل دون علومه ﷺ الذاتية الباطنية، فإنه لا يدخلها احتمال بوجه، ولا شيء من الشكوك والأوهام لإطلاع الله إياه على حقائق الأمور ﷺ، وبقولنا

الذاتية الباطنية يندفع ما يقال إنه ورد عنه التوقف والتردد فى أشياء كثيرة، فإن التوقف والتردد فيها إنما هو بالنظر إلى العلم الظاهرى أعنى المكتسب من الوحى بنـــزول الملك، فإذا لم ينـــزل عليه الوحى فى شىء توقف فيه وتردد حتى ينـــزل، لا بالنظر إلى العلم الذاتى الباطنى الحاصل كشفا، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعتمدون فى ظاهر علمهم إلا على الوحى لعلو مرتبته بمجىء الملك به، ولأمر الله لهم باتباعه كقوله لنبينا ﷺ ﴿ اتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [الأحزاب:٢] وأشدهم اتباعا له واعتمادا عليه نبينا ﷺ ولذا قال ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الأحقاف:٩] ويتركون مقام كشفهم وعلمهم الباطنى غالباً لأنه فى الجملة مقام من دونهم من الأولياء والصالحين.

تعليم آدم الأسماء كلها

وقد ذكر كثير ممن ألف فى علم الجفر والحدثان، وكذا فى علم الأوفاق وخواص الأسماء، إن الله تعالى علم آدم عليه السلام الأسماء كلها، ما ظهر منها وما بطن، وعلمه إياها بالقلم الذى فى اللوح [٩٦] المحفوظ، وأنه تعالى اختاره لسره المكنون وعلّمه المخزون، وعلمه سبعين ألف باب من العلم وسبعمائة ألف لغة أفضلها العربية، وبعض المحدثين ذكر أن تعليمه لهذه اللغات كلها لم يثبت، وأن المعول عليه أنه علمه اثنين وسبعين أو ثمانين لسانا، وعلمه أيضاً الاسم الأعظم الذى دانت له الملوك، وأنـــزل عليه الكلمات التامات الوجودية والعدمية، وعلمه ألف حرفة، وأنـــزل عليه عشر صحائف، وكان يسبح فى بحار الأسماء، وهو أول من تكلم فى علم الحروف والأسماء، وقد كانت تتشكل له فى قوالب نورانية عند إرادة مسمياتها، وهى خاصية اختصه الله بها، وأنـــزل عليه كتاب حروف المعجم وهى تسعة وعشرون حرفا بلام الألف فى إحدى وعشرين ورقة، وأطلعه على أسرار أولاده وما يحدث لهم إلى يوم القيامة، وله كتاب جليل فى علم الحروف يسمى بـــ " سفر الخفايا " وهو أول كتاب وجد فى الدنيا فى علم الحروف والأسماء، وقد أخذ عنه ولده شيث كتاب " الملكوت وعلم

الجبروت " الذى وضعه، وهو ثانى كتاب وجد فى الدنيا فى علم الحروف أيضا، وله فيها أيضاً كتاب " السفر المستقيم " وهو ثالث كتاب وجد فى الدنيا، ومن هذه الكتب الثلاثة تفرعت سائر العلوم الحرفية والاسمية والفردية إلى يومنا هذا، ثم ورث علم الحروف عنه ابنه شيث عليه السلام، وهو نبى مرسل، أنـــزل الله عليه خمسين صحيفة، وهو وصى آدم وولى عهده، واختص من بين أولاده بعلم الأسماء الإلهية التى هى مفاتيح العطايا، أى تترتب عليها الأعطيات كالوهاب والفتاح، فبيده مفاتيح العطايا على اختلاف أصنافها ونسبها، ومن روحه يستمد كل من يتكلم فى هذا العلم من الأرواح، سوى خاتم الأولياء فإنه لا تأتيه المادة إلا من [٩٧] الله تعالى، راجع الفصوص، وهو الذى بنى الكعبة بالطين والحجر، وله سفر جليل الشأن فى علم الحروف.

قال الشيخ الأكبر: اجتمعت به وقرأته عليه، وهو رابع كتاب وجد فى الدنيا، ثم توارث علم الحروف عنه بنوه إلى إدريس عليه السلام، وهو نبى مرسل، وإليه انتهت الرياسة فى العلوم الحرفية والأسرار الحكمية واللطائف العددية والأدوار الفلكية، وهو أول من خط بالقلم، وأول من أظهر المكاييل والموازين، وأول من استخرج علم النجوم، أى علم الحوادث التى تكون فى الأرض باقتران الكواكب، وهو علم صحيح لا يخطئ، وإنما يقع الخطأ للناظر فيه لعدم استيفائه النظر، وهو أخذه عن الله تعالى أعلمه تعالى بما أوحى فى كل سماء، وما جعل فى حركة كل كوكب، وبين له اقترانات الكواكب ومقادير الاقترانات، وما يحدث عنها من الأمور المختلفة بحسب الأقاليم وأمزجة القوابل ومساقط النطف فى أشخاص الحيوانات، فيكون القران واحدا ويكون أثره فى العالم العنصرى مختلفا بحسب الإقليم وما تعطيه طبيعته، وشروطه كثيرة يعلمها أهل ذلك الشأن، وهو أيضاً أول من تصدى للدعاء بالأسماء الأربعينية المشهورة دون غيره من الأنبياء، وأخذها بالتلقى عنه بعض الأولياء، وقد أخذها الحسن البصرى عن سيدنا على ﷺ وهو عن رسول الله ﷺ وأخرجها عن الحسن بالسند إليه ابن أبى الدنيا فى كتاب " الدعاء " وذكرها أبو طالب المكى فى " القوت " والسيد محمد الغوث فى "

جواهره " والسيوطى فى " فتاويه " وغيرهم، وهى فى الأصل أعجمية ثم عربت، وعليها شروح عديدة، وذكروا لها خواص كثيرة، بعضها إذا قرئت معربة، وبعضها إذا قرئت على الوجه [٩٨] المسموع فيها ولو كان مخالفا للعربية طالع تطلع، وعلمه جبريل عليه السلام أيضاً علم الخط وعلم الرمل، وبه أظهر الله نبوته، وقد ازدحم على بابه الحكماء، واقتبس من مشكاة أنواره العلماء، قيل وهو هرمس الحكيم الذى تسميه الحكماء هرمس الهرامسة، إذ كان جماعة من الحكماء يسمون بهرمس، وألف كتاب " كنـــز الأسرار وذخائر الأبرار ".

وقال الشيخ الأكبر: وقد شرحه تنكلونا البابلى، وكذا ثابت بن قرة الحرانى قال: ولما أطلعنى الله على العوالم الماضية سألته عن شرحيهما فقال إنهما لم يعلما إلا الظاهر وأنه إلى الآن مقفل محله لى، فرأيت فيه أسرارا غريبة لا يهتدى إليها إلا فحول الأفراد من الأفراد. انتهى. وهو خامس كتاب فى علم الحروف وجد فى الدنيا، وورث علم الحروف والأسرار عنه الهرامسة وهم أربعون رجلا، وكان أمهرهم الفيلسوف الحكيم الذى هو أبو الحكماء والأطباء، وهو أول من أظهر الطب، ثم ورثه عنهم متوشلخ، ثم لامك، ثم نوح عليه السلام، وله سفر جليل القدر فى علم الحروف والأسرار، وهو سادس كتاب وجد فى الدنيا، ثم ورثه عنه سام، ثم أرفخشد، ثم شالخ، ثم عابر، وهود عليه السلام وله فيه سفر جليل القدر، وهو سابع كتاب وجد فى الدنيا.

قال الشيخ الأكبر: قرأته عليه وسألته عن مسألة فعرفنى بها، ثم ورث ذلك عنه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو أول من تكلم فى علم الأوفاق، وفيه أنه وضع مربع مائة فى مائة فى أساس مكة، وله فى علوم الأسرار والأوفاق والحروف سفر جليل القدر عظيم الشأن، وهو ثامن كتاب وجد فى الدنيا، ثم إسماعيل، ثم إسحاق، ثم يعقوب، ثم يوسف، ثم موسى عليه السلام، وقد علمه الله علم [٩٩] الكيمياء، وقد وضع الوفق المسدس على صفيحة من ذهب واستخرج به تابوت يوسف من نيل مصر كما أمره الله، ثم يوشع، ثم داود، ثم سليمان، ثم عيسى، ثم سيدنا محمد ﷺ، ثم ورثه عنه سيدنا على بن أبى طالب، وهذا آخر الخلفاء، كما أنه ﷺ آخر الأنبياء.

قال الشيخ الأكبر فى كتاب " الجفر " له: وما رأيت فيمن اجتمعت بهم أعلم منه، وهو أول من وضع مربع مائة فى مائة فى الإسلام، قال: وقد صنف " الجفر الجامع فى حقائق الأسماء وأسرار الحروف " وفيه ما جرى للأولين ويجرى للآخرين، وفيه اسم الله الأعظم، وتاج آدم، وخاتم سليمان، وحجاب آصف، وما زال أهل التوفيق من السلف كأبى محمد الحسن البصرى وسفيان الثورى يغترفون من بحر أسراره، وأهل التحقيق من الخلف يقتبسون من مصباح أنواره، وكانت الأئمة الراسخون من أولاده يعرفون أسرار هذا الكتاب، وهو ألف وسبعمائة مصور، والمعروف بـ " الجفر الجامع والنور اللامع " وهو عبارة عن لوح القضاء والقدر.انتهى.

وذكر السيد الجرجانى فى " شرح المواقف " فى مقصد تعلق العلم بمعلومَيْن عند ذكر الجفر والجامعة أنهما كتابان للإمام على بن أبى طالب، يستخرج منهما أحوال الحوادث إلى آخر الدهر برموز وحروف مقطعة. انتهى، نقله فى " الرحلة العياشية ".

وفى " كشف الظنون " فى ترجمة علم الجفر والجامعة، ما نصه: وقد ادعى طائفة أن الإمام على بن أبى طالب ﷺ وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريق البسط الأعظم فى جلد الجفر، يستخرج منها بطرق مخصوصة - وشرائط معينة وألفاظ مخصوصة ما فى لوح القضاء والقدر، وهذا علم توارثه أهل [١٠٠] البيت، ومن ينتمى إليهم ويأخذ عنهم من المشايخ الكاملين، وكانوا يكتمونه عن غيرهم كل الكتمان، وقيل لا يفقه ما فى هذا الكتاب حقيقة إلا المهدى المنتظر لخروجه فى آخر الزمان، ثم قال: وقال ابن طلحة: الجفر والجامعة كتابان جليلان أحدهما ذكره الإمام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وهو يخطب بالكوفة على المنبر، والآخر أسره إليه رسول الله ﷺ وأمره بتدوينه فكتبه على ﷺ حروفا متفرقة على طريق سفر آدم فى جفر قال يعنى فى رق قد صنع من جلد البعير، فاشتهر بين الناس به لأنه وجد فيه ما جرى للأولين والآخرين. انتهى المراد منه.

وقال ابن حجر الهيتمى فى المنح المكتسبة لدى قول البوصيرى فى على ﷺ:

لم يزده كشف الغطاء يقينا... إلى آخره ما نصه: واختلى بعد موته ﷺ فكتب كتابا فيه العلوم الجمة، حتى قال ابن سيرين: لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله. انتهى.

وفى " الجرعة الصافية والنفحة الكافية " للأستاذ المربى القطب سيدى المختار بن أحمد الكنتى بعد ما ذكر فيها أن العلوم ثلاثة كما ذكرنا أولا، وأن علم الحقيقة علمه رسول الله ﷺ لخواص أمته، وأن علم الكوائن وتواريخ الدنيا وتصاريف الدول اختص به سيدنا حذيفة بن اليمان ما نصه: وأما على ﷺ فقد أوتى من ذلك العجب العجاب، وقد كان فيه بحرا عبابا، حتى زعمت طائفة من الشيعة أنه نبى محتجين بقوله ﷺ: أنت منى بمنـــزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى[1]. فرفضوا قوله: لا نبى بعدى. فكفروا لتكذيبهم كتاب الله فى قوله ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب:٤٠] ورمته الرافضة بالكفر والزندقة لما بلغهم عنه [١٠١] من غريب علوم الباطن والحقائق الربانية، ولذلك قال: يا رب جوهر علم.. البيتين. ولذلك قال الصادق المصدوق ﷺ: إنك يا على مثل عيسى يهلك فيك اثنان: محب مفرط ومبغض مفرط. وكان الأمر كذلك، فهو الذى استنبط علم النحو والكيمياء والأسطرلاب وأسرار الحروف والحساب والتنجيم وعلم الجفر والأوفاق والتفسير والفرائض ودقائق القسمة، إلى غير ذلك، ثم قال: ثم ورثه عنه أولياء التابعين فتابعيهم، وقد فتح الله عليهم على قدر مراتبهم، قد علم كل أناس مشربهم، وامتد ناموسه فى أولياء الله تعالى فى كل قرن وجيل إلى يومنا هذا فيستعلنون عند صلاح الأمة على سبيل الانتفاع لهم، ويستخفون عند فسادها حرمانا، وعددهم ثابت لا ينقص، ولقد ظهر فى سلسلة الذهب من ذلك العجب العجاب. انتهى.

ونحوه له فى " الرسالة العامة " وقد ذكر الإخباريون عنه ﷺ أنه أرجف بالكوفة أن معاوية قد مات، فقال ﷺ إذ بلغه ذلك: والله ما مات، ولن يموت حتى يملك ما

---

(١) حديث مسلم برقم (٣٠/٢٤٠٤).

تحت قدمى هاتين، وإنما أراد ابن هند أن يشيع ذلك حتى يستبرئ علمى فيه. فمن يومئذ كاتب أهل الكوفة معاوية وعلموا أن الأمر صائر إليه. ذكر ذلك ابن عطاء الله فى " لطائف المنن " شاهدا لما ذكره من أن اطلاع الأولياء على بعض الغيوب لا يحيله العقل، وقد ورد به النقل.

وفى " الدلائل " لأبى نعيم، و " سيرة الملائى " عن أصبغ بن نباتة قال: أتينا مع على فمررنا بموضع قبر الخميس فقال ها هنا مناخ ركائبهم، وها هنا موضع رحالهم، وها هنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد ﷺ يقتلون بهذه [١٠٢] العرصة تبكى عليهم السماء والأرض.

وفى " الزهد " لأحمد و " الدلائل " للبيهقى عن الحسن قال قال على لأهل الكوفة: اللهم كما أمنتهم فخانونى فسلط عليهم فتى ثقيف الزيال الميال يأكل خضرتها، ويلبس فروتها، ويحكم فيها بحكم الجاهلية. قال الحسن: وما خلق الحجاج يومئذ.

وأخرج ابن أبى شيبة عن على ﷺ قال: ينقص الإسلام حتى لا يقال الله الله، فإذا فعل ذلك ضرب يعسوب الدين – أى سيد الناس فى الدين يومئذ – بذنبه. أى أنه يثبت هو ومن يتبعه على الدين بالضرب بالذنب، مثل للإقامة والحسبان حتى يثوب الناس إليه، وحتى يظهر الدين ويفشو، فإذا فعل ذلك بعث قوم فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف، والله إنى لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم[1].

وأخرج نعيم بن حماد فى " الفتن " عنه أيضاً قال: ما من ثلاثمائة تخرج إلا ولو شئت سميت سائقها وناعقها إلى يوم القيامة. قال فى " الجمع " وتبعه فى " كنز العمال ": وسنده صحيح.

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة (٤٥٢/٧، رقم ٣٧١٥٣).

وأخرج أيضاً ابن أبي شيبة عنه قال: سلونى، فوالله لا تسألونى عن فئة إلا بدأتكم بسائقها وقائدها وناعقها ما بينكم وبين قيام الساعة(١).

وأخرج الإسماعيلى فى " معجمه " عن ابن عباس: أن عليا ﷺ خطب الناس فقال: يا أيها الناس ما هذه المقالة السيئة التى تبلغنى عنكم؟ والله ليقتلن طلحة والزبير ولتفتحن البصرة، ولتأتينكم مارة من الكوفة ستة آلاف وخمسمائة وستون أو خمسة آلاف وستمائة وخمسون. قال ابن عباس فقلت: الحرب خدعة. قال: فجاءت فأقبلت أسأل الناس كم أنتم؟ فقالوا: كما قال. فقلت: مما أسره إليه رسول الله ﷺ أنه علمه ألف ألف كلمة، كل كلمة [١٠٣] تفتح ألف كلمة(٢).

وأخرج الحافظ أبو الفتح اليعمرى فى كتابه " المقامات العلية فى الكرامات الجيلية " بسنده إلى زيد بن وهب قال: جاء وفد من البصرة، فيهم رأس من الخوارج يقال له جعدة بن بعجة، فخطب وحمد الله، ثم قال: يا على اتق الله فإنك ميت. فقال على: بل مقتول قتلا، تصاب هذه فتخضب هذه، عهد معهود وقضاء مقضى، وقد خاب من افترى. فكان كما ذكر. وقد ذكره المحب الطبرى فى " الرياض النضرة " وعزاه لأحمد، والآثار عنه فى هذا كثيرة جدا.

وممن ورث عنه هذا العلم ولداه رضى الله عنهما ثم ورثه عنهما الإمام على زين العابدين، وهو القائل: إنى لأكتم من علمى جواهره... إلى آخر الأبيات السابقة، ثم ورثه عنه ابنه محمد الباقر، وهو الذى تبقر فى العلوم وتوسع فيها، وأظهر من كنوز المعارف ومخبآت الأسرار واللطائف ما لايخفى إلا على منطمس، ثم ورثه عنه ابنه جعفر الصادق، وقد نقل عنه أنه كان يتكلم بغوامض الأسرار والعلوم الحقيقية، وهو ابن سبع سنين أو أقل، وهو الذى صنف الحامية فى علم الحروف والأسرار الكبرى

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (١/ ٤٠، رقم ٤٥).

(٢) أخرجه أبو بكر الإسماعيلى (٢/ ٦٢٣) وفيه الأجلح صدوق شيعى جلد.

والصغرى، وينسب له أيضاً كتاب فى الجفر يسمى الجامعة، قال الدميرى فى " حياة الحيوان " فى باب الجيم فى الجفرة ما نصه: قال ابن قتيبة فى كتاب " أدب الكاتب ": وكتاب الجفر، جلد جفر أى جمل صغير، كتب فيه الإمام جعفر بن محمد الصادق لآل البيت كل ما يحتاجون إلى علمه، وكل ما يكون إلى يوم القيامة، وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرى بقوله:

لقد عجبوا لآل البيت لما　　أتاهم علمهم فى مسك جفر
ومرآة المنجم وهى صغرى　　أرته كل عامرة وقفر

[١٠٤]وقال فى ترجمة الظبى ما نصه: وجعفر أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الإمامية من سادات أهل البيت، ولقب الصادق لصدقه فى مقالته، وله مقال فى صنعة الكيمياء والزجر والفأل، وتقدم فى باب الجيم فى الجفرة عن ابن قتيبة أنه قال فى كتابه " أدب الكاتب ": أن كتاب الجفر جلد جفر، كتب فيه الإمام جعفر الصادق لأهل البيت كل ما يحتاجون إلى علمه، وكل ما يكون إلى يوم القيامة. وكذا حكاه ابن خلكان عنه أيضا، وكثير من الناس ينسبون كتاب الجفر إلى على بن أبى طالب ﷺ وهو وهم، والصواب أن الذى وضعه جعفر الصادق كما تقدم انتهى.

قلت: يقتضى كلامهم أنهما كتابان أحدهما لسيدنا على، والآخر لسيدنا جعفر، ولا بعد فى ذلك.

وقد كان سيدنا جعفر هذا ﷺ يقول: سلونى قبل أن تفقدونى، فإنه لا يخبركم أحد بعدى بمثل حديثى، وألف تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الطوسى كتابا يشتمل على ألف ورقة يتضمن رسائل، وهى خمسمائة رسالة، ونقل عنه من العلوم ما صارت به الركبان، وانتشر صيته فى سائر البلدان.

ووفاة جعفر الصادق سنة ثمان وأربعين ومائة، وتلميذه جابر المذكور سنة ستين ومائة، وهو الذى ألف كتاب " العمر فى الصنعة " من جملة مائة واثنى عشر كتابا، وقد كتب بعضهم على بعضها:

هذا الذى بمقاله　　غر الأوائل والأواخر

مـــا أنـــت إلا كاســـر كـــذب الـــذى سمـــاك جابـــر

وذلك أنه يذكر الأعمال، ويذكرها ناقصة – كما هى عادة أهل هذا الفن غالبا – فيتعب الناس فى تكميلها بعقولهم وأفكارهم، فلا تكمل لهم، فتذهب أعمارهم فى ذلك وتفنى بدون طائل.

ثم ورث هذا العلم عن سيدنا جعفر ممن ورثه عنه ولده موسى الكاظم، وقد كان [١٠٥] ﷺ من أهل الغيب المطلعين على علوم الغيب، يتكلم على الخواطر وينبئ عما فى الضمائر، وظهرت على يده كرامات، وانفعلت له الأشياء بقدرة خالق الأرض والسموات، وله بكاء وخشوع وأنين وتضرع وخضوع، وفيه يقول القائل:

قـــــرب الله لآل المصـــــطفى لم مـــا يـــأتى ومـــا عـــنهم ســـبق

قـــبس مـــن قـــبس مـــن نورهم لـــو تجـــلى إلى ســـيناء انـــحـــرق

قـــزع عـــين الدهـــر ثم أعمـــده كـــم الجفـــر وموســـى قـــد نطـــق

قطـــن الشـــانى لهـــم فى ســـقر كـــلما أومـــض رعـــد أو بـــــرق

وهى أبيات كما نرى لطيفة النظم والشكل، كل بيت منها مبدوء بالقاف ومختوم به، وأول كل بيت بعد الأول مقلوب آخر ما قبله، ونرى فى آخر الأبيات مقلوب قرب فى أولها.

ثم ورثه عنه ولده على الرضا ومناقبه معلومة مشهورة، نقل أن الخليفة المأمون لما عهد بالخلافة من بعده إلى على الرضا هذا وكتب إليه كتاب عهده بذلك كتب هو فى آخر ذلك الكتاب: نعم ألا إن الجفر والجامعة يدلان على أن هذا الأمر لا يتم، فكان كما قال لأن المأمون استشعر فتنة من بنى هاشم فسمه، كذا فى " كشف الظنون " نقلاً عن كتاب " مفتاح السعادة ".

ولم يزل هذا العلم متوارثا إلى يومنا هذا، يأخذه الولد عن الوالد، والرجل عمن يسمح له به من الأساتذة الأماجد، فليأخذه من يأخذه عن أهله، واضعا الفرعة على أصله، ومن ظفر بشيء منه فليشكر الله على فضله، والله الموفق للسالك وهو الهادى إلى أقوم المسالك.

وللشيخ الأكبر محيى الدين ابن العربى الحاتمى كتاب " الجفر [١٠٦] الكبير " الذى جعله مفتاحا لكتاب " الجفر الجامع والنور اللامع للإمام على ﷺ " وهو كتاب حافل، وفيه غرائب من هذا الفن، وتنسب له أيضاً كتاب الدارة المسمى بـ " الشجرة النعمانية فى الدولة العثمانية " ذكر فيه أحكام الحوادث المتعلقة بابن قطن خاصة، وفيه أيضاً غرائب، والناظر فيه يحتاج إلى معرفة رموزه واصطلاحاته، والأكثر فيه الخطأ والغلط، ويحتاج من يريد التحقيق فى هذا الفن الذى هو علم الجفر إلى معرفة مفاتيحه، وهى على الإجمال ثلاثة:

الأول منها: علم الفلك والنجوم وأسرارها وما يتعلق بها.

الثانى: علم أسرار الحروف وتركيبها وبسطها واستنطاقها.

الثالث: علم الوحى والكشف والإلهام.

والوحى وحيان: وحى الله لأنبيائه، وقد انقطع بوفاته ﷺ، ووحى المبشرات فى المنام لأوليائه، وهو عام موجود إلى الآن، وهذا الثالث الذى هو علم الوحى إلى آخره أتم وأوسع وأتقن وأجلى وأيقن وأظهر، ثم إن كتاب " الشجرة " هذا مشروح، شرحه جماعة منهم الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، وبعضهم يقول: لا تصح نسبته للشيخ بحال، والله أعلم بحقيقة الحال، وأشرنا إلى هذا وإن كنا غنية عن ذكره، ولسنا بصدد بيانه ونشره، تنبيها على شىء مما أوتيه عليه الصلاة والسلام من علم الغيب، وورثه عنه أنبياء الله ورسله أو غيرهم من رجال الغيب، وليكن فى جليل فكرك وخفى سرك أن أولياء هذه الأمة المحمدية وأفرادها المختصة الماجدية استفادت منه عليه الصلاة والسلام مما تكلُّ عنه الألسن، وتقصر عنه الأفهام من المخبآت والعلوم [١٠٧] والأسرار والمعارف الإلهية الجليلة المقدار بل خاضوا معه فى جانب من بحر علومه، ووصلوا إلى شىء مما اختص به من مغايبه وفهومه تبعًا له لا استقلالا هكذا، وإلا فلا يتسنى بعض كمل ورثته من أهل الله وخاصته، وهو الشيخ أبو الغيث بن جميل اليمنى كما عزاه له الشيخ الأكبر فى " فتوحاته " والجيلى فى " إنسانه " وغير واحد، وقيل الشيخ أبو يزيد البسطامى، وذكر ابن حجر المكى فى " فتاويه الحديثية " أن هذا القول

لم يصح عنه، يعنى وإن اشتهر عنه وسنه له الجم الغفير من العلماء، وقيل الشيخ الأكبر عزاه له النابلسى فى " شرحه للطريقة المحمدية " كما يأتى عنه، وكذا فى " شرح الفصوص " وغيره: خضت بحرًا وقفت الأنبياء بساحله. وفى رواية: خضنا بحورًا وقفت الأنبياء بسواحلها، فإن هذه البحار هى علومه ﷺ المختصة به، أطلع الله تعالى بعض ورثته ﷺ على شىء منها بطريق التبع له والاقتداء به حتى خاضوا فيها وعاموا ونالوا منها النصيب الأوفر والحظ الأكبر، ووقفت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بسواحلها أى علموا أنه عليه الصلاة والسلام نبى الأتقياء ورسول الرسل وأنه سيبعثه الله بعلوم الأولين والآخرين من غير أن يعلموا بتفاصيل تلك العلوم ولا أن يخوضوا فيها بسبب تقدمهم واستئخاره، وعبارة النابلسى فى " شرحه للطريقة المذكورة " لدى ذكره فيه: إن الولى الوارث الكامل المحمدى بسبب إرثه لخاتم النبوة يعلم ما لم يعلمه الأنبياء الأولون، وإن كان النبى الواحد منهم أفضل من جميع أولياء الأمة المحمدية، إذ الفضلية اختصاص إلهى لا بكثرة [١٠٨] العلم ما نصه: إذا تقرر لك هذا وثبت عندك فاعلم أن من هذا القبيل قول الشيخ الأكبر ﷺ: خضنا بحرًا وقفت الأنبياء بساحله، فإن البحر هو علم ختم الولاية الموروث من خاتم النبوة محمد ﷺ والأنبياء وقفوا بحر خاتم النبوة بلا شبهة لأنهم لم يدركوه، ولا تأخروا عنه ليخوضوا بحر علومه مثل أتباعه الوارثين له، ومثله قول الشيخ عمر بن الفارض ﷺ فى قصيدته التائية حيث قال:

لقد خضت بحرا دونه وقف الألى ... بساحله صونا لموضع حرمتى[1]

ومثل هذا كثير فى كلام الورثة المحمديين انتهى.

وقيل إن معنى هذا الكلام الشكوى بالضعف والعجز عن اللحاق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنهم خاضوا بحر التوحيد، ووقفوا بالجانب الآخر يدعون الناس إلى الخوض. أى فلو كنت كاملا لوقفت حيث وقفوا، واستحسن بعضهم هذا الجواب،

---

(١) البيت من الطويل.

وقال: إنه اللائق بحال الكمل من الأولياء لما هو مشهور عنهم من التعظيم لمقام النبوة والقيام معهم بكمال الأدب.

وقال الشيخ القطب مولانا عبد القادر الجيلانى ﷺ: معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه. هكذا روى عنه الإمام محيى الدين ابن العربى فى " فتوحاته " بإسناده، ونقله الجيلى فى " إنسانه " وهو من معنى ما قبله يقول ﷺ: معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب لقب النبوة المؤذن بالرفعة والجاه والمقام العظيم الذى لم يؤته أحد غيركم، وحجر علينا نحن إطلاق هذا اللفظ وأوتينا ما لم تؤتوه، يعنى من الخوض معه ﷺ فى بحار علومه المختصة به، ولم تنالوا ذلك أنتم بسبب عدم[١٠٩] إدراككم لزمانه، وعدكم من أمته المختصة به فى أوانه. وقيل معنى قوله: وأوتينا ما لم تؤتوه يعنى من العلوم الكونية، فهو كقول الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام: يا موسى إنى على علم من علم الله، علمنيه الله لا تعلمه أنت. أى وهو علم المكونات الذى زهد فيه النبيون والمرسلون، ورغبوا عنه رغبة فى العلم بالله تعالى وبذاته المقدسة، وصفاته المكرمة، وأسمائه المعظمة، الذى هو أشرف العلوم على الإطلاق. وقيل أراد بالأنبياء الأولياء فى زمانه، وهم الأولياء الذين هم على أقدام الأنبياء، ويغترفون من بحار علومهم، ويستمدون من إمداداتهم وفهومهم، فيكون قد صرح بأن الله تعالى أعطاه ما لم يعطهم، ومثل هذا لا ينكر، إذ كان قطب دهره وفريد عصره، والله المعطى لفضله، وهو الممتن على من يشاء بما شاء من نيله، وفى التائية الكبرى لابن الفارض:

فعالمنا منهم نبى ومن دعا إلى الحق منا قام بالرُّسلية

وعارفنا فى وقتنا الأحمدى من أولى العزم منهم آخذ بالعزيمة[1]

وعلى هذا قول العارف المصرى: بين الأرواح من الحسن والحسين نبيان. يعنى أنهما من أنبياء الأولياء أى ساداتهم . . . هو الخبر عن أمر عظيم، فهم أنبياء بالمعنى اللغوى،

---

(١) البيتان من الطويل.

والانتقال علوم الأنبياء إليهم بالإرث عنهم، ولمولانا عبد الغنى النابلسى فى كلام العارف المصرى هذا رسالة مستقلة، أوضح فيها الكلام بغاية المرام، فالله يجازيه. وليكن هذا آخر هذه المقدمة التى هى للمقصود فاتحة ومتممة.

المقصد الأول[١١٠]

فى بيان إحاطة الذات المحمدية بالعلوم الجديدة الكونية، وبيان أن لها من علوم الذات والصفات ما ليس عند غيرها من جميع المخلوقات

اعلم هداك الله ووفقك، ولكل رشد وفلاح أهّلك وأرشدك أنه لا خلاف بين أهل العلم كلهم فى أنه عليه الصلاة والسلام كان معلما من قبل الله تعالى بالمغيبات الكثيرة التى لا تنحصر كثرة وعددا، ولا ينقضى ظهورها مدى الدهور أبدا، وفى أنه أوتى من علوم الكوائن الماضية والحاضرة والمستقبلة ما تعجز عنه عقول البشر، ولم يؤته نبى ولا رسول قبله، ووقع نـــزاع عظيم وخبط شديد وهيم بين المتأخرين من المشارقة والمغاربة فى أن علمه عليه السلام كان محيطا بالأشياء كلها حتى الخمس والروح، وما هو فى معناهما، أو غير محيط بها، والإحاطة بالأشياء جميعها إنما هى لله تعالى وحده، أو محيطا بها ولكن لا كإحاطة علم الله، بل إحاطة ما لا تخلو عن شىء مخصوص منها، استأثر الله به، أو متوقف فيه فلا يقال فيه إنه محيط ولا غير محيط لتعارض الأدلة، وعدم وجود قاطع، أقوال أربعة.

القول الأول فى بيان إحاطة الذات المحمدية بالعلوم الجديدة الكونية

فممن أفتى بالأول – وهو القول بالإحاطة – من المغاربة قاضى سجلماسة وأعلمها فى وقته الفقيه العلامة المشارك المحقق أبو مروان عبد الملك بن محمد السجلماسى التاجموعتى، المتوفى فى صفر سنة ثمان عشرة ومائة وألف، لما سأله عن هذه المسألة جدنا للأم المحب فى الجانب النبوى، المداح له العلامة المؤلف الناظم الناثر الصوفى الولى الصالح أبو العباس أحمد بن عبد الحى الحلبى الشافعى نـــزيل فاس ودفينها، وقال فى جوابه له: إن النبى ﷺ لم يفارق الدنيا حتى علم كل شىء. ولما بلغ جوابه هذا

لعلماء [١١١] فاس وما هو فى حكمها أنكروه، وبالغوا فى التشنيع عليه حتى إن بعضهم تسب معتقده هذا إلى الكفر، فلما بلغه هذا الإنكار رد عليهم أبلغ رد فى جواب له كتبه فى هذه المسألة، وقال فيه: وإنى لأقضى العجب من المنكرين لذلك مع ورود الأحاديث الصحيحة به، ففى " كبير " الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما عنه ﷺ قال: أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس[1].وعن عبد الله بن مسعود ﷺ مثله.

وقد تقرر أن الاستثناء معيار العموم، وعليه فعلمه ﷺ محيط بكل شيء سوى الخمس، والخمس قد علمها ﷺ بعد على ما عليه المحققون إذ هو ﷺ من لدن بعثه الله إلى أن قبضه فى الترقيات والتجليات فبحسبها ورد: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. لا تفضلوا بين الأنبياء. ثم ورد بعد أنه علم الخمس، وأنه سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائه. وقال الحافظ السيوطى: أوتى ﷺ علم كل شيء إلا الخمس، وقيل إنه أوتيها أيضاً وأمر بكتمها، والخلاف جارٍ فى الروح.

إذا تقرر هذا علم أنه ﷺ أحاط بكل شيء علما فضلا من الله تعالى فما يقال لفضل الله ذا فكم؟

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الأسماء
دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم[2]

وفى " الصحيح ": أنه ﷺ قال: سلونى عما شئتم.

ولا شك أنه كالنص فى التحدى بهذه الخصوصية، فتلحق بالمعجزات، وما فى الكتاب[١١٢] العزيز من الآى الدالة على أنه لا يعلم الغيب إلا الله محمول على العلم بغير واسطة، وأما الاطلاع على ذلك بإعلام الله فأمر متحقق لقوله ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن:٢٦-٢٧]

---

(١) أخرجه الطبرانى (٣٦٠/١٢، رقم ١٣٣٤٤)وقال الهيثمى (٢٦٣/٨):رجاله رجال الصحيح.

(٢) البيتان للبوصيرى.

وفى " الطبرانى " عن ابن عمر مرفوعاً: إن الله قد رفع لى الدنيا، فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة، كأنما أنظر إلى كفى هذه[1].

والقول الفصل: أنه ﷺ أوتى علم كل شىء قبل أن يفارق الدنيا، وقد اتضح أن المنكِر إما جاهل فيعلم، أو ملحد فيؤثم، ثم ليت شعرى ما وجه الإنكار؟ فإن مسألة لم تخرج عن دائرة الإمكان، وكل ما كان سبيله ذلك وأخبر الصادق المصدوق بوقوعه وجب المصير إليه اعتقادا واعتمادا، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل. انتهى باختصار.

وقد كتب بعده موافقا عليه الفقيه الأوحد سيدى مسعود جموع مستدلا على الموافقة بحديث أحمد والترمذى عن معاذ فى وضع الرب تعالى كفه بين كتفيه فى المنام فتجلى له بها كل شىء. ثم إن التاجموعتى ألف فى المسألة رسالة سماها " ملاك الطلب وجواب أستاذ حلب " وفى " نشر المثانى فى أهل القرن الحادى والثانى " فى ترجمته كلاما آخر له فى هذه المسألة فى بعض رسائله، يصحح فيه القول بما رآه فيها ويرد القول بخلافه. راجعه.

وممن أفتى به من المشارقة الفقيه الأريب المشارك الأديب أبو عبد الله محمد بن أحمد المنوفى المصرى الشافعى نـــزيل مكة المشرفة، المتوفى سنة أربع وأربعين وألف، ذكر ذلك المحبى فى " خلاصة الأثر فى أعيان أهل القرن الحادى عشر " فى ترجمته، ونصه: ومما اتفق له أنه سئل هل كان النبى ﷺ [١١٣] يعلم السحر ويعرفه على التعميم؟ فأجاب عنه: **أنه كان يعلم كل شىء منه ومن غيره من غير شك.** انتهى.

وانظر هل أرادوا **بهذه** الإحاطة وهذا العلم علوم الكائنات خاصة كما هو الظاهر المتبادر، أو ما يشمل علوم الذات العلية كما فهمه من رد كلامهم واعتمد ملامهم، فإن كان الأول فلا ملام على ما نفصله، وإن كان الثانى فهو بعيد من المقام والله أعلم.

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد (١/٢٧، رقم ٢).

القول الثانى فى بيان إحاطة الذات المحمدية بالعلوم الجديدة الكونية

وممن أفتى بالثانى وهو القول بعدم الإحاطة من المغاربة العلامة الأشهر والمحرر الأكبر أبو على الحسن بن مسعود اليوسى، والكثير من علماء المغرب وخصوصا أهل فاس، وقالوا: إن الإحاطة بالأشياء كلها إنما هى لله، والقائل بالإحاطة لغيره إن كان يعتقد ويرى مساواة علم غيره تعالى لعلمه فهو كافر، وبعض المعاصرين للتاجموعتى من علماء فاس ألف فى رد كلامه مؤلفا سماه " المنهج القويم فى قصر الإحاطة على العلم القديم " واستدل بآيات وأحاديث ونصوص، كقول الشيخ على الأجهورى فى " شرحه لمختصر خليل " فى باب مصرف الزكاة: إن القائل بأن الأنبياء يعلمون ما كان وما يكون مبتدع يكفر ببدعته اتفاقا. انتهى.

قلت: وعبارة الشيخ إبراهيم بن مرعى الشبرخيتى فى " شرحه " ولا يعطى منها – يعنى الزكاة – إجماعاً من يكفر ببدعته اتفاقا، كالقائل بنبوة على ﷺ وأن جبريل غلط، والقائل بأن فى الأمة رسولين ناطق وصامت، فالناطق محمد عليه الصلاة والسلام، والصامت على، والقائل بأن الأنبياء والأئمة يعلمون ما كان وما يكون وشبههم، انتهى منه بلفظه.

ومثله للشيخ عبد الباقى الزرقانى، وأشار محشيه البنانى إلى أنه وقع فى كلامهم خلل وتحريف، فكتب على كلام الزرقانى [١١٤] ما نصه: عبارة ابن رشد فى رسم العتق من سماع عيسى: ومن يقول إن الأئمة أنبياء يعلمون ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. انتهى أى فهذا هو الذى يكفر ببدعته كما فى النص دون ما ذكره هؤلاء، وكيف يقال بتكفير من يقول إن الأنبياء والأولياء يعلمون ما كان أو يكون من قبل الله تعالى، وهؤلاء جماعة من الصحابة يقولون إن رسول الله ﷺ أعلمهم بما كان ويكون إلى يوم القيامة، وهذا على ﷺ يقول كما تقدم: سلونى فوالله لا تسألونى عن شىء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به. وهو واضع علم الجفر المحتوى على علم ما

كان ويكون، وهذا ابنه الحسن يقول فيه حين قتل: لقد فارقكم بالأمس رجل ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون. أخرجه أحمد [١].

وهؤلاء جماعة من الأولياء الكبار أخبروا عن أنفسهم بأنهم يعلمون ما كان ويكون بإعلام الله، أفيقدر أحد على أن يسمهم بشيء فضلا عن أن يكفرهم، إلا إن كان والعياذ بالله تعالى ممكورا به ممن سبقت له من الله الشقاوة الكبرى والخزى الدائم، فالاستدلال بكلام على الأجهورى هذا وبكلام أتباعه فيه ساقط.

ورد كلامه أيضاً – أعنى كلام التاجموعتى – الشيخ أبو على اليوسى المذكور – وكان معاصرا له – برسالة لطيفة، قال فيها: ينبغى أن نعتقد تعظيم نبينا ﷺ ونعتقد أنه أعطى العلم والنور وسائر مراتب الكمالات اللائقة به ما لم يعط أحد من العالمين، لأنه خير الخلق أجمعين.

ثم نكتفى بهذا وما أشبهه، ولا نطالب بالبحث من إحصاء ما علم، فإنه أمر لا تبلغه عقولنا، وليس مطلوبا منا، فالاشتغال به فضول من ثلاثة أوجه، [١١٥] ثم بينها. ومحصلها أن هذا أمر غير مطلوب منا، وإنا لا نبلغ إلى إحصائه ولو اجتهدنا، وأن الباحث فيه إما أن يقع فى استنـزال صفوة الله من خلقه عن مرتبته الرفيعة، أو فى سوء الأدب مع الله تعالى فى تشبيه خلقه به، ثم ذكر أن القائل بالتعميم فى حقه عليه السلام إن أراد الحقيقى بحيث يكون علمه على حد علم الله تعالى فلا فرق بينهما فقد وقع فى الورطة العظمى والشرك مع الله مخسرة وما يوجد من حديث أو أثر من علمه عليه السلام كل شيء على الإجمال لا يفيد شيئا، لأن العمومات تقع حقيقية وإضافية بحسب صنف الوقوع... وقد قال الله فى حق سيدنا موسى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥] ثم قال له مع ذلك: عبد لنا بمجمع البحرين هو أعلم منك. ولما لقى الخضر قال له: يا موسى إنى على علم من علم الله لا تعلمه أنت. وقال له: ما نقص علمى وعلمك من علم الله إلا ما نقص

(١) أخرجه أحمد (١/١٩٩، رقم١٧١٩).

هذا العصفور من البحر. وقال تعالى فى القرآن ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:٣٨]. وقال تبيانا: ما لكل شيء. ثم قال له ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه:١١٤] وإن أراد الإطلاق فعليه بيانه ليستفاد الحكم على الكلية بحسبه، وإلا فهو كلام محمول لا تحصل منه فائدة.

ثم ذكر إن شئنا عبرنا فى حقه عليه السلام بالكلية، ولكن مع إرادة التقييد بجنس أو نوع أو صنف كأن نقول: يعلم جميع ما ينبغى لمثله أو كل ما تبلغه عقول البشر، أو كل ما لم يستأثر الله بعلمه أو نحو هذا مما نجزم بصحته ونعتقد أن كل علم قرأته نقص غير لائق به فى حاله فهو حاصل له لأنه فى عين الكمال إلى غير هذا من كلامه فليراجع [١١٦] فى رسالته المذكورة، وهى فى نحو من ثلاثة أوراق، وله فى هذه المسألة رسالة أخرى كبيرة لم أقف الآن عليها، وقد أشار إليها فى " نشر المثانى " فى ترجمته فقال: وله كلام فى كراريس مع قاضى سجلماسة الشيخ أبى محمد عبد المالك التاجموعتى فى قوله ﷺ: أوتيت علم كل شيء. انتهى.

وممن أفتى به من المشارقة الشيخ نجم الدين محمد بن محمد بن محمد الغزى الدمشقى الشافعى محدث الشام ومسندها وشيخ الإسلام بها، والأستاذ الكبير العالم الصوفى الشهير صاحب التحريرات والرسائل التى لا حصر لها الشيخ أيوب بن أحمد بن أيوب الحنفى الخلوتى الصالحى المتوفى فى صفر الخير سنة إحدى وسبعين وألف، وذلك أن المنوفى السابق لما قال مقالته السابقة وهى أنه عليه السلام كان يعلم كل شيء من السحر وغيره من غير شك. نقل جوابه هذا إلى الشيخ نجم الدين الغزى السابق فغضب غاية الغضب وقال: إنه افتراها. قال فى " خلاصة الأثر ": وأخذ النجم يقيم عليه الحدود فى درسه كل ليلة ويقول: إنه إن أصر على ذلك كفر، ونطلب من أقرانه عمل رسالة على وفق مراده فامتنعوا من ذلك وقالوا: إنه أخطأ حيث قالها للعوام. ومنهم من أحجم و لم يتكلم، وقال قد وقع فيها خلاف وما رجحوا منها قولا ينقل، وطال التنقيب على هذه المسألة، قال فى " الخلاصة ": حتى ألف الشيخ أيوب الخلوتى المقدم ذكره فى ذلك رسالة سماها " الصك الموفى على رقبة المنوفى " وهى

رسالة جامعة لكل منثور ومنظوم، فكف بعد المنوفى عن الدرس. انتهى، راجعها فى ترجمة المنوفى المذكور.

قلت: ولا أدرى إنكارهم عليه هل هو من جهة نسبته إلى النبى ﷺ [١١٧] العلم بعلم السحر، أو من جهة ما تضمنه كلامه من أنه كان يعلم كل شىء، أو من جهتهما معا، فإن كان الأول فإنما يتوجه إنكارهم لو أراد أنه كان يعلمه بالتعلم من السحرة ونحوهم، إذ هذه رذيلة لا تليق بآحاد المسلمين فضلا عن جنابه ﷺ وليس فى كلامه ما يفيد هذا أو يشعر به، أما لو كان أراد أن الله تعالى أعلمه به وبكيفيته من جملة العلوم التى أعلمه إياها وأمده بها معجزة له — كما هو المتبادر من المقام — فلا إنكار.

وقد ذكر فى " الفتوحات " فى الباب الثالث والسبعين ومائتين أنه اطلع فى جملة ما أطلعه الله عليه فى بعض الحضرات على خزائن العلوم المهلكة، ورأى فيها علوما ما انشغل بها أحد إلا هلك من علوم العقل المخصوصة بأرباب الأفكار من الحكماء والمتكلمين، ورأى منها ما يؤدى صاحبه إلى الهلاك الدائم، وما يؤدى صاحبه إلى هلاك ثم ينجو غير أنه ليس لنور الشرع فيه أثر البتة من علوم البراهمة كثيرا، ومن علوم السحر وغير ذلك. قال: فحصلت جميع ما فيها من العلوم لتجنبها، وهى أسرار لا يمكن إظهارها، وتسمى علوم السر. انتهى راجعه.

وإن كان الثانى فلا إنكار أيضاً إلا إن كان يريد العموم الحقيقى اللازم منه مساواة علمه ﷺ لعلم الله تعالى، وليس فى كلامه ما يعين هذه الإرادة.

وإن كان الثالث فجوابه يعلم من جواب هذين، فليتأمل، والله أعلم.

ومما يؤيد فتواهم — أعنى فتوى أصحاب هذا القول الثانى — كلام عياض فى " الشفا " فى القسم الثالث فى الباب الأول منه فى فصل حكم عقود الأنبياء فى غير التوحيد والإيمان ونصه: وأما ما تعلق بعقده [١١٨] يعنى بجزم قلبه من ملكوت السموات والأرض وخلق الله تعالى وتعيين أسمائه الحسنى وآياته الكبرى وأمور الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه إلا

بوحى فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما أعلم به منه شك ولا ريب، بل هو فيه على غاية اليقين، لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك، وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله عليه الصلاة والسلام: إنى لا أعلم إلا ما علمنى ربى. ولقوله حكاية عن ربه: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بله ما اطلعتم عليه اقرءوا إن شئتم ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة:١٧][١].

وقول موسى للخضر عليهما السلام ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴾ [الكهف:٦٦] وقوله عليه السلام: أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم. وقوله: أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك. وقد قال تعالى ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٧٦] قال زيد بن أسلم وغيره: حتى ينتهى العلم إلى الله تعالى. وهذا مما لا خفاء به إذ معلوماته لا يحاط بها ولا منتهى لها. انتهى منه بلفظه.

وقد ترى أنه يلزم مما قاله التاجموعتى ومن وافقه إن قلنا أنهم أرادوا بالإحاطة الإحاطة الكاملة – وهى الحقيقية – مساواة العلم الحادث للعلم القدين فى العموم، والإحاطة والمساواة فيهما تستلزم المماثلة فى الحقيقة والذات، وهى مستلزمة لحدوث العلم القديم، بل ولسائر لوازم العلم الحادث من العرضية والافتقار وغيرهما، واعتقاد ذلك والقول [١١٩] به كفر، وممن أشار إلى هذا الشيخ الأستاذ شهاب الدين أحمد الملوى المصرى فى " شرحه الكبير لسلم الإمام الأخضرى فى علم المنطق " لدى قوله:

صلى عليه الله ما دام الحجا ... يخوض فى بحر المعانى لججا

---

(١) أخرجه البخارى (١١٨٥/٣، رقم ٣٠٧٢)، ومسلم (٢١٧٤/٤، رقم ٢٨٢٤)، والترمذى (٣٤٦/٥ رقم ٣١٩٧) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣١٣/٢، رقم ٨١٢٨) عن أبى هريرة.

نصه فيه: قال المصنف يعني الأخضرى وفى هذا أى فى قوله يخوض فى بحر المعانى لججا شبه على أنه لا يحتوى على جميع المعانى إلا الله تعالى كما قال ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا ﴾ [البقرة:٢٥٥] الآية، وقال تعالى ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٧٦] وقال تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه:١١٤].

قلت — أى قال العلامة الملوى — وهو صريح فى الرد على من ادعى أن النبى ﷺ علمه مساوٍ لعلم الله تعالى محيط بكل شىء من كل وجه إحاطة كإحاطة علم الله تعالى فإنه ما توفى حتى أعلمه الله بكل شيء.

وقد ألف شيخ شيوخنا العلامة اليوسى تأليفاً فى الرد على من زعم ذلك وتكفيره، واستدل على ذلك بأدلة عقلية ونقلية، كيف وهو مصادم أيضاً لقوله تعالى ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[الأنعام:٥٩] وقوله تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه:١١٤] وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف :١٨٨]الآية، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] الآية، وعلى القول بأن الله تعالى أعلمه ﷺ مفاتيح الغيب فليس علم إحاطة كعلمه تعالى، وهو مصادم أيضاً للإجماع على أن سر القدر لم يعلمه ولا يعلمه نبى مرسل ولا ملك ولا غيرهما من هو من مواقف العقول، ويلزم أن يكون علمه ﷺ مساويا لعلم الله تعالى ومماثلاً له فى الإحاطة والحقيقة، فلزم حدوث علمه تعالى للمماثلة لأنه يجب لأحد المثلين ما وجب للآخر، بل ويلزم سائر لوازم العلم الحادث [١٢٠] من العرضية والافتقار وغيرهما، ولا يجاب بالاختلاف بالقدم والحدوث، لأن القدم والحدوث خارجان عن حقيقة العلم، والحقيقة لا تختلف بالعوارض، وأما الأحاديث الموهمة خلاف تلك القواطع فمؤولة، أما عدم ادعاء المساواة لعلم الله كأن يقال إن النبى ﷺ علِمَ عِلْمَ الأولين والآخرين فلا يمتنع، لأن ذلك ليس مستلزما لمساواته لعلم الله تعالى والإحاطة من كل وجه، ومن أقوى ما يرد به على هذا القائل أيضاً ما ورد فى الحديث من أنه ﷺ يلهم فى الآخرة محامد يحمد بها الله عز وجل لم يكن ألهمها قبل، لكن شيخ شيخنا بالغ فى القول بتكفيره، والذى يظهر

عدم التكفير، لأن هذه اللوازم بعيدة لا يقول بها هذا القائل مع أن لازم المذهب ليس بمذهب، خصوصاً إذا كان اللازم بعيدا. انتهى منه بلفظه.

وقد نقل تلميذه العلامة الصبان أوله وآخره وحذف وسطه من قوله: كيف وهو مصادم أيضاً إلى قوله: لكن شيخ شيخنا وذلك فى " حاشيته على الشرح الصغير للملوى على السلم المذكور " وأقره.

القدر

قلت: وفيه بحثان: أحدهما فى قوله: وهو مصادم أيضاً للإجماع على أن سر القدر لم يعلمه ولا يعلمه نبى مرسل ولا ملك ولا غيرهما، فإنه مخالف كما فى نصوص الناس من أن الذى لم يعلمه ولا يعلمه أحد القدر لا سره، قال النووى فى " شرح مسلم " فى كتاب القدر ما نصه: القدر سر من أسرار الله التى ضربت من دونها الأستار، اختص الله به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة، وواجبنا أن نقف حيث حُدَّ لنا ولا نتجاوزه، وقد طوى الله تعالى علم القدر عن العالم فلم يعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب [١٢١] وقيل إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة، ولا ينكشف قبل دخولها، والله أعلم، انتهى منه.

وفى " فصوص الشيخ الأكبر " فى فض الحكمة الشيثية وقوف بعض أصناف أهل الله أى اطلاعه على سر القدر، وفى كلام الشيخ أبى حامد فى " إحيائه " أن سر القدر من الخفيات التى يعلمها الأنبياء والصديقون إلا أنهم منعوا من إفشائها. وفى الفصل الثانى من كتاب قواعد العقائد عندما تعرض فيه لذكر الأسرار التى تختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الأكثرون فى علمها ويمنعون من إفشائها إليهم، وقسمها إلى خمسة أقسام ما نصه: القسم الثانى من الخفيات التى تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه، ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين، وسر القدر منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم. انتهى المراد منه بلفظه.

وقال أيضاً فى كتاب الرجاء والخوف عند تعرضه للسؤال عن السبب الموجب لإكرام هذا وتخصيصه بسليط إزادة الطاعات عليه وإماتة الآخر وإبعادة بتسليط دوام المعصية عليه، وأنه كيف يحال ذلك على الضد والحوالة ترجع إلى القضاء الأزلى من غير جناية ولا وسيلة ما نصه: ووراء هذا المعنى سر القدر الذى لا يجوز إفشاؤه. انتهى.

قال شارحها: وقد جاء فى الخبر: القدر سر الله فلا تفشوه. فهذا خطاب لمن كوشف به، وفى لفظ آخر: ستر الله. وهذا خطاب لمن لم يكاشف به، وقد نهى عن السؤال عنه.انتهى.

قلت: فى الجامع: القدر سر الله. ولم يذكر له مخرجا ولا راويا على خلاف عادته، وقد خرجه أئمة مشاهير منهم أبو نعيم فى " حليته " وابن عدى فى " كامله " عن [١٢٢] ابن عمر، وله تتمة عند مخرجه وهى: فلا تفشوا سره. ويخالفه أيضاً ما ذكره الشيخ سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه " الجواهر والدرر " ونصه: سألت شيخنا - يعنى الشيخ سيدى عليا الخواص - عن سر القدر المتحكم فى الخلائق، هل اطلع عليه أحد من الأولياء المحمديين؟ فقال ﷺ: نعم، لكن بحكم الإرث لرسول الله ﷺ لا بحكم الأصالة، ولم يعط علمه لأحد من الأنبياء غير نبينا ﷺ. انتهى المراد منه، وراجعه، وما ذكره السيد الجرجانى فى " تعريفاته "ونصه: المستريح من العباد من أطلعه الله على سر القدر، لأنه يرى أن كل مقدور يجب وقوعه فى وقته المعلوم، وكل ما ليس بمقدور يمتنع وقوعه، فاستراح من الطلب والانتظار لما لم يقع. انتهى منه بلفظه.

وما ذكره القاشانى فى " لطائفه " فى ترجمة سر القدر ونصه: فسر القدر من أجل العلوم وما يُفْهِمُهُ الله إلا لمن اختصه بالمعرفة التامة، فالعلم به يعطى الراحة الكلية للعالم به، ويعطى العذاب الأليم للعالم به أيضاً إلا لمن أشهده الله عينه الثابتة، لأنه من أكابر السعداء، فهذا الشخص يسميه شيخنا صفاء خلاصة خاصة الخاصة كما ذكر ذلك فى الفصل الشيثى من كتاب " فصوص الحكم " انتهى.

ثم وجـــدت الشـــيخ الأكبر فى " فتوحاته " فى الباب الثالث والسبعين فى الكلام عـــلى الســـؤال الثالث والثلاثين من أسئلة الحكيم الترمذى وما سبب طى علم القدر الـــذى طوى عن الرسل فمن دونهم ذكر أنه ليس ثم من يعلم علم القدر، وأن من علم الله عـــلم القدر، ومن جهل الله جهل القدر، والله سبحانه مجهول فالقدر مجهول. قال: ولكن قد يعلم سره وتحكمه [١٢٣] على هذا القيل المماثلة فى الحقيقة والذات وذلك أن إحاطـــة علمه عليه السلام على تقدير القول بها عارضة وطارئة مستفادة ومكتسبة مـــنه تعالى فضلا منه عليه ومنا،فهى حادثة وهى من حيث ذاتها ونفس حدوثها قابلة لطروء النسيان والعدم ونحوهما من جميع التغيرات وإحاطة علمه تعالى متأصلة ذاتية غير مكتســـبة ولا مســـتفادة فى شيء فهى قديمة ولا تقبل التغير بحال لقدمها والاختلاف بينهما بهذه الأوصاف يدل على الاختلاف بينهما بالحقيقة والذات كما هو الواقع لأن الاختلاف فى اللوازم يدل على الاختلاف فى الملزومات وإن عجزنا نحن عن بيان وجه الاخـــتلاف فيها لجهلنا بالحقيقة وعدم علمنا بها ولا نقول أن الاختلاف بينهما إنما هو بـــالقدم والحدوث خاصة حتى يقال إنهما خارجان عن حقيقة العلم والحقيقة لا تختلف بـــالعوارض بـــل نقـــول بشـــيء آخـــر لا نعلمه نحن ولا نفهمه و لا يدخل تحت عقولـــنا،والقدم والحدوث وإن اختلافهما بذلك يدل على اختلافهما فى الحقيقة لا أن الاختلاف فى الحقيقة وقع بهما كما فهم الملوى فافهم.

ومما يؤيد هذا ويرشحه ما فى العهود المحمدية فى عهد لا يدعى العلم إلا لغرض شرعى أثـــناء كلام له ونصه: ومعلوم الله هو العلم الذى يبثه فى قلوب عباده،وهو غير علمه الأزلى الخـــاص به لأن علم الخلق وإن كان من جملة علم الله ففيه رائحة الحدوث من حيث إضافته إلى الخلق. فافهم وإياك والغلط. انتهى منها بلفظها فتأمله.[١٢٤]

ويؤيده أيضا ما فى الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمى ونصه: إن علم الأنبياء والأولياء إنمـــا هو بإعلام من الله لهم وعلمنا بذلك إنما هو بإعلامهم لنا وهذا غير علم الله تعالى الـــذى تفـــرد بـــه،وهو صـــفة من صفاته القديمة الأزلية الدائمة الأبدية المنزهة عن

التغير،وسمات الحدث والنقص والمشاركة والانقسام بل هو علم واحد علم به جميع المعلومات كلياتها وجزئياتها ما كان منها وما يكون أو يجوز أن يكون ليس بضرورى ولا كسبى ولا حادث بخلاف علم سائر الخلق. انتهى منها بلفظها أيضا. وعليه فما ألزموه على القول بالإحاطة الحقيقية فى علمه ﷺ من حدوث علمه تعالى وغير ذلك لا يلزم.

وقد نقل غير واحد عن الأستاذ الكبير والعارف الشهير الغوث الربانى والهيكل الصمدانى شيخ الإسلام على الإطلاق وعلامة الزمان بالاتفاق شمس الدين أبى المكارم أبيض الوجه محمد بن الأستاذ الأعظم المجتهد المطلق الولى المفسر تاج العارفين أبى الحسن محمد بن جلال الدين أبى البقاء محمد بن عبد الرحمن البكرى الصديقى الشافعى المصرى قطب دائرة السادات البكريين وصاحب الصلوات النبوية التى منها صلاة الفاتح لما أغلق ذات الفضائل الجمة والحاوية لاسم الله الأعظم المولد ليلة الأربعاء ثالث عشر ذى الحجة ختام سنة ثلاثين وتسعمائة أنه ذكر أن النبى ﷺ كان يعلم جميع علم الله تعالى. قلت: والأستاذ المذكور كان نظير الشيخ عبد القادر الجيلانى فى عصره من حيث الناطقين.[١٢٥] فى الخلائق، وقد أعلمنا به فعلمناه بحمد الله. انتهى المراد منه.

الفرق بين القدر وسره

فتبين أن الذى لم يعلمه ولا يعلمه نبى مرسل ولا ملك ولا غيرهما هو القدر لا سره، والفرق بينهما أن القدر صفة نفسية للذات بها يتخصص المعلوم بما يكون عليه من الاستعدادات، فهو مما لا يمكن أن يعرف ولا أن يطلع عليه أحد بوجه قط، لأنه لو عرف لعرف كنه الذات، وذلك محال، وسره ما هو عليه المعلوم فى نفسه من الاستعدادات الثابتة فى العلم، فهو مانع للقدر وتحكمه هو حكمه فى الأشياء وعليها بها أى بما أعطته المعلومات مما هى عليه فى نفسها فهو مانع لعين الشىء الذى يحكم فيه وعليه بما تقتضيه ذاته، وبذلك كانت لله تعالى على خلقه الحجة البالغة، إذ ما أعطاهم إلا ما طلبوه منه بالسر استعداداتهم، فكان إيجاده للأشياء كلها وإفاضته لصورها

ولوازمها بحسب القوابل والاستعدادات لا غير، فإن قلت الأعيان الثابتة واستعداداتها فائضة من الحق، فهو جعلها كذلك. قلت الأعيان نسب مجعولة بجعل الجاعل، وإنما هي صور علمية للأسماء والصفات الإلهية، فهي بظاهرها وأسماؤه تعالى وصفاته غير ذاته عند العلماء بالله، وليست بشيء زائد على الذات إلا بالاعتبار والتعقل والذات أزلية أبدية لا تتغير ولا تتبدل، وأحكامها قديمة لا تعلل. راجع " الفصوص " وشروحها فى فص الكلمة العزيزية.

والثانى: فى قوله: إنه يلزم إذا قلنا إن علمه عليه السلام مساوٍ لعلم الله أن يكون مماثلا له فى الإحاطة والحقيقة، فإنه قد يقال لا يلزم من المساواة فى الإحاطة والعموم الذى هو المدعى.

[١٢٦] عن المرتبة، وهو الذى تكلم على نقطة البسملة فى الجامع الأزهر فى ألفى مجلس، وفى ألف التى فى افتتاح الاسم الجامع من آية الكرسى أكثر من ذلك، وله مناقب مشهورة وكرامات عجيبة مأثورة.

وقد ذكروا عنه أنه بلغ درجة القطبانية العظمى، وهو القائل: قدمى هذه على رقبة كل ولى لله تعالى مشرقا كان أو مغربا. وهو لسان حال القطب الأعظم، والقائل:

تألت مرآة العز أن لا يرى فيها ... سوانا وجاءتنا عليها مواثق

وما فخرنا بأشياء بقين وإنما ... بها وهم دارت علينا المناطق

والقائل :

ولم يبق ما بين الأثير إلى الثرى ... مقام ولم يزهو لنا فيه موكبُ

ولو رام قوم قربهم لإلههم ... ولم يخدموا أعتابنا لم يقربوا

والقائل:

لئن كان فخر الأقدمين صحائفا ... فإنا لآيات الكتاب فواتح

ليعتـــز من يهوى هوانا فإننا ... لنا العز ما غنت بأيك صوائح

عقم الزمان مقدما ومؤخرا والقائل:عن أن تحيط بمثلى الأفاق

والقائل:

وقام يرفض ناسوت الوجود بنا كشفا فنظهر واللاهوت يخفينا

والقائل:

فإن شئت أن تلقى المحبين كلهم فحسبك من كل الورى أن ترانيا

والقائل:[١٢٧]

وها أنت طفت شرق الوجود فلا تلق لى مثلا ولا تلق لى شكلا

والقائل:

واجمع صحابى والمحبين كلهم فلن يروا مثلى من الناس حاميا

فجاهى جاه لم يخطر بحضرة وفى كل وقت يعظم الله جاهيا

والقائل:

فانهض إلى قبلة العرفان حافيا ومرغ الخد فى أعتابنا حينا

ونادنا للذى ترجوه ونـزهنا من ريب الزمان فلا رد لراجينا

انظر " الكوكب الدرى فى مناقب الأستاذ محمد البكرى " لأبى السرور البكرى، و "عمدة التحقيق فى بشائر آل الصديق " للشيخ إبراهيم بن عامر بن على العبيدى المالكى، فأشكل عليه فى هذه المقدمة جماعة من المنكرين عليه فى عصره وبعده وقالوا إنها تشمل بظاهرها جميع الواجبات والمستحيلات والجائزات الموجودات، والمعدومات الحاضرات والماضيات، والثابتات جملة وتفصيلا كما فى علمه تعالى، فيلزم منه مساواة علم غيره تعالى لعلمه، وهو خلاف العقل والنقل، أما العقل فلأنه لا يتصور شرعا اشتراك المخلوق مع الخالق فى نعت من النعوت بحسب الوصف الحقيقى أبدا لما يلزم عليه من حدوث ذلك الوصف المستلزم لحدوث الذات العلية، تعالى سبحانه عن ذلك علواً كبيراً.

وأما النقل فلقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١] يعنى ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً.

وقوله ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً ﴾ [الإخلاص:١] يعنى مثلا. ﴿ أَحَدٌ ﴾ أى لا فى ذات ولا فى صفة ولا فى فعل، بل ادعاء المساواة فى العلم ونحوه عده جماعة من المكفرات لمن اعتقده، بل ذكر على [١٢٨] القارى فى " موضوعاته الكبرى " أنه كفر إجماعا، وفى بعض العبارات المنسوبة لبعض الأئمة المتأخرين قال: قد جاهر بالكفر بعض من يدعى العلم فى زماننا، وهو متشبع بما لم يعط، فزعم أن رسول الله ﷺ كان يعلم الخمس وغيرها، وكل ما يعلمه الله تعالى، وهؤلاء الغلاة عندهم علم رسول الله ﷺ منطبق على علم الله تعالى سواء بسواء، فكل ما يعلمه الله تعالى يعلمه رسول الله ﷺ، ومن اعتقد تسوية علم الله تعالى وعلم رسوله ﷺ يكفر إجماعاً كما لا يخفى. انتهى.

وأجاب بعضهم عنه بأنه لا يدعى مشاركته ﷺ لربه تعالى فى علمه الحقيقى الذاتى، حاشاً وكلاً، ولا مساواة علمه لعلمه فى الحقيقة والذات، ولا يلزم من علمه جميع علمه على ما قاله الشيخ أو غيره، ذلك لأن علمه تعالى واجب، وهو صفة من صفاته الأزلية الأبدية القائمة بذاته العلية المنـــزهة عن التغير والنقص والزيادة والمشاركة والانقسام والمحو والإثبات وغيرها من سمات الحدوث ليس بضرورى ولا كسبى ولا دفعى ولا تدريجى، ولا مستمد من شىء، بل من ذاته العلية، بخلاف علمه ﷺ فإنه جائز وليس بواجب، حادث لم يكن ثم كان، ويجوز عليه بالنظر لذاته طروء العدم ونحوه، ويوصف بالضرورة وبالكسب وبكونه دفعيا أو تدريجيا، وهو مستمد من الله تعالى لا من ذاته لأنه بإعلامه تعالى واطلاعه، وقد قال ﴿ لاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِه أحداً * إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن:٢٦-٢٧] وهذا رسول، بل أعظم الرسل وأفضلهم، فلا بعد فى أن يطلعه الله تعالى على [١٢٩] جميع معلوماته، ولا محذور فى ذلك عقلا، فإن الاختلاف المذكور قاطع بأن الحقيقة غير الحقيقة، وبأنه لا مشاركة بينهما فى الذات أصلا، بل بأن بينهما غاية التباين.

وبنحو من هذا الجواب أجاب عن العارف المذكور الفقيه الكبير مفتى حلب المحدث الواعظ أبو حفص عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم الحلبى الشافعى القاضى المتوفى سنة أربع وعشرين وألف حين سئل وهو فى مجلس درسه عن مقالة الأستاذ المذكور حسبما ذكره فى " خلاصة الأثر " ونصها: ومن تعليقاته جوابه عن مقالة الأستاذ محمد البكرى أن النبى ﷺ كان يعلم جميع علم الله تعالى، وقد سئل عنها فى مجلس درس فأجاب بأن مقالة الشيخ هذه صحيحة، ولا إنكار عليه فيها، إذ يجوز أن الله تعالى يفهمه علمه ويطلعه عليه، ولا يلزم من ذلك أن يدرك سيدنا محمد ﷺ مقام الربوبية، إذ العلم المذكور ثابت لله تعالى واصطفى بتعليم الله تعالى إياه، وإلى مثل ذلك أشار البوصيرى بقوله:

إن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وفى الحديث: قال لى ربى ليلة الإسراء: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: لا أدرى، فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها فى ثديى، فعلمت علم الأولين والآخرين، ثم قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: فى الوضوء على المكاره... إلى آخر الحديث. انتهى منها بلفظها.

وفى " شرح صلاة أبى الفتيان سيدى أحمد البدوى " للعارف بالله تعالى سيدى عبد الرحمن العيدروس لدى قوله فيها: وخزائن العلوم الاصطفائية بعد كلام [١٣٠] له ما نصه: لطيفة:

وقفت بعد كتابتى هذه التعليقة فى كلام أبيض الوجه البكرى تحت قوله ﷺ فتجلى لى كل شىء وعرفته ما حاصله أنه يمكن أن يكون ذلك التجلى ما هو الآن واقع بل وقع، ثم ألقى الله سبحانه عليه أستار العزة الإلهية، وأذهب بقاء ذلك منتقشا بصورته فى لوح القوة الذاكرة النبوية أمامه لنواميس الربوبية وإرجاعا إلى منازل العبودية، فيكون الكشف الأول لتكرمته ﷺ والحجب بعد ذلك لما قررناه الآن، على أنما أشرنا لعدم بقائه فى الذاكرة فقط. انتهى الغرض منه.

وقد ذاكرنى بعض الأصحاب فى أنه يلزم أن يساوى علمه ﷺ علم الله تعالى إذا قلنا إنه يعلم كل شىء. فأجبته بأنه لا يلزم شىء من ذلك، لأن ذلك لله تعالى بالأصالة، وله ﷺ بالتبعية، وكذا من علم شيئا وأحاط به فإنه بإعلام الله تعالى وتحويطه، فأعجبه هذا الجواب. انتهى منه بلفظه.

وفى كلام جامع ديوان الشيخ العالم العارف المحقق شرف الدين أبى حفص عمر بن على السعدى المعروف بابن الفارض المصرى نقلاً عن الشيخ الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمرو الجعبرى، وهو من تلامذة ابن الفارض المذكور، وكان معه بمصر وقت احتضاره وانتقاله إلى الله تعالى، قال: كنت سألت جماعة من الأولياء عن مسألة فلم يجبنى أحد منهم عنها، فسألته – يعنى ابن الفارض – فقلت له: يا سيدى هل أحاط أحد بالله علما؟ قال: فنظر إلىّ نظر تعظيم لى وقال: نعم إذا حيطهم يحيطون يا إبراهيم وأنت منهم. انتهى.

وظاهر هذا حصول العلم بذاته تعالى بوصف من أوصافه على وجه الإحاطة حتى [١٣١] لغيره ﷺ من أعاظم الأولياء والصديقين، وهو مشكل مع قوله سبحانه ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ [طه: ١١٠] وقد اختلفوا فى فهمه، فمنهم من قال: إنه محمول على الإحاطة الفرضية التقديرية على ما يأتى نقله عن العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى بناء على أن وقوع هذا ممكن لا الوقوعية، لأنه لم يسمع وقوع ذلك لأحد بوجه من الوجوه ولا فى حال من الأحوال، ولكن النصوص الشرعية قاضية بالمنع من وقوع هذا وإمكانه معا ما يأتى عن الشيخ الأكبر فى " فتوحاته " أنه لم يكن فى الإمكان أن يخلق الله تعالى فيما خلق قوة فى موجود يحيط ذلك الموجود بالله علما من حيث قيامها به.

وعليه فالأحسن حمله على الإحاطة النسبية المجازية، وهى المعرفة الكاملة كمالا يليق بحال المخلوق لا الحقيقية، تعالى الله عنها علوا كبيرا، فإن الإجماع ممن يعتد به من المتكلمين والفقهاء ومعهم جميع العارفين والأولياء على أنها لم تقع ولا تقع لأحد مطلقا ولو لأشرف الخلق ﷺ لا فى الدنيا ولا فى الآخرة كما يأتى بسطه إن شاء الله تعالى.

وقال بعض الإخوان فى مذاكرة وقعت له معنا فى هذا: إنه يمكن حمل الإحاطة فى كلامه هذا على حصول الشبيه إذ هى التى يقصدها الصوفية كثيرا فى كلامهم دون حضرة التنـــزيه، لأنه لا علم لأحد بها فضلا عن الإحاطة، وهو كلام حسن.

[وقال] النابلسى فى شرح هذا الديوان المسمى بـــ " كشف السر الغامض فى شرح ديوان ابن الفارض " جواب آخر نصه: نعم إذا حيّطهم بالتشديد جعلهم محيطين به علما سبحانه [١٣٢] وتعالى بأن أفناهم فى ظهور وجوده الحق بحيث لا يبقى منهم عندهم بقية وتضمحل رسومهم فى حقيقته النورية بالكلية، فعند ذلك يحيطون به علما، وإنما المحيط به مولاهم، وأما أنهم يبقون موجودين فالوهم عند نفوسهم، ومع ذلك يحيطون به علما، فذلك من أعظم المحال، وليس لأحد أصلا فى ذلك مجال ولا يتصور عنه جواب ولا سؤال لأن الموجود عند نفسه قائم بالوهم المجرد، فلا يعرف نفسه، وإذا لم يعرف نفسه فلا يعرف ربه، وإذا لم يعرف ربه فليس بولى لله، وهذا السؤال سؤال الأولياء لبعضهم بعض، لا سؤال الغافلين للغافلين. انتهى المراد منه بلفظه.

قلت: فى " شرحه للامية " نقل كلام ابن الفارض هذا ثم قال: ولا يمنع من قولهم: إذا حيطهم يحيطون قوله تعالى ﴿ **وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً** ﴾ [طه:١١٠] وقوله سبحانه ﴿ **وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء** ﴾ [البقرة:٢٥٥] يعنى ما لم يحيطهم فيحيطون، كما قال تعالى ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾ وأيضا فإن المفهوم من قوله: إذا حيطهم بتشديد التحتية أنه إذا خلق لهم الإحاطة اللائقة بهم المخلوقة له اتصفوا بها فأحاطوا به، لا كإحاطته تعالى بنفسه، لأن إحاطته بنفسه قديمة، وإحاطتهم حادثة، والقديم منـــزه عن مشابهة الحوادث.

وإذا علم هذا كله فالأظهر هو تأويل كلام الأستاذ البكرى أيضاً إما بمثل ما ذكره مولانا عبد الغنى فى جوابه أولاً عن التحييط بأن يقال إن الحق تعالى تجلى عليه بذاته وأفناه عنه وعن فنائه وجميع صفاته حتى اضمحلت رسومه وذهبت آثاره

وعلومه، وغرق فى أنوار ذات الحق، فصار عند ذلك مظهرا له [١٣٣] تعالى عالما بمعلوماته، وإنما العالم بذلك هو سبحانه لا غيره، وهذا التجلى كما سبق فى كلام الأستاذ أبيض الوجه يمكن أن يكون ما هو واقع الآن، بل وقع تكرمة له ﷺ ثم ألقيت عليه أستار العزة الإلهية إقامة لنواميس الربوبية، وإرجاعا إلى منازل العبودية، وإما أن يقال إنه أراد به أنه عليه السلام كان يعلم جميع علم الله تعالى فى خلقه، أو نقول فى مكوناته لا أنه أراد جميع علمه مطلقا حتى يشمل علوم الذات العلية بأسرها، ليكون كلامه هذا موافقا لكلام غيره من الأولياء: إن الله تعالى أطلعه على جميع علمه فى مكوناته لا مطلقا كما يأتى عنهم، وليسلم من الاعتراض السابق عليه بلزوم التساوى بينه وبين علم الله تعالى، وإن أجيب عنه كما مر، فإن الحق الذى عليه المعول أنه لا مساواة فى شىء وبين الحادث وبين القديم الأول.

وأما قوله فى الحديث: فتجلى لى كل شىء وعرفته. فيمكن تخصيصه أيضاً بالمكونات، وإذا عمم فيه فيحتمل فى الذات العلية وأوصافها على ما مر، أو على ما يليق أن يعلمه أفضل مخلوق وأكمله من الخالق، والله أعلم.

وأما التكفير فى هذه المسألة — أعنى مسألة ادعاء الإحاطة فى علمه ﷺ - فيبعد، ولا سيما فى حق من أجمل فى الكلام ولم يصرح بما يفيد العموم الحقيقى والمساواة لعلم الله تعالى، وعلى فرض التصريح فإنما يظهر لو ادعى أن ذلك حاصل له ﷺ من ذاته وبطريق الاستقلال، أو ادعى قدم علمه ﷺ أو حدوث علم الله تعالى، أو تماثلهما فى الحقيقة والذات، وهذا لا يدعيه أحد [١٣٤] ممن ذكر، ولا يتفوه به، بل ينكره أشد الإنكار، ويكفر القائل به إذا عرض عليه، فإن قيل بعض هذا لازم من قولهم. قلنا: لا نسلم اللزوم كما سبق بيانه، وعلى تسليمه فهو بعيد لمن قال ولازم القول لا يعد قولا إلا إذا كان اللزوم بيّناً، وهو هنا غير بين، وحينئذ فلا يكفر فى هذه المسألة بالنسبة لما ذكر أصلا، فاعرف ذلك وتبينه، وأعرض عما سواه، وربنا سبحانه وتعالى يمن علينا وعليك برضاه، آمين.

وأفتى بالثالث – وهو أن علمه ﷺ محيط بالأشياء ولكن لا كإحاطة علم الله تعالى – جماعة ممن نحا نحو التوسط والجمع بين النصوص والأدلة، وقالوا إن هذا هو التحقيق وما سواه خلافه، ومما يدل له ما ذكره الشيخ الأكبر فى " فتوحاته " فى الباب الخامس والستين وثلاثمائة ونصه: وما ذكر عن أحد من نبى ولا حكيم أنه أحاط علما بما يحوى عليه حاله فى كل نفس إلى حين موته، بل يعلم بعضا ولا يعلم بعضا إلى أن قال فلا يعلم الأمور على التفصيل إلا الله وحده ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾[البقرة:٢٥٥] انتهى منه بلفظه.

وما ذكره فى الباب التاسع والستين وثلاثمائة ونصه: لا يعلم الشيء من جميع وجوهه إلا الله، المحيط علمه بكل شيء سواء كان الشيء فانيا أو موجودا متناهيا أو غير متناهٍ. انتهى.

وما ذكره فى الباب الرابع والتسعين وثلاثمائة ونصه: ثم إنك إذا أخذت تفصل بالحدود أعيان الموجودات وجدتها بالتفصيل نسبيا وبالمجموع أمرا وجوديا لا يمكن لمخلوق أن يعلم صورة الأمر فيهما، فلا علم لمخلوق مما سوى الله ولا للعقل الأول أن يعقل [١٣٥] كيفية اجتماع نسب يكون عن اجتماعها عين وجودية مستقلة فى الظهور، غير مستقلة فى الغنى مفتقرة بالإمكان المحكوم عليها به، وهذا علم لا يعلمه إلا الله تعالى، وليس فى الإمكان أن يعلمه غير الله تعالى، ولا يقبل التعليم – أعنى أن يعلمه الله مرسلاً من عباده – فأشبه العلم به العلم بذات الحق، والعلم بذات الحق محال حصوله لغير الله تعالى، فمن المحال حصول العلم بالعالم أو بالإنسان نفسه، أو بنفس كل شيء لنفسه بغير الله تعالى، فتفهم هذه المسألة، فإنى ما سمعت ولا علمت أن أحداً نبه عليها، وإن كان فهمها مما يستصعبه التصور، مع أن فحول العلماء يقولون بها ولا يعلمون له سر كبلقيس تقول ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ [النمل:٤٢] وهو هو. انتهى منه بلفظه.

وما ذكره فى الباب الثامن والسبعين ومائة فى الفصل الحادى عشر فى الاسم الإلهى عند تعرضه لآية ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩] ونصه: والسبب الموجب للمشورة كون الحق له وجه خاص فى كل موجود لا يكون لغير ذلك

الموجود، فقد يلقى إليه الحق سبحانه فى أمرها ما لا يلقيه لمن هو أعلى منه طبقة، كعلم الأسماء لآدم مع كون الملأ الأعلى عند الله أشرف منه، ومع هذا فكان عند آدم ما لم يكن عندهم، إلى أن قال: وسبب ذلك قومية الألوهية ما تستحقه لما علم أن لله تعالى فى كل موجود وجها خاصا يلقى إليه منه ما يشاء مما لا يكون لغيره من الوجود، ومن ذلك الوجه يفتقر كل موجود إليه وإن كان عن سبب. انتهى.

وما ذكره العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى " المنن الكبرى " آخر الجزء الأول فى [١٣٦] منة كثرة تصديقه للأولياء فيما يدعونه من الاطلاع على المغيبات فى آخرها ونصه: وبالجملة فلله تعالى فى كل علم وعمل وغيرهما من سائر المخلوقات علم خاص لا سبيل لأحد من المخلوقين إلى الوصول إليه، لأنه من صفات الألوهية انتهى.

وما ذكره أيضاً فى " العهود المحمدية " فى عهد أن نميط الأذى عن طريق المسلمين بعد ما ذكر أنه لا بد من السلوك على يد شيخ عارف بالله إلى أعلى معرفة منه لإزالة الشبهة العارضة لسالك طريق الآخرة فى عقائده ونصه: وقد وضعت فى ذلك ميزانا نحو كراسة أزلت به غالب الإشكالات التى فى مذاهب الفرق الإسلامية كالجبرية والمعتـــزلة، ووضعت ميزانا أخرى تـــزيل الشبه التى تعرض للعبد فى طريق المعرفة بالله تعالى حاصلها أن الله تعالى لم يكلف عبدا بأن يعرف الله تعالى كما يعرف الله نفسه أبدا، وإن لله تعالى بنفسه علما اختص به لا يعلمه ملك مقرب ولا نبى مرسل، لأنهم لو علموه لساووه فى العلم، ولا قائل بذلك من جميع الملل فضلا عن دين الإسلام، وذلك أن الله تعالى لا يتحد مع عبده فى حد ولا حقيقة ولا فصل ولا جنس، فردَّ يا أخى جميع ما ورد فى الآيات والأخبار من التنـــزيه إلى مرتبة علمه تعالى بنفسه، وردَّ جميع ما ورد فى الآيات والأخبار من الصفات التى ظاهرها التشبيه إلى مرتبة علم خلقه تعالى به، فما أحوج الناس إلى التأويل إلا ظنهم بأن الله تعالى كلفهم بتعقل مرتبة التنـــزيه التى لا يتعقلونها، وإلا فلو علموا أنها خاصة به تعالى ما أولوا شيئا، وكان يكفيهم الإيمان بأنه ليس كمثله شيء. انتهى منه [١٣٧] بلفظه.

وأفتى بالرابع – وهو التوقف – جماعة من المتورعين ممن تعارضت عندهم الأدلة فى هذه المسألة، ولم يقفوا فيها على نص غير محتمل يقطع النــزاع ويرفع الخلاف، وقالوا إن القطع فيها بأمر يخاف أن يوقع فى أحد شيئين: إما فى استنــزال سيد الكائنات ﷺ عن قدره الرفيع وجنابه العلى المنيع، وإما فى سوء الأدب مع الله تعالى بتسوية بعض مخلوقاته به، وذلك أيضاً يسوء المصطفى ﷺ ويؤذيه، ولذا حذر من مثله فى قوله: لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله[1]. وحينئذ فالتوقف وتفويض الأمر إلى الله تعالى فيها أولى وأسلم فى عاقبة المرء، ورد الأمر إلى الله تعالى فى مواطن الاشتباه من العلم ومن الرأى السديد فى الدين. هذا مع اعتقاد أنه عليه الصلاة والسلام نال من ربه المكانة التى لا مكانة فوقها والرتبة التى لا يمكن أن ينالها بشر ومخلوق سواه، وأنه سيد الكائنات، ومفخر أهل الأرض والسموات، ونقطة الكون، وعروس المملكة، وأصل الوجود، ومادة كل موجود ﷺ، وممن نحا إلى هذا صاحب " نشر المثانى فى أهل القرن الحادى والثانى " وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن الطيب القادرى الحسينى الفاسى، وذلك فى ترجمة التاجموعتى بعدما ذكر كلاما له فى هذه المسألة يصحح فيه رأيه فيها ويرد القول بخلافه ونصه: ولا خلاف بينه وبين من حاجه من أهل فاس فى أنه ﷺ يعلم كثيرا من الغيب مما يتعلق بالدنيا والآخرة، ويعلم جميع ما دلت على علمه هذه الأحاديث – أى المذكورة [١٣٨] فى كلامه – وأكثر من ذلك، لأنها لا تدل على الإحاطة بالمعلومات، ثم قال: وإنما نــزاع من نازع فى القدر الزائد على ذلك، والله أعلم.

ثم الإمساك عن الخوض فى هذا الزائد أحسن، لأنه لم ينقل لنا كلام عن أسلافنا فيه، والله أعلم، مع اعتقاد أنه ﷺ بأعلى درجات الكمال فى الدرجة التى لا درجة فوقها، وأنه ﷺ سيد الأولين والآخرين، ولا يعلم قدره إلا خالقه رب العالمين، قال فى " محصل المقاصد ":

---

(١) أخرجه البخارى (١٢٧١/٣، رقم٣٢٦١).

نبينا أفضل بالإطباق — من كل مخلوق على الإطلاق

فهذه أقوال أربعة، وهى وقفنا عليها لساداتنا العلماء رضوان الله عليهم فى هذه المسألة، والأخير منها وهو الوقف أحوط وأورع وأسلم، والثالث بالتوسط أحسن وأبين وأقوم، والثانى بعدم الإحاطة لأحد إلا الله تعالى أجرى على ظواهر أكثر النصوص الشرعية وأوفق، بقاعدة سد الذرائع المرعية، والرابع بالإحاطة محتمل لوجوه:

أحدها: أن يريد قائله الإحاطة الحقيقية الكلية فى كل شىء حتى فى الذات العلية، وهذا هو محط التهويل والإنكار، ومحل اختلاف الأذهان والأفكار.

الثانى: أن يريد به الإحاطة المجازية الإجمالية دون الحقيقة التفصيلية، وهذا يرجع للقول الثالث.

الثالث: أن يريد به الإحاطة الإضافية باعتبار نوع أو جنس من الأجناس الكونية، إلا أنه لم يقع منه له بيان اتكالا على الأذهان، ولا بد حينئذ من معرفته ليقع الحكم بحسبه على كليته، وإلا فهو كلام مجهول، لا [١٣٩] يرجع منه إلى شىء محصول، ولكل أناس مشربهم، وكل وما اختار بحسب ما أودعه الله فى قلبه من الأنوار ﴿ **كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً** ﴾ [الإسراء: ٢٠].

وقد بقى فى المسألة قول آخر خامس لم يذكره أهل الظاهر، وذكره جماعة من الأفراد الأكابر، وهو أن علمه ﷺ يحيط بجميع المكنونات وسائر ما أوجده الله من الذوات، فالذوات من الأزل إلى الأبد عرشا وفرشا وما فوقهما وما تحتهما وما بينهما لا يشذ عن علمه شىء من ذلك، ولا ما يعرض له من ابتدائه إلى انتهائه، وأما الذات العلية وأوصافها وأسماؤها فما حصل له ﷺ من العلم بها لم يحصل لبشر ولا مخلوق سواه، ولم يشم أكابر الأنبياء والرسل والمقربون من الملائكة رائحته، فضلا عمن دونهم.

وأما معرفة كنهها أو الإحاطة بها أو بشيء مما لها فليست لأحد أصلا، ولا مطمع لمخلوق فيها بوجه من الوجوه، ولا باعتبار من الاعتبارات، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، ومستندهم فى هذا الكشف والبصيرة وما أمدهم الله به من الفراسة وصدق السريرة، مع ما يؤيد ذلك من الأحاديث والأخبار، ويؤكده من الإشارات الجليلة المقدار.

وقد خرج أنها أقاويل خمسة، وأن الثلاثة المتوسطة منها مقبولة عند العلماء، والأول مردود عند أكثر العارفين والفقهاء، والأخير هو المعول عليه عند كثير من أهل الله، كما يأتى بسطه بحول الله.

وإذا تقرر هذا وعلم، وتأمل وفهم، فلننشر بعده لما عثرنا عليه فى المسألة من الآيات والأخبار والآثار، وما يتعلق [١٤٠] بها من كلام الأئمة النظار، حتى تتبين أدلتها وتتضح لكل ذى بصر محجتها، وتزداد الأقاويل بها بيانا والقوة فيها قوة وبرهانا، ونختم بكلام أهل البصائر من الأولياء والصلحاء الأكابر، لأن كلامهم فى هذا الباب هو الذى عليه المدار، وهو أولى بالاعتماد عليه والتعويل والاعتبار لصدق فراستهم ونورانية بصيرتهم.

الحاصل فى الآيات والأحاديث والأخبار والأقاويل السلفية فى إثبات علم الغيب أو نفيه عنه ﷺ

فنقول ومن الله تعالى نستمد وبه نجول، أما الآيات والأحاديث والأخبار وما يتبعها من الأقاويل السلفية والآثار فهى فى هذا الباب على ثلاثة أقسام:

قسم منها يفيد بعمومه نفى علم الغيب عن النبى ﷺ وعن غيره من سائر الخلق تفصيلاً وإجمالا، وأنه مختص بالبارى تبارك وتعالى.

وقسم يفيد بظاهره أنه ﷺ كان يعلم كل شيء، خصوصاً وعموما إلا الخمس والروح وما يجرى مجراها مما كان استئثار الحق تعالى به مقررا معلوما.

وقسم يفيد بمجموعه علمه ﷺ بجميع المخبآت شمولا واستغراقا، وأنه أعلم بكل ما مضى منها أو حضر أو يأتى عموما وإطلاقا، واطلاعه على العالم العلوى والسفلى جنة ونارا وعرشا وفرشا وسماء وأرضا وغيرها من جميع الخلائق والحضرات طولا وعرضا.

القسم الأول:

فأما القسم الأول وهو ما يفيد بعمومه نفى علم الغيب عنه وعن غيره تفصيلاً وإجمالا، وأنه مختص بالبارى تبارك وتعالى، فقال تعالى ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ** ﴾ [الأنعام:٥٩] قيل مفاتحه جمع مَفتح **بفتح الميم** [١٤١] وهو المخزن، أى خزائنه، ثم منهم من فسرها بالخزائن مطلقا، **وهو الظاهر**، ومنهم من خصها بخزائن الرب، ومنهم من قال خزائن الأرض، وقيل جمع مِفتح بكسر الميم، لغة فى مفتاح بألف بعد التاء، وهو ما يتوصل به إلى حل المغلقات التى يتعذر الوصول إلى ما فى داخلها إلا بحلها، وعليه فالمراد بمفاتح الغيب الطرق الموصلة إلى علمه، وفسرها فى الحديث كما يأتى بالخمس المذكورة فى آية ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان:٣٤] الآية، وكأنه أراد أنها فيها، أى أنها محصورة فيها، لأن مفاتح الغيب لا تتناهى، وخصها بالذكر إما لأنها أمهات المفاتيح، وإما لأنها التى كانوا يزعمون اطلاع الكهان ونحوهم عليها، وإما لأنها التى كثر سؤالهم عنها، مع أن العدد لا ينفى زائدا عليه، لأن مفهومه غير معتبر عند جمهور الأصوليين.

وقال بعض أرباب الإشارات: مفاتيح الغيب أى البطون أسماء ذاتية تسمى بهذا الاسم لا يعلمها إلا هو تعالى، أو من تجلى له الحق بالهوية الذاتية من الأقطاب والكمل، وهى أمهات الشئون الذاتية التى تطلب بذواتها من الله ظهور صورها ولوازمها فى العلم ثم فى العين، والأعيان الثابتة فى العلم **عبارة** عن صورها وتعيناتها، فما من عين منها إلا وهى مستندة إلى اسم خاص من تلك **الأسماء**، وهى مظهر ذلك الاسم ومستواه فى العلم والعين، وفى مقابلتها أسماء مفاتيح الشهادة، أى الظهور، وقال تعالى خطابا لنبيه ﷺ ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَراً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ**

أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٨] [١٤٢] وقال خطابا له أيضاً ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الأنعام:٥٠]وقال عن سيدنا نوح خطابا لقومه ﴿ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ﴾ [هود:٣١] الآية، وقال خطابا لنبيه ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [النمل:٦٥] وقال﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [هود:١٢٣] أى علم ما غاب فيهما، وقال ﴿ لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الكهف:٢٦]أى علمه، وقال ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف:٩]وأخرج أحمد والبخارى فى مواضع من " صحيحه " منفردا بإخراجه عن الإمام مسلم والنسائى فى الرؤيا عن خارجة بن زيد بن ثابت: أَنَّ أُمَّ الْعَلاَءِ - امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ - بَايَعَتِ النَّبِىَّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اقْتُسِمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَأَنْزَلْنَاهُ فِى أَبْيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِى تُوُفِّىَ فِيهِ، فَلَمَّا تُوُفِّىَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِى أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِى عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ. فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ « وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ ». فَقُلْتُ بِأَبِى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ فَقَالَ « أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّى لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِى - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ - مَا يُفْعَلُ بِى ». الحديث [١].

وفى رواية أخرى للبخارى وغيره: ما يفعل به، أى بعثمان. قال ابن كثير فى " تفسيره " وهذا [١٤٣] أشبه أن يكون هو المحفوظ [٢].

---

(١) أخرجه البخارى (٤١٩/١، رقم١١٨٦).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١٥٦/٤).

وفى رواية أخرى لأحمد وعبد بن حميد وغيرهما: والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم [١].

وفى أخرى لأحمد: فقال أجل عثمان بن مظعون ما رأينا إلا خيرا، وهذا أنا رسول الله والله ما أدرى ما يصنع بى.

وأخرج أحمد والبخارى فى النكاح وفى غزوة بدر وأبو داود فى الأدب والترمذى وابن ماجه فى النكاح عن الربيع بنت معوذ قالت: دخل علىَّ النبى ﷺ غداة بُنِىَ علىَّ، فجلس على فراشى – تقول لخالد بن ذكوان الراوى عنها – كمجلسك منى، وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت جارية: وفينا نبى يعلم ما فى غد. فقال النبى ﷺ: لا تقولى هكذا، وقولى ما كنت تقولين [٢].

وفى رواية الترمذى: اسكتى عن هذه، وقولى التى كنت تقولين قبلها.

وفى رواية ابن ماجه قالت: دخل على رسول الله ﷺ صبيحة عرسى وعندى جاريتان تغنيان وتندبان آبائى الذين قتلوا يوم بدر، وتقولان فيما تقولان: وفينا نبى يعلم ما فى غد. فقال: أما هذا فلا تقولاه، ما يعلم ما فى غد إلا الله [٣].

وفى رواية لأحمد عن الربيع قالت: دخل علىَّ رسول الله ﷺ يوم عرسى فقعد فى موضع فراشى هذا وعندى جاريتان تضربان بالدف وتندبان آبائى الذين قتلوا يوم بدر، فقالتا فيما تقولان: وفينا نبى يعلم ما يكون فى اليوم وفى غد. فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فلا تقولاه [٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣٦/٦، رقم ٢٧٤٩٨) وعبد بن حميد (٤٦١/١، رقم١٥٩٣).

(٢) أخرجه البخارى (١٤٦٩/٤، رقم ٣٧٧٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٦١١/١، رقم ١٨٩٧).

(٤) أخرجه أحمد (٣٦٠/٦، رقم٢٧٠٧٢).

وفى لفظ ذكره فى " جمع الجوامع " وعزاه للبيهقى فى " السنن " [١٤٤] من حديث عمرة بنت عبد الرحمن مرسلا: سبحان الله، لا يعلم ما فى غد إلا الله، لا تقولوا هكذا، وقولوا: أتيناكم فحيانا وحياكم.

وأخرج الطبرانى فى " الأوسط " قال فى " الفتح " بإسناد حسن من حديث عائشة: إن النبى ﷺ مر بنساء من الأنصار فى عرس لهن، وهن يغنين:

وأهدى لها كبشا تنحنح فى المربد

وزوجك فى النادى وتعلم ما فى غد

فقال: لا يعلم ما فى غد إلا الله.

وأخرج أحمد وابن حبان فى " صحيحه " عن أبى أمامة: أن النبى ﷺ مر على قبرين، فقال: إنهما ليعذبان الآن ويفتنان فى قبريهما. قالوا: وحتى متى هما يعذبان. قال: غيب لا يعلمه إلا الله، ولولا تمزع قلوبكم وتـــزيدكم فى الحديث لسمعتم ما أسمع. ذكره بهذا اللفظ فى " جمع الجوامع " وعزاه لمن ذكر، وذكره المنذرى فى " الترغيب " بلفظ آخر وقال: رواه أحمد – واللفظ له – وابن ماجه كلاهما من طريق على بن يزيد الألهانى عن القاسم – يعنى ابن عبد الرحمن الشامى – عنه، يعنى عن أبى أمامة.

قلت: ولفظ أحمد على ما رأيته فيه حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا مُعَانُ بْنُ رِفَاعَةَ حَدَّثَنِى عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ قَالَ سَمِعْتُ الْقَاسِمَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِى أُمَامَةَ قَالَ: مَرَّ النَّبِىُّ ﷺ فِى يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ نَحْوَ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ – قَالَ – فَكَانَ النَّاسُ يَمْشُونَ خَلْفَهُ – قَالَ – فَلَمَّا سَمِعَ صَوْتَ النِّعَالِ وَقَرَ ذَلِكَ فِى نَفْسِهِ فَجَلَسَ حَتَّى قَدَّمَهُمْ أَمَامَهُ لِئَلاَّ يَقَعَ فِى نَفْسِهِ شَىْءٌ مِنَ الْكِبْرِ فَلَمَّا مَرَّ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ إِذَا بِقَبْرَيْنِ قَدْ دَفَنُوا فِيهِمَا رَجُلَيْنِ – قَالَ – فَوَقَفَ النَّبِىُّ ﷺ فَقَالَ « مَنْ دَفَنْتُمْ هَا هُنَا الْيَوْمَ؟ ». قَالُوا: يَا نَبِىَّ اللَّهِ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ. قَالَ « إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ الآنَ وَيُفْتَنَانِ فِى قَبْرَيْهِمَا ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَ ذَلِكَ؟ قَالَ « أَمَّا أَحَدُهُمَا[١٤٥] فَكَانَ لاَ يَتَنَــزَّهُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِى بِالنَّمِيمَةِ ». وَأَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا ثُمَّ جَعَلَهَا عَلَى الْقَبْرَيْنِ قَالُوا: يَا نَبِىَّ اللَّهِ وَلِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ « لِيُخَفَّفَنَّ عَنْهُمَا ». قَالُوا: يَا نَبِىَّ اللَّهِ وَحَتَّى مَتَى – يعنى إلى متى يُعَذِّبُهُمَا

اللَّهُ؟ قَالَ « غَيْبٌ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللَّهُ ». قَالَ « وَلَوْلاَ تمزيع قُلُوبِكُمْ أَوْ تَـزَيُّدُكُمْ فِي الْحَدِيثِ لَسَمِعْتُمْ مَا أَسْمَعُ »(١).

وعَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ هذا قال الأزدى والدارقطنى والبرقى: متروك. وقال البخارى: منكر الحديث ضعيف. وقال أبو زرعة الرازى: ليس بقوى. وقال يحيى بن معين: أحاديث على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة كلها ضعاف. قال المنذرى: ووثقه أحمد وابن حبان. والقاسم أيضاً فيه اختلاف، فقال أحمد: روى عنه على بن يزيد أعاجيب، وتكلم فيها وقال ما أراها إلا من قبله. وقال ابن حبان: كان يروى عن أصحاب النبى ﷺ المعضلات. ووثقه ابن معين والجوزجانى والترمذى وصحح له. وقال العجلى: ثقة يكتب حديثه وليس بالقوى.

وابن ماجة رواه فى باب من كره أن يوطأ عقباه من أبواب قصر العلم والعلماء إلا أنه اقتصر على صدره إلى قوله: من الكبر. وفى " الزوائد ": إسناده ضعيف لضعف رواته. وقوله: لئلا يقع فى نفسه شيء من الكبر. معناه فى نفس من وقع له مثل هذا، لأنه عليه الصلاة والسلام معصوم، فهو من التنبيه على ضعف حالة البشر، وأنهم محل للآفات كلها إلا من عصمه الله تعالى.

وأخرج ابن مردويه فى " تفسيره " عن سلمة بن الأكوع قال: كان رسول الله ﷺ فى قبة حمراء إذ جاء رجل على فرس فقال: من أنت؟ قال: أنا رسول الله. قال: متى الساعة؟ قال: غيب، وما يعلم الغيب إلا الله. قال: ما فى بطن [١٤٦] فرسى؟ قال: غيب، وما يعلم الغيب إلا الله. قال: فمتى تمطر؟ قال: غيب، وما يعلم الغيب إلا الله.

وأخرج الحاكم فى " المستدرك " وصححه، والطبرانى عنه أيضاً: أنه كان مع النبى ﷺ إذ جاءه رجل فقال: من أنت؟ قال أنا نبى. قال: وما نبى؟ قال: رسول الله. قال:متى تقوم الساعة. قال: غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله. الحديث مثل الذى قبله (١).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦/٥، رقم٢٢٣٤).

وأخرج البيهقى عن عقبة بن عامر الجهنى قال: جاء رجال من أهل الكتاب معهم مصاحف فاستأذنوا على النبى ﷺ فدخلت فأخبرته، فقال: ما لى ولهم يسألون عما لا أدرى، إنما أنا عبد لا أعلم إلا ما علمنى ربى. الحديث.

وأخرجه أيضاً بنحوه الإمام محمد بن الربيع الجيزى فى " مسند من دخل مصر من الصحابة " وقد ذكر لفظه الدميرى فى " حياة الحيوان " فى ترجمة الغرنيق، فراجعه.

وأخرج البيهقى أيضاً وأبو نعيم وابن إسحاق فى " المغازى " والواقدى عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن رجال من بنى عبد الأشهل: أن ناقته عليه السلام — قال الواقدى: وهى القصواء — لما ضلت وهم ببعض الطريق، أى بعدما ساروا من الحجر فى غزوة تبوك قال المنافق — وهو زيد بن اللصيت بالتصغير أو بالتكبير بوزن عظيم — القينقاعى: أليس محمد يزعم أنه نبى ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته. فقال رسول الله ﷺ وعنده عمارة بن حزم أى العقبى البدرى: إن رجلا قال كذا وكذا - وذكر مقالته — وإنى لا أعلم إلا ما علمنى الله. وفى لفظ: ربى، وقد دلنى الله عليها، وهى فى الوادى فى شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتونى بها. فانطلقوا فجاءوا بها، فرجع [١٤٧] عمارة إلى رحله فحدثهم عما قال رسول الله ﷺ فى خبر الرجل، فقال رجل كان فى رحل عمارة، وهو أخوه عمرو: إنما قال المنافق والله هذه المقالة قبل أن تأتى. وفى رواية: قبل أن تطلع علينا.

وذكر الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى فى بعض كتبه بغير إسناد: أنه عليه الصلاة والسلام قال: إنى لا أعلم ما وراء جدارى هذا. ومعناه نفى علم الغيب عن نفسه، يعنى بغير إعلام من الله تعالى.

وفى " المقاصد الحسنة " فى حديث: ما أعلم ما خلف جدارى هذا. قال شيخنا يعنى الحافظ ابن حجر: لا أصل له. قلت، أى قال السخاوى: ولكنه قال فى " تلخيص

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك (١/٤٩، رقم ١٤).

تخريج الرافعي " عند قوله في الخصائص: ويرى من ظهره كما يرى من قدامه. هو في " الصحيحين " وغيرهما من حديث أنس وغيره، والأحاديث الواردة في ذلك مقيدة بحالة الصلاة، وبذلك يجمع بينه و بين قوله: لا أعلم ما وراء جداري. انتهى، قال: وهذا يشعر بوروده انتهى.

قال في " شرح المواهب " ويمكن أن مراده لا أصل له معنى لكونه ذكر بلا إسناد لا أن مراده بطلانه. انتهى.

وأخرج الطبراني في " الكبير " وابن شاهين في " السنة " بإسناد حسن كما في " التيسير " عن معاذ بن جبل مرفوعاً: إني فيما لم يوح إلى كأحدكم[1].

زاد في " التيسير " بعده: فإني بشر مثلكم، لا أعلم إلا ما علمني ربي.

وأخرج البخاري في التفسير وغيره ومسلم في الإيمان والترمذي والنسائي في التفسير وغيرهم عن مسروق قال قلت لعائشة: يا أمتاه هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم [١٤٨] قرأت ﴿ **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام:١٠٣] و ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً** ﴾ [لقمان:٣٤]ومن حدثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنــزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾ [المائدة :٦٧] الآية، ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين [2].

وفي رواية للبخاري في التوحيد عن مسروق عن عائشة قالت: من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب وهو يقول لا تدركه الأبصار ومن حدثك أنه يعلم الغيب

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦٧/٢٠،رقم ١٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٤٠/٤، رقم ٤٥٧٤).

فقد كذب وهو يقول لا يعلم الغيب إلا الله، تريد آية ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [النمل:٦٥] الآية.

ولفظ رواية الترمذى عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة فقالت عائشة: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. فذكر عنها الأولى والثانية، ثم قالت: ومن زعم أنه يعلم ما فى غد فقد أعظم الفرية على الله، والله يقول ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [النمل:٦٥] قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح [(١)].

وأخرج ابن خزيمة وابن حبان فى " صحيحيهما " من طريق عبد ربه بن سعيد عن داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت: أعظم الفرية على الله من قال إن محمدا رأى ربه، وإن محمدا كتم شيئا من الوحى، وإن محمدا يعلم ما فى غد.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن مسروق عن عائشة قالت: من أخبرك أن محمدا رأى ربه، أو كتم شيئا مما أمر به، أو يعلم الخمس التى قال الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤]فقد أعظم الفرية.

وأخرج ابن جرير فى " تفسيره " عن الشعبى قال قالت عائشة: من قال إن أحداً يعلم الغيب [١٤٩] إلا الله فقد كذب وأعظم الفرية على الله، قال الله ﴿ لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [النمل:٦٥]

وروى أيضاً عن مسروق عن عائشة قالت: من حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان:٣٤]

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٦٢/٥، رقم ٣٠٦٨).

الآيات والأحاديث الدالة على أن الله يُطلع بعض غيبه من يشاء من نبي أو ملك أو ولى

فهذه آيات وأحاديث وآثار تدل بمجموعها على نفى علم الغيب عنه ﷺ وعن غيره من جميع المخلوقات جملة وتفصيلا، وعلى أن علمه مختص به تبارك وتعالى، وأنه لا يعلمه سواه مطلقا، لكن ذكر العلماء والصوفية وغيرهم من سائر المعتبرين أنها محمولة على أنه تعالى هو المختص بعلم الغيب أصالة وبطريق الاستبداد بغير واسطة، ولا استمداد من شيء بخلاف غيره من نبى أو ملك أو ولى، فإنه إنما يعلمه أو نبأه منه شيئا قليلا كان أو كثيرا بإعلامه تبارك وتعالى إما بواسطة ملك ونحوه، وإما بدونها، وإما بإلهام منه سبحانه، واستدلوا على هذا بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار:

فمن الآيات:

قوله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ [آل عمران:١٧٩] أى فيطلعهم على ما يشاء من مغيباته معجزة لهم، فيعلمون ذلك من قبله تعالى، لا من قبل أنفسهم.

وقوله ﴿ **عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن:٢٦،٢٧] أى إلا من ارتضاه لعلم الغيب ليكون إخباره بشيء منه معجزة له، وآية دالة على نبوته وهو الرسول، فإنه يظهره له ويطلعه عليه، والولى تابع للرسول ومستمد منه ومقتبس من أنواره على قدر مرتبته [١٥٠].

وقوله ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا** ﴾ [هود:٤٩] فأخبر أنه أعلمه بمغيبات أوحى بها إليه لم يكن يعلمها هو ولا قومه من قبل الوحى.

وقوله عن يوسف عليه السلام ﴿ **لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي** ﴾ [يوسف:٣٧] فأخبر أنه يعلم بعض المغيبات، وأن علمه إياها هو بتعليم الله تعالى.

وقوله فى شأن الخضر عليه السلام ﴿ عَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ [الكهف:٦٥]أى من عندنا ﴿ عِلْماً ﴾ وهذا هو العلم اللدنى، وهو الذى يأتى من قبل الله تعالى فيقع فى سر القلب من غير سبب مألوف من خارج كتعلم أو دراسة، ويقابله العلم الانفعالى وهو الذى يستند إلى سبب مألوف من تعلم ونحوه.

وقوله ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر:٧٥]روى عن مجاهد وجعفر بن محمد قالا فى تفسيره: هم المتفرسون. وكذا أخرجه الهروى وابن عدى والطبرانى وأبو نعيم فى " الطب النبوى " والحكيم الترمذى وسمويه عن أبى أمامة مرفوعا. والمتفرس هو الملهَم من قبل الله تعالى بواسطة ملك أو بدونه. وقرأ ابن عباس ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ ولا محدث ﴾ [الحج:٥٢]ذكره فى " القوت " و " الإحياء " والمحدث كمعظم هو الملهَم أيضا.

ومن الأحاديث:

قوله عليه الصلاة والسلام: لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدثون. قال ابن وهب: تفسيره ملهمون. وقال غيره: مكاشفون من قبل الله تعالى بما كان أو يكون، وبما فى ضمائر الناس من خواطرهم وما يخفونه فى سرائرهم. قال فى الحديث: من غير أن يكونوا أنبياء، وإن يكن فى أمتى أحد منهم فإنه عمر بن الخطاب. أخرجه أحمد والبخارى عن أبى هريرة [١].

وقوله: قد كان يكون فى الأمم قبلكم محدثون [١٥١]، فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر بن الخطاب منهم. أخرجه أحمد ومسلم والترمذى والنسائى عن عائشة.

وقوله: إنه لم يبعث الله نبيا إلا كان فى أمته محدثون، وإن يكن فى أمتى أحد فهو عمر. أخرجه الطبرانى فى " الأوسط " عن أبى سعيد الخدرى.

وقوله: اتقوا فراسة المؤمن — بكسر الفاء عند جمهور المحدثين وضبطها بعضهم بالفتح — قال فى الحديث: فإنه ينظر بنور الله. أى اطلاعه على ما فى الضمائر ومعاينته

(١) أخرجه البخارى (٣/١٣٤٩، رقم ٣٤٨٦).

لها، وعلمه بما فيها وبسائر الأمور المغيبة بأنوار الله التي أشرقت في قلبه، فتجلت له بها حقائق الأشياء ومخبآتها يقينا من غير ظن ولا شك ولا وهم ولا اكتساب، وإنما هو علم وهبي يرى بعين القلب المشرقة بأنواره تعالى.

قال الشيخ عبد الرءوف المناوى فى " التيسير ": وهذا فى المؤمن الكامل، وفيه قيل:

يرى عن ظهر غيب الأمر ما لا   تراه عين آخر من عيان

قال: أما غيره فأجنبي عن هذا المقام فلا عبرة بفراسته ولا بظنه، وفيه قيل:

وأضعف عصمة عصم الظنون. انتهى.

أخرج الحديث المذكور البخارى في " تاريخه " والترمذى واستغربه، وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والخطيب وابن السنى وأبو نعيم والخطيب وابن السنى وأبو نعيم معا فى " الطب " عن أبي سعيد الخدرى، والحكيم الترمذى فى " نوادره " وسمويه فى " فوائده " والطبرانى فى " الكبير " وابن عدى فى " كامله " عن أبي أمامة الباهلى، وابن جرير الطبرى عن ابن عمر.

– وقوله: احذروا دعوة المسلم وفراسته. وفى رواية: احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وينطق بتوفيق الله [1]. أخرجه ابن جرير الطبرى وأبو نعيم والعسكرى من طريق [١٥٢] وهب بن منبه عن طاوس عن ثوبان.

---

(١) قال العجلونى فى كشف الخفاء (١/٤٠ ٢)"اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله" قال في " الدرر "رواه الطبراني، والترمذي من حديث أبي امامة، وأخرجه الترمذي أيضاً من حديث أبي سعيد وقال في التمييز تبعا للأصل رواه الترمذي وقال غريب، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الديلمي بعد أن عزاه للترمذي عن أبي سعيد قال وزاد بعضهم " وينطق بتوفيق الله " قلت لم أقف على الزيادة انتهى. وقال في الأصل، ورواه الطبراني، وأبو نعيم والعسكري عن ثوبان رفعه بلفظ " احذروا دعوة المسلم وفراسته فانه ينظر بنور الله وينظر بتوفيق الله " ورواه العسكري عن أبي الدرداء موقوفا بلفظ " اتقوا فراسة العلماء فانهم ينظرون بنور الله إنه شيء يقذفه الله في=

وقوله: إن لله تعالى عبادا يعرفون الناس. قال فى " التيسير " أى يطلعون على ضمائرهم وأحوالهم بالوسم أى بالتفرس، قال: غرقوا فى بحر شهوده فجاد عليهم بكشف الغطاء عن بصائرهم، فأبصروا بها بواطن الناس. انتهى. أخرجه البزار فى " مسنده " والحكيم الترمذى فى " نوادره " وابن السنى وأبو نعيم معا فى " الطب النبوى " وغيرهم عن أنس، وفى " التيسير " و " شرح الإحياء " أنه حسن الإسناد.

ومن الآثار:

قول أبي الدرداء ﷺ: المؤمن ينظر إلى الغيب بنور الله من وراء ستر رقيق، وإنه لحق يقذفه الله فى قلوبهم ويجريه على ألسنتهم. نقله فى " القوت " و " الإحياء "

واستدلوا عليه أيضاً بما ورد عن الأنبياء وأتباعهم من الإخبارات بالمغيبات التى لا تنضبط كثرة، ووقعت كما أخبروا، فإن ذلك مؤذن بأنهم يعلمون الغيب، ويطلعون على أشياء كثيرة منه، ولكن بإعلامه تعالى وكشفه، لأنه يستحيل اطلاعهم على ذلك من ذواتهم وقبل أنفسهم وبأعمال فكرية يعلمونها لا تغنى من الله شيئا، ولهذا جزم من جزم من العلماء والأولياء بحمل تلك الآيات والأحاديث والآثار التى ذكرناها أولاً على ما ذكرناه جمعا بين الأدلة، ودفعا للتعارض بينهما، وبيانا لما هو الواقع.

=قلوبهم وعلى ألسنتهم " ورواه الديلمي عن أبي الدرداء بلفظ " اتقوا فراسة العلماء فوالله انه لحق يقذفه الله في قلوبهم ويجعله على أبصارهم " وطرقه كلها ضعيفة وبعضها متماسك فلا يليق مع وجوده الحكم على الحديث بالوضع لا سيما، ورواه الطبراني والبزار وأبو نعيم بسند حسن عن أنس رفعه " إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم " ونحوه قول النبي ﷺ لعمران بن حصين وقد أخذ بطرف عمامته من ورائه واعلم أن الله يحب الناظر الناقد عند مجيء الشبهات وفي مستدرك الحاكم عن عروة مرسلا أن النبي ﷺ قال " ان لكل قوم فراسة وإنما يعرفها الاشراف " قيل والمراد بهم المؤمنون جميعا بين الأحاديث وحكم عليه الصنعاني بالوضع لكنه لفظه عنده اتق بالافراد فاعرفه وقال النجم ورواه البخاري في التاريخ والترمذي والعسكري والخطيب وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد وزاد ثم قرأ إن في ذلك لآيات للمتوسمين إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم انتهى.

ولنذكر ها هنا شيئا من نصوصهم فنقول:

قال ابن عطاء الله فى " لطائف المنن " ما نصه: واعلم أن اطلاع أولياء الله تعالى على بعض الغيوب لا يحيله العقل، وقد ورد به النقل، ثم ذكر ما يشهد له، ثم قال: وحكايات الأولياء فى كل عصر وقطر تتضمن ثبوت ذلك بما بلغ حد التواتر، فلا يمكن جحده، ثم أنا أدلك – رحمك الله – [١٥٣] على أمر يسهل عليك التصديق بذلك، وهو أن اطلاع المخصوص على غيب من غيوب الله ليس بجثمانيته ولا وجود صورة، وإنما هو نور الحق فيه، دليل ذلك قوله ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله [1]. فكيف يستغرب أن يطلع مؤمن على غيب من غيوب الله بعد أن شهد له الرسول ﷺ أنه إنما ينظر بنور ربه لا بوجود نفسه، وكذلك قوله فى الحديث الذى تقدم: فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به.. الحديث إلى آخره، ومن كان الحق بصره فليس الاطلاع على الغيب بمستغرب فيه، وفى بعض طرق هذا الحديث: فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا.

فإن قلت كيف تصنع بهذه الآية، وهى قوله سبحانه ﴿ **عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن:٢٦،٢٧]فلم يستثنى أحداً إلا الرسول فاعلم أنى سمعت شيخنا أبا العباس ﷺ يقول: وفى معناه أو صديق أو ولى.

فإن قلت: هذه زيادة على ما تضمنه الكتاب العزيز.

فاعلم أنه إذا قيل إن السلطان لم يأذن اليوم إلا للوزير وحده ربما دخل بعض مماليك الوزير معه، وكان الإذن لمتبوعهم إذنا لهم، كذلك الولى إذا أطلعه الله على غيب من غيوبه فإنما ذلك لانطوائه فى جاه النبوة، وقيامه بصدق المتابعة مما رأى ذلك بنفسه، وإنما رآه بنور متبوعه، وأيضا إن الآية تشير إلى نفى اطلاع العباد على غيب الله إلا من أطلعه الله، وبين سبحانه سبب اطلاعه من أطلعه على غيب من غيوبه، وأن ذلك إنما كان لأنه [١٥٤] مرتضى عنده بقوله ﴿ **إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى** ﴾ وقوله ﴿ **مِن**

(١) أخرجه الترمذى (٢٩٨/٥، رقم٣١٢٧).

رَّسُولٍ ﴾ خص الرسول بالذكر، و لم يذكر النبى ولا الصديق ولا الولى، وإن كان كل منهم ممن ارتضى، لأن الرسول أولى بذلك مما سواه. انتهى منه بلفظه. وقد نقله جماعة ممن بعده باللفظ وبالمعنى متمما ومختصرا معتمدين له.

وحديث: فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه، وإن استعاذنى – وفى رواية: بى – لأعيذنه. الحديث أخرجه البخارى فى باب التواضع من كتاب الرقائق من حديث أبى هريرة مرفوعاً[1]، وأوله عنده: إن الله تعالى قال. ولم يخرجه أحمد فى " مسنده " ولا أحد من بقية أصحاب الكتب الخمسة، وله طرق فى غيرها:

فرواه أحمد فى " الزهد " وابن أبى الدنيا وأبو نعيم فى " الحلية " والبيهقى فى " الزهد " والطبرانى من حديث عائشة، زاد فيه: وفؤاده الذى يعقل به، ولسانه الذى يتكلم به.

وأبو يعلى والبزار والطبرانى والقشيرى فى " الرسالة " من حديث أنس بسند فيه ضعف وفيه: ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا.

والطبرانى والبيهقى فى " الزهد " من حديث أبى أمامة بسند ضعيف وفيه: وإذا استنصرنى نصرته.

والطبرانى من حديث حذيفة مختصرا وسنده حسن غريب وفيه: ويكون من أوليائى وأصفيائى، ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء فى الجنة.

والإسماعيلى فى " مسند على " من حديث على.

والطبرانى من حديث ابن عباس وسندهما ضعيف.

وابن ماجه وأبو نعيم فى " الحلية " من حديث معاذ بن جبل مختصرا بسند ضعيف.

وأحمد فى " الزهد " وأبو نعيم فى " الحلية " من حديث وهب بن منبه مقطوعاً.

---

(١) أخرجه البخارى (٢٣٨٤/٥، رقم ٦١٣٧).

وبهذا[١٥٥] يعلم ما فى قول الذهبى فى الميزان: أنه حديث غريب جدا لولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه فى منكرات خالد بن خالد القطوانى لغرابة لفظه ولأنه مما ينفرد بـه شـريك ولـيس بالحافظ و لم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد ولا خرجه من عدا البخارى ولا أظنه فى مسند أحمد فإن الحديث له طرق عديدة يدل بمجموعها على أن له أصـلا أصيلا، وقد جعله الصوفية أصلا عظيما فى السلوك إلى الله تعالى، والوصول إلى معرفته ومحبته وتداولوه فى كتبهم وتكلموا فى معناه بحسب أذواقهم ومشاربهم كما أنه تكـلم علـيه علماء الظاهر كل بما يناسب حاله وفهمه. راجع فتح البارى وشرحى المواهب والإحياء.

وفى فـتح الـبارى فى شـرح هذا الحديث نقلا عن ابن عطاء الله قال: وفيه – يعنى الحديـث المذكور – دلالة على جواز اطلاع الولى على المغيبات باطلاع الله تعالى له ولا يمنع من ذلك ظاهر قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فإنه لا يمنع دخول بعض اتباعه معه بالتبعية لصدق قولنا ما دخل على الملك الـيوم الا الوزيـر ومن المعلوم أنه دخل معه بعض خدمه قلت – أى قال الحافظ –: الوصـف المستثنى للرسول هنا إن كان فيما يتعلق بخصوص كونه رسولا فلا مشاركة لأحد من اتباعه فيه إلا منه وإلا فيحتمل ما قال والعلم عند الله. انتهى.

وفيه أيضا فى تفسير سورة لقمان ما نصه: وأما ما ثبت بنص القرآن أن عيسى عليه السلام قال إنه يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون وأن يوسف قال ينبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتى إلى غير ذلك مما

[١٥٦] ظهر من المعجزات والكرامات، فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء فى قوله ﴿ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٧] فإنه يقتضى اطلاع الرسول على بعض المغيبات، والولى تابع للرسول، عن الرسول يأخذ، وبه يكرم، والفرق بينهما أن الرسول يطلع على ذلك بأنواع الوحى كلها، والولى لا يطلع إلا بمنام أو إلهام. انتهى.

وفى حصره اطلاع الولى بما ذكره نظر، فإن الولى قد يطلع أيضاً بإخبار الرسول ﷺ أو غيره من الأنبياء والرسل، أو بإخبار ملك الإلهام أو غيره من الملائكة، أو بإخبار من هو فوقه مرتبة من الأولياء كالخضر، أو بالنظر فى اللوح المحفوظ أو فى غيره من الألواح، أو بغير ذلك، فما يعرفه أربابه ولا يكاد ينحصر.

وفى " المواهب اللدنية " فى الكلام على حديث: إنى لا أعلم ما وراء جدارى هذا. لما ذكر أنه مشكل مع ما أخبر به عليه السلام من المغيبات الكثيرة، ووقعت كما أخبر ما نصه: فالجواب إن نفى العلم فى هذا ورد على أهل الوضع، وهو أن علم الغيب مختص بالله تعالى، وما وقع منه على لسان نبيه ﷺ وغيره فمن الله تعالى إما بوحى أو إلهام، ويدل على ذلك الحديث، ثم ذكر حديث ضلال الناقة، وقال بعده: فصح أنه لا يعلم ما وراء جداره ولا غيره إلا ما أعلمه ربه تبارك وتعالى. انتهى.

وقال أيضاً فى فصل إنبائه ﷺ بالأنباء المغيبات ما نصه: اعلم أن علم الغيب يختص بالله تعالى، وما وقع منه على لسان رسوله ﷺ وغيره فمن الله تعالى إما بوحى أو إلهام، والشاهد لهذا قوله تعالى ﴿ **عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن:٢٦،٢٧] [١٥٧] ليكون معجزة له بعد، واستدل به على إبطال الكرامات، وأجيب بتخصيص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بغير توسطه، وكرامات الأولياء على المغيبات – أى بالاطلاع عليها – إنما تكون برؤيا الملائكة كإطلاق اطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء، وفى حديث مر يعنى فى غزوة تبوك أنه عليه الصلاة والسلام قال: والله إنى لا أعلم إلا ما علمنى ربى. فكل ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام من الأنباء المنبئة عن الغيوب ليس هو إلا من إعلام الله له به إعلاما، أى علامات على ثبوت نبوته ودلائل على صدق رسالته. انتهى.

زاد شارحه العلامة الزرقانى بعده: وقد تواترت الأخبار واتفقت معانيها على اطلاعه ﷺ على الغيب كما قال عياض، ولا ينافى الآيات الدالة على أنه لا يعلم الغيب إلا الله، وقوله ﴿ **وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاستَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ** ﴾ [الأعراف:١٨٨] لأن المنفى علمه من غير واسطة كما أفاده المتن، أما اطلاعه عليه بإعلام الله محقق

لقوله ﴿ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٧] ثم ذكر كلام ابن عطاء الله المتقدم فى كلامنا بمعناه مختصرا، وزاد بعده قال: ومما كلفنا الله الإيمان بالغيب إلا وقد يفتح لنا باب غيبه، وإلى هذا أشار الغزالى فى أماليه على الإحياء ثم قال – يعنى الغزالى – ويحتمل أن المراد بالرسول فى الآية ملك الوحى الذى بواسطته تنكشف الغيوب فيرسله للإعلام بمشافهة، أو إلقاء فى روع، أو ضرب مثل فى يقظة أو منام ليطلع على الغيب من أراد، وفائدة ذلك الامتنان على من رزقه الله ذلك [١٥٨] وإعلامه بأنه لم يصل إليه بحوله وقوته فلا يظهر على غيبه أحداً من عباده إلا على يدى رسول من ملائكته أرسله لمن فرغ قلبه لانصباب أنهار العلوم الغيبية فى أوديته حتى يصل لأسرار الغيب المكنونة فى خزائن الألوهية: انتهى. وهو نفيس من المهمات.

والثانى: هو ما أشار إليه المصنف بقوله: واستدل تبعا للبيضاوى لكنه لم ينمقه هذا التنميق الحسن. انتهى كلام الزرقانى.

وقال ابن حجر الهيتمى فى " شرحه لهمزية الإمام البوصيرى " لدى قولها: وبما أخبر النبى إلى آخره فى التنبيه الأول ما نصه: يجب على كل مكلف أن يعتقد أن الله تعالى هو المختص بعلم الغيب، وأن ما حصل لرسله وأوليائه منه فهو إما بوحى من الله أو إلهام، والاستثناء فى قوله ﴿ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى ﴾ [الجن:٢٦، ٢٧]متصلا كما هو الأصل وذكر الرسول لا للاختصاص به، بل لأن كرامة أولياء أتباعه من جملة كراماته ومعجزاته، وفى الحديث: إنى لا أعلم إلا ما علمنى ربى. انتهى، وفى قوله: وذكر الرسول جواب عن إيراد ابن حجر العسقلانى على ابن عطاء الله السابق فتأمله.

رأى الجمهور فى إعلامه ﷺ بالغيب

وقد استفيد هذا الجواب عن آية ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام:٥٩] وآية ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [النمل:٦٥] ونحوهما، ومحصل الجواب أنه لا يعلم مفاتيح الغيب ويعلم الغيب من نفسه وذاته بطريق الاستقلال والاستبداد وعدم الاستمداد من شيء إلا هو سبحانه

وتعالى، وأما غيره إذا علمها أو علم الغيب فإنما يعلمه بإعلامه تعالى واطلاعه، لأنه ليست له صفة يقدر بها على الاستبداد [١٥٩] وهذا الجواب هو المشهور لدى الجمهور.

وها هنا أجوبة أُخر:

- منها: أنه لا يعلمها كلها ويعلم الغيب جميعه علم إحاطة واستغراق لجميع المعلومات إلا هو تعالى، لأن جميع المفاتيح وجميع المغيبات مختص به، ومن علم منها شيئا بإعلامه تعالى فإنما بعلم البعض دون البعض، فيكون الحصر فى الآيتين باعتبار جميع المفاتيح وجميع الغيوب لا باعتبار بعضها، وإلى هذا الجواب والجواب الذى قبله أشار النووى فى " فتاويه " فى الكلام على آية ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ** ﴾ إلى آخره فقال: معناها لا يعلم ذلك استقلالا وعلم إحاطة بكل المعلومات إلا الله تعالى، وأما المعجزات والكرامات فباطلاع الله تعالى لهم علمت وكذا ما علم بإجراء العادة. انتهى على نقل ابن حجر الهيتمى فى " فتاويه الحديثية ".

- ومنها: أن الحصر فيها باعتبار الغيب الحقيقى أى المطلق، وهو الذى لم ينصب عليه دليل، ولا وقع به إعلام من قبل الله تعالى، فلم يعلمه غيره سبحانه، لا باعتبار الغيب الإضافى، وهو الذى أقام الحق على معرفته دليلا وأعلم به بعض مخلوقاته، فخرج بذلك عن الإطلاق وصار غيبا إضافيا، أى بالنسبة والإضافة إلى بعض المخلوقات دون بعض، وممن أشار إلى هذه الأجوبة المذكورة كلها ابن حجر الهيتمى فى " فتاويه الحديثية " ونصه: فلا يعلم الغيب إلا هو تعالى، ومن سواه إن علموا جزئيات منه فهو بإعلامه واطلاعه لهم، وحينئذ لا يطلق أنهم يعلمون الغيب، إذ لا صفة لهم يقتدرون بها على الاستقلال بعلمه، وأيضا هم ما عَلِمُوا وإنما عُلِّمُوا، وأيضا هم ما علموا غيبا مطلقا، لأن من أعلم بشيء منه يشاركه فيه الأنبياء ونظراؤه ممن اطلع. انتهى.

أقسام الغيب

وفي [١٦٠] " الفتوحات المكية " في الباب الثاني والتسعين وأربعمائة ما نصه: اعلم أن الغيب على قسمين:

قسم لا يعلم أبدا وليس إلا هوية الحق ونسبته إلينا، وأما نسبتنا إليه بدون ذلك فهذا غيب لا يمكن ولا يعلم أبداً.

والقسم الآخر إضافي، فما هو مشهود لأحد قد يكون غيبا لآخر مما في الوجود غيب أصلا لا يشهده أحد، وأقله أن يشهد الموجود نفسه الذي هو غيب عن كل أحد سوى نفسه، فما ثم غيب إلا وهو مشهود في حال غيبته عمن ليس لمشاهد له، فإذا ارتضى الله من ارتضاه لعلم ذلك أطلعه عليه علما لا ظنا ولا تخمينا، فلا يعلم إلا بإعلام الله، أو بإعلام من أعلمه الله عند من يعتقد فيه أن الله أعلمه، وما عدا هذا فلا علم له بغيب أصلا. انتهى المراد منه بلفظه.

– ومنها: أن الحصر فيهما هو باعتبار كليات المغيبات لا باعتبار جزئياتها، فإنها تعلم بإعلامه بناء على أن المراد بالمفاتيح في الآية الأولى الخزائن الكلية، وما أخبر به الأنبياء والأولياء هو من قبيل الجزئيات دون الكليات فإنها مختصة به تعالى فتأمله.

– ومنها: أن الحصر فيها باعتبار المبادي لأنها مختصة به تعالى أخذا من قوله ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ [الأنعام:٥٩]بناء على تفسيرها بالمبادي لا باعتبار الواجد لأنه تعالى قد يطلع عليها بعض أحبائه.

قال الشيخ على القاري في " المرقاة " في كتاب الإيمان في الكلام على حديث جبريل في السؤال عن الإسلام والإيمان والإحسان ما نصه: إن للغيب مباديَ ولواحق، فمباديه لا يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأما اللواحق فهي ما أظهره الله على بعض أحبائه من لوحة علمه [١٦١] وخرج بذلك عن الغيب المطلق وصار غيبا إضافيا. انتهى المراد منه بلفظه، فليتأمل أيضا.

واستفيد أيضاً الجواب عن آية ﴿ **وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ** ﴾ [الأحقاف: ٩] وحديث: والله لا أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بي أو به. يعني بعثمان بن

مظعون، أو ما يفعل بى ولا بكم يعنى معاشر الأمة مع أنه يرد أن يقال كيف هذا مع ما هو معلوم ونص عليه غير واحد من القطع له ﷺ وكذا بسائر أنبياء الله ورسله بدخول الجنة وبالدرجات العالية فيها وبالسلامة من العقاب، بل لا يجوز تجويزه عليه ولا عليهم، وقد قال الله له ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾ [الضحى:٥] وقال ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ [الفتح:٢]وكيف هذا أيضاً مع ما أعلم به فى حق أمته من دخول الكثير منهم الجنة بغير حساب، وأنهم يدخلون الجنة قبل سائر الأمم، وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها لأمته، وقد قال الله تعالى له ﴿ **وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً** ﴾ [الأحزاب:٤٧] وقال ﴿ **لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ [الفتح:٥] الآية، وقال ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الأنفال:٣٣] إلى غير ذلك، وكيف هو أيضاً مع ما كان يعلمه أو أخبر به من المغيبات التى لا تنحصر كثرة حاضرة وماضية ومستقبلة حتى استفاض ذلك عنه، واشتهر أمره فيه بين خاصة أصحابه وعامتهم، بل وبين الكفار والمنافقين حتى ثبت عندهم أن الغيوب لا تحجب عنه فى حالة من الحالات، وأنه يعرفها ويطلع عليها جملة وتفصيلا، وحتى إن بعض المنافقين كان يقول لصاحبه إذا أراد أن يكلمه فى جانبه [١٦٢] ﷺ بشىء: اسكت فو الله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء.

اتباع الرسول ﷺ ما يُوحى إليه

ولما فتح ﷺ مكة وأمر بلالا أن يؤذن فوق الكعبة قال عتاب بن أسيد: لقد أكرم الله أسيدا إذ لم ير هذا اليوم. وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمدا مؤذنا غير هذا الغراب الأسود. وقال أبو سفيان بن حرب: لا أقول شيئا، ولو تكلمت لأخبرته عنى هذه الحصباء. فخرج عليه الصلاة والسلام عليهم وقال: قد علمت الذى قلتم. وذكر مقالتهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، ما كان معنا أحد فنقول أخبرك. ثم حسُن إسلام الثلاثة بعد.

وقد قال سيدنا حسان بن ثابت الأنصارى من جملة قصيدة:

نبى يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله فى كل مشهد

وإن قال فى يوم مقالة غائب فتصديقها فى ضحوة اليوم أو غد

وقال سيدنا عبد الله بن رواحة الأنصارى الأمير الشهيد بمؤتة من قصيدة أيضاً:

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعُ

أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

وقال أبو سفيان بن الحارث:

نبى كان يجلى الشك عنا بما يوحى إليه وما يقول

ويهدينا فلا نخشى ضلالا علينا والرسول لنا دليل

وهو أعنى الجواب أن هذه الآية وهذا الحديث منظور فيهما إلى أصل الوضع [١٦٣] وأنه لا يدرى ما يفعل به وبهم من قبل نفسه وبالنظر إلى أصل وضعه، وإن كان يدرى ذلك بإعلامه تعالى ووحيه، وحينئذ فهو من تحققه بمقام العبودية ونظره إلى نفسه ورجوعه إلى ضعفه الذاتى وعجزه الأصلى، وقد يشير لهذا قوله فى الآية بعد ﴿ **إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ** ﴾ [يونس:١٥] أى ما أتبع وأعلم من الأمور والأحوال إلا ما أعلمنى به ربى وأوحى به إلى، وفى هذا رد على من يتحكم على الله من قبل نفسه ويقول: هذا من أهل الجنة، وهذا من أهل النار. وقوفاً مع بعض العلامات الدالة على ذلك، لأن العلامة قد تتخلف، ففيهما أنه لا يقطع لأحد معين بجنة أو نار إلا بنص أو إجماع أو كشف حقيقى.

ورد أيضاً على من يرى أن صحة النبوة تستلزم اطلاع النبى من قبل نفسه على المغيبات وإن لم يعلمه الله تعالى بها كما كان يعتقده أهل الجاهلية، فإن ذلك باطل.

وفيهما أيضاً أجوبة أخر عديدة:

منها ما ذهب إليه جماعة كابن عباس رضى الله عنهما كما أخرجه عنه أئمة حفاظ من أنه عليه الصلاة والسلام كان أولاً لا يدرى يعنى دراية إعلام بوحى لأن الله لم يعلمه ثم درى بأن أعلمه الله بعد ذلك ما يفعل به وبهم وبما شاء من مغيباته. ويؤيد ذلك ما ذكروه من أن سورة الفتح متأخرة النـــزول عن سورة الأحقاف، لأن الأحقاف مكية وسورة الفتح مدنية، فلا خلاف فيهما.

ومنها: أنه كان لا يدرى على جهة العلم الإحاطى بجميع التفاصيل والأحوال الواقعة إلى الأبد، وإن كان يدرى على جهة الإجمال والعلم بكثير من التفاصيل، إلا أنه خفى عليه بعضها.

ومنها: أنا سلمنا أنه كان يدرى فعل الله [١٦٤] به وبهم على جهة التفصيل والعلم الإحاطى، فذلك بالنظر إلى شهود مرتبة التقييد وظاهر العلم والوعد الحاصل منه تعالى، وأما بالنظر إلى شهود مرتبة الإطلاق وباطن العلم القديم الأزلى فإنه لا يدرى كما فى الآية والحديث، لأن علمه تعالى فى هذه المرتبة لا يدركه عقل، ولا يصح عليه حكم، ولا يمكن أن يضبط ويحصر ويقيد فيحكم عليه بنفى أو إثبات، لأنها مرتبة الغيب المطلق الذى لا يمكن أن يعلم لنبى ولا لملك ولا لغيرهما. ولهذا السر الخفى كان الرسل وأكابر الصديقين لا يقفون مع ظاهر وعد ويشتد خوفهم وإن أمنوا وأعلموا بالنجاة نظرا لسعة علمه تعالى فى حضرة إطلاقه ونفوذ قهره فيها، وإلى مشيئته الخفية التى لا تتوقف على شىء ويتوقف عليها كل شىء، ويجوزون أن يكون ذلك الوعد ابتلاء وامتحانا ومكرا لينظر كيف يعملون لأنهم نهوا عن الأمن من مكر الله لقوله ﴿ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف:٩٩] فإذا سكن خوفهم بالوعد بان أنهم قد ارتكبوا النهى وأمنوا مكر الله، أو أن يكون مترتبا على أسباب وشروط غيبية أخفاها تعالى عنهم لتظهر قهريته وعزته وحكمته، وقد قال الخليل﴿ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ [الأنعام: ٨٠] وقال سيدنا شعيب ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا ﴾ فى ملة الكفر ﴿ إِلاَّ أَن

يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ [الأعراف:٨٩]وقال الله لنبيه ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ [المائدة:١٧] وفى الحديث: أنه عليه الصلاة والسلام ناشد ربه يوم بدر حتى سقط الرداء عن منكبه وقال: اللهم إن قملك هذه [١٦٥] العصابة لم تعبد بعد اليوم. وذلك بعدما وعده ربه تعالى بإحدى الطائفتين فى قوله ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [الأنفال:٧]فقال له الصديق: حسبك يا رسول الله، فإن الله منجز لك ما وعدك.

فنظر عليه الصلاة والسلام إلى عدم الوقوف مع ظاهر الوعد لغلبة شهود مرتبة الإطلاق عليه، لأن مقامه كان مقام الخوف من مكر الله، وهو لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله وخفايا أفعاله ومعانى صفاته التى يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر. وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله، ومن عرف ذلك علم قصوره عن الإحاطة بكنهه تعالى ذاتا وصفات، فعظم خوفه لا محالة. ونظر أبو بكر إلى الوقوف مع الظاهر لغلبة شهود مرتبة التقييد عليه، لأن مقامه مقام الثقة بوعد الله، فكل على صواب والنبى ﷺ أوسع نظرا وأكمل علما.

وأما صفاته العلية وغيرها قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى ﷺ: رأيت كأنى واقف بين يدى الله عز وجل فقال: لا تأمن من مكرى فى شىء وإن أمنتك، فإن علمى لا يحيط به محيط. قال فى " المفاخر ": وهكذا كانوا. انتهى. يعنى السلف الصالح والسادات الصوفية.

والعارف لا يقطعه نظره إلى فضل الله عن شهود عدله وقهريته ولا يحجبه ملاحظة لطفه عن خوف ما بطن فى مشيئته. والله أعلم.

واستفيد أيضاً الجواب عن قول عائشة رضى الله عنها: ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد – وفى الرواية الأخرى يعلم الغيب – فقد كذب. وأنها أرادت نفى علم الغيب عنه من قبل نفسه من غير إعلام الله تعالى وإطلاعه، ولم ترد نفى علمه [١٦٦] عنه مطلقا حاشى وكلا، لأنه مخالف لآية ﴿ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن:٢٧]

وآية ﴿ يجتبى وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [آل عمران:١٧٩] ولما هو الواقع، وشاهدته هي وغيرها من إخباره ﷺ بمغيبات لا حصر لها حاضرة وماضية ومستقبلة، فظهرت كما أخبر ولا يمكنها هي ولا غيرها نفى ذلك ولا إنكاره لثبوته بالمعاينة أو بالدليل القطعي.

وفى " جواهر المعانى " ما نصه: وسألته – يعنى الشيخ أبا العباس أحمد التجانى ﷺ – عن معنى قوله تعالى فى حق النبى ﷺ ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ ﴾ [الشورى:٥٢] وفى الآية الأخرى ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ ﴾ [الأحقاف:٩] إلى غير ذلك من الآيات التى نحت هذا النحو مع حديث عائشة أنها قالت: من قال إن النبى ﷺ يعلم ما فى غد فقد كفر. أو ما هذا معناه مع أن علم الأولين والآخرين محمول فى ذاته الشريفة، وهو الموصل إلى كافة الخلق كل على قدره. الجواب اعلم أن النبى ﷺ كان يعلم علوم الأولين والآخرين إطلاقا وشمولا، ومن جملة ذلك العلم بالكتب الإلهية فضلا عن القرآن وحده، ويعلم مطالب الإيمان بدايته ونهايته وماهية الإيمان وما يفسده وما يقويه كل ذلك هو ثابت فى حقيقته المحمدية ﷺ، وأما قوله سبحانه وتعالى ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ ﴾ [الشورى:٥٢]فإن هذا الحال كان له قبل النبوة، لم يعلمه الله بحقيقة الإيمان ولا بكيفية تنـــزيل الكتاب ولا بماهية الرسالة وتفصيل مطالبها، كل ذلك حجبه الله عنه قبل النبوة، وهو مكتوز فى حقيقته المحمدية ولا يعلمه ولا يشعر به حتى إذا كان زمن النبوة رفع الله عنه الحجب [١٦٧] وأراه ما فى حقيقته المحمدية، يشهد لذلك قوله ﷺ: رأيت ربى فى صورة شاب.. إلى أن قال: فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى، فعلمنى علوم الأولين والآخرين. وهذا كان فى زمن النبوة، رفع الله عنه الحجب وأراه ما أدرجه الله له فى حقيقته المحمدية من كنوز المعارف والعلوم والأسرار التى لا يحاط بساحلها، ولا ينتهى إلى غايتها، إلى أن قال بعد كلام له فى هذا المجال: وأما قوله تعالى ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ ﴾ [الأحقاف:٩] فالجواب أنه ﷺ عنده العلم القطعى بأنه عروس المملكة الإلهية، وأنه ليس فى جميع الخليقة أكرم منه على الله تعالى، ولا أحب

عليه منه، ولا أعز ولا أكبر حظوة عند الله منه، وأنه ما مرت العاقبة فى الآخرة لا يلحقه لا ألم ولا عذاب، وأنه فى الدرجة العالية من النعيم الدائم المقيم ورضا الله الأبدى السرمدى، كل هذا لا يدخل فيه ريب ولا شك، وما ذكر ﷺ من قوله ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ ﴾ [الأحقاف:٩] يحتمل أنه أراد تفصيل ما يقع به من النعيم، وتفصيل العطايا والمنح الواردة عليه من الله تعالى، فإنه إن علم بجملها يمكن أن لا يحيط بتفاصيلها على دوام الأبد فى الجنة، فإن فى علم الله ما لا تسعه العقول، وإن قلنا أنه ﷺ محيط علما بجميع هذا، فيقع له فى باله أن يكون عند الله ما لا يعلمه من العطايا والمنح التى يصبها عليه فى دار النعيم، ولا يعلمها إلا عند وجودها، فهذا غير مستبعد، ويحتمل أن يكون أراد بقوله ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ ﴾ [الأحقاف:٩]رد الأمر إلى إحاطة العلم الأزلى الإلهى، فإن علم الله فى هذا الميدان لا يحيط به محيط، لا نبينا ﷺ [١٦٨] ولا غيره، يشهد لذلك قوله ﷺ: ولا أعلم إلا ما علمنى الله.

وأما قوله حاكياً عن نفسه بما ذكر الله عنه فى الآية ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ [الأنعام:٥٠] فيحتمل أنه أراد رد الأمر إلى حقيقة العلم الأزلى، لأنه لا يحاط به وإن كان عالما بما ذكر أولا، وأما أن يتوهم من هذا الخبر أنه لا يعلم هل يرحمه الله أو يعذبه، ويقربه أو يطرده فى الدار الآخرة فهذا لا تقبله الحقيقة، يدل عليه قوله سبحانه ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى:٥] وقوله ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ [النساء:١١٣]ومحال أن يكون هذا الأمر منه سبحانه وتعالى وهو يتخوف عليه العذاب، فإن وعده لا يخلف.

وأما الخبر الوارد عن عائشة، إن صح، وهو قولها: من قال إن النبى ﷺ يعلم ما فى غد فقد كفر. أو ما هذا معناه، فلا يتأتى هذا إن كانت سمعته من النبى ﷺ إلا أن يكون كتم الأمر عنها لسر ظهر له فى ذلك الوقت لا يمكن كشفه لها، كما كتم عنها رؤيته للذات العلية بعينى رأسه، وهذا – يعنى العلم بالغيب – واقع له ﷺ بالإجماع، فيكون كتمه له عنها لسر ظهر له فى ذلك الوقت، والأخبار والآثار وكتب الحديث

كلها مشحونة بإخباراته بالغيوب التى تأتى من بعده المتقاربة والمتباعدة حتى قال بعض الصحابة ﷺ: ما ترك رسول الله ﷺ أُمَيْرًا يكون فى أمته من بعده إلا ذكره إلى قيام الساعة.

وقال ﷺ: ما من شىء لم أكن أريته إلا رأيته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار.. الحديث (١). والأخبار كثيرة متواترة حتى لا يكاد أن يرتاب فيها [١٦٩] أحد من المسلمين والسلام. انتهى. وقد نقله أيضاً المنيرى فى " جامعه ".

وقوله فى خبر عائشة إن صح هو صحيح بلا ريب لإخراج البخارى ومسلم وغيرهما له.

وقوله: فقد كفر ليس فى لفظ الحديث عنها فيما وقعنا عليه بلفظ الكفر، وقد تقدمت ألفاظه، وقوله إن كانت سمعته من النبى.. إلى آخره يحتمل ذلك، لأنه عليه الصلاة والسلام كثيرا ما كان ينفى عن نفسه العلم بالغيب مع إخباره بالمغيبات إعلاما بأنها من إعلام الله تعالى لا من نفسه، وردا للعلم إلى عالمه الحقيقى، وهو الله تعالى، واعترافا له تعالى بالعبودية المحضة، ويحتمل أنها استندت فى ذلك إلى الآيات القرآنية التى فيها رد العلم بالغيب إلى الله تعالى، ولذا أتت ببعضها دليلا على ذلك كما فعلت فى الرؤية، وعلى كل حال لا يتأتى منها فى هذه المسألة النفى مطلقا لما علمته، والله أعلم.

وآية ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ ﴾ [الشورى:٥٢] فيها أقاويل وتأويلات للعلماء والأولياء، فقال السمرقندى: معناها ما كنت تدرى قبل الوحى تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان.

وقال ابن خزيمة: الإيمان هنا الصلاة، دليله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣] يعنى صلاتكم. وقال بعضهم: ما كنت تدرى قبل النبوة والرسالة كيفية تنـزيل الكتاب ولا ماهية الإيمان وتفاصيله بطريق الوحى الظاهر، وإن كنت تدرى ذلك بطريق الكشف والإلهام الباطن.

---

(١) أخرجه البخارى (٤٤/١، رقم ٨٦).

وذكر الشيخ أبو مدين المغربى والشيخ الأكبر وجماعة أن القرآن أنـــزل على قلبه ﷺ أولاً جملة واحدة بلا واسطة جبريل [١٧٠]، فكان فى صدره إلا أنه كان ممنوعا من النطق به إلى إتيان جبريل عليه السلام فكان جبريل كالمفتاح لما فى خزانة صدره، ولهذا كان عليه السلام يعجل بقراءته عند نـــزول جبريل عليه السلام به حتى نـــزلت الآية وهى ﴿ **لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ** ﴾ [القيامة:١٦].

خلق الإنسان وتعليمه البيان

وفى " نفحة المسك الدارى لقارئ صحيح البخارى " لأبى الفيض حمدون بن عبد الرحمن ابن الحاج السلمى المردانى لدى كلامه على الكتاب العزيز وذكره ﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾ [الرحمن:٣،٤] ما نصه: قال الإمام أبو حامد الغزالى فى " لباب المعارف العقلية " يمكن أن يكون الإنسان شخص محمد ﷺ وإن الله تعالى علمه القرآن وكتب معانيه فى قلبه، ثم أوحى به إليه بواسطة جبريل عليه السلام وأمره بالبيان عن المسموع المعلوم له بلسانه مع أمته وأصحابه كما قال ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنـــزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ*نـــزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ*عَلَى قَلْبِكَ** ﴾ [الشعراء:١٩٢،١٩٣،١٩٤] إلى آخره. انتهى منه بلفظه.

وفى " الروضات العرشية فى الكلام على الصلوات المشيشية " لسيدى مصطفى بن كمال الدين البكرى الخلوتى الحنفى المصرى، وهو شرحه الكبير عليها ما نصه: وكان له ﷺ طريقان فى التلقى: أحدهما فى الظاهر. والثانى فى الباطن، فالأول عن جبريل عليه السلام، والثانى عن ربه ذى الجلال والإكرام، فكان من هذا الطريق يتسابق جبريل عليه السلام فى القرآن، فخاطبه الحق سبحانه بقوله ﴿ **وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ** ﴾ [طه:١١٤] الآية لأن فيها هجين الواسطة فقال: أدبنى ربى فأحسن تأديبى، فكان واسطة جبريل باطنا، وجبريل واسطته ظاهرا.

قال الجيلى ﷺ فى " الإنسان الكامل " [١٧١] فى آخر الباب الثالث والخمسين منه: ثم إن العقل الأول المنسوب إلى محمد ﷺ خلق الله تعالى جبريل عليه السلام منه فى

الأزل، فكان محمد ﷺ آبًا لجبريل وأصلا لجميع العالم، فاعلم إن كنت ممن يعلم فديت من يعقل فديت من يفهم، ولهذا وقف عنه جبريل فى إسرائه وتقدم وحده، وسمى العقل الأول بالروح الأمين لأنه خزانة علم الله وأمينه، ويسمى بهذا الاسم جبريل من تسمية الفرع باسم أصله فافهم، والله تعالى أعلم، انتهى منه بلفظه.

المراد من العلم فى ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ ﴾

وعلى هذا فقوله ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ ﴾ [الشورى:٥٢] إما نقول معناه بوحى ظاهر منا، فلا ينافى أنه يعلمها بطريق الكشف الباطنى والإلهام، أو نقول دراية، أمر بالاطلاع بهما والدعاء إليهما والحض على اتباعهما حتى نـــزل عليك الأمر بذلك، وقيل لك اصدع بما تؤمر هنالك.

وقال كثير من المفسرين: الإيمان هنا بمعنى الشرائع والمعالم، أو نقول بمعنى الفرائض والأحكام، أى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا شرائع الإيمان ومعالمه، أو فرائض الدين وأحكامه قبل نـــزول الوحى عليك ومجىء جبريل إليك. واحتيج إلى هذه التأويلات لما يقتضيه ظاهر الآية من أنه قبل الوحى لم يكن له علم بالإيمان الذى هو الإقرار بالله أصلا مع أن الحق الذى لا يلتفت إلى غيره ولا يعول أنه عليه الصلاة والسلام كان من حين ولادته عارفا بالإيمان الشرعى وطرائقه متمكنا فى معرفته وفى معرفة الله تعالى، متذكرا للتوحيد الذوقى الشهودى الذى أمده الله به حين أبرز نوره للوجود ثم للتوحيد الميثاقى فى يوم [١٧٢] ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف:١٧٢] وفى غيره من المواثيق متحققا به واجدا من نفسه ما يتعبد به فى نفسه لصفائها عن ظلام الجهالات بدوام طهرها ونورانيتها ومعرفتها، وقد كان قبل النبوة يتكلم بالتوحيد الصرف ويحج ويعتمر، ويبغض اللات والعزى وكل معبود سوى الله تعالى، ولا يأكل مما ذبح على الأصنام، ولا يشرب الخمر، ولا يفعل شيئا مما وردت الشرائع بذمه والنهى عنه، وقد أخرج أبو نعيم فى " الدلائل " وابن عساكر فى " تاريخه " عن على قال: قيل للنبى ﷺ هل عبدت وثنا قط؟ قال: لا. قالوا: فهل شربت خمرا قط؟ قال: لا، وما زلت أعرف

أن الذى هم عليه كفر، وما كنت أدرى ما الكتاب ولا الإيمان. ذكره السيوطى فى " الجمع ".

وفى السير: **أن أمه عليه الصلاة والسلام لما وضعته نظرت إليه، فإذا هو ساجد قد رفع أصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل.** وفى رواية الطبرانى: أنه لما وقع إلى الأرض وقع مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها.

وفى شواهد النبوة روى: أنه لما وقع على الأرض رفع رأسه وقال بلسان فصيح: لا إله إلا الله وأنى رسول الله. وفى روايات أخر: أنه تكلم بغير هذا مما يؤذن بأنه كان حينئذ عالما بالله راسخا فى معرفته الرسوخ الذى لا يمكن من غيره فى هذا الوقت.

وأخرج البيهقى فى " الدلائل " وأبو عثمان الصابونى فى " المائتين " والخطيب وابن عساكر فى " تاريخيهما " وغيرهم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت: يا رسول الله دعانى إلى الدخول فى دينك أمارة لنبوتك، رأيتك فى المهد تناغى القمر وتشير إليه بأصبعك، فحيث أشرت [١٧٣] إليه مال. قال: إنى كنت أحدثه ويحدثنى، ويلهينى عن البكاء، وأسمع وجبته – أى سقطته – حين يسجد تحت العرش[١]. ذكره فى " الخصائص الكبرى " وفى " جمع الجوامع " وفى " كنـــز العمال ".

وقال بعض المحققين: المقصود من هذه الآية أمران: أحدهما تعداد نعمه عليه، ثانيهما الاحتجاج على نبوته بأميته. والمعنى وكما أوحينا إلى سائر رسلنا كذلك أوحينا إليك روحا – أى نبوة أو قرآنا أو رحمة أو جبريل عليه السلام – من أمرنا، ما كنت قبل الوحى تدرى بطريق التعلم والاكتساب ما هو الكتاب، ولا ما هو الإيمان، لأنك نشأت فى الأمية وبين قوم أميين، ولم يعهد منك تعلم من أحد أصلا، وما أتيت بما أتيت به من القرآن والإيمان والشرائع والأحكام وجميع العلوم إلا مما أوحينا إليك،

(١) أخرجه ابن عساكر (٣٦٠/٤) قال الخطيب لم أكتب هذا الحديث إلا بهذا الإسناد ولا سمعته عالياً إلا من الطرازي.

وكان كامنا فيك منطويا فى صدرك بعناية الله بك وإمداده لك من أول شأنك وظهور خلقتك. انتهى.

ونظير هذه الآية قوله تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف:٣] ليس معناه كما يظن الجاهل أو المنافق أو الخاسر أنه كان غافلا عن الله تعالى أو عن شىء من معارفه أو عما يجب فى حقه ويستحيل عليه لانغماسه ﷺ فى أنوار الحقيقة والتحقيق عندما ولد، بل وقبل الولادة، لأن الله عز وجل نبأه وآدم بين الماء والطين أو نقول بين الروح والجسد، وورد أنه أول من قال بلى يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف:١٧٢] وشق صدره فى زمن طفوليته وغسل ونظف وملئ إيمانا وحكمة ومعرفة حتى قال: فرجعت وكأنما أرى الأمر عيانا. ولذلك نشأ على الفطرة والخصال [١٧٤] الحميدة، متأدبا بالآداب الجميلة، متخلقا بالأخلاق الكريمة، بل على أكمل الأوصاف وأحسنها وأتمها، ليس لأحد فيه مغمز لا فى دين ولا فى خلق ولا فى معاشرة، وإنما معهناه لمن الغافلين عن قصص الأنبياء وما وقع بينهم وبين أممهم أى الغير الملتفتين إلى ذلك لاشتغالك بربك وأنسك به وعدم تعلقك بشىء سواه إلا بعد تذكيره إياك به ملتفتا حينئذ له بربك لا بنفسك.

ونظيرها أيضاً قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى ﴾ [الضحى:٧] ليس معناه ما ظنه بعض أهل الضلال من أنه كان قبل النبوة على دين قومه فهداه الله للإسلام، لأن النبى ﷺ وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نشأوا على التوحيد والإيمان، وركبوا على الفطرة، فكانوا من أول وهلة عليها معصومين قبل النبوة وبعدها من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده، ومما يدل لهذا أن قريشا رموا النبى ﷺ وعابوه بكل ما قدروا عليه من السحر والكهانة والجنون والشعر ونحو ذلك، وما قدروا على رميه بعبادة صنم أو شرك ولا بشىء مما كان عليه أهل الجاهلية والشرك لعدم وجود السبيل إلى ذلك، ولو كان فيه شىء منه ولو بطريق الاحتمال أو التوهم لما سكتوا عنه، ولنقل عنهم ولبرأه الله منه كما برأه من جميع ما رموه به وعيروه بسببه، وحينئذ فمن قال إنه

عليه السلام كان على دين قومه أربعين سنة فهو إلى الكفر أقرب منه للإيمان لرده لما هو منقول من أحواله بطريق الاستفاضة أو التواتر وتكذيبه لما حكاه الله فى كتابه عن أنبيائه بقوله ﴿ مَا كَانَ لَنَا أن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [يوسف:٣٨] ونسبته إلى جنابه مما هو [١٧٥] برىء منه من هذه الوصمة العظيمة، وإنما معناه ما كان عليه من الاستهلاك والفيء فى محبة الله تعالى حتى ضل وفنى عن كل شيء سوى ما تقتضيه محبة المحبوب سبحانه وتعالى، فهداه الله إلى ما ينبغى منها على الوجه الذى ينبغى حتى لا يصده ذلك عن هداية الخلق وإرشادهم وتعليمهم على حد قول بنى يعقوب ليعقوب عليه السلام ﴿ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ [يوسف:٩٥] أى محبتك القديمة، ولو أرادوا غير ذلك لكفروا بنسبة نبى كريم إلى الضلال الذى هو الانحراف عن سبيل الرشد إلى الغى واتباع الهوى، وقد كانوا مؤمنين بإجماع الأمة ونص الكتاب العزيز، وهذا المعنى معروف فى لسان العرب، فإنهم يقولون ضل اللبن فى الضرع إذا استهلك فيه، ومما ينفى عنه عليه الصلاة والسلام الضلال المتعارف قوله تعالى ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم:١،٢]أى ما ضل عن طريق الهدى، وما غوى فى اتباع الباطل، وقيل فى معنى هذه الآية — أعنى آية ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ﴾ [الضحى:٧] أقاويل عديدة:

فقيل: إنه عليه الصلاة والسلام ضل وهو صغير فى شعب من شعاب مكة، فرآه أبو جهل فرده إلى جده عبد المطلب.

وقيل: بل ضل فى طريق الشام حين خرج إليه مع عمه أبي طالب، فجاء جبريل ورده إلى القافلة.

وقيل: معناها وجدك بين أهل الضلال فعصمك منهم حتى نشأت على الإيمان وعلى أكمل الحالات، ثم لما بلغت الأربعين نبأك وأرسلك إليهم حتى جمعت على الحق شاردهم، وسقيت من معين الهدى واردهم.

وقال الجنيد:وجدك متحيرا فى بيان ما أنــزل الله إليك فهداك لبيانه [٧٦].

وبالجملة يجب على كل من له اعتناء بأمر دينه أن يحقق معانى هذه الآيات ونحوها، وأن يحملها على الوجه اللائق بمنصب نبيه وحبيبه ووسيلته إلى ربه، وإلا وقع فى بحار الضلالة من حيث لا يعلم، وقد بان من هذا كله حصول الفتح الربانى والنور الإيقانى لذاته الكريمة من حين ولادتها وأول ظهور نشأتها، بل انخراق العوائد له وظهور الكرامات على يديه وانكشاف الحجب له وزوالها عن سمعه وبصره وقلبه وعقله من ذلك الحين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقد قال الشيخ الأكبر فى " فتوحاته " فى الكلام على الأفراد بعدما ذكر أنهم رجال خارجون عن دائرة القطب، وأن مقامهم بين الصديقية والنبوة الشرعية ما نصه: ومحمد ﷺ كان قبل أن يرسل وينبأ من الأفراد الذين نالوا الأمر بتوحيد الحق وتعظيم جلاله والانقطاع إليه. انتهى.

وقال غيره من بعض كبار العارفين: كان عليه السلام قبل النبوة من حين خروجه من بطن أمه أكبر عارف بربه بالمعرفة الكشفية العيانية، وكذلك جميع إخوانه من النبيين والمرسلين كانت لهم المعرفة الكاملة من حين الولادة، ولم يطرأ عليه ولا عليهم حجاب البشرية الحائل بينهم وبين مطالعة الحضرة الإلهية القدسية، وكان عليه السلام من ذلك الوقت فرد هذا العالم الوجودى وواحده. قال: والفرد نسبته إلى عموم العارفين والصديقين كنسبة العارف بالله تعالى إلى العامة الذين لا يعرفون شيئا، وكان فى تلك الحالة متحققا بمرتبة أن يأخذ العلم عن الله بلا واسطة، ولا يجهل شيئا من أحوال الحضرة الإلهية، ولم يطرأ على شمسه فى هذا المحل أفول [١٧٧] ﷺ. انتهى.

وفى " الإبريز " نقلاً عن الشيخ مولانا عبد العزيز ﷺ: أن الفتح المبين فى قوله تعالى ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً** ﴾ [الفتح:١] وقع له ﷺ من صغره، وأنه ﷺ لم يحجب عنه تعالى. قال: والقوة التى فى النبى ﷺ يعنى من هذا الفتح عقلا وروحا ونفسا وكلاما وقوة فى حفظه لم تثبت لغيره حتى لو جمع أهل الفتح كلهم من الأنبياء وغيرهم، وجعلت القوة المذكورة عليهم لذابوا جميعا وتمافتت ذواتهم. انتهى، راجعه.

ولابن الفارض فى تائيته الكبرى على لسانه ﷺ:

ونفسـى عن حجر التحلى برشدها تخلـت وفى حجـر التجلى تـزيت
وفى المهـد حـزبى الأنبياء وفى عا صـرى لوحى المحفوظ والفتح مؤنتى
وقـبل فعـالى دون تكليف ظاهرى ختمت بشرعى الموضحى كل شرعة
فهـم والألى قـاموا بقولهـم على صـراطى لم يعـدوا مواطئ مشيتى

وفى " جواهر المعانى " قبل ما تقدم عنها بيسير ما نصه: وسألته ﷺ عن قوله تعالى ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام:٥٩] الآية، فأجاب ﷺ بقوله: نفى الله العلم بالغيب عن الخلق بهذه الآية، فلا يعلمه أحد سواه، لكن العلم المنفى ما كان للخلق إليه طريق، وطرق العلم للخلق واحد أمور ثلاثة: إما بحاسة من الحواس، وإما بطريق السمع وتبليغ الخبر، وإما بطريق الفكر، وهو النظر فى أمور معلومة يتوصل بالنظر فيها إلى العلم بأمور مجهولة، فهذه الطرق هى المنفية عن الخلق، وبقيت الطريق الرابعة، وهى ما يقذفه الله فى قلب العبد بغير [١٧٨] حاسة ولا واسطة ولا فكر، ويسمى هذا بالعلم اللدنى، فإن هذا العلم غير منفى عن الرسول ولا عن غيره من النبيين والمرسلين، يشهد لهذا قوله سبحانه ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:٧٣] الآية. قال المرسى: أو صديق أو ولى، يشهد لهذا قوله ﷺ: إن من العلم كهيئة المخزون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لا ينكره عليهم إلا أهل الغرة بالله. وبعبارة أخرى قال – أى الشيخ ﷺ – المراد بالعلم الذى نفاه الله عن خلقه فى الخمسة وغيرها من المغيبات هو العلم المكتسب الذى يتوصل إليه الخلق بأحد أمور ثلاثة كما تقدم، إما من أخبار سمعية أو بأدلة فكرية أو بمعاينة حسية فهذه الطرق الثلاثة هى التى حجر الله على صاحبها أن يعلم الغيب، وأما من وهبه الله العلم اللدنى فإنه يعلم بعض الغيب كهذه المذكورات أو غيرها كما فى قصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام، لأنه فعل ما حكاه الله عنه من علم لم يعلمه كليم الله، قال الله تعالى ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ [الكهف:٦٥] فهذا دليل على أن من علمه الله العلم اللدنى فإنه يعلم بعض الغيوب التى أخفاها الله تعالى عن كثير من خلقه.

انتهى ما أملاه علينا ﷺ.انتهى كلام " الجواهر " وقد ذكره أيضاً ابن المنيرى فى " الجامع ".

قلت: وحديث: إن من العلم... إلى آخره أخرجه الطيبى فى " ترغيبه " من طريق عبد السلام بن صالح وهو أبو الصلت الهروى قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ: إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل العلم بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره عليهم إلا أهل الغرة بالله. وعبد السلام المذكور من رجال ابن ماجه، وكان [١٧٩] رجلا صالحا إلا أنه شيعى، وهو مختلف فيه، ومن أجله قال الحافظ السيوطى فى " تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية " إنه حديث ضعيف، وذكره المنذرى فى " الترغيب "(١) فى كتاب العلم، مصدرا له يروى، ومن قاعدته أنه لا يصدر بها إلا الحديث الضعيف أو الواهى الذى لا يتطرق إليه احتمال التحسين، وأورده القطب القسطلانى فى كتاب له فى التصوف وقال: إن له شاهدا من مرسل سعيد بن المسيب. وقال الشيخ الأكبر فى " فتوحاته " فى الباب الرابع والخمسين وثلاثمائة بعد أن أورده فيها بلفظ: إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره عليهم إلا أهل الغرة بالله. هذا من طريق الكشف عند أهله حديث صحيح مجمع عليه عندهم خاصة، عرفوه وتحققوه. انتهى.

ولفظ المنذرى فيه: وروى عن أبى هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله عز وجل. رواه أبو منصور الديلمى فى " المسند " وأبو عبد الرحمن السلمى فى " الأربعين " التى له فى التصوف. انتهى.

وأهل الغرة بالله فسروا كما ذكره الخادمى فى " شرح الطريقة المحمدية بالعلماء الظاهرية " وقال الشيخ الأكبر: هم الذين يزعمون أنهم عرفوا الله.

---

(١) ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب (٥٨/١، رقم ١٤١).

وبالجملة فكل ما ورد فى هذا القسم من نفى العلم بالغيب عن الخلق مطلقا مؤول وليس على ظاهره، جمعا بينه وبين غيره من الأدلة، فاعرف ذلك، والله يتولى هدانا وهداك بفضله وكرمه، آمين.

القسم الثانى:

وأما القسم الثانى: وهو ما يفيد بظاهره أنه ﷺ كان يعلم كل شىء خصوصاً وعموماً إلا الخمس والروح وما يجرى [١٨٠] مجراها مما كان استئثار الحق تعالى به مقرراً معلوماً فاعلم أن ظواهر الآيات القرآنية والكثير من الآثار ومن الأخبار النبوية تدل على أن علم الساعة وما معها فى الآية الشريفة من بقية الخمس وعلم الروح مما استأثر الله به، وأنه لا يعلمه أحد غيره تعالى لا من نبى ولا ملك ولا غيرهما، وفى كثير من الأحاديث والآثار أنه عليه الصلاة والسلام كان يعلم كل شىء إلا هذه الخمس لاستئثار الحق تعالى بها، وأن علم الروح مما استأثر الحق تعالى به أيضا، فمن ثم ذهب جمهور العلماء كما يأتى إلى أنه عليه الصلاة والسلام كان يعلم كل شىء، ولكنّ من غير ما ورد فى الشرع استئثار الحق تعالى به وتفرده بعلمه كالخمس والروح وما يجرى مجراهما، فإنهم قالوا فى هذا: إنه لا يعلمه إلا الله تعالى ويمتنع أن يعلمه غيره.

ولنسق ما فى ذلك من الآيات والأخبار وغيرهما منْ الآثار فنقول:

أما الآيات:

فقال الله تعالى ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [فصلت:٤٧] أى علم وقتها، ولذا قال الطبرى: معناها لا يعلم متى وقت قيامها غيره.

وقال ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ [طه:١٥]

وقال ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ*قُل لاَّ أَمْلِكُ

لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَراً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧، ١٨٨]

وقال ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٢، ٤٣، ٤٤]

وقال ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً ﴾ [الأحزاب: ٦٣]

وقال ﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥]

﴿ وقال إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَــزِلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤] [١٨١] وقال ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥]

وأما الأخبار:

فأخرج الفريابى وأحمد والبخارى فى عدة مواضع من التفسير وغيره، وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ فى " تفاسيرهم " وخشيش وابن أصرم فى " الاستقامة " وغيرهم عن ابن عمر مرفوعاً: مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمها — وفى رواية: لا يعلمهن — إلا الله، لا يعلم أحد ما يكون فى غد إلا الله، ولا يعلم أحد ما فى الأرحام إلا الله، ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله، ولا يدرى أحد متى يجىء المطر إلا الله. وفى لفظ البخارى فى التوحيد: لا يعلم ما تغيض الأرحام — أى تنقصه — وتـــزداده إلا الله، ولا يعلم ما فى غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله، زاد فى " إرشاد السارى " عقبه: فلا يعلم ذلك

نبى مرسل ولا ملك مقرب. انتهى، وفى لفظ آخر له: مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] الآية.

وفى آخر لأحمد: مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ إلى آخر الآية. وذكر ابن كثير فى " تفسيره " وغيره أنه انفرد بإخراجه البخارى، يعنون عن مسلم وغيره من بقية الستة، ولذا لم يعزه السيوطى فى " الجامع " إلا لأحمد والبخارى.

وقد قال العارف بالله أبو محمد عبد الله بن أبى جمرة فى " شرحه للأحاديث التى انتخبها من البخارى " فى الكلام على هذا الحديث ما نصه: ظاهر الحديث يدل على أن هذه الخمسة المذكورة فى الحديث لا يعلمها [١٨٢] إلا الله تعالى والكلام عليه من وجوه، ثم قال: ومنها أنه أراد بالغيب الذى لا يعلمه أحد حقيقة الغيوب على ما هى عليه، وإن كان لبعض الغيوب أسباب قد يستدل فى بعض المراد بها عليها، وإن ذلك ليس بحقيقى فى علم تلك الغيوب، وأما حقيقتها فلا يعلمها أحد إلا الله تعالى، يشهد لهذا التوجيه قوله ﷺ حكاية عن الله سبحانه: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب[1]. فعلى هذا فالغيب على نوعين: غيبه سبحانه عنا بذاته وصفاته، وغيبه بالأمور الجارية فى مخلوقاته، فلما كانت تلك الأمور غائبة عنا لا نقدر على العلم بها ولا الوصول إليها، وهى محصورة بالكتاب بقوله تعالى ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام:٥٩] وبقوله تعالى ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى ﴾ [طه:٥١،٥٢] فلما كان جميع الوجود محصورا فى علمه سبحانه وتعالى شبهه عليه السلام بالمخازن، وكل مخزن لا بد له من باب، وكل باب لا بد له من مفتاح، فاستعار له عليه السلام

(١) أخرجه البخارى (١/٢٩٠، رقم ٨١٠).

المفاتيح، يشهد لهذا التوجيه قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر:٢١]فإذا كانت الخزائن عنده سبحانه والمفاتيح عنده، وأحد لا يعلم المفاتيح أين هى فكيف يخبر بما فى المخازن؟ هذا لا ينعقل لمخلوق أصلا، وإذا كانت هذه التى هى أثر قدرته سبحانه لا يقدر أحد أن يعلم منها شيئا إلا أن يخبره هو سبحانه بها، كما قال فى كتابه ﴿ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٧][١٨٣] فكيف بقدرته جل جلاله أو بصفة من صفاته، هذا على ما هى عليه من الجلال والكمال، فكيف بذاته التى ليس كمثلها شيء، هذا ممنوع عقلا وشرعا بالجملة الكافية، ومن تعاطى شيئا من المعرفة فى شيء مما قسمنا من الغيوب أو نوع من أنواعه أو تشبيه أو تمثيل بدليل من الأدلة فمحال فمحال دعواه، وهو ضرب من الحمق.

ثم ذكر أن النبى ﷺ حصر بهذه الخمس العوالم كلها، وأنه دل بقوله: لا يعلم ما يغيض فى الأرحام. على ما يزيد فى النفوس وينقص.

وبقوله: ولا يعلم متى يأتى المطر. على أمور العالم العلوى.

وبقوله: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان :٣٤]. على الجهل بهذه الأمور السفليات.

وبقوله: ولا يعلم ما فى غد. على أنواع الزمان وما فيه من التقلبات والعوالم الطارئة فيه والحوادث.

وبقوله: ولا يعلم متى تقوم الساعة. على علم الآخرة بأجمعها. راجعه، فإنه منع من نقل كلامه بنصه ما فيه من الطول، وقد لخصه الحافظ فى " الفتح " فى كتاب التوحيد، فلينظر.

وقال جماعة من شراح الحديث: خص هذه الخمسة بالذكر مع أن الأمور التى لا يعلمها إلا الله لا تتناهى ولا تنحصر، وقد قال ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [النمل:٦٥] لأنها أمهات الغيوب، أو لأنها التى كثر سؤالهم عنها، أو لأنها التى كانوا يعتقدون ويزعمون أن الكهان ونحوهم يعرفونها، أو لأنها التى استأثر الحق تعالى بعلمها فلا يعلمها غيره، أو لأن العدد لا ينفى زائدا عليه، وعبارة

صاحب " فيض القدير " قال: واقتصر عليها وإن كانت مفاتيح الغيب لا تتناهى وما يعلم جنود ربك إلا هو لأن العدد لا ينفى الزائد، أو لأنها التى كان القوم يدعون [١٨٤] علمها، أو لأنها الأمهات، إذ الأمور إما أن تتعلق بالآخرة وهو علم الساعة، أو بالدنيا وذلك إما يتعلق بالجماد وهو المأخوذ من الغيث، أو بالحيوان فى مبدئه وهو ما فى الأرحام، ومعاشه وهو الكسب، أو معاده وهو الموت. انتهى منه بلفظه.

وأخرج أحمد وابن أبى شيبة والبخارى فى مواضع – واللفظ له – فى الإيمان ومسلم فى الإيمان، وابن ماجه فى السنة بتمامه، وفى الفتن ببعضه، وابن أبى حاتم وابن المنذر وابن مردويه فى " تفاسيرهم " وغيرهم عن أبى هريرة قال: كان النبى ﷺ بارزا يوما للناس، فأتاه رجل – فذكر سؤاله عن الإيمان والإسلام والإحسان وجواب النبى ﷺ له عن ذلك، ثم قال: قال متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان، فى خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبى ﷺ **﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾** [لقمان: ٣٤] الآية.. الحديث(١).

وفى رواية لمسلم: فى خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، ثم قرأ **﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾** [لقمان:٣٤] إلى قوله **﴿ خَبِيرٌ ﴾** وقوله: فى خمس معناه علم وقت الساعة داخل فى جملة خمس، فحذف هنا متعلق الجار، وهو جائز.

قال الحافظ: وفى رواية عطاء الخراسانى قال: فمتى الساعة؟ قال: هى فى خمس من الغيب، لا يعلمها إلا الله. انتهى.

وفى " تفسير ابن كثير " ما نصه: هذه مفاتيح الغيب التى استأثر الله تعالى بعلمها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب **﴿ لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ﴾** [الأعراف:١٨٧] وكذلك إنـــزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء [١٨٥] الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما فى

---

(١) أخرجه البخارى (٢٧/١، رقم ٥٠).

الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى أو شقيا أو سعيدا علم الملائكة بذلك، ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا تدرى نفس ماذا تكسب غدا فى دنياها وأخراها، وما تدرى نفس بأى أرض تموت فى بلدها أم غيره من أى بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، وهذه شبيهة بقوله تعالى ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ [الأنعام:٥٩] وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب. انتهى منه بلفظه.

وقد تبعه فى الاستدراك الذى ذكره فى إنـــزال الغيث، وعلم ما فى الأرحام جماعة منهم صاحب " إرشاد السارى " فى سورة الأنعام، ثم قال: والاستدراك من نفى علم غير الله تعالى بوقت إنـــزال المطر بقوله: لكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون به.. إلى آخره مستفاد من قوله ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن:٢٦،٢٧]الآية، ومقتضاه اطلاع الرسول على بعض الغيب، والولى تابع للرسول يأخذ عنه. انتهى.

ومقتضى كلامهم أنه لا يعلم بذلك أحد قبل أمر الله الملائكة به، وفى القضايا المنقولة عن أهل الله تعالى وأوليائه ما يؤذن بخلافه، وإن الولى قد يعلم بالأشياء من العلم أو من اللوح المحفوظ أو مما هو أعلى منهما أو بالإلهام الصادق، وذلك قبل وقوع الأمر بها كرامة من الله له، ويأتى إن شاء الله تعالى بسط هذه المسألة بعد عدة أوراق عند نقلنا لكلام الشعرانى فى " المنن الكبرى " المتضمن لنحو من هذا الذى ذكره ابن كثير ومن تبعه.

وقد وقع لقريبنا العارف بالله تعالى ذى الكرامات الكثيرة والتصرفات الغزيرة مولاى الطيب [١٨٦] بن محمد الكتانى الفاسى أنه كان يبيع المطر ويقول: لا أبيعه إلا بكذا. فإن أعطى ما طلب نـــزل، وإلا لم ينـــزل، وكذا كان يبيع للناس كل ما يريدون ويطلبون من الأولاد والبيوت والزوجات والمناصب والولايات وغيرها من جميع المطالب الدينية والدنيوية جهرة بدون تستر، وكل من اشترى منه شيئا أدركه لا

محالة حالا أو مآلا، نقل ذلك عنه بطريق الاستفاضة، وقد أدركنا جماعة ممن أدركه وصحبه، أو أدرك من أدركه، وسمعنا منهم عنه فى هذا الباب العجب العجاب.

وسمعت بعض أهل الله تعالى يقول فيه: إنه آخر من كان من الأولياء بفاس يبيع للناس مراداهم جهرة من غير مبالاة.

ووقع لأخيه المتوفى قبله بنحو من أربعين سنة الولى الكامل ذى الأحوال والخوارق المجذوب مولاى محمد ضما بن محمد فتحا الكتانى المدعو الحمروشى لأخذه لطريقة الولى الشهير سيدى على بن حمروش الزرهونى فى ابتداء أمره أنه أعطى بنتا صغيرة مناهزة من بنات بعض أصحابه عرجونا من البرتكان وَلِيمةً حلوة وقال لها: خذى هذا بعدما دخل على أهلها به، وأمرهم أن يؤتوا بها ففعلوا، وكانوا يخدمونه لعلمهم ببركته وفضله وكرامته، فاتفق أنها بعدما تزوجت ولدت من الأولاد الذكور بعدد ما أعطاها فى العرجون من البرتكانات من غير زيادة ولا نقص، ولم تلد إلا بنتا واحدة، فكانت هى الليمة الحلوة.

وله ولأخيه المذكور قبله كرامات جسيمة وخوارق عظيمة يطول جلبها، وقد ذكرنا شيئا منها فى " سلوة الأنفاس " وفى الرسالة التى جمعناها فى هذه الشعبة الكتانية، نفعنا الله بجميع أوليائه.

وأخرج أبو داود [١٨٧] والنسائى من حديث أبى ذر وأبى هريرة معا قالا: كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهرانى أصحابه، فيجىء الغريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل.. الحديث[1]، وفيه: أقبل رجل فسأل النبى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، ثم قال: يا محمد أخبرنى متى الساعة. قال: فنكس فلم يجبه شيئا، ثم أعاد فلم يجبه شيئا، ثم أعاد فلم يجبه شيئا، ورفع رأسه فقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها علامات تعرف بها: إذا رأيت الرعاء البهم – أى السود – يتطاولون فى البنيان، ورأيت الحفاة العراة ملوك الأرض، ورأيت المرأة تلد ربها، خمس لا يعلمها إلا الله ﴿

(١) أخرجه أبوداود (٢٢٥/٤، رقم ٤٦٩٨) والنسائى فى الكبرى (٥٢٨/٦، رقم ١١٧٢٢).

إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:٣٤]. الحديث ساقه النسائى بتمامه، واقتصر أبو داود على أوله، وفى " كنز العمال " حديث ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها، وإذا كانت الحفاة العراة رءوس الناس فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاة البهم — أى الصغار من أولاد الضأن والمعز — فى البنيان فذاك من أشراطها، فى خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] الآية. أحمد والبخارى ومسلم وابن ماجه عن أبى هريرة، ورسول الله ﷺ سئل متى الساعة؟ قال: فذكره. ومسلم وأبو داود والنسائى عن عمر. والنسائى عن أبى هريرة وأبى ذر معا، وأبو نعيم فى " الحلية " عن أنس. انتهى.

قلت: ليس فى حديث مسلم ومن ذكر معه عن عمر زيادة: فى خمس.. إلى آخره، ولكن ذكر ابن كثير فى " تفسيره " وهو من الحفاظ لدى قوله ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ [الأنعام:٥٩] [١٨٨] الآية: أنه وقع فى حديث عمر أن جبريل حين بدا له فى صورة أعرابى، فسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان قال له النبى ﷺ فيما قال: خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم قرأ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] الآية، فالظاهر حينئذ أن هذه الزيادة وقعت فى بعض رواياته من غير رواية المذكورين.

وأخرج أحمد والبزار فى " مسنديهما " عن ابن عباس قال: جلس رسول الله ﷺ مجلسا، فأتاه جبريل عليه السلام فجلس بين يدى رسول الله ﷺ واضعا كفيه على ركبتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله حدثنى ما الإسلام؟ الحديث[1] وفيه أنه قال: يا رسول الله فحدثنى متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله، فى خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] الآية، ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك.. الحديث.

---

(١) أخرجه البخارى (٢٧/١، رقم٥٠).

وأخرج أحمد أيضاً عَنْ عَامِرٍ أَوْ أَبِي عَامِرٍ أَوْ أَبِي مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ فيه أَصْحَابُهُ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي غَيْرِ صُورَتِه فحسبَهُ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَيه عَلَى رُكْبَتَي النَّبِيِّ ﷺ ثم ذكر سؤاله عنالإسْلاَم ثم الإيمان ثم الإحسان، وجواب النبي ﷺ له، ثم قَالَ: فَمَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّه. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ « سُبْحَانَ اللَّه خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إلاَّ اللَّهُ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤]وذكر الآية بتمامها[١].

وأخرج ابن عساكر من حديث عبد الرحمن بن غنم الأشعرى عن رسول الله ﷺ أنه أتاه جبريل [١٨٩] فى صورة لم يعرفه فيها حتى وضع يديه على ركبتى رسول الله ﷺ وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، ثم قَالَ له: فَمَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّه. فَقَالَ عليه السلام:« سُبْحَانَ اللَّه خَمْسٌ من الغيب لاَ يَعْلَمُهن إلاَّ اللَّهُ، ما المسئول عنهن بأعلم من السائل ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤]وذكر الآية بتمامها، الحديث [٢].

وأخرج أحمد والبزار وابن مردويه والرويانى فى " مسنده " والضياء المقدسى فى " المختارة " وصححه ابن حبان والحاكم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، وهو بريدة بن الخصيب ﷺ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهن إلاَّ اللَّهُ عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤]وذكر الآية. قال الحافظ نور الدين الهيثمى: رجال أحمد رجال الصحيح. وقال ابن كثير: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجوه[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٩/٤، رقم ١٧٢٠٧).

(٢) أخرجه ابن عساكر باللفظ الموجود عن عمر بن الخطاب (٣٠/٣٨).

(٣) أخرجه أحمد (٣٥٣/٥،رقم٢٣٠٣٥)، وذكره ابن كثير فى تفسيره فى ذكر الأحاديث الواردة فى ذكر مفاتح الغيب (٤٥٤/٣).

وأخرج ابن مردويه وابن جرير في " تفسيريهما " من حديث أبي هريرة مرفوعا:« خَمْسٌ من الغيب لاَ يَعْلَمُهن إِلاَّ اللَّهُ عز وجل ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان:٣٤]الآية.

وأخرج ابن مردويه أيضاً عن أبي أمامة: أن أعرابيا وقف على النبي ﷺ يوم بدر على ناقة له عشراء فقال: يا محمد ما في بطن ناقتي هذه؟ فقال رجل من الأنصار: دع عنك رسول الله، وهلم إلى حتى أخبرك أنك وقعت عليها وفي بطنها ولد منك. فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم قال: إن الله يحب كل كريم حيي متكرم، ويبغض كل لئيم متفحش. ثم أقبل على الأعرابي فقال: خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهن إِلاَّ اللَّهُ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان:٣٤] الآية.

وأخرج الفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق ابن [١٩٠] أبي نجيح عن مجاهد قال: جاء رجل من أهل البادية — زاد الطبري قال: أحسب أنه قال إلى النبي ﷺ — فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني متى تلد؟ وبلادنا مجدبة فأخبرني متى ينـــزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت؟ فأنـــزل الله ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان:٣٤] الآية. قال: فكان مجاهد يقول: هي مفاتيح الغيب التي قال الله ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ [الأنعام:٥٩].

وأخرج ابن المنذر عن عكرمة: أن رجلا يقال له الحارث — يعني ابن عمرو — من أهل البادية جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد متى قيام الساعة؟ وقد أجدبت بلادنا فمتى تخصب؟ وقد تركت امرأتي حبلى فمتى تلد؟ وقد علمت ما كسبت اليوم فما أكسب؟ وقد علمت بأي أرض ولدت فبأي أرض أموت؟ فنـــزلت هذه الآية وهي ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان:٣٤].

وأخرج الطيالسي وأحمد وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني في "الكبير" والبيهقي في " الأسماء والصفات " وأبو نعيم في " الحلية "عن أبي عزة الهذلي قال: قال

رسول الله ﷺ: إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان:٣٤] [1].

وأخرج أحمد ومسلم وأبو عوانة وابن حبان والحاكم فى " صحاحهم " عن جابر مرفوعاً: يسألونى عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة اليوم تأتى عليها مائة سنة[2].

وأخرج أحمد أيضاً وابن أبي شيبة وابن ماجه وسعيد بن منصور والحاكم وصححه، والبيهقى فى " البعث والنشور " وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه [١٩١] عن ابن مسعود مرفوعاً: لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا علم لى بها. فردوا الأمر إلى موسى، فقال: لا علم لى بها. فردوا الأمر إلى عيسى، فقال: أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله تعالى. الحديث.

وأخرج أحمد وغيره عن حذيفة قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة، فقال: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِ لاَ هُوَ ﴾ [الأعراف :١٨٧]، ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها.. الحديث[3].

وأخرج الطبرانى فى " الكبير " وابن مردويه عن أبى موسى: أنه عليه السلام سئل عن الساعة، فقال: لا يعلمها إلا الله ولا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن سأحدثكم بمشاريطها وما بين يديها.. الحديث.

---

(١) أخرجه الطيالسى (١/١٨٨، رقم ١٣٣٥)، وأحمد (٣/٤٢٩، رقم١٥٥٧٨)، والطبرانى فى الكبير (٢٢/٢٧٦).

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٩٦٦، رقم ٢٥٣٨)، وأحمد (٣/٣٢٢، رقم١٤٤٩١)، والحاكم (٤/٥٤٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه ابن حبان(٧/٢٥٤).

(٣) أخرجه أحمد (٥/٣٨٩).

وأخرج ابن مردويه عن على قال: كان النبى ﷺ يسأل عن الساعة، فنـزلت ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴾ [النازعات:٤٣].

وأخرج الحميدى فى " نوادره " قال حدثنا سفيان حدثنا مالك بن مغول عن إسماعيل بن رجاء عن الشعبى قال: سأل عيسى ابن مريم جبريل عليه السلام عن الساعة، قال: فانتفض بأجنحته وقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل.

وفى " تذكرة " القرطبى فى باب أشراط الساعة وعلاماتها ما نصه: فأما وقتها فلا يعلمه إلا الله.

وفى حديث جبريل: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. الحديث خرجه مسلم. وكذلك روى الشعبى قال: لقى جبريل عليه السلام ابن مريم عليهما السلام فقال له عيسى: متى الساعة؟ فانتفض جبريل عليه السلام فى أجنحته وقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ثقلت فى السموات والأرض [١٩٢] لا تأتيكم إلا بغتة. انتهى.

وفيها أيضاً فى باب وأمور تكون بين يدى الساعة ما نصه: والذى ينبغى أن يقال به فى هذا الكتاب أن ما أخبر به النبى ﷺ من الفتن والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمن فى ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر وإنما ذلك كوقت قيام الساعة فلا يعلم أحد أى سنة هى ولا أى شهر، أما أنها تكون فى يوم جمعة فى آخر ساعة منه، وهى الساعة التى خلق فيها آدم عليه السلام فأمر ثابت، ولكن أى جمعة؟ لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله وحده لا شريك له، وكذلك ما يكون من الأشراط تعيين الزمن لها لا يعلم، والله أعلم. انتهى منه بلفظه.

وفى " الرحلة العياشية " فى السفر الثانى ما نصه: والصحيح عندى أن ظهوره — يعنى المهدى — من أشراط الساعة، وتعيين زمن الساعة وأشراطها مع القطع بوقوعها فمما استأثر الله بعلمه. انتهى.

قلت: وقد أخبر عن وقت ولادة المهدى ووقت ظهوره ومبايعته أقوام بطريق الحساب والعد لآيات ذكروها، وآخرون بطريق الاستنباط والأخذ من جفريات أو رياضات نظروها، وآخرون بما لاح لهم من كشف خيالى أو إلهام أو بمرائى رئيت فى

المنام، واتضح الآن خلاف ذلك كله بالتمام هو لم يثبت لأحد فيما رأينا فيه كلام، فالرجوع فيه وفى غيره من أشراط الساعة الكبرى إلى عالم السر كله أولى وأسلم وأبرأ، إلا أن الأمر قد قرب وحان، وزمانه قد أظل وبان، فليعمل على قربه، وليتوسل إلى الله تعالى فى كشف ما قد حل بالمسلمين من بلاء هذا الوقت وكربه، إنه ولى ذلك والمتفضل [١٩٣] على عباده بصرفها هنالك.

وأما الآثار:

فأخرج ابن أبى شيبة عن على: أنه سئل متى الساعة؟ فقال: لقد سألتمونى عن أمر لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل، ولكن إن شئتم أنبأتكم بأشياء إذا كانت، لم يكن للساعة كثير لبث.. الحديث.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر فى " تفسيريهما " عن ابن عباس فى قوله ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ** ﴾ [الأنعام:٥٩] قال: هن خمس ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان:٣٤] الآية.

وفى " الخازن " عنه قال: هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبى مصطفى، فمن ادعى أنه يعلم شيئا من هذه فإنه كفر بالقرآن لأنه خالفه. انتهى.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر فى قوله أيضاً ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ** ﴾ [الأنعام:٥٩] قال: هو قوله عز وجل ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان:٣٤] الآية.

وأخرج حميد بن زنجويه: أن بعض الصحابة ذكر العلم بوقت الكسوف قبل ظهوره، فأنكر عليه، فقال: إنما الغيب خمس وتلا هذه الآية، وما عدا ذلك غيب يعلمه قوم ويجهله قوم. ذكره فى " فتح البارى "[١].

---

(١) انظر فتح البارى (١٢٤/١).

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] الآية قال: خمس — وفى لفظ: خمس أشياء — من الغيب استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، إن الله عنده علم الساعة، فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة فى أى سنة ولا فى أى شهر أليلا أم نهارا، وينـــزل الغيث فلا يعلم أحد متى ينـــزل الغيث أليلاً أم نهارا، ويعلم ما فى الأرحام، فلا يعلم أحد ما فى الأرحام أذكرا أم أنثى أحمر أم أسود، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا أخيرا أم شرا، ولا تدرى يا ابن آدم متى تموت؟ لعلك الميت [١٩٤] غدا، لعلك المصاب غدا، وما تدرى نفس بأى أرض تموت؟ ليس أحد من الناس يدرى أين مضجعه من الأرض أفى بحر أم فى بر، فى سهل أم فى جبل.

وفى " مدارك التنـــزيل " للنسفى ما نصه: وعن ابن عباس رضى الله عنهما: من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب.

ورأى المنصور فى منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره، فأشار بأصابعه الخمس، فعبرها المعبرون بخمس سنوات وبخمسة أشهر وبخمسة أيام، فقال أبو حنيفة ﷺ: هو إشارة إلى هذه الآية، فإن هذه العلوم الخمسة لا يعلمها إلا الله تعالى. انتهى.

وفى " فتح البارى " فى باب سؤال جبريل النبى ﷺ من كتاب الإيمان ما نصه: قال القرطبى لا مطمع لأحد فى علم شىء من هذه الأمور الخمسة لهذا الحديث(١)، وقد فسر النبى ﷺ قول الله تعالى ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام:٥٩] بهذه الخمس، وهو في الصحيح، قال — يعنى القرطبى - فمن ادعى علم شىء منها غير مسنده إلى رسول الله ﷺ كان كاذبا فى دعواه، قال وأما ظن الغيب فقد يجوز من المنجم وغيره إذا كان عن أمر عادى وليس ذلك بعلم، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على تحريم أخذ الأجرة والجعل وإعطائها فى ذلك. انتهى منه بلفظه، وقد نقله به أيضاً العلقمى فى " حاشيته على الجامع الصغير " لدى قوله: مفاتح الغيب خمس.. الحديث،

---

(١) أنظر فتح البارى (١/١١٤).

ونقل فى " المرقاة " كلام القرطبى من قوله: فمن ادعى.. إلى آخره، ثم أيده بأثر حميد بن زنجويه عن بعض الصحابة الذى نقلناه قريبا عن " فتح البارى " وقد قال فى " إرشاد السارى " فى تفسير سورة الأنعام [١٩٥] إثر قوله فى الحديث: خمس لا يعلمها إلا الله ما نصه: فمن ادعى علم شيء منها فقد كفر بالقرآن العظيم. انتهى.

ونحوه قول المناوى فى " التيسير " فى قوله: مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، فمن ادعى منها علم شيء كفر. انتهى.

قلت: وهذا إذا ادعى علمه بطريق الاستقلال لا أن ادعى علمه بإعلام الله أو بما هو راجع إلى إعلامه فلا كفر، بدليل كلام القرطبى السابق، وموضوعه أيضاً ادعاء العلم والجزم والقطع، وأما ظن الغيب بعلامة سماوية مثلا من نجم أو رعد أو سحاب أو غيرها أو بتجربة طبية عادية فلا يكون كفرا ولا فسقا إن استند فيه لتجربة طبية كالطبيب، أو لعلامة أخبر الرسول ﷺ بها كأمارات الساعة، وفى فسق المستند لعلامة لم يخبر النبى ﷺ بها سماوية أو غيرها كقول المنجم: يكون كذا من نـــزول مطر أو حدوث غلاء أو موت رئيس أو ما أشبه ذلك، مستندا فيه للقرانات والطوالع معتقدا أنه لا تأثير لها فى شيء وإنما المؤثر الله خلاف بيننا وبين غيرنا كالشافعية، فعندنا يأثم ويفسق لإدخاله بذلك الشك على العامة وإيهامه لهم أنه يعلم الغيب، ويزجر ويؤدب ولا يحل تصديقه، وعمدهم لا إثم ولا فسوق.

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ ﴾

ولنذكر بعض النصوص فى هذه المسألة لشدة الحاجة إليها فنقول: قال ابن العربى فى " أحكامه " لدى قوله تعالى ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ ﴾ [الأنعام:٥٩] الآية، فى المسألة السابعة ما نصه: مقامات الغيب الخمسة التى لا يعلمها إلا الله لا أمارة عليها ولا علامة عليها، بل ما أخبر به الصادق الحجة من نـــزول الغيث من أمارات الساعة سواها لا أمارة عليها، فكل من قال إنه ينـــزل الغيث غدا فهو كافر أخبر عنه بأمارات ادعاها أو بقول مطلق [١٩٦] ومن قال إنه يعلم ما فى الرحم فهو كافر، فأما

الأمارة على هذا فتختلف فمنها كفر ومنها تجربة، والتجربة منها أن يقول الطبيب: إذا كان الثدى الأيمن مسود الحلمة فهو ذكر، وإن كان ذلك فى الثدى الأيسر فهو أنثى، وإن كانت المرأة تجد الثدى الأيمن أثقل فهو ذكر، وإن وجدت الثدى الأشأم أثقل فالولد أنثى، وادعى ذلك عادة لا وجوبا فى الخلقة لم نكفره ولم نفسقه، وأما من ادعى علم الكسب فى مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن الجملية أو المفصلة فيما يكون قبل أن يكون فلا ريبة فى كفره أيضا، فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا: يؤدب ويسجن ولا يكفر. أما عدم تكفيره فلأن جماعة قالوا إنه أمر يدرك بالحساب وتقدير المنازل حسبما أخبر الله عنه سبحانه فى قوله جل وعلا ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس:٣٩] فلحسابهم له وإخبارهم عنه وصدقهم فيه توقف علماؤنا عن الحكم بتكفيرهم، وأما أدبهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة فى تعلق العلم بالغيب المستأنف، ولا يدرون قدر الفرق بين هذا وغيره، فتتشوش عقائدهم فى الدين، وتتزلزل قواعدهم فى اليقين، فأدبوا حتى يُسروا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا به. انتهى منها بلفظها، وانظر قوله: والأربعة سواها لا أمارة عليها مع حديث: إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة. أى سحابة كثيرة المطر. أخرجه مالك فى " الموطأ " بلاغا، وبلاغاته كلها صحيحة.

ويشهد له ما ذكره الشافعى فى " الأم " عن محمد بن إبراهيم عن أبى يحيى عن إسحاق بن عبد الله أن النبى ﷺ قال: إذا نشأت بحرية ثم استحالت شامية [١٩٧] فهو أمطر لها. وقوله: فكل من قال إنه ينزل الغيث غدا فهو كافر.. إلى آخره يعنى إذا قال ذلك جازما به، كما صرح به القرطبى فى " تفسيره " عند قوله تعالى ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ [الأنعام:٥٩] ونصه: فمن قال إن المطر ينزل غدا وجزم فهو كافر، أخبر عنها بأمارة ادعاها أم لا. انتهى.

وقال الأبى فى " شرح مسلم " لدى قوله فى حديث أبى هريرة: فى خمس لا يعلمهن إلا الله ما نصه: قال ابن العربى: فليس لأحد أن يدعى علم إحداها، فمن قال ينزل المطر غدا أو أكسب فيه كذا فقد كفر، وإن استند فى نزول المطر إلى أمارة،

لأن الله تعالى لم يجعل لواحدة منهن أمارة، إلا ما جعل للساعة، وكذلك إن ادعى علم ما فى الرحم، إلا أن يستند فى ذلك إلى التجربة، كقول الطبيب: إن كان الثقل فى الجانب الأيمن أو كان حلمة ثديها هى السوداء فالولد ذكر، وإن كان أحد الأمرين فى الأيسر فالولد أنثى. قال: وليس قوله تكسف الشمس غدا من ذلك، لأن الكسوف يعرف بالحساب. لكن قال علماؤنا: يؤدب لتطريقه الشك للعوام. انتهى.

– المنجم –

ولابن رشد فى " جامع المقدمات " اختلف فى المنجم يقضي بتنجيمه، فيدعى علم شيء من المغيبات كقدوم زيد، وحدوث الفتن والأهوال، فقيل يقتل دون استتابة، وقيل يستتاب كالمرتد، فإن تاب وإلا قتل، ولمالك فى كتاب السلطان: يزجر عن اعتقاده ذلك ويؤدب حتى يتوب، قال: وليس هذا باختلاف، وإنما هو لاختلاف حال المنجم، فإن اعتقد تأثير الكواكب فى ذلك ويستسر بقول ذلك قتل دون استتابة لأنه زنديق، وإن كان يظهر ذلك وينتصر له استتيب كالمرتد، وإن كان لا يعتقد التأثير وإنما يرى القرانات والطوالع أدلة [١٩٨] عادية فى ذلك فهذا يزجر ويؤدب كما قال مالك، أنه أتى ببدعة تسقط أمانته وشهادته، ولا يحل تصديقه لقوله تعالى ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [النمل:٦٥] وقوله تعالى ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ** ﴾ [الأنعام:٥٩] الآية، وينبغى أن يعتقد فيما يصيبون فيه أنه بمقتضى التجربة، لأن الله سبحانه استأثر بعلم ذلك، وقال القرطبي: الذى استأثر الله سبحانه به إنما هو علم الغيب، وأما ظن الغيب فليس فى الشرع ما يدل على منعه، فيجوز أن يظن المنجم وخاطُّ الرمل ظننا يظهر صدقه فى المستقبل إذا استند فى ذلك إلى طريق عادى. قال: فتفهم هذا فقد غلط فيه كثير وأكلت فيه دراهم. قال – أى قال الأبى – تأمله فإنه خلاف لجميع ما تقدم ولا يبعد، لأن حقيقة الغيب ما لم ينصب عليه دليل، ولهذه مستندات فليست من الغيب. انتهى كلام الأبى بلفظه، وقد نقله السنوسى فى " اختصاره " وأقره، وقوله عن ابن رشد فيمن لا يعتقد التأثير ويرى القرانات والطوالع

أدلة عادية أنه يزجر ويؤدب.. إلى آخره صريح أو كالصريح فى أن قوله ينـــزل المطر أو يقع كذا لا يجوز، ولو اعتقد أنه لا تأثير للنوء بحال، وصرح بذلك الباجى فى " شرح الموطأ ".

وظاهر كلام المازرى والقرطبى الجواز إذا استند فى ذلك لعادة أجراها الله تعالى، لأن الله تعالى أجرى العوائد فى السحاب والرياح والأمطار لمعان تترتب فى الخلقة، وجاءت على نسق فى العادة، ويؤيدهما ذكر مالك فى " الموطأ " لحديث: إذا أنشأت بحرية. بعد حديث: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى. فجعل الأول دالا على الحرمة وعلى الكفر إذا نسبه للأنواء، [١٩٩] والثانى دالا على الجواز إذا نسب ذلك لعادة جرت، وهذا هو مذهب الشافعية، قال ابن حجر الهيتمى فى " فتاويه الحديثية " بعد نقله لكلام ابن رشد السابق بأبسط مما نقله الأبى ما نصه: وحاصل مذهبنا فى ذلك أنه متى اعتقد أن لغير الله تعالى تأثيرا كفر فيستتاب، فإن تاب وإلا قتل، سواء أسر ذلك أم أظهره، وكذا لو اعتقد أنه يعلم الغيب المشار إليه بقوله تعالى ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ [الأنعام:٥٩] لأنه مكذب بالقرآن، فإن خلا عن اعتقاد هذين فلا كفر بل ولا إثم إن قال علمت ذلك بواسطة القرآن والعادة الإلهية ونحو ذلك. انتهى منه بلفظه.

وقال قبله ما نصه: الحق ما قاله غير الباجى، وهو الذى عليه أئمتنا أن من قال مطرنا بنوء كذا معتقدا لتأثير الكوكب وحده أو مع الله تعالى كافر، وهذا مما لا خلاف فيه، ومن قاله معتقدا أن الكوكب جعله الله علامة على كذا بحسب ما استقر فى العادة فليس بحرام، وعلى هذا نص الشافعى ﷺ فقال: إذا قال مطرنا بنوء كذا يريد فى وقت كذا فهو كقوله مطرنا فى شهر كذا، وهذا لا يكون كفرا من مسلم ولا حراما بخلاف قول أهل الشرك، لأنهم يعتقدون التأثير له. انتهى بلفظه أيضا.

وقوله – أعنى الأبى – عن القرطبى: الذى استأثر الله به سبحانه إنما هو علم الغيب.. إلى آخره يوافقه قول الشيخ عبد الرءوف المناوى الشافعى فى " فيض القدير " فى الكلام على حديث: مفاتيح الغيب خمس. ما نصه: والمنجم الذى يخبر بشىء من

ذلك، يقول بالقياس والنظر فى المطالع والقرانات وما يدرك بالدليل لا يكون [٢٠٠] غيبا على أنه مجرد ظن. انتهى منه بلفظه.

وقول أبى البركات النسفى الحنفى فى " مدارك التنـــزيل ": وأما المنجم الذى يخبر بوقت الغيث والموت فإنه يقول بالقياس والنظر فى المطالع، وما يدرك بالدليل لا يكون مخبئا على أنه مجرد الظن، والظن غير العلم. انتهى منه بلفظه.

وقول الخادمى من الحنفية فى " شرح الطريقة المحمدية " ما نصه: قال فى " شرح العقائد " ذكر فى الفتاوى أن قول القائل عند رؤية هالة القمر: يكون مطرا مدعيا علم الغيب لا بعلامة كفر، لأن علم الغيب أمر تفرد به الله تعالى لا سبيل إليه للعباد إلا بإعلام منه أو إلهام بطريق المعجزة أو الكرامة أو إرشاد إلى الاستدلال بالأمارات فيما يمكن ذلك فيه. انتهى.

وقد ذكر فيه أيضاً فى غير ما موضع أن الاستدلال بالأمارات والعلائم والتجارب ليس من قبيل علم الغيب، بل مثله كثير فيما يجوز شرعا، وأن صاحبه لا يكفر مستدلا له بكلام شرح العقائد المذكور، والله أعلم.

وقد خرج الظواهر هذه الآثار والآيات والأخبار انفراد الحق تعالى بالساعة الكبرى وما معها فى الآية من الأربعة الأخرى. وها هنا أحاديث أخر وآثار تؤكد ذلك، وتصرح بأنه عليه السلام كان يعلم كل شىء إلا الخمسة المذكورة هناك.

- علم الساعة -

أخرج أحمد والطبرانى فى " الكبير " قال فى " الخصائص الكبرى " بسند صحيح عن ابن عمر مرفوعاً: أوتيت مفاتيح كل شىء إلا الخمس ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان:٣٤] الآية [١].

(١) أخرجه أحمد (٢/٨٥) والطبرانى فى الكبير (١٢/٣٦٠).

وقد أخرجه أحمد من طرق منها عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة به، وزاد في آخره قال قلت: أنت سمعته من عبد الله؟ قال: [٢٠١] نعم، أكثر من خمسين مرة.

ومنها عن وكيع عن مسعر عن عمرو بن مرة به.

قال ابن كثير: وهذا إسناد حسن على شرط السنن ولم يخرجوه. فإما كان الله تعالى أطلعه على خزائن الغيوب كلها إلا هذه الخمس، وهو مشعر باستئثار الحق تعالى بها.

وأخرج ابن جرير عن عمرو بن شعيب: أن رجلا قال: يا رسول الله هل من العلم علم لم تؤته؟ قال: لقد أوتيت علما كثيرا أو علما حسنا. أو كما قال رسول الله ﷺ ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] الآية.

وأخرج سعيد بن منصور وأحمد والبخاري في " الأدب المفرد " عن ربعي بن حراش قال حدثني رجل من بني عامر أنه قال: يا رسول الله هل بقي من العلم شيء لا تعلمه؟ فقال: لقد علمني الله عز وجل خيرا كثيرا، وإن من العلم — وفي لفظ: الغيب — ما لا يعلمه إلا الله الخمس ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] الآية.

وقد أورده ابن كثير في " تفسيره " من عند أحمد مطولا وقال: هذا إسناد صحيح.

وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن مسعود قال: أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير الخمس ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية. ولفظ ابن جرير من طريق عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن ابن مسعود قال: كل شيء قد أوتي نبيكم غير مفاتيح الغيب الخمس، ثم قرأ هذه الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] إلى آخرها[1].

(١) أخرجه أحمد (٤٣٨/١).

وأخرج أيضاً فى تفسير سورة الأنعام من طريق عمرو المذكور عن ابن سلمة عن ابن مسعود قال: أعطى نبيكم ﷺ كل شىء إلا مفاتيح الغيب.

وفى " فتح البارى " فى كتاب الإيمان ما نصه: وجاء عن ابن مسعود قال: أوتى نبيكم [٢٠٢] ﷺ علم كل شىء سوى هذه الخمس. وعن ابن عمر مرفوعاً نحوه. أخرجهما أحمد. انتهى. ومثله لا يقال من قبل الرأى، فله حكم المرفوع، وكذا ما بعده.

وأخرج الطيالسى فى " مسنده " عن إبراهيم بن سعد عن الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: أوتى نبيكم مفاتح الغيب إلا الخمس، ثم تلا الآية. قال فى " الفتح ": وأظنه دخل له متن فى متن، فإن هذا اللفظ أخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن سلمة عن ابن مسعود نحوه. انتهى.

وأخرج ابن مردويه عن على بن أبى طالب قال: لم يعم على نبيكم ﷺ شىء إلا خمس من سرائر الغيب، هذه الآية فى آخر سورة لقمان ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان:٣٤]إلى آخر السورة.هذا ما يتعلق بهذه الخمس من الأخبار والآثار.

- الروح -

وأما الروح: فأخرج الترمذى من طريق داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل. فقالوا: سلوه عن الروح. فسألوا، فأنـــزل الله تعالى ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾ [الإسراء:٨٥] قال الحافظ: ورجاله رجال مسلم، وهو عند ابن إسحاق من وجه آخر عن ابن عباس نحوه، وأخرج أحمد والبخارى فى العلم والتفسير والتوحيد والاعتصام، ومسلم فى التوبة، والترمذى والنسائى فى التفسير، وابن جرير والمنذرى وابن حبان وابن مردويه والبيهقى وأبو نعيم معا فى " الدلائل " واللفظ للبخارى[1]فى

---

(١) أخرجه البخارى (٦/٢٧١٤، رقم ٧٠٢٤).

العلم فى باب قول الله تعالى ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء:٨٥] عن عبد الله – يعنى ابن مسعود – قال: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَرِبِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُوهُ [٢٠٣] عَنِ الرُّوحِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لاَ تَسْأَلُوهُ لاَ يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنَسْأَلَنَّهُ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ فَسَكَتَ. فَقُلْتُ: إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ. فَقُمْتُ، فَلَمَّا انْجَلَى- أى انكشف - عَنْهُ، قَالَ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء:٨٥] قَالَ الأَعْمَشُ: هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا. قال الحافظ: وليست هذه القراءة فى السبعة بل ولا فى المشهور من غيرها، وقد أغفلها أبو عبيد فى كتاب " القراءات " له من قراءة الأعمش. انتهى. وقال قبله: الأكثر على أنهم سألوه عن حقيقة الروح الذى فى الحيوان، وقيل عن جبريل، وقيل عن عيسى، وقيل عن القرآن، وقيل عن خلق عظيم روحانى، وقيل غير ذلك، وسيأتى بسط ذلك فى كتاب التفسير إن شاء الله تعالى، ونشير هناك إلى ما قيل فى الروح الحيوانى، وأن الأصح أن حقيقته مما استأثر الله بعلمه. انتهى.

وقال فى " إرشاد السارى " ولم يبين أى النبى ﷺ الماهية، لكونها مما استأثر الله بعلمها، ولأن فى عدم بيانها تصديقا لنبوة نبينا ﷺ. انتهى. أى لأنهم قالوا: إن فسرها فليس بنبى، وذلك أن فى التوراة إن الروح مما انفرد الله بعلمه، ولا يطلع عليه أحداً من عباده، فإذا لم يفسرها دل على نبوته، وعلى هذا فمعنى قوله ﴿ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ من شأنه لا من شأن غيره، أى أنها مما انفرد الله تعالى بعلمه، فمعرفتها من شأن الله لا من شأن الخلق، وهذا هو اختيار أكثر الفقهاء، ومنهم القاضى أبو الوليد ابن رشد، وهو مذهب ابن عباس وغيره.

أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال: سئل ابن عباس عن الروح فقال: أمر ربى لا تنالوا هذه المسألة فلا تـــزيدوا عليها، قولوا كما قال [٢٠٤] الله وعلم نبيه ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.

وأخرج ابن جرير بسند مرسل: إن الآية لما نـزلت قال اليهود: هكذا نجد عندنا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن بريدة قال: لقد قبض النبي ﷺ وما يعلم الروح، ولقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة عن الخوض فيه.

وقال أستاذ الطائفة الصوفية أبو القاسم الجنيد فيما نقله السهروردى فى " العوارف " وعنه الحافظ فى " الفتح " وغير واحد: الروح شيء استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، فلا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود.

وفى " فتح البارى " قال ابن بطال: معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر.[1] انتهى. يعنى خبر ابن مسعود المار فى سؤال النبى ﷺ عن الروح، وذهبت طائفة إلى أنه تمكن معرفتها وإدراك حقيقتها لبعض الخواص، وإنما أمسك الشارع عنها لصعوبتها، وعجز أكثر الخلق عن إدراكها وقالوا: معنى كونها من أمر الله أنها من عالم الأمر، الذى هو عالم كن من غير ترتب أسباب ولا مسببات كما فى عالم الخلق.

قال الشيخ محى الدين قدس الله روحه فى " فتوحاته " ما نصه: كل موجود عند سبب مخلوق مما سوى الله هو عالم الخلق، وكل ما لم يوجد عند سبب مخلوق فهو عالم الأمر، قال والكل على الحقيقة عالم الأمر إلا أنا لا يمكننا رفع الأسباب من العالم، فإن الله قد وضعها ولا سبيل إلى رفع ما وضعه. انتهى.

– عالم الخلق –

وقال فى محل آخر: عالم الخلق ما أوجده الله على أيدى الأسباب، وهو قوله ﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ [يس:٧١]وليست سوى أيدى الأسباب، فهذه إضافة تشريف لا بل تحقيق، وعالم الأمر [٢٠٥] ما لم يوجد عند سبب. انتهى.

(١) انظر فتح البارى (٤٠٣/٨).

وقال أيضاً: عالم الأمر ما وجد عن الله لا عند سبب حادث، وعالم الخلق ما أوجده الله عند سبب حادث، فالغيب فيه مستور. انتهى.

وقال فى كتاب " التدبيرات الإلهية ": عالم الأمر كل ما صدر عن الله بلا واسطة إلا بمشافهة الأمر العزيز، وعالم الخلق كل موجود صدر عن سبب متقدم من غير مشافهة الأمر الذى هو الكلمة، قال الله تعالى ﴿ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤]

انتهى.

وقال بعضهم: الحضرة العلمية باطن الحق وفيها جميع الأشياء ملكا وملكوتا، فإنما تجلى باسمه الباعث بث ما فى علمه فى حضرة الإمكان إجمالا فسمى هذا المبثوث الإجمالى روحا كليا، وعالم الأمر ثم تفصل منه ذلك الإجمال بتجل آخر رحمانى، فسمى خلقا، قال الله تعالى ﴿ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ فإذا ظهر الإنسان وانكشف لعلمه الحادث التجلى الأول الأمرى سمى وحيا.

وقال الشيخ الجليل ابن موسى القصرى فى شعبه لدى كلامه على آية ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء:٨٥] فى أوائل كتابه ما نصه: والأمر هو كن الصادر عن الإرادة، والقول القائم بالنفس كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل:٤٠] أى كن على صورة ما أردت منك أن تكون بلا تأخير، فالروح أراد منه أن يكون على هذه الصورة، فهو كلمة الله تعالى كما قال ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء:١٧١] ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن ﴾ [آل عمران:٥٩] انتهى.

وقد اختلف الخائضون فيها – أعنى الروح – على نحو من ألف قول، وليس فيها قول صحيح، بل كلها قياسات فكرية وتخييلات عقلية، والذى عليه أهل الكشف [٢٠٦] والشهود فيها أنها ليست بجسم يحل البدن حلول الماء فى الإناء ولا بعرض يحل القلب أو الدماغ حلول السواد فى الأسود والعلم فى العالم، وإنما هى جوهر مجرد روحانى فى غاية اللطافة غير متحيز ولا منقسم ولا له صورة من ذاته، ولا هو داخل

البدن ولا خارج عنه، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا هو فى جهة فهو منـــزه عن الحلول فى المحال والاتصال بالأجسام، والاختصاص بالجهات، وعن جميع عوارض الأجسام، فلا يدخل مساحة وتقدير، لانتفاء الكمية منه، ولا يقبل إشارة حسية لكونه لا جهة له، ولكون الأفهام لا تحتمل هذا وتحيل أن تكون هذه الصفات لغير الله تعالى منع الرسول ﷺ من إفشاء هذا السر وكشف حقيقته. راجع كتاب " المظنون الصغير " لأبى حامد الغزالى.

وفى " الفتوحات " فى الباب التاسع والستين وثلاثمائة فى الوصل الرابع عشر بعدما ذكر فيه أن النفس الناطقة مجردة فى الحقيقة عن هذه الأجسام والأجساد الطبيعية وما لها فيها إلا التدبير ما نصه: فالنفوس الناطقة عندنا متصلة بالتدبير منفصلة بالذات والحد والحقيقة الشخصية، فلا هى متصلة ولا منفصلة، والتدبير لها ذاتى كمثل الشمس، فإن لها التدبير الذاتى فيما تنبسط عليه أنوار ذاتها غير أن الفرق بين الشمس والقمر والكواكب وأكثر الأسباب التى جعل الله فيها مصالح العالم لذاتها لا علم لها بذلك، والنفوس الناطقة وإن كان تدبيرها ذاتيا فهى عالمة بما تدبره، فالنفوس الفاضلة منها لها الكشف تطلع على جزئيات ما هى مدبرة له بذاتها، وغير الفاضلة [٢٠٧] لا تعلم بجزئيات ذلك، وقد تعلم ولا تعلم أنها تعلم، وهكذا كل روح مدبرة. انتهى منها بلفظها.

أقوال العلماء فى الخمس والروح

وإذا أحطت علما بهذا كله فاعلم أن العلماء فى هذه الخمس وفى الروح على فرقتين: فرقة تقول إنه عليه الصلاة والسلام لم يكن عالما بهما ولا بشىء من الأسباب الموصلة إليهما، فضلا عن غيره، بل هما مما استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه بشرا ولا مخلوقا وقوفا مع ما قدمناه من الأدلة الصحيحة والنصوص الشرعية التى هى فى بابها صريحة، وجعلوها مخصصة لغيرها من العمومات ومقيدة لما عداها من الإطلاقات، وهذا هو مذهب جمهور المحدثين والعلماء والمختار عند أكثر الفقهاء.

- وفرقة تقول إنه عليه الصلاة والسلام لم يخرج من الدنيا حتى أطلعه الله عليهما وعلى غيرهما من كل ما أبهمه عنه أو أخفاه من كل ما ينبغى لمثله ويليق بعزته وعلاه أخذا بالعمومات الآتية فى القسم الثالث، وهذا هو مذهب المحققين من العلماء، وجزم به كثير من أرباب الخصوصية والأولياء، وهو الحق الذى لا مرية فيه لمنصف، ولا يعدل عنه بعد الوقوف على ما فى هذه الرسالة إلا متوانٍ أو مستغفل.

الأجوبة عن ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾

وأجابوا عن آية ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤]بأجوبة:

منها ما أفاده غير واحد ومنهم الشيخ عبد الرءوف المناوى فى " الفيض " من أن محمل الآية على أنه تعالى هو الذى يعلمها بذاته من ذاته من غير واسطة أحد ولا استمداد من شىء بخلاف غيره، فإنه لا يعلمها إلا بإعلامه تعالى وإخباره أو إلهامه.

ومنها ما أشار إليه فى " المنن الكبرى " [٢٠٨] نقلاً عن بعضهم، وذكره أيضاً غيره من أن الاستثناء فيها مقدر، والتقدير إن الله عنده علم الساعة وكذا وكذا دون غيره من جميع خلقه إلا أن يرتضى أحداً منهم فيطلعه عليها أو على بعضها بدليل قوله ﴿ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن:٢٧] قال القرطبى فى " تفسيره " لدى قوله ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام:٥٩] الآية ما نصه: فالله عنده علم الغيب وبيده الطرق الموصلة إليه، لا يملكها إلا هو فمن شاء أطلعه عليها، ومن شاء حجبه عنها، ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله، بدليل قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [آل عمران:١٧٩] وقال ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦،٢٧] انتهى منه.

ومعلوم أن الولى التابع للرسول، عنه يأخذ ومنه يمتد، ومن بحره يغترف، وبسببه يحظى وينال كل ما يطلبه ويرضى.

ومنها ما أشار إليه صاحب " الإبريز " وغيره من أن الحصر فيها إضافى لا حقيقى، أى دون غيره ممن تـــزعمون أو يزعم هو أنه يعلم الغيب كله، أو هذه الخمس من الكهانين والعرافين والخطاطين والمنجمين ونحوهم، وهذا لا ينفى أن يعلمها غيرهم ممن ليس بهذه المثابة بل هو بمثابة التلقى عن الله تعالى أو عن رسله عليهم الصلاة والسلام.

ومنها: ما ذكره غير واحد أيضاً وأشار إليه فى " التيسير " وفى " الفيض " وفى غيرهما من أن مراد الآية أنه تعالى هو الذى يعلمها علما إحاطيا شاملا لكلياتها وجزئياتها وجميع تفاصيلها، بحيث لا يشذ عن علمه شىء منها بخلاف غيره، فإنه وإن علمها بل وأحاط علمه بها لا يحيط بها كإحاطته تعالى، ولا بد أن يشذ عنه شىء من التفاصيل، وهذا على [٢٠٩] قول من يقول إنه عليه السلام أحاط بالأشياء كليا علما، لكن إحاطة دون إحاطته تعالى، لأنه لا بد أن يشذ عنه شىء من التفاصيل التى شأنها أن تختص به تعالى.

وعن آية ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء:٨٥] بأن كونها من أمره وشأنه لا ينفى أنه يُطلع عليها من شاء أن يطلعه من خلقه، وبأنه يحتمل أن معنى كونها من أمره أنها من عالم الأمر كما قيل بذلك فى الآية الشريفة حسبما تقدم، لا من عالم الخلق.

وعن حديث: أوتيت مفاتيح كل شىء إلا الخمس. بأنه يمكن أن يكون قاله قبل أن يعلم بها وبكل ما أبهم عنه بدليل قوله فى الكسوف: ما من شىء لم أكن أريته إلا رأيته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار. وقد صرح بهذا جمع وتأتى قريبا نصوصهم.

وبأنه يحتمل أن يكون الاستثناء فيه من شىء مقدر، والتقدير: أوتيت مفاتيح كل شىء، وأذن لى فى الكشف عن حال ما شئت، منه لكل من شئت إلا هذه الخمس، فإنه لم يؤذن لى فى الكشف عنها إلا لمن يكون من أفراد العارفين وكُمَّل الواصلين، فيكون إشارة إلى خصوصيتها وكمال مزيتها وعزة أمرها، وقلة من يرفع عنه حجاب سترها.

وعن أثر ابن مسعود وابن عمر وعلى بأنه يمكن أنهم وقفوا فيه مع ظاهر الآية الشريفة والأخبار المرفوعة فيه لكونهم فهموا منها حصر الأمر وردع الجاهلين حتى لا يتطرقوا إلى نسبة هذه الخمسة لمن لا تصح نسبتها له من كاهن وساحر ونحوهما فتأدبوا بأدب الشرع وكتموا ما كتمه عن الخلق، والله أعلم.

نصوص للعلماء العاملين وأولياء الله الكاملين بأن الله أعلمه الخمس والروح

وها هنا فى خصوص هذه المسألة نصوص للعلماء العاملين وأولياء [٢١٠] الله الكاملين تؤذن بأنه عليه الصلاة والسلام لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله تعالى بكل ما سره عنه أو أبهمه من الخمس والروح وغيرهما، ولنذكر ما وقفت عليه الآن منها استئناسا للخاطر وجبرا لقلب المحب المتكاسر، فنقول: قال فى " فتح البارى " فى التفسير فى باب ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء:٨٥]ما نصه: وقال بعضهم ليس فى الآية دلالة على أن الله تعالى لم يطلع نبيه ﷺ على حقيقة الروح، بل يحتمل أن يكون أطلعه ولم يأمره أن يطلعهم وقد قالوا فى علم الساعة نحو هذا، فالله أعلم. انتهى منه بلفظه ومثله فى إرشاد السارى ونصه قيل وليس فى الآية دلالة على أن الله تعالى لم يطلع نبيه على حقيقة الروح بل يمكن أن يكون أطلعه ولم يأمره أن يطلعهم وقد قالوا فى علم الساعة نحو هذا والله أعلم انتهى.

قال فى " روح البيان " لدى قوله ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ [النازعات:٤٢] الآية ما نصه: وقد ذهب بعض المشايخ إلى أن النبى ﷺ كان يعرف وقت الساعة بإعلام الله تعالى، وهو لا ينافى الحصر فى الآية كما لا يخفى.

وفى " صحيح مسلم " عن حذيفة قال: أخبرنى رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.(١)انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢١٧/٤، رقم ٢٨٩١).

وقال السيوطى فى " خصائصه الكبرى " ما نصه: بأن اختصاصه ﷺ بالنصر بالرعب مسيرة شهر أمامه وشهر خلفه وإتيانه جوامع الكلم ومفاتيح خزائن الأرض وعلم كل شيء إلا الخمس، قيل والخمس أيضاً والروح. انتهى المراد منه.

وقال أيضاً بعد هذا بعد إيراده لحديث ابن عمر: أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس. ولأثر ابن مسعود [٢١١]: أوتى نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير الخمس ما نصه: فصل: ذهب بعضهم إلى أنه ﷺ أوتى علم الخمس أيضاً وعلم وقت الساعة والروح، وأنه أمر بكتم ذلك انتهى.

وقال كما فى " أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب " الذى لخصه من " خصائصه الكبرى " فى الباب الأول فى الفصل الأول ما نصه: وأوتى علم كل شيء إلا الخمس التى فى آية ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] وقيل إنه أوتيها أيضاً وأمر بكتمها، والخلاف جارٍ فى الروح أيضا.

وقال العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه " كشف الغمة " أول كتاب النكاح فى الكلام على خصائصه ﷺ فى القسم الأول فيما اختص به فى ذاته فى الدنيا، ما نصه: وأوتى علم كل شيء حتى الروح والخمس التى فى آية ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] انتهى.

وقد ذكر فى آخر كلامه أنه كتب هذه الخصائص من خط شيخه خاتمة الحفاظ الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله.

وقال الشيخ الإمام العارف بالله تعالى عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس فى " شرحه لصلاة أبى الفتيان أحمد البدوى " لدى قوله فيها: ومعدن الأسرار الربانية، ما نصه: لأنه مرآة لتجلى أسرار الذات العلية وأنوار الصفات السنية، وقد أودعه الله خزانة أسراره، فهى أسرار لا تبدو إلا لديه ولا تجلى عرائسها إلا عليه. ثم قال: وقال الحافظ السيوطى نفع الله به فى " الخصائص " إنه ﷺ أوتى علم كل شيء إلا الخمس التى فى آخر لقمان، وقيل إنه أوتى علمها فى آخر الأمر، لكنه أمر فيها بالكتمان. انتهى. وهذا القيل هو [٢١٢] الصحيح. انتهى منه بلفظه.

وفى " النفحات القدسية من الحضرة العباسية فى شرح الصلاة المشيشية " للقطب عفيف الدين أبى السيادة عبد الله بن إبراهيم بن حسن بن محمد بن أمين بن على الميرغنى الحسينى المكى الطائفى الحنفى الملقب بالمحجوب لدى قوله فيها: وتنزلت علوم آدم، ما نصه: وقد قال العلماء المحققون إنه تعالى أعلم نبيه ﷺ علم الغيب كله حتى الخمس المستثناة فى آخر عمره ﷺ لكنه أمر بكتم البعض وإفشاء البعض. انتهى منه بلفظه.

وقد نقله عنه أيضاً صاحبنا وحبيبنا مداح الحضرة النبوية العلامة الأستاذ ذو التصانيف الجليلة والنية الحسنة الجميلة الشيخ سيدى يوسف بن إسماعيل النبهانى فى كتابه " جواهر البحار " وقال الشيخ أبو النجاح أحمد بن على العدوى الدمشقى الشهير بالمنينى فى شرحه لمنظومته التى سماها " مواهب المحب فى خصائص الحبيب " وضمنها " أنموذج اللبيب " للسيوطى لدى قوله فيها:

وأوتى العلم جميعا ما عدا ... مفاتح الغيب كما قد وردا
وقيل أوتى علمها وأمرا ... من ربه بكتمانها عن الورى
وهكذا الخلاف فى الروح على ... ما فى مفاتيح الغيوب فصلا

ما نصه: أى وخص ﷺ بأنه أوتى علم كل شىء حتى المغيبات بعده إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم استدل على هذا بحديث أحمد والترمذى والطبرانى وغيرهم من عدة طرق مرفوعاً: أتانى الليلة ربى تبارك وتعالى فى أحسن صورة.. الحديث[1]، وفيه [٢١٣] فعلمت ما فى السماوات وما فى الأرض. وبحديث أحمد عن أبى ذر: لقد تركنا النبى ﷺ وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علما. وذكر بعده كلام السيوطى فى " خصائصه الكبرى " وكلام غيره، ثم تكلم على الروح، وقال فى آخر كلامه: وقال اللقانى فى شرحه الصغير لمنظومته المسماة بـ "

(١) أخرجه أحمد (١/٣٦٨)، والترمذى (٥/٣٦٦)، والطبرانى (٨/٢٩٠).

جوهرة التوحيد " اختلف أهل هذه الطريقة – يعنى طريقة الإمساك عن الخوض فى الروح – هل علمها النبىﷺ ؟ فقال ابن أبى حاتم فى " تفسيره " بسند له إلى عبد الله بن بريدة قال: لقد قبض النبى ﷺ وما يعلم الروح. وقالت طائفة: بل علمها وأطلعه الله عليها، ولم يأمره أن يطلع عليها أمته، وهذا الخلاف نظير الخلاف فى الساعة. والحق كما قال جمع إن الله تعالى لم يقبضه حتى أطلعه على ما أبهمه عنه، إلا أنه أمر بكتم بعض والإعلام ببعض. انتهى، راجعه.

وفى " السراج المنير " للعزيزى لدى قوله فى الحديث: أوتيت مفاتيح كل شىء إلا الخمس ما نصه: وقيل إنه أعلمها بعد هذا الحديث. انتهى.

وقال القطب الحفنى ما نصه: قوله: إلا الخمس. ثم أعلم بها بعد ذلك. انتهى.

وفى " فيض القدير " لدى حديث: خمس لا يعلمهن إلا الله. عقب قوله إلا الله ما نصه: على وجه الإحاطة والشمول كليا وجزئيا، فلا ينافيه إطلاع الله تعالى بعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من هذه الخمس، لأنها جزئيات معدودة، وإنكار المعتـــزلة لذلك مكابرة. انتهى منه بلفظه.

وقال فى " السراج المنير " لدى هذا الحديث أيضاً ما نصه [٢١٤]: وقيل إنه ﷺ أعلمها بعد. انتهى.

وقال العارف الحفنى قوله: لا يعلمهن إلا الله ومن أراد اطلاعه عليهن، أو المراد لا يحيط بعلمهن إلا الله تعالى، وغيره وإن علمهن لا يحيط بهن كإحاطته تعالى. انتهى.

وفى " الفيض " لدى حديث: مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ما نصه: وأما قوله لا يعلمها إلا الله فمعلل بأنه لا يعلمها أحد بذاته من ذاته إلا هو، لكن قد يفهم بإعلام الله تعالى، فإن ثمة من يعرفها، وقد وجدنا ذلك لغير واحد، كما رأينا جماعة علموا متى يموتون، وعلموا ما فى الأرحام حال حمل المرأة. انتهى منه بلفظه.

وقال فى " التيسير ": لا يعلمها إلا الله على وجه الإحاطة والشمول كليا وجزئيا. انتهى. أى فلا ينافى أن غيره تعالى قد يعلمها لكن لا يحيط بها كإحاطته، وقال فى "

السراج المنير " فى هذا الحديث أيضاً ما نصه: قال الشيخ يعنى شيخه محمد حجازى الشعرانى الواعظ: وقد أعطى ﷺ علمها بعد ذلك. انتهى.

وقال العارف الحفنى: قوله إلا الله قال ذلك فى ابتداء الأمر، فلا ينافى أنه ﷺ أعلمه الله تعالى إياها قبلُ موته. انتهى.

وقال فى " إرشاد السارى " لما تكلم على هذا الحديث فى سورة الرعد لدى قوله فى آخره: ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله. ما نصه: إلا من ارتضى من رسول فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه، والولى التابع له يأخذ عنه. انتهى.

وقال ابن حجر الهيتمى فى " شرحه لهمزية البوصيرى " لدى قوله لك: ذات العلوم من عالم الغيب. ما نصه: وخُصَّ – أى علم الغيب – بالذكر على حد قوله تعالى ﴿ **عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً** ﴾ [الجن:٢٦] الآية، لأن العلم به أفخم وأظهر، ولأن [٢١٥] أكثر علوم نبينا تتعلق بالمغيبات، بدليل: فعلمت علم الأولين والآخرين. فى الحديث المشهور، ولأنه تعالى اختص به، لكن من حيث الإحاطة والشمول لعلمه بالكليات والجزئيات، فلا ينافى ذلك إطلاع الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من الخمس التى قال فيها ﷺ: فى خمس لا يعلمهن إلا الله. لأنها جزئيات معدودة لا غير. انتهى.

وقال فى " روح البيان " لدى قوله ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان:٣٤] الآية بعدما ذكر أن علم الغيب مختص به تعالى، وأن ما يروى عن الأنبياء والأولياء من الإخبار عن الغيوب هو بتعليم الله تعالى إما بطريق الوحى، أو بطريق الإلهام والكشف، فلا ينافى ذلك الاختصاص ما نصه: وكذا أخبر بعض الأولياء عن نـــزول المطر، وأخبر عما فى الرحم من ذكر أو أنثى، فوقع كما أخبر، لأنه من قبيل الإلهام الصحيح الذى لا يتخلف، وكذا مرض أبو العزم الأصبهانى فى شيراز فقال: إن مت فى شيراز فلا تدفنونى إلا فى مقابر اليهود، فإنى سألت الله أن أموت فى طرسوس. فبرئ ومضى إلى طرسوس ومات فيها، يعنى أخبر أنه لا يموت فى شيراز، فكان كذلك.

يقول الفقير – يعنى نفسه – أخبرنى شيخى وسيدى قدس سره فى بعض تحريزاته عن وقت وفاته قبل عشرين سنة، فوقع كما قال، وذلك من أمارات وراثته الصحيحة. انتهى منه بلفظه.

وقال الشيخ إبراهيم بن حسن اللقانى المالكى فى شرحيه لجوهرة التوحيد الوسطى، وهو المسمى " تلخيص التحرير " والصغير، وهو المسمى " هداية المريد " لدى قوله فيها:

ولا تخض فى الروح إذ ما وردا   نص عن الشارع لكن وجدا

[٢١٦]إلى آخره بعدما ذكر فيهما أن الناس اختلفوا فى الروح على فرقتين: فرقة أمسكت عن الكلام فيها لأنها سر من أسرار الله لم يؤت علمها البشر، وهذه الطائفة هى المختارة وبها صدر الناظم، وفرقة تكلمت فيها وبحثت عن حقيقتها ما نصه فى التنبيه الثانى: اختلف أهل هذه الطريقة – يعنى التى صدر بها هل علمَها النبى ﷺ قبل موته؟ فقال ابن أبى حاتم فى " تفسيره " حدثنا أبو سعيد الأشج قال حدثنا أبو أسامة عن صالح بن حيان قال حدثنا عبد الله بن بريدة قال: لقد قبض النبى ﷺ وما يعلم الروح.

وقالت طائفة: بل علمها وأطلعه الله عليها ولم يأمره أن يطلع عليها أمته، وهذا نظير الخلاف فى الساعة.

والحق – كما قاله جمع – أن الله تعالى لم يقبضه عليه السلام حتى أطلعه الله على كل ما أبهمه عنه، إلا أنه أمره بكتم بعض والإعلام ببعض. انتهى منه بلفظه فيهما.

وقال فى شرحه الكبير، وهو المسمى " عمدة المريد " ما نصه: اختلف أهل هذه الطريقة الأولى هل علمها النبى ﷺ؟ فقال ابن أبى حاتم فى " تفسيره " ثم ذكر ما سبق عنه إلى قوله: والحق، وهذبه مع ما بعده.

وقال فى " إتحاف المريد بشرح جوهرة التوحيد " للشيخ عبد السلام اللقانى، وهو ولد مؤلف الجوهرة لدى البيت المذكور ما نصه: ولم يخرج النبى ﷺ من الدنيا حتى

أطلعه الله على جميع ما أبهمه عنه لكنه أمر بكتم البعض والإعلام بالبعض الآخر. انتهى.

وكتب عليه العلامة الأمير فى " حاشيته " ما نصه: قوله على جميع ما أبهمه عنه لا جميع معلوماته تعالى، وإلا لزم مساواة الحادث للقديم كما سبق التنبيه [٢١٧] عليه، وجميع ما خالف ذلك نحو: ولا أعلم الغيب. محمول على تلك الحالة. انتهى. يعنى حالة ما قبل الاطلاع أو حالة المساواة، وقال فيما سبق وذلك فى مبحث العلم ما نصه: وكون العلم بالكمية يقتضى التضاهى إنما هو فى حق الحادث، فقولهم لم يخرج سيدنا محمد ﷺ من الدنيا إلا وقد كشف له كل مغيب معناه مما يمكن للبشر علمه، وإلا فمساواة القديم والحادث كفر، وقد بسط الكلام فى ذلك اليوسى على " الكبرى " انتهى.

وقال العلامة الباجورى فى " شرحها " أيضاً ما نصه: ولم يخرج النبى ﷺ من الدنيا حتى أطلعه الله تعالى على جميع ما أبهمه عنه من الروح وغيرها ممن يمكن علم البشر به لا على جميع معلوماته تعالى، وإلا لزم مساواة الحادث للقديم، وما خالف هذا نحو: ولا أعلم الغيب. محمول على أنه كان قبل أن يكشف له عن ذلك. انتهى منه بلفظه.

وقال العلامة أحمد بن محمد الصاوى الخلوتى المالكى فيما له من الكتابة على هذه الجوهرة ما نصه: اعلم أنه اختلف فى الروح، فقال قوم إنها سر من أسرار الله تعالى، لم يطلع الله تعالى عليها أحدا، قال تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء:٨٥] ولكن لم يخرج النبى ﷺ من الدنيا حتى أطلعه الله عليها وعلى غيرها من سائر المخبآت التى يليق علمها بالحوادث، وأمر الله ببث البعض وكتم البعض وخيره فى البعض. انتهى منه بلفظه.

وقال الشيخ إبراهيم بن مرعى الشبراخيتى المالكى فى " شرحه للأربعين النووية " ما نصه: والحق – كما قال جمع – أن الله تعالى لم يقبض نبينا عليه الصلاة والسلام

حتى أطلعه على كل ما [٢١٨] أبهمه عنه، إلا أنه أمر بكتم بعض، والإعلام ببعض. انتهى.

ومثله بحروفه ذكره الشيخ حسين بن على المدابغى فى " حواشيه على شرح الأربعين " المذكورة لابن حجر الهيتمى.

وقال الشيخ الأستاذ شيخ الجماعة أبو عبد الله محمد التاودى بن الطالب بن سودة المرى الفاسى وهو صاحب " طالع الأمانى " له على الشيخ عبد الباقى الزرقانى على خليل فى أربعة أسفار فى " شرحه على هذه الأربعين " أيضاً ما نصه: قال جمع: والحق أن الله سبحانه وتعالى لم يقبض نبيه ﷺ حتى أطلعه على كل ما أبهمه عنه، إلا أنه أمره بالكتمان فى البعض، والإعلام بالبعض. انتهى.

وقال ولده القاضى أبو العباس أحمد بن سودة فى شرحه للعشرة الأولى منها ما نصه: والحق أن الله تعالى لم يقبض النبى عليه الصلاة والسلام حتى أطلعه على كل ما أبهمه عنه، إلا أنه أمره بكتم بعض، والإعلام ببعض. انتهى.

وقال الشيخ أبو حامد الغزالى ﷺ فى " إحيائه " فى الفصل الثانى من كتاب قواعد العقائد عندما تعرض فيه لذكر الأسرار التى يختص المقربون بذكرها ولا يشاركهم الأكثرون فى علمها ويمنعون من إفشائها لهم، وأنها ترجع إلى خمسة أقسام ما نصه: الأول: أن يكون الشيء فى نفسه دقيقا تكلّ أكثر الأفهام عن دركه، فيختص بدركه الخواص من عباد الله الذين اختصهم الله لقربه، وجعلهم من أهل الاختصاص، وهم المفتوح عليهم باب الواردات الإلهية، وعليهم أن لا يفشوه إلى غير أهله، فيصير فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك وإخفاء سر الروح، وكف رسول الله ﷺ عن بيانه من هذا القسم، فإن حقيقته [٢١٩] هنا تكل الأفهام عن دركه، وتقصر الأوهام عن تصور كنهه، ولا تظن أن ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله ﷺ فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه، فكيف يعرف ربه؟ ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء، ولأنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه. انتهى المراد منها بلفظها.

وقال الشيخ أبو سالم العياشى فى " رحلته " لما تكلم فيها على مسألة الكسب ما نصه: ولا يدع فى اعتقاد الإنسان ثبوت شيء لا يدرك كنهه كالروح، فإنا نعلم يقينا وجوده وثبوته مع عجزنا عن إدراك كنهه، وليس إدراك الكنه فيه محالا عقلا، ولكن لصعوبته أمسك الشارع عن إيضاح معناه لعجز عقول أكثر الناس عن إدراكه، وقد نص الغزالى وغيره على أنه لا ينبغى لمسلم أن يعتقد أن النبى ﷺ لم يعرف ماهية الروح ولم يدرك حقيقته، كيف وقد أدرك من المعارف الإلهية والحقائق الربانية ما لم يخطر ببال أحد من الخلق سواه، فكيف يعجز عن إدراك حقيقة روحه الذى به هو، فيصير كأنه عجز عن إدراك نفسه ومن عجز عن إدراك نفسه، فهو عن إدراك غيره أعجز، وهو ﷺ أجل قدرا من ذلك، بل له التصرف التام فى عالم الأرواح بأسره، وهو روح الأرواح، والروح الأمين نديمه وسميره فى غالب الأوقات، وروح القدس ينفث فى روعه بما كان وما سيكون، فكيف لا يكون عالما بالروح وحقيقته، وإنما أمر بالإمساك فأمسك لكونه مشرعا، وقد قال: خاطبوا الناس بما يفهمون، أتحبون أن يكذب [٢٢٠] الله ورسوله.انتهى منها بلفظها.

وقال الشيخ الأكبر فى " فصوصه " فى فص الحكمة الشعيبية ما نصه: ما عثر أحد من العلماء والحكماء على معرفة النفس وحقيقتها إلا الإلهيون من الرسل والأكابر من الصوفية، وأما أصحاب النظر وأرباب الفكر من القدماء والمتكلمين فى كلامهم فى النفس وماهيتها فما منهم من عثر على حقيقتها ولا يعطيها النظر الفكرى أبدا، فمن طلب العلم بها من طريق النظر الفكرى فقد استسمن ذا ورم ونفخ فى غير ضرم، لا جرم أنهم من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فمن طلب الأمر من غير طريقه فما ظفر بتحقيقه. انتهى.

وفى " المواقف " للأمير العارف الصوفى السيد عبد القادر بن محيى الدين الحسنى الجزائرى المتوفى سنة تسع وتسعين ومائتين وألف فى الموقف السادس والثمانين ما نصه: وأمر الروح لا يدرك إلا بالكشف ولا يدرك بالعقل أبدا، وكل كلام العقلاء فيه من حكيم ومتكلم خطأ، وقد عزمت أن أكتب فيه شيئا ما علمت أحداً سبقنى إليه

فصعقت، فألقى على قوله تعالى ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء:٨٥] فتأدبت واقتديت بمن قبلى، فإنهم الأدباء مع الله عز وجل، الناصحون لعباد الله، وكلام القوم فيه إنما هو إيماء وتلويح وإشارة وتلميح، وما ذاك إلا لبعد منالها وعظم إشكالها. انتهى المراد منها بلفظها.

وفى " الإبريز " فى فصل الكلام على الأشياخ الذين ورثهم الشيخ مولانا عبد العزيز الدباغ ﷺ ما نصه: وقال لى مرة فى أول ما لقيته وتكلمت معه فى الروح: إنه لا يحيط بها عاقل، ولا يعرف حقيقتها إلا إذا كوشف بالعوالم [٢٢١] كلها قبل أن يعرفها، ومتى بقى عليه بعضها ولم يكاشف به ثم كوشف بالروح فإنه يفتتن. قال ﷺ ولو جلست مع أنجب عالم وجعل يسألنى عن الروح وأنا أجيبه عن سؤالاته فإنه تمر عليه أربع سنين ولا تنقطع إعتراضاته فيها لكثرة إشكالاتها وخفاء أمرها والله أعلم انتهى منه بلفظه.

وفيه أيضاً فى الباب الثانى فى الآيات القرآنية التى سئل الشيخ عنها ما نصه وسألته ﷺ عن قوله تعالى ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً ﴾ [الجن:٢٦]الآية وقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] الآية وقوله ﷺ فى خمس لا يعلمهن إلا الله كيف يجمع بين هذا وبين ما يظهر على يد الأولياء العارفين رضى الله عنهم من الكشوفات والإخبار بالغيوب بما فى الأرحام وغيرها فإنه أمر شائع فى كرامات الأولياء رضى الله عنهم فقال ﷺ الحصر الذى فى كلام الله تعالى وفى الحديث الغرض منه إخراج الكهنة والعرافين ومن له تابع من الجن الذين كانت تعتقد فيهم جهلة العرب الاطلاع على الغيب ومعرفته حتى كانوا يتحاكمون إليهم ويرجعون إلى قولهم فقصد الله تعالى إزالة ذلك لاعتقاد الفاسد من عقولهم فأنـــزل هذه الآيات وأمثالها كما أراد الله تعالى إزالة ذلك من الواقع ونفس الأمر فملأ السماء بالحرس الشديد والشهب والمقصود من ذلك كله جمع العباد على الحق وصرفهم عن الباطل والأولياء رضى الله عنهم من الحق لا من الباطل فلا يخرجهم الحصر الذى فى الآية ونحوها ثم ذكر كلاما يتعلق بهذا ونحوه على سبيل [٢٢٢] الاستطراد وقال بعده ثم

قلت للشيخ ﷺ فإن علماء الظاهر من المحدثين وغيرهم اختلفوا فى النبى ﷺ هل كان يعلم الخمس المذكورات فى قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤]الآية فقال ﷺ عن سادتنا العلماء وكيف يخفى أمر الخمسة عليه ﷺ والواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس.

قال وكذا سألته عن قول العلماء فى معرفة ليلة القدر أنها رفعت عن النبى ﷺ ولذا قال اطلبوها فى التاسعة فى السابعة فى الخامسة ولو بقيت معرفته عنده عليه السلام لعينها لهم فقال ﷺ سبحان الله وغضب ثم قال والله لو جاءت ليلة القدر وأنا ميت وقد انتفخت جيفتى وارتفعت رجلى كما تنتفخ جيفة الحمار لعلمتها وأنا على تلك الحالة فكيف تخفى على سيد الوجود ﷺ ثم ذكر أسرارا عرفانية فى معرفة الخمس السابقة وفى معرفة ليلة القدر لا ينطق بها إلا عارف مثله وفقنا الله لذكر شيء منها فى هذا الكتاب وقد عينها ﷺ لنا فى أعوام مختلفة فمرة عينها لنا فى رجب وعينها لنا فى عام آخر فى شعبان وفى عام آخر فى رمضان وفى عام آخر فى ليلة عيد الفطر كان يعينها لنا قبل أن تأتى ويأمرنا بالتحفظ عليها وكان يقول لنا إنها تنتقل وكذلك كان يعين لنا ساعة الجمعة ولعلنا نذكر شيئا من أسرارها فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى انتهى منه بلفظه.

ـ البرزخ ـ

وقال فى الباب العاشر فى البرزخ وصفته وكيفية حلول الأرواح فيه ما نصه [٢٢٣] قال ﷺ ومن نظر الآن إلى البرزخ علم الأرواح التى خرجت من الأشباح بقوة أنوارها أو بكثرة ظلامها وعلم الأرواح التى لم تخرج من الدنيا بقلة ذلك قال ﷺ وعند فراغ الأرواح التى لم تخرج إلى الدنيا واستكمالها الخروج إليها حتى لا تبقى روح إلا وخرجت حتى تقوم الساعة قال فيلزم أن يعلم أرباب هذا الكشف بالساعة ومتى تقوم وقد قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَـــزِلُ الغَيْثَ ﴾ [لقمان:٣٤] الآية وقال النبى ﷺ خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى فقال ﷺ إنما قال ذلك النبى ﷺ لأمر

ظهر له فى الوقت وإلا فهو ﷺ لا يخفى عليه شيء من الخمس المذكورة فى الآية الشريفة وكيف يخفى عليه ذلك والأقطاب السبعة من أمته الشريفة يعلمونها وهم دون الغوث فكيف بالغوث فكيف بسيد الأولين والآخرين الذى هو سبب كل شيء ومنه كل شيء انتهى منه بلفظه.

وفى المواقف للأمير عبد القادر الجزائرى فى الموقف السادس والثمانين ومائتين ما نصه وكونه ﷺ لا يعلم متى تقوم الساعة ولا الأربعة المذكورة بعده فى قوله ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان:٣٤] الآية هو ما أجمع أهل الله أهل الكشف والشهود على خلافه وإنكاره عندهم من قبيل إنكار الضروريات بل الأقطاب الذين هم قطرة من بحره ﷺ لا يصح لهم مقام القطبية والتصرف فى كل ما حواه العرش المحيط إلا بعلم هذه الخمس وأعظم منها انتهى منه بلفظه.

وفى " الجواهر والدرر " [٢٢٤] ما نصه قلت لسيدى على الخواص فهل وقوف الشارع عن بيان الساعة لكونها مما استأثر الله بعلمه أو علمها ﷺ وأمر بكتمها فقال ﷺ المنفى علمه عن الخلق منها إنما هو ما كان من جهة عقلهم وفكرهم وإلا فلا بدعة أن الحق تعالى يطلع خواص عباده وأوليائه على أسراره المخزونة عن الجاهلين فكل من نبى عن بشريته عرف تأويلها يعنى معناه إنما وقف العارفون عن بيا نها للخلق أدبا معه ﷺ حين تركها على الخفاء انتهى المراد منها بلفظها.

وتقدم قول العارف التيجانى ﷺ المراد بالعلم الذى نفاه الله عن خلقه فى الخمسة وغيرها من المغيبات هو العلم المكتسب الذى يتوصل إليه الخلق بأخبار سمعية يعنى يسمعونها من الناس أو أدلة فكرية أو معاينة حسية دون العلم الوهبى اللدنى فإن صاحبه يعلم بعض الغيوب التى أخفاها الله تعالى على كثير من خلقه كهذه المذكورات أو غيرها راجع كلامه فخرج من مجموع هذه النصوص التى جلبناها وإن كان فيها شيء من الطول والتكرار لفائدة رأيناها أن الذى ينبغى التعويل عليه وهو الحق الذى الذى لا تسكن نفس العالم والمحب إلا إليه معرفته ﷺ بالخمس وبالروح وبغيرها بكل ما أخفى عن الخلق مما يليق بجنابه ولا يضاف بسببه وصم إلى جانب الحق وقد دخل فى

هذا أمور كثيرة جدا منها معرفته بالأشياء التى أخفيت عن الخلق وأبهمت عنهم ليجتهدوا [٢٢٥] وهى التى أشار إليها من قال:

وأخفيت الوسطى كساعة جمعة　　كذا معظم الأسماء مع ليلة القدر

وزيد عليها الطاعة الموجبة والمعصية الموجبة والحسنة المضاعفة بأكثر من عشر أمثالها وولى الله فى الخلق فكان عليه السلام عالما بليلة القدر وما يكون فيها وبالصلاة الوسطى وما يعتريها وبساعة الجمعة وما تحويه وباسم الله الأعظم وما يجرى فيه وبالطاعة الموجبة للجنة فى حق كل إنسان وبالمعصية الموجبة فى حقه أيضاً للنيران وبالطاعة المضاعفة لأهل الإحسان وبولى الله فى خلقه من إنس وجان ولا إشكال فى علمه لهذه الأمور ونحوها بل قد يعلمه أيضاً غيره من أفراد هذه الأمة والخلاف فى علمه بها عند أهل الله كالخلاف فى وجود النهار وقت شمس الظهيرة.

ومنها معرفته مفاتيح الغيب المتعلقة بالكوائن أجمعها ماضيها وحاضرها ومستقبلها ومما يدخل فى ذلك معرفته بالأهوال المستقبلة والفتن الحادثة وأشراط الساعة الكبرى كوقت خروج المهدى ونزول عيسى وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك كل ذلك لا يخفى عنه عليه السلام أصلا ومنها معرفته ﷺ من أسرار الذات العلية وأسمائها وأوصافها وشئونها بما لا مطمع فيه لمخلوق سواه من غير إحاطة بها ولا وقوف على ماهيتها وحقيقتها إذ لا يعرف الله إلا الله كما قاله الجنيد وغيره من العارفين وفى الآية الشريفة ﴿ **وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً** ﴾ [طه:١١٠] ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾ [الزمر:٦٧]

ومنها معرفته بسر القدر [٢٢٦] إذ تقدم عن الفصوص وغيرها معرفة بعض الأولياء به فكيف به عليه الصلاة والسلام والذى استأثر الله به فلم يعرفه نبى مرسل ولا ملك مقرب والقدر إذ لا يمكن أن يعرفه إلا من عرف الذات والذات العلية تستحيل معرفتها.

ومنها معرفته بالحروف المقطعة فى أوائل السور وما انطوت عليه من الأسرار وأضمر فيها من المعارف والأنوار كما أنه يعرف معانيها لكن لا معرفته عليه الصلاة والسلام الربانيون من أمته كما ذكره الورطجى فى تفسيره وغير واحد.

ومنها معرفته بجميع متشابه القرآن وهو المشار له بقوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَنــزلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] الآية ودليل معرفته به قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ*ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة: ١٨،١٩] قال فى نفحة المسك الذارى أى بيان مجملاته وتوضيح مشكلاته انتهى.

فإن هذه الآية شاملة للمتشابه وغيره وسيأتى أنه أوتى العلوم القرآنية ومثلها معها وذلك أيضاً شامل لعلم المتشابه ويبعد كل البعد بأن ينــزل عليه ما لا يحصل العلم به لديه ربما اطلع عليه بعض الراسخين فى العلم من أولياء هذه الأمة وأفرادها كما قاله جمع من أئمة الباطن وهو مبنى على القول بأن متشابه القرآن ومنه الحروف المقطعة فى أوائل السور وألفاظ التشبيه الواردة فى النعوت الذاتية والصفات الإلهية كالاستواء والوجه والعين واليد وغيرها مما يوهم الجارحة أو الجسمية أو التحيز أو نحوها من سمات الحدوث يعلمه الراسخون فى العلم وهو قول مجاهد والضحاك وابن عباس فى رواية عنه [٢٢٧] واختار النووى فقال فى شرح مسلم إنه الأصح لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته.وقال ابن الحاجب إنه الظاهر.

وفى كتاب " حل الرموز وكشف الكنوز " للشيخ على ددة المولوى سمعت من أستاذى وشيخى وروحى فى جسدى قال فى بعض وارداته سألت رسول الله ﷺ عن أسرار المتشابهات من الحروف فقال هى من أسرار المحبة بينى وبين الله فقلت هل يعرفها أحد فقال ولا يعرفها جدى إبراهيم عليه السلام هى من أسرار الله التى لا يطلع عليها نبى مرسل ولا ملك مقرب كما أشار ﷺ بقوله لى مع الله وقت لا يسعنى فيه غير ربى انتهى.

وكأن المراد أنه لا يطلع عليها على الكمال إلا هو ﷺ فلا ينافى إطلاع بعض الخواص عليها لكن كاطلاعه ﷺ وقد قال بعض المحققين فى قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [آل عمران:٧] أى لا يعلمه بشر بالمقدمات العقلية والبراهين النقلية إلا من علمه الله تعالى بفيض فضله وجعله من أهل الرسوخ بتكريمه إياه كما أشار سبحانه على لسان عباده ﴿ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ﴾ [البقرة:٣٢] انتهى.

ومقابل هذا القول يقول إن متشابه القرآن لا يعرف أصلا وهو مما استأثر الله بعلمه وهو الصحيح المختار عند العلماء من المحدثين المفسرين وغيرهم ومذهب الأكثرين من الصحابة والتابعين وأتباعهم فمن بعدهم خصوصاً أهل السنة وأصح الروايات عن ابن عباس وقال هؤلاء: المحكم ما أطلع [٢٢٨] الحق تعالى عباده على معناه فعرفوا المراد منها إما بالنص وإما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه فلم يطلع أحداً من خلقه عليه ولم يجعل لهم سبيلا بوجه إليه ومثلوا له بوقت قيام الساعة ووقت ظهور أشراطها وبالروح وبالحروف المقطعة فى أوائل السور، ولذا يقول محققوهم فيها الله أعلم بمراده منها. وفى الإتقان المختار فيها أنها من الأسرار التى لا يعلمها إلا الله تعالى وبآيات الصفات ولذا يقولون إنه لا يعرف المراد منها حقيقة إلا الله سبحانه وحينئذ فاللائق بالعبد أن يكل العلم بمعناها إليه مع تنـزيهه تعالى عن الظاهر المستحيل عليهم وعبارة النووى فى شرح مسلم فى الكلام على حديث فإن الله تعالى خلق آدم على صورته هو وأحاديث الصفات وقد سبق فى كتاب الإيمان بيان حكمها واضحا ومبسوطا وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول نؤمن بأنها حق وأن ظاهرها غير مراد ولها معنى يليق بها وهذا مذهب جمهور السلف وهو أحوط وأسلم والثانى أنها تتأول على حسب ما يليق بتنـزيه الله تعالى وأنه ليس كمثله شيء انتهى.

وقال أيضاً بعد فى الكلام على حديث إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ما نصه هذا من أحاديث الصفات وفيها القولان قريبا أحدهما الإيمان بها

من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة المعنى بل يؤمن بأنها حق وإن ظاهرها غير مراد قال الله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١] والثانى يتأول بحسب ما يليق بها انتهى بلفظه فيهما.

وعبارة السيوطى فى إتقانه فصل من المتشابه آيات الصفات ولابن اللبان [٢٢٩] فيها تصنيف مفرد نحو ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥] ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨] ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن:٢٧] ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه:٣٩]﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح:١٠] ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر:٦٧] وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض المعنى المراد منها إلى الله تعالى ولا نفسرها مع تنـزيهنا له تعالى عن حقيقتها انتهى منه بلفظه.

وفى الإبريز نقلاً عن شيخه مولانا عبد العزيز ﷺ قال الواجب على العباد إذا سمعوا شيئا من أحاديث الصفات أن ينـزهوه تعالى عن الظاهر المستحيل ويفوضوا معناه إلى الله عز وجل انتهى.

وتفسيرهم للمحكم والمتشابه بما ذكر هو أحد أقوال فيهما وهى نحو من عشرة وقال الأستاذ أبو منصور البغدادى هو الصحيح عندنا وابن السمعانى أنه أحسن الأقوال والمختار على طريقة أهل السنة وقال العارفون الأمور التى استأثر الله بها قد يطلع على بعضها بعض خواص عباده فلا منافاة بين استئثار الحق تعالى بها وبين معرفة بعض خواص أنبيائه وأوليائه بها لقوله ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أى المختص به إلا بما شاء ومبنى هاذين القولين فى المتشابه على الخلاف فى الواو فى قوله ﴿ وَالرَّاسِخُونَ﴾ [آل عمران:٧] هل هى للاستئناف ﴿ وَالرَّاسِخُونَ﴾ بعدها مبتدأ ويقولون خبر فالقول الثانى أو للعطف على ما قبلها ويقولون حال فالقول الأول، وعبارة الخازن فى تفسيره لدى قوله تعالى فى هذه الآية ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [آل عمران:٧] يعنى تأويل متشابه.

وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الأمة إلا الله تعالى لأن انقضاء [٢٣٠] الأمة مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك إلا الله وقيل يجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج المهدى ونـزول عيسى ابن مريم وعلم الحروف المقطعة وأشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالإيمان به واجب وحقائق علومه مفوضة إلى الله تعالى وهذا قول أكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس فى رواية عنه وأبى بن كعب وعائشة وأكثر التابعين وعلى هذا القول تم الكلام عند قوله إلا الله فيوقف عليه ثم ابتدأ بقوله عز من قائل ﴿ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ ﴾ [آل عمران:٧] ثم قال وقيل إن الواو فى قوله ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ ﴾ [آل عمران:٧] واو عطف يعنى إن تأويل المتشابه يعلمه الله تعالى والراسخون فى العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقول أنا من الراسخين فى العلم.

وعن مجاهد عنه أنا ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول أن الله تعالى أنـزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز أن يكون فى القرآن شىء لا يعرفه أحد من الأمة انتهى منه بلفظه.

وفى إرشاد السارى فى التفسير لدى قوله ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ [آل عمران:٧] ما نصه وفى مصحف ابن مسعود ويقول الراسخون فى العلم أمنا به بالواو قبل يقول وثبت ذلك فى قرأة ابن عباس كما رواه عبد الرزاق فى تفسيره بإسناد صحيح وهو يدل على أن الواو فى قوله ﴿ وَالرَّاسِخُونَ ﴾ [آل عمران:٧] للاستئناف قال صاحب المرشد لا إنكار لبقاء معنى فى القرآن استأثر الله تعالى بعلمه [٢٣١] دون خلقه انتهى منه بلفظه.

وقال فى الفتح لدى قول البخارى عن مجاهد ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ** ﴾ [آل عمران:٧] الآية ما نصه وهذا الذى ذهب إليه مجاهد من تفسير الآية يقتضى أن تكون الواو فى الراسخون عاطفة على معمول الاستثناء(١).

وقد روى عبد الرزاق أى والحاكم فى المستدرك كما زاده فى الإتقان بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون فى العلم آمنا به** ﴾(٢)فهذا يدل على أن الواو للاستئناف لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة لكن أقل درجاتها أن تكون خبرا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه فى ذلك على من دونه ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذم متبع المتشابه لوصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة وصرح بوفق ذلك حديث الباب ودلت الآية على مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وسلموا إليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب.

وحكى الفراء أن فى قراءة أبى بن كعب مثل ذلك أعنى ﴿ **ويقول الراسخون فى العلم آمنا به** ﴾ انتهى بلفظه أيضا.

وفى الإتقان أخرج ابن أبى داود فى المصاحف من طريق الأعمش قال فى قراءة ابن مسعود ﴿ **وإن تأويله إلا عند الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به** ﴾ وفيه أيضاً أخرج ابن جرير عن ابن عباس مرفوعاً أنـــزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر بجهالته وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب ثم أخرجه من وجه آخر عن [٢٣٢] ابن عباس موقوفاً بنحوه انتهى.

---

(١) انظر فتح البارى (٢١٠/٨).

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٣١٧/٢، رقم ٣١٤٣) وقال حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

وفى تفسير الرازى نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير لا يسع أحداً جهله وتفسير تعرفه العرب بألسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

– تنبيهات –

الأول: وقع للعارف بالله تعالى القطب سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى مننه الكبرى آخر جزء الأول منها كلام فى مسألة العلم بالخمس هذه اطرب فيه و لم يسلك مسلك أمثاله من الأكابر وكأنه جار فيه من قبله من أهل الظاهر وذلك أنه نسب أولاً لمذهب الجمهور من الأولياء التحاشى عن دعوى شيء من الخمس معللا لذلك بأنها من خصائص الحق تعالى ثم حكى مقابله الذى هو علم نبينا أو غيره من ورثته بها فقيل مترددا فى صحته ثم أفاد بعد أن الولى وإن علم بموت أحد لا يعلم فى أى أرض يموت على التعيين وأنه وإن أطلعه الله على علم الساعة فغايته أن يطلعه على يوم القيامة لا على وقته من ذلك القرن وعلى ما فى البطن من ذكورة أو أنوثة فإنما يكون ذلك بعد التصوير لا قبله قال وكذلك القول فى الاكتساب يعنى لا يعلمه أحد قال فما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ثم نقل عن بعضهم أن آية ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] إنما تدل على أنه تعالى هو الذى يعلم علم هذه الخمس لكونه الخالق لها ولا تدل على امتناع إعلامه تعالى أحداً من عبيده بشيء منها ثم أشار أخيرا [٢٣٣] إلى أنه تعالى هو الذى يعلمها علما تفصيليا وغيره وإن علمها أو شيئا منها لا بد أن يخفى عليه شيء من التفاصيل التى شأنها أن تختص به تبارك وتعالى وسنذكر ما فى هذا كله إن شاء الله تعالى ونص كلامه ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على كثرة تصديقى للأولياء فيما يدعونه من الاطلاع على المغيبات لكن جمهورهم يتحاشى عن دعوى شيء من الخمس التى فى آخر سورة لقمان فإن ذلك من خصائص الحق جل وعلا عند الجمهور وقيل إن نبينا ﷺ أعطى علم هذه الخمس ثم أمره الله تعالى بكتمها فإن صح ذلك جاز أن يكون لورثته من بعده ولعل قائلا يقول إن بعض الأولياء قال للمطر

انـــزل فنـــزل فتقول له هذا لا يناقض شيئا من علم الخمس لأن هذا الشيخ إنما أشهده الله تعالى نـــزول المطر أو ألهمه الوقت الذى قدر الله تعالى فيه نـــزول المطر وليس ذلك من باب إنـــزاله الغيث بقدرته هو وإنما تسبب فى إنـــزاله والآية إنما نفت عن العبد أنه ينـــزل الغيث بقدرته وذلك محال.

وقد بلغنا عن الشيخ أحمد السبتى المغربى يعنى به سيدى أبى العباس دفين مراكش أنه كان يأخذ خراج الأرض التى يدعو الله تعالى فيسقيها بالمطر ويقول لولا دعائى ما نـــزل عليها مطر فامتنع شخص من وزن الخراج له فقال الشيخ ونحن نأمر المطر أن لا ينـــزل على أرضه فلم ينـــزل على زرعه فى تلك السنة مطر وصار المطر ينـــزل على أراضى الفلاحين يمينا [٢٣٤] وشمالا ولا ينـــزل على زرعه قطرة واحدة فحمل الخراج وجاء به إلى الشيخ فقال الشيخ اللهم إنى أسألك أن تنـــزل المطر على أرض فلان فنـــزل عليها المطر فكان ذلك من الله تعالى له إظهار كرامة له لا أن الشيخ ينـــزل الغيث.

وهكذا وقع لبعض العارفين أن بعض الملوك قال له رد على ابنتى فإنها قد حضرها الموت فقال للملك أعطنى ألف دينار وأنا أفديها بابنتى فأعطاه ألف دينار فقال لابنته موتى عن ابنته الملك فماتت لوقتها وعوفيت ابنة الملك وتصدق الشيخ بالألف دينار وهذا أيضاً ليس مناقضا للخمس ولا داخلا فى علم الله تعالى ولا مشاركا لله تعالى فى علمه لأن هذا العارف لم يدعى أنه يعلم فى أى أرض تموت ابنته على التعيين وهل تموت على أحد جنبيها أو على ظهرها أو على بطنها فستر الله تعالى عنه ذلك وكذلك القول فى علم الساعة وإن أطلع الله تعالى عليه بعض أوليائه فغايته أن يطلعه على اليوم الذى تقوم فيه الساعة لا الوقت التى تقوم فيه من ذلك القرن فإنه مستور عنه وكذلك القول فى علم ما فى الأرحام أذكر هو أم أنثى أم غير ذلك فالولى وإن أطلعه الله على ما في بطن الأم من ذكر أو أنثى إنما يكون ذلك بعد التصوير لا قبل التصوير وذلك ليس هو علم ما فى الأرحام لأن حال نـــزول النطفة إلى الرحم لا يدرى أحد من

الخلق ما يكون منها ويؤول إليه أمرها فى الرزق والسعادة والشقاوة والإماتة والإحياء كل ذلك لا يدريه فى بطن الأم أحد.

وقد حكى أن سيدى أحمد بن الرفاعى ﷺ [٢٣٥] قال لشخص فى بطن زوجتك غلام فولدت أنثى فقال سيدى أحمد وعزة ربى لقد أمسكت خصيته بيدى هذه وإنما أراد الله تعالى تكذيب حميد فى دخوله فيما ليس له فعلة أدبا وكذلك القول في الاكتساب فلا تدرى نفس ماذا تكسب غدا قال بعض العارفين ومن زعم أن الله تعالى قد يطلع بعض خواصه على هذه الخمس قال إن فى الآية إضمار الاستثناء فيطلع الله تعالى من اختصه من عباده على ذلك انتهى.

وقال بعضهم ليس فى الآية شاهد على امتناع إعلام الله تعالى أحد من عبيده بشيء من هذه الخمس إنما فيها أنه تعالى عنده علم الساعة وينـــزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ويعلم سائر ما يعلمه، إذ كل ما يعلمه خلقه هو من معلوماته وأما قوله تعالى ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان: ٣٤] أى أن ذلك بذاتها وأما بإعلام من الله فلا بدع لقوله تعالى ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة:٢٥٥] وبالجملة فلله تعالى فى كل علم وعمل وغيرهما من سائر المخلوقات علم خاص لا سبيل لأحد من المخلوقين إلى الوصول إليه لأنه من صفات الألوهية فاعلم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين انتهى منه بلفظه.

وأقول تحاشى الجمهور من الأولياء عن دعوى شيء من الخمس إنما هو أدبا مع الله تعالى وعبودية له وإبقاء لسور الشريعة مخافة أن يدعى هذا المقام من ليس من أهله فينهدم ويحصل الضلال والعياذ بالله تعالى وتقدم قريبا عن " الجواهر والدرر " للعارف المذكور نقلاً عن شيخه [٢٣٦] سيدى على الخواص إن المنفى علمه عن الخلق من الساعة إنما هو ما كان من جهة عقلهم وفكرهم وإلا فلا بدع أن الله يطلع خواص أوليائه على أسراره المخزونة وإنما وقف العارفون عن بيانها للخلق أدبا معه ﷺ حين تركها على الخفاء راجعه. وقوله وقيل إن نبينا هذا القول الذى فرضه هو المرضى عند

المحققين من أهل الظاهر والعارفين من أهل الله تعالى وقد تقدم من نصوصهم ما فيه كفاية وقوله فإن صح ذلك إلى آخره يقال عليه قد صح ذلك والحمد لله له ﷺ بالكشف والبرهان ووقع لورثته من بعده كما شهد به أكابر الأعيان وتقدم كلام الإبريز ولا عتر بعد عروس.

وقوله إن هذا العارف لم يدعى أنه يعلم فى أرض تموت ابنته على التعيين لا يفيد أن الولى لا يعلم أصلا فى أى أرض تموت هو أو غيره وقوفا فى ذلك مع ظاهر الآية الشريفة وينظر مع ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة من قوله عليه الصلاة والسلام للأنصار يوم فتح مكة " الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ "[1] يعنى حياتى وموتى لا يكونان إلا عندكم وفى بلدكم وقوله فى الحديث المتواتر ما بين قبرى وفى رواية بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة فإنه إعلام منه عليه الصلاة والسلام بأنه يموت بالمدينة ويدفن فى بيته منها ففيه تعيين للأرض التى يموت فيها والموضع الذى يدفن فيه منها.

وفى حديث أخرجه أبو نعيم فى الدلائل وغيره عن معقل بن يسار مرفوعاً المدينة مهاجرى ومضجعى من الأرض. وأخرج الزبير بن بكار فى " أخبار [٢٣٧] المدينة عن الحسن مرفوعاً المدينة مهاجرى وبها وفاتى ومنها محشرى.

وأخرج أيضاً من مرسل عطاء بن يسار مثله.

وفى الشفا للقاضى عياض فيما أخبر به عليه الصلاة والسلام ثم إعلامه بموته ودنو أجله وأن قبره بالمدينة وفى بيته انتهى.

وأخرج مسلم وأبوداود والبيهقى عن أنس أن النبى ﷺ قال ليلة بدر هذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غدا ووضع يده على الأرض وهذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غدا ووضع يده على الأرض وهذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غدا ووضع يده

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠٥/٣، رقم ١٧٨٠).

على الأرض فوالذى بعثه بالحق ما أخطئوا تلك الحدود جعلوا يصرعون عليها ثم ألقوا فى القليب الحديث[١].

وأخرج الطبرانى عن أنس قال أنشأ عمر بن الخطاب يحدثنا عن أهل بدر فقال إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس من بدر ويقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله قال عمر فوالذى بعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التى حدها رسول الله ﷺ[٢].

وأخرج ابن السكن وابن منده كلاهما فى الصحابة وابن عساكر فى تاريخه من طرق عن الأقرع بن شفى العكى قال دخل على النبى ﷺ فى مرض فقلت لا أحسب إلا أنى ميت من مرضى قال كلا لتبقين ولتهاجرن إلى أرض الشام وتموت وتدفن بالربوة من أرض فلسطين فمات فى خلافة عمر ودفن بالربوة.

وأخرج ابن أبى حاتم وابن جرير والطبرانى عن مرة البهذى سمعت النبى ﷺ يقول لرجل إنك تموت بالربوة فمات [٢٣٨] بالرملة[٣].

وأخرج البيهقى عن عائشة قالت قال جبريل للنبى ﷺ فى الحسين بن على ستقتله أمتك وإن شئت أخبرتك بالأرض التى يقتل فيها فأشار بيده إلى الطف من العراق فأخرج تربة حمراء فأراه إياها.

وأخرج أبو نعيم فى دلائله عن أنس بن الحارث رفعه إن ابنى هذا يعنى الحسين يقتل بأرض العراق فمن أدركه منكم فلينصره.

وأخرج أيضاً عن أصبغ ابن نباتة قال أتينا مع على موضع قبر الحسين فقال ها هنا مناخ ركائبهم وموضع رحالهم وها هنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد ﷺ يقتلون بهذه العرصة تبكى عليهم السماء والأرض.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٢/٤، رقم٢٨٧٣).

(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٢١٩/٨).

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير(٣١٧/٢٠)، والطبرى فى تفسيره (٢٦/١٨).

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر فى تاريخه عن مالك قال قتل عثمان فأقام مطروحا على كناسة بنى فلان ثلاثا ثم دفن بحش كوكب قال مالك وكان عثمان قبل ذلك يمر بحش كوكب فيقول ليدفنن ها هنا رجل صالح[1]. قلت وهو بستان اشتراه سيدنا عثمان وزاده بالبقيع.

وأخرج ابن سعد عن مالك ابن أبى عامر قال كان الناس يتوقون أن يدفنوا موتاهم فى حش كوكب فكان عثمان بن عفان يقول يوشك أن يهلك رجل صالح فيدفن هنا.

ونقل أهل السير عن سعيد بن المسيب قال بقى فى البيت - يعنى بيت عائشة - موضع قبر فى السهوة الشرقية يدفن فيها عيسى ابن مريم عليه السلام ويكون قبره الرابع وفى العارضة إن عيسى عليه السلام ينكح امرأة من بنى غسان اسمها راضية ويدفن مع النبى ﷺ فى البيت وهناك موضع قبر يقال إنما بقى له انتهى.

وينظر أيضاً مع القضايا المنقولة عن أهل الله فى إخبارهم فى الأرض التى يموتون فيها أو يموت فيها غيرهم [٢٣٩] من بعض الناس وقد تقدم قول صاحب روح البيان مرض أبو العزم الأصبهانى فى شيراز فقال إن مت فى شيراز فلا تدفنونى إلا فى مقابر اليهود فإنى سألت الله أن أموت فى طرسوس فبرأ ومضى إلى طرسوس فمات ودفن فيها وفى العهود المحمدية فى عهد اكتتاب وصية فى المرض أن يقول فيها ما نصه وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول أعرف موضع طينتى التى عجنت مع طينة أبى آدم عليه السلام ولم تــزل روحى تشاهد ذلك المكان إلى وقتى هذا فقلت له سألتك بالله تعلمنى بمحلها فقال عن يمين منـــزل الحاج ببدر وقريبا من مسجد الغمام فلما حضرته الوفاة سافر إلى هناك فدفن بها فكان الأمر كما قال وأخبرتنى والدتى بعد موته أنه قال لها ليلة النصف من شعبان تلك السنة التى مات فيها إن ورقتى الليلة نـــزلت بموتى ودفنى فى بدر قالت فقلت إن ولدى ميت تلك السنة لأنى ما عهدت عليه قط

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (٥٣٢/٣٩).

كذبا فسافر تلك السنة إلى مكة وهو مريض فصار الناس يقولون له حج مثلك لا يجب ولا يستحب بالإجماع فيقول ما أنا مسافر للحج وإنما أسافر لقبرى فمرض فى الذهاب ومات قبل بدر بمرحلة فحمل إلى بدر ﷺ.

وفى الطبقات الشعرانية فى ترجمة الشيخ إبراهيم الجعبرى ما نصه أخبر بموته قبل وفاته ونظر إلى موضع قبره وقال يا قبير جاءك دفين انتهى.

وفيها أيضاً فى ترجمة جده الخامس الشيخ موسى المكنى بأبى عمران من أجل أصحاب الشيخ أبى مدين التلمسانى أن الشيخ أبا مدين هذا لما أرسل عدة من [١٤٠] أصحابه إلى مصر أرسلهم من جملتهم قال وقال له إذا وصلت إلى مصر فاقصد ناحية حور بناحية صعيدها الأدنى فإن فيها قبرك فكان كذلك انتهى راجعه.

قلت ووقع لخالنا الولى المجذوب المساق لحضرة علام الغيوب ذى الكشف والكرامات والإخبار عن كثير من المغيبات أبى عبد الله سيدى محمد الزمزمى ابن الولى الكامل جدى رأمى أبى إسحاق إبراهيم بن محمد الزمزمى الكتانى الفاسى أنه لما قربت وفاته بنحو اليومين أتى إلى دار والده بحومة العيون من فاس وكان ساكنا بغيرها وقال أردت أن أموت بدار والدى لا بغيرها ثم لما كان يوم وفاته أمر بتنظيف الدار وإخلائها من الأمتعة التى فى حواشها وقال الناس يأتونكم الجنازة فاخلوا لهم الأماكن ثم أمر بتسخين الماء للغسل وقال لأخيه السيد عبد القادر الكتانى وكان عارفا بتغسيل الموتى ومن أهل الفضل والصلاح والخير والبركة والفلاح وهو أكبر منه سنا إذا قضى الله بوفاتى فغسلنى فى الحال من غير تغسيل ثم صار يسأل عن الماء هل سخن أم لا فلما قيل له أنه سخن قال انصبوا الرداء الذى يسترنى وقت الغسل فنصبوه فلما رأى أن الأمور قد تمت وتهيأت امتد وحضرته الوفاة ومات فى الحال فغسله أخوه بذلك الماء ونودى فى فاس بوفاته فحضر الناس جنازته ودفن من يومه بخارج باب الفتوح بمصلاها قريبا من ضريح القطب مولاى الطيب بن محمد الكتانى وكان قبل وفاته بنحو الشهر أتى دار والده المذكورة وبسط سجادة كانت هناك وامتد عليها [١٤١] كحالة الأموات وقال يا مدة كهذه المدة قريبا من سيدى الطيب الكتانى فكان ذلك إخبارا

منه بوفاته وبمحل دفنه وله ﷺ كرامات وقد ذكرته فى السلوة الذى وضعته فى أبناء عمنا الكتانيين فلتراجع ترجمته فيهما.

وإنما هذا كله بإعلام الله قلنا هذا هو المقصود لأنا رجعنا إلى تأويل الآية بأن معناها لا تدرى ذلك بذاتها ومن قبل نفسها وإنما تدرى بإعلام الله تعالى.

وقوله إن غاية الولى أن يطلعه الله على اليوم الذى تقوم فيه الساعة لا الوقت الذى تقوم فيه من ذلك القرن فإنه سُدَّ عنه كذا فى نسخ المطبعة إن لم يكن فيه تحريف وفيه إلا اليوم وقع تعيينه من الشارع فى قوله عليه الصلاة والسلام خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة أخرجه أحمد ومسلم والترمذى عن أبى هريرة[1] وفى رواية أخرى عنه خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط من الجنة وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس الحديث أخرجه مالك فى الموطأ وهذا لفظه والشافعى فى المسند وأحمد والثلاثة وابن حبان والحاكم وقال الترمذى صحيح والحاكم على شرطهما وأقره الذهبى فى " التلخيص ".

وفى قوله أيضاً إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه [٢٤٢] الصعقة الحديث أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن أوس ابن أبى أوس وهو حديث حسن كما نقله القرطبى فى " التذكرة " عن ابن العربى وقال المنذرى له علة دقيقة أشار إليها البخارى وغفل عنها من صححه وتقدم عن تذكرة القرطبى أنها تكون أى تقوم فى يوم جمعة فى آخر ساعة منها وهى الساعة التى ورد فى الحديث أنه خلق فيها آدم عليه السلام.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٨٥/٢، رقم ٨٥٤) والترمذى (٣٥٩/٢، رقم٤٨٨) وأحمد (٤٠١/٢).

وفى حديث أحمد ومسلم عن أبى هريرة وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل[1].

وذكر الشيخ عبد الرؤوف المناوى فى التيسير والعزيزى والحفنى والشيخ مرتضى فى شرح الإحياء أما قيامها فيما بين الفجر وطلوع الشمس.

قلت وكأنهم أخذوه من حديث أبى هريرة الذى خرجه مالك ومن ذكر معه وقد علمت أنه حديث صحيح إلا أنه يحتمل أن إصخاءها فى الوقت المذكور ليس بقيام الساعة فيه بل لظهور علامات قيامها فى ذلك اليوم فيه لها وإن خفيت على غيرها من الجن والإنس والله أعلم ولكن ذكر الولى العارف الأشهر والصديق المكاشف الأكبر ذو الكرامات الظاهرة والأنوار الساطعة الباهرة القطب الغوث أبو عمران سيدى عبد السلام بن سليم الفينورى الطرابلسى الملقب بالأسمر فى بعض كتبه أنها تقوم فى اليوم الأول من القرن السادس عشر وذكر أنه تلقى ذلك عن الواسطة العظمى سيدنا محمد ﷺ فالله أعلم.

وقد ذكر سيدى عبد السلام هذا فى بعض كلامه [٢٤٣] أن الله تعالى أطلعه على جميع الكائنات وكشف له عن ملكوت السماوات والأرض والجنة والنار وما فيهما ظاهرا وباطنا وأنــزل المطر بدعائه وأحيا الموتى على يده وأجرى على يديه جميع ما أكرم به عباده الصالحين وأنه محل الآيات والبركات والتصرفات إلى غير ذلك راجع كتب مناقبه ترى فيها العجب العجاب.

وقوله إن الولى وإن أطلعه الله على ما فى بطن الأم من ذكر أو أنثى إنما يكون ذلك بعد التصوير لا قبله وحال نــزول النطفة إلى الرحم لا يدرى أحد من الخلق ما يكون منها ينذر مع ما يذكره كثير من الأولياء من أنهم يعرفون تلاميذهم من عالم الذر وهو يوم المقادير يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٩/٤، رقم ٢٧٨٩) وأحمد (٣٢٧/٢).

ويلاحظونهم وهم فى ظهور الآباء وأرحام الأمهات وإنهم يعرفون من كان هناك مقبلا عليهم أو مدبرا عنهم، وقد كان سهل بن عبد الله التسترى أحد أفراد هذه الأمة وعبادها يقول شهدت الحضرة الأولية عند أخذ العهد وسمعت قوله تعالى ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وقول السامعين بلى وعرفت من كان هناك عن يمينى ومن كان عن شمالى وعرفت تلامذتى من ذلك اليوم و لم أزل ألاحظهم فى صلب آدم حين ردوا إليه بعد أخذ العهد وفى أصلاب آبائهم حتى وصلوا إلى فى هذا الزمان نقله سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتاب " الجواهر والدرر " وقال فى طبقاته فى ترجمة سيدى إبراهيم الدسوقى كان سهل بن عبد الله التستورى ﷺ يقول أعرف تلامذتى من يوم ألست بربكم وأعرف من كان فى ذلك الموقف عن يمينى ومن كان عن شمالى و لم أزل من ذلك اليوم أرى تلامذتى وهم فى [٢٤٤] الأصلاب لم يحجبوا عنى إلى وقتى هذا نقله ابن العربى ﷺ فى الفتوحات انتهى.

وقال فى كتاب " اليواقيت " له ما نصه وكان على بن أبى طالب ﷺ يقول إنى لأذكر العهد الذى عهد إلى ربى وأعرف من كان هناك عن يمينى ومن كان عن شمالى ثم قال فى اليواقيت وكذلك بلغنا نحو هذا القول عن سهل بن عبد الله التستورى إنه كان يقول أعرف تلامذتى من يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ولم تــزل لطيفتى تربيهم فى الأصلاب حتى وصلوا إلى فى هذا الزمان انتهى.

قلت ومما يصلح أن يكون شاهدا لهذا ودليلا له حديث الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها - يعنى فى عالم الأرواح - ائتلف - يعنى فى عالم الأشباح - وما تناكر منها - يعنى هناك - اختلف [1]- يعنى هنا - أخرجه البخارى فى صحيحه لكن تعليقا ووصله فى الأدب المفرد عنه وأخرجه أيضاً أحمد ومسلم وأبو داود عن أبى هريرة

(١) أخرجه البخارى (١٢١٣/٣، رقم ٣١٥٨) ومسلم (٢٠٣١/٤، رقم٢٦٣٨) وأحمد (٢/ ٥٢٧).

والطبراني في الكبير بسند رجاله رجال الصحيح عن ابن مسعود وزاد فيه تلتقي فتشاءم كما تشاءم الخيل.

وفي الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر للعارف بالله الشعراني أيضاً أنه سمع شيخه سيدي عليا الخواص ﷺ يقول لا يكمل الرجل عندنا حتى يعلم حركات مريده في انتقاله في الأصلاب وهو نطفة من يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وانتقاله في الجنة أو النار انتهى.

وينظر أيضاً مع ما ذكره ابن عياد في مفاخره نقلاً عن ابن الصباغ في " درة الأسرار " قال حدثني حفيد الشيخ أبي الحسن الشاذولي ابن بنته رقية رحمهما الله تعالى قال لما تـــزايدت والدتي للشيخ ﷺ دخل والدي رحمه الله تعالى وهو علي الدمنهوري علي الشيخ ﷺ ليهنئه بها وكان شيخا كبيرا [٢٤٥] قد بلغ سن اليأس فهنأه بها فقال له إنها ستكون زوجتك فقال له وأنا في هذه السن فقال له الشيخ ﷺ نعم تكون لك زوجة صالحة يتـــزايد لك منها فلان وفلان وعد له أولادا وقال له إن الله قد أطلعنا علي ذلك كله فكان لأمركما قال وصار زوجها وولدت منه ما أخبر به الشيخ ﷺ انتهي. وقد رأيت هذه الحكاية أيضاً في درة الأسرار بمعناها فلتراجع.

وقوله وكذلك المقول في الاكتساب فلا تدري نفس ماذا تكسب غدا فيه أن جميع ما أخبر به النبي ﷺ مما سيكون بعده من الأهوال والفتن وأشراط الساعة وغير ذلك هو من الاكتساب وهو من حيث الجملة وكذا من حيث التفصيل بالنسبة لبعض القضايا منقول بطريق التواتر عنهم وقد ذكر العلماء والمحدثون وأرباب السير وغيرهم أنه كثرت إخبارات النبي ﷺ بالمغيبات الحاضرة والماضية والمستقبلة وكثر ورود ذلك ونقله عنه حتى اشتهر أمره فيه واستفاض الخبر عنه بالإطلاع على الغيوب بين جميع أصحابه وغيرهم من سائر الكبار والمنافقين حيث ثبت عندهم إن الغيوب لا تحجب عنه في حالة من الحالات كيف ما كانت وحتى إن بعض المنافقين كان يقول لصاحبه إذا أراد أن يتكلم معه بشيء اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء ولما فتح عليه الصلاة والسلام مكة وأمر بلالا أن يؤذن فوق الكعبة قال عتاب

ابن أسيد لقد أكرم الله أسيدا إذ لم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام أما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الأسود وقال أبو سفيان [٢٤٦] ابن حرب لا أقول شيئا ولو تكلمت لأخبرته هذه الحصباء فخرج عليه الصلاة والسلام عليهم وقال قد علمت الذى قلتم وذكر مقالتهم فقال الحارث وعتاب نشهد أنك رسول الله ما كان معنا أحد فنقول أخبرك ثم حسن إسلام الثلاثة بعد وكذلك ما أخبر به الأولياء مما يقع بعدهم كلهم من الاكتساب، وفى المقصد الأثنى للغزالى قال اعلم أنه لايجوز أن يظهر فى طور الولاية ما يقضى العقل باستحالته نعم يجوز أن يظهر فيها ما يقصر العقل عنه بمعنى أنه لا يدرك بمجرد العقل مثاله إنه يجوز أن يكاشف الولى بأن فلانا سيموت غدا ولا يدرك ببضاعة العقل بل يقصر العقل عنه ولا يجوز أن يكاشف بأن الله غدا سيخلق مثل نفسه فإن ذلك يحيله العقل إلا أنه يقصر عنه انتهى منه بلفظه.

وفى الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمى ما نصه وفى رسالة القشيرى وعوارف السهراوردى وغيرهما من كتب القوم وغيرهما ما لا يحصر من القضايا التى فيها إخبار الأولياء بالمغيبات كقول بعضهم أنا غدا أموت وقت الظهر وكان كذلك ولما دفن فتح عينيه فقال له دافنه أحياة بعد موت فقال أنا حى وكل محب لله حى انتهى المراد منه باللفظ.

وفى " المفاخر العلية " لابن عباد ما نصه وقد اشتهر عنه يعنى عن الشيخ أبو الحسن الشاذولى ﷺ أنه قال لولا لجام الشريعة على لسانى لأخبرتكم بما يكون فى غد وبعد غد إلى يوم القيامة انتهى.

وفى المنن الكبرى للشعرانى ما نصه وروى الفارض أن يعقوب خادم سيدى أحمد بن الرفاعى نفعنا الله ببركاته ورضى [٢٤٧] عنه قال سمعت سيدى أحمد بن الرفاعى يقول صحبت ثمانمائة ألف أمة مما يأكل ويشرب ويروث وينكح، لا يكمل الرجل عندنا حتى يصحب هذا العدد ويعرف كلامهم وصفاتهم وأسماءهم وأرزاقهم وآجالهم قال يعقوب الخادم فقلت له يا سيدى إن المفسرين ذكروا أن عدد الأمم ثمانون ألف أمة فقط فقال ذلك مبلغهم من العلم فقلت له هذا عجب فقال وأزيدك أنه لا تستقر

نطفة فى فرج أنثى إلا بنظر ذلك الرجل إليها ويعلم بها قال يعقوب الخادم فقلت له يا سيدى هذه صفات الرب جل وعلا فقال يا يعقوب استغفر الله تعالى فإن الله إذا أحب عبدا صرفه فى جميع مملكته وأطلعه على ما شاء من علوم الغيب فقال يعقوب تفضلوا على بدليل علىٰ ذلك فقال سيدى أحمد الدليل على ذلك قول الله عز وجل فى الحديث القدسى ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به إلى آخره وإذا كان الحق مع عبده كما يريد صار كأنه صفة من صفاته انتهى منها بلفظها.

وفى " الإبريز " فى الباب السابع نقلاً عن الشيخ ﷺ إن الجنين إذا سقط من بطن أمه يراه العارف الكامل فى تلك الحالة على الحال التى يبلغ إليها عمره وينتهى إليها أجله ويرى فيه جميع ما يدركه من خير أو شر حتى إن من شاهده مشاهدة العارف ونسخ الجميع ما شاهده وطرح النسخة عنده وجعل يقابلها مع ما يظهر فى الذات ويشاهد فيها كل ساعة ولحظة وجدهما [٢٤٨] لا يختلفان أبدا فى شىء من الأشياء والله أعلم انتهى منه بلفظه.

ولا شك أنه وما قبله من باب الاكتساب لما فيهما من الاطلاع على الغيوب المستقبلة ومعرفة ما يجرى على المخلوق من رزق وأجل وغيرهما وقد أجاب فى إرشاد السارى عن هذا فى تفسير سورة لقمان نقلاً عن شارح المشكاة ونصه قال فى شرح " المشكاة " فإن قيل أليس إخباره ﷺ عن أمارات الساعة من قبيل قوله ﴿ **وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا** ﴾[لقمان: ٣٤] وأجاب بأنه إذا أظهر بعض المرتضين من عباده بعض ما كشف له من الغيوب لمصلحة ما، لا يكون إخبارا بالغيب بل يكون تبليغا له قال الله ﴿ **فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً*إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] انتهى منه بلفظه.

ومراده أنه لا يكون من الإخبار بالغيب إلا إذا كان عن نفس المخبر وذاته وأما حيث لم يكن عن نفسه وكان عن الله تعالى فليس هو من باب الإخبار به وإنما هو من باب التبليغ عن الله والمنفى عن غيره تعالى فى الآية هو الأول دون الثانى فيؤول المعنى

فيها إلى أنها أعنى النفس لا تدرك ذلك من نفسها وذاتها فلا ينافى أنها قد تدريه من قبل خالقها ومنشئها بدليل ﴿ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٧] وهذا هو معنى ما نقله الشعرانى أخيرا عن بعضهم من أن آية ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾[لقمان: ٣٤] إنما تدل على أنه تعالى هو الذى يعلم علم هذه الخمس لكونه الخالق لها ولا تدل على امتناع إعلامه تعالى أحداً من عبيده بشىء منها وأما ما ذكره أخيرا من أنه تعالى هو الذى يعلمها علما تفصيليا إلى آخره فجواب آخر عن الآية وهو طريقة لبعضهم والله أعلم.

[٢٤٩] التنبيه الثانى: لا يلزم من القول بإطلاع الله تعالى نبيه ﷺ على كل شىء حتى الخمس والروح وما هو فى معناهما أن يكون علمه محيطا بكل شىء كإحاطة علم الله تعالى كما فهمه بعضهم لا سيما ومن أصحاب هذا القول من قيد بقوله مما يليق بعلمه بالحوادث أو مما يمكن علم البشر به بل كلام من قيد صريح فى عدم الإحاطة وكلام من أطلق محتمل لأن يريد به التقييد ولم يصرح بالقيد إتكالا على ظهوره وشهرته لأهل العلم أخذا له من الدلائل العقلية والنقلية ومحتمل لأن يريد به مطلق الإحاطة من غير أن تكون كإحاطته تعالى وهذان احتمالان قريبان ولأن يريد به الإحاطة فى الحوادث فقط دون الذات العلية وأوصافها وأسمائها كما هو مذهب الكثير من أهل الله وهو احتمال قريب أيضاً ممن له تعلق بمذاهب العارفين واطلاع على أقواليهم ومعرفة بمشاربهم ولأن يريد به الإحاطة المطلقة كإحاطة علم الله تعالى كما فهمه جماعة من المتأخرين من كلام هذا القائل أخذا بظاهر كلامه وهو بعيد جدا مما كان مترسماً بمراسم الأدلة الشرعية إلا أن يقع فى كلامه ما يصرح به أو يدل له ومن ثم قال بعضهم نعتقد ما فى الأحاديث الصحيحة من أن الله تعالى أعلمه بما كان ويكون بعلم الأولين والآخرين وبما فى السماوات والأراضين وبالجنة والنار وما فيهما وأراه كل شىء وعلمه كل شيء والإحاطة المطلقة الشاملة لكل شىء والعامة فى كل شيء من كل جنس وكل نوع وغيرهما نمسك عنها بل لا نقول [٢٥٠] بها لأن هذه الأحاديث ليست صريحة فى العموم الكلى الشامل لجميع الأجناس والأنواع العلوية

والسفلية ولسائر التفاصيل الخفية والجلية وغير ذلك بل هى محتملة له وقابلة للتأويل وورد فى آيات وأحاديث أخر ما يفيد أن الإحاطة الكاملة إنما هى لله تعالى وحده وشهد العقل والنقل بأنه ليس كمثله تعالى شيء ذاتا وصفات وأفعالا وحينئذ فيتعين أن نقول إما بعدمها بالكلية وإما بأنها إحاطة مجازية ولا حقيقية فليست كإحاطته تعالى وإما بأنها مختصة بالكوائن أعنى بها هذا العالم الحادث المتجدد من نوره عليه الصلاة والسلام دون غيره من الذات العلية وما هو مختص به والله أعلم انتهى.

التنبيه الثالث: ذكر الشيخ الأكبر في فصوصه فى آخر فص الحكمة اليعقوبية ما معناه إن إدراك أعيان الممكنات فى حال ثبوتها على ما هى عليه إذا كان لبعض الأفراد الكمل من الأنبياء والأولياء إنما يكون فى أوقات دون أوقات ولا يكون ملازما لصاحبه فى كل وقت لأنه قد يحصل له الحجاب أى عدم الالتفات فى وقت ما عن بعض الأعيان لأمر يقتضيه وأنه إذا كان هذا الإدراك لأحد من الكمل لا يكون عاما فى جميع أعيان الممكنات دفعة واحدة وإنما يكون فى شيء خاص منها أراد الله إطلاع هذا الكامل عليه لتوجه همته إليه أو لا لتوجها بل لحكمة أخرى ونص كلامه: ولا يعرف أحد حكم الإرادة الإلهية إلا بعد وقوع المراد إلا من كشف الله عن بصيرته فأدرك أعيان الممكنات فى حال ثبوتها على ما هى عليه فيحكم [٢٥١] عند ذلك بما يراه وهذا قد يكون لآحاد الناس أى أفراد منهم فى أوقات مخصوصة لا يكون مستصحبا قال أى الله خطابا لنبينا قل ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ ﴾ [الأحقاف: ٩] فصرح بالحجاب وليس المقصود إلا أن يطلع فى أمر خاص لا غيره انتهى منها.

وكتب شارحه النابلسى على قوله فصرح بالحجاب ما نصه عن الكشف المذكور فى بعض الأعيان مع أنه عليه السلام قال إن الله قد رفع لى الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفى هذه أخرجه الطبرانى.

وفى حديث أبى داوود قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فما ترك شيئا يكون إلى قيام الساعة إلا حدثنا به وفى الحديث الصحيح فعلمت علم الأولين والآخرين وإنما كان

هذا من النبى ﷺ فى بعض الأحيان انتهى. أى مع عدم العموم فى جميع الممكنات على ما أفاده كلام الشيخ هذا لأن الكلام فى علم الذات البشرية وهو تدريجى ترتيبى لا يحصل إلا بالتوجه إلى الشىء فإذا توجهت إلى شىء علمته وإذا لم تتوجه إليه فإنها قد تغفل عنه ويقع لها فيه سهو أو نسيان فليس كعلم الروح الذى يحصل دفعة واحدة ولا يقع فيه غفلة ولا سهو ولا نسيان فافهم.

وكتب الشيخ نور الدين عبد الرحمن بن نظام الدين أحمد الدشتى ثم الجامى على قولها وليس المقصود إلى آخره ما نصه ممزوجا بالأصل وليس المقصود من الكشف الواقع لبعض الناس فى بعض الآيات إلا أن يطلع العبد المكاشف أى يحصل له الاطلاع فى أمر خاص شاء الله إطلاعه عليه لا غير كما قال تعالى ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] [٢٥٢] قال فإن قلت قوله ﷺ فعلمت علم الأولين والآخرين يدل على عموم إطلاعه وإمكانه فى بعض الأوقات قلت لا نسلم ذلك فإنه ما يعلمه الأولون والآخرون أمر خاص بالنسبة إلى معلومات الحق سبحانه ولو سلم عمومه فالمثبت فى الحديث علمه الكلى الإجمالى فى مقام الروح والمنفى ها هنا علمه التفصيلى فى مقام القلب والله سبحانه وتعالى أعلم انتهى منه.

وهذا آخر ما يسره الله الآن من الكلام على هذا القسم الثانى.

القسم الثالث: فى قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾

وأما القسم الثالث: فاعلم أنه قد قيل فى قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء: ١١٤] أنه يعنى من أخبار الأولين والآخرين وعلومهم ومخبآتهم وأسرارهم وما يجرى عليهم أى يحدث فيهم إلى يوم القيامة وبعده وقيل فى قوله تعالى ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾ [الرحمن: ٣، ٤] إن الإنسان هنا سيدنا محمد ﷺ ﴿ عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾ يعنى بيان ما يكون وما كان لأنه ﷺ ينبأ عن خبر الأولين والآخرين وعن يوم الدين نقله الخازن وغيره وذكر بعض أرباب الإشارات فى قوله تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] إن الكتاب [٢٥٣] هو الإنسان

الكامل جعله الله تعالى كتابا جامعا ونورا ساطعا بين يدى الأشياء الإلهية والكونية لأنه الكلمة النافعة والحضرة الجامعة وذكر أيضاً فى قوله تعالى ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِين ﴾ [يس: ١٢] أن الإمام المبين هو الإنسان الكامل إذا كانت الحقائق كلها إلاهيها وكونيها محصاة فيه وبعبارة الإمام المبين هو رسول الله ﷺ لأنه الإمام الذى يقتدى به وبأقواله وأفعاله والمبين الظاهر لنا فى الحس فكل شىء أحصى فى وجوده وقد أشار لهذا الشيخ الأكبر فى صلاته المشهورة بقوله محصى عوالم الحضارات الخمس فى وجوده ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِين ﴾ [يس: ١٢] والأحاديث والأخبار فى هذا القسم كثيرة، فلنذكر منها هنا ما تيسر جمعه وإيراده فنقول:

– رؤيته ﷺ للجنة والنار وما فيهما –

أخرج أحمد فى مسنده عن أبى قيس عبد الرحمن بن ثابت مولى عمرو بن العاص ثم بسند آخر عن عبد الرحمن بن جبير كلاهما قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول خرج علينا رسول الله ﷺ يوما كالمودع فقال أنا محمد النبى الأمى أنا محمد النبى الأمى أنا محمد النبى الأمى قاله ثلاث مرات ولا نبى بعدى أتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وتجوز بى وعوفيت وعفيت أمتى فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم فإذا ذهب بى فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه[1] قال فى " مناهل الصفا " سنده حسن.

وأخرج أحمد فى الصلاة فى باب ما يقول بعد التكبير وفى الشرب والنسائى وابن ماجه فى الصلاة [٢٥٤] من حديث أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها فى صلاة الكسوف وفيه ثم انصرف تعنى النبى ﷺ من صلاة الكسوف فقال لقد دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ودنت منى النار حتى قلت أى

(١) أخرجه أحمد (١٥٤/٤).

رب أو أنا معهم فإذا امرأة تخدشها هرة فقلت ما شأن هذه قالوا حبستها حتى ماتت جوعا لا هى أطعمتها ولا هى أرسلتها تأكل من خشاش الأرض.

وأخرج مالك فى الموطأ وأحمد والشيخان: البخارى فى العلم والطهارة والكسوف والاعتصام والاجتهاد والسهو ومسلم فى الصلاة وغيرهم من حديثها أيضاً فى صلاة الكسوف واللفظ لمسلم قالت فانصرف رسول الله ﷺ وقد تجلت الشمس فخطب رسول الله ﷺ الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد ما من شىء لم أكن رأيته إلا قد رأيته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار.الحديث(١).

لفظ مالك فى الموطأ والبخارى فى باب صلاة النساء مع الرجال فى الكسوف وفى باب من لم يتوضأ إلا من الغشى المثقل من كتاب الطهارة فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثم قال ما من شىء كنت لم أره إلا قد رأيته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار الحديث(٢).

وفى أخرى للبخارى فى العلم فى باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس فحمد الله النبى ﷺ وأثنى عليه ثم قال ما من شىء لم أكن أريته إلا رأيته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار(٣).

وفى أخرى لأحمد عنها أيها الناس إنه لم يبقى شىء لم أكن رأيته إلا وقد رأيته فى مقامى هذا.

[٢٥٥] وفى هذه الرواية أنه قال: أيها الناس إنكم لن تسألونى عن شىء حتى. فقام رجل فقال: من أبى؟ قال: أبوك فلان. الذى كان ينسب إليه. وفى أخرى له: لقد أدنيت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لأتيتكم بقطف من قطافها، ولقد أدنيت منى النار حتى قلت يا رب وأنا معهم. الحديث.

---

(١) أخرجه مسلم (٦١٨/٢، رقم ٩٠٥).

(٢) أخرجه البخارى (٣٥٨/١، رقم ١٠٠٥) ومالك (١٨٨/١، رقم ٤٤٧).

(٣) أخرجه البخارى (٤٤/١، رقم٨٤).

وأخرج الشيخان والنسائى من حديث عائشة فى صلاته أيضاً: لقد رأيت فى مقامى هذا كل شيء وعدته — وفى رواية ابن وهب عن يونس عند مسلم والنسائى: وعدتم — حتى لقد رأيتنى أريد أن آخذ قطفا — أى عنقودا — من الجنة حين رأيتمونى جعلت أتقدم، ولقد رأيت جهنم يحطم — أى يكسر ويزاحم — بعضها بعضا حين رأيتمونى تأخرت، ورأيت فيها عمرو بن لحى، وهو الذى سيب السوائب.

وأخرج مالك فى الموطأ وأحمد والشيخان والنسائى وابن حبان فى صحيحه وابن جرير من حديث ابن عباس فى صلاته أيضاً قالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا فى مقامك هذا ثم رأيناك كففت وفى رواية تكعكعت فقال إنى رأيت وفى لفظ للبخارى أريت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته وفى رواية ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ورأيت وفى رواية وأريت النار فلم أر منظرا قط وفى رواية فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء الحديث[١].

وأخرج مسلم واللفظ له وابن جرير الطبرى من حديث جابر بن عبد الله قال كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فى يوم شديد الحر الحديث.وفيه أنه عليه السلام قال أنه عرض على كل شيء تولجونه وفى رواية [٢٥٦] ابن جرير توعدونه فعرضت على الجنة حتى لو تناولت منها قطفا أخذته أو قال تناولت منه قطفا فكثرت يدى عنه وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تعذب فى هرة لها ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ورأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك يجرو قصبه فى النار الحديث.

وأخرج أحمد ومسلم واللفظ له من حديثه أيضاً قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ الحديث وفيه أنه عليه السلام قال ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه رقد جيء بالنار وذلكم حين رأيتمونى

---

(١) أخرجه البخارى (٣٥٧/١، رقم ١٠٠٣) ومسلم (٦٢٧/٢، رقم ٩٠٧) ومالك (١٨٦/١، رقم ٤٤٤) وأحمد (٢٩٨/١) والنسائى (٥٧٨/١) وابن حبان (٩٦/٧).

تأخرت مخافة أن يصيبنى من لفحها وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه فى النار كان يسرق الحاج بمحجنه فإن فطن له قال إنما تعلق بمحجنى وإن غفل عنه ذهب به وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعا ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتمونى تقدمت حتى قمت فى مقامى ولقد مددت يدى وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لى أن لا أفعل فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه.

ولابن خزيمة من حديث ثمرة بن جندب لقد رأيت منذ قمت أصلى ما أنتم لاقون فى دنياكم وآخرتكم.

ولأحمد من حديثه أيضاً إنى والله لقد رأيت منذ قمت أصلى لكم ما أنتم لاقون من أمر دنياكم وآخرتكم.

ولفظ البيهقى فى سننه الكبرى من حديثه والله لقد رأيت منذ قمت [٢٥٧] أصلى ما أنتم لاقون فى دنياكم وأخرتكم الحديث.

وأورده السيوطى فى جامعه الكبير فى يا أيها الناس وقال فيه فقد أريت فى مقامى وأنا أصلى ما أنتم لاقون فى دنياكم وآخرتكم ثم عزاه لتخريج أحمد وأبى يعلى وابن خزيمة والطحاوى وابن حبان وابن جرير والطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى السنن والضياء المقدسى عن ثمرة ولفظ رواية الطبرانى فى الكبير عنه ما رأيتم من شيء فى الدنيا له لون ولا نبئتم به فى الجنة ولا فى النار إلا وقد صور لى من قبل[1]هذا الجدار منذ صليت لكم صلاتى هذه فنظرت إليه مصورا فى جدار المسجد.

وأخرج أحمد والنسائى وابن جرير من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ الحديث وفيه والذى نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة منى حتى لو بسطت يدى لتعاطيت من قطوفها ولقد أدنيت النار منى حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم الحديث.

---

(١) فى نسخة فى قلب.

ولفظ أحمد أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل فإذا كسف أحدهما فافزعوا إلى المساجد فوالذى نفسى بيده لقد عرضت على الجنة حتى لو أشاء لتعاطيت بعض أغصانها وعرضت على النار حتى إنى لأطفئها خشية أن تغشاكم الحديث.

وفى لفظ آخر له وللنسائى قال فلما صلى قال عرضت على الجنة حتى لو مددت يدى تناولت من قطوفها وعرضت على النار فجعلت أنفخ خشية أن يغشاكم حرها ورأيت فيها سارق بدنتى رسول الله ﷺ [٢٥٨] ورأيت فيها أخا بنى دعدع سارق الحجيج فإذا فطن له قالوا هذا عمل المحجم ورأيت فيها امرأة طويلة سوداء تعذب فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت الحديث.

وفى حديث أحمد عن المغيرة بن شعبة « إِنَّ النَّارَ أُدْنِيَتْ مِنِّى حَتَّى نَفَخْتُ حَرَّهَا عَنْ وَجْهِى فَرَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ وَالَّذِى بَحَرَ الْبَحِيرَةَ وَصَاحِبَةَ حِمْيَرَ صَاحِبَةَ الْهِرَّةِ »[1].

ففى هذه الأحاديث رؤيته للجنة والنار وما فيهما وعرضهما عليه كما تعرض الأشياء والرعية على الملوك لمعرفتها وتفقد أحوالها ورؤيته لكل شيء لم يكن رآه قبل ولكل شيء وعد به هو أو وعدت به أمته ولكل شيء تلاقيه أمته فى دنياها وآخرتها ولكل شيء رأوه فى الدنيا وأنبئوا به فى الجنة والنار وفى الحديث الأول أنه علم كم خزنة النار وحملة العرش وأنه أوتى فواتح الكلم وخواتمه أى أوائله وأواخره وجوامعه أى أسراره التى جمعت فيه والكلم يحتمل أن يراد به خصوص الكلام العربى وأن يراد به كل كلام من جميع اللغات التى لبنى آدم أو التى لسائر الخلائق من جن وإنس وملك وحيوان وغيرها وهو أظهر لمعرفته بلسان الكل وبعثته له على القول المرتضى والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد(٤/٢٤٥).

وقد ذكر المحققون من العلماء أن رؤيته عليه الصلاة والسلام للجنة والنار فى صلاة الكسوف هى رؤية عين بأن رفعت الحجب بينه وبينها حتى رآها رؤية حقيقية وطويت المسافات بينه وبينهما حتى أمكنه أن يتقدم إلى الجنة وأن يتأخر عن النار ولا مانع [٢٥٩] من هذا وهو الأقرب والأشبه بظاهر الحديث ويؤيده ما ذكروه ويأتى فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى من أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا قالوا رأينا الجنة أو النار أو غير ذلك فالمرئى لهم هو الحقيقة دون المثال بخلاف الولى ويؤيده أيضاً ما وقع فى بعض الروايات المذكورة من أنه تناول من الجنة عنقودا وفى الرواية الأخرى أنه أراد أن يأخذ منها قطفا وهو اسم لكل ما يقطف وما وقع فى بعضها أيضاً من أنهما دنتا أو أدنيتا منه وأنه جعل ينفخ خشية أن يغشاهم حر النار ومنهم من حمل الرؤية فيهما على رؤية المثال وأنهما مثلتا له وصورتا فى قبلة المسجد كما تنطبع الصورة فى المرآة فرأى جميع ما فيهما واستدل له بحديث أنس الآتى وهو فى الصحيح لقد رأيت الآن منذ صليت لكم الجنة والنار ممثلتين فى قبلة هذا الجدار وفى رواية والذى نفسى بيده لقد عرضت على الجنة والنار آنفا فى عرض هذا الحائط وأنا أصلى فلم أر كاليوم فى الخير والشر وفيه أن هذه قصة أخرى وقعت له فى صلاة الظهر ولا مانع أن يرى الجنة والنار مرتين بل مرارا عديدة على صور مختلفة.

ومنهم من حملها على العلم وأن الله عز وجل زاده الآن من العلم بحالهما تفصيلاً لم يكن له قبل ليزداد بذلك خوفه ورجاؤه وعلمه وهو أضعف مما قبله بل فى غاية البعد وفى شرح ابن أبى جمرة لمختصره لصحيح البخارى فى الكلام على حديث أسماء السابق فى الوجه الثالث ما نصه قوله عليه الصلاة والسلام ما من شيء [٢٦٠] لم أكن أريته إلا رأيته فى مقامى هذا فيه دليل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يرى من الغيب جميعه فى الزمن المتقدم قبل هذا الموطن إلا البعض وأنه فى هذا الموطن تكملت له الرؤية لتلك الأشياء كلها ثم تردد فى أنه أخبر بجميع الغيوب أو بما يحتاج به الإخبار إلى أمته وما يخصه عليه السلام فى ذاته المكرمة أو مما أكرمه الله للاطلاع عليه واستظهر الثانى منهما ثم قال فى الوجه الخامس فيه دليل على عظيم قدرة الله تعالى إذ

أنه عليه الصلاة والسلام رأى فى هذه الدار فى هذا الزمن اليسير ما لم يره ليلة المعراج فى العالم العلوى ومشاهدة الملكوت وفيه دليل على أن القدرة لا تتوقف فى شيء ممكن لأنه عليه الصلاة والسلام رأى فى هذا الزمن اليسير أمورا عظام ثم عقلها جميعا مع إبقاء أوصاف البشرية عليه ثم قال والوجه السادس قوله عليه الصلاة والسلام حتى الجنة والنار هذا اللفظ محتمل لوجهين:

الأول: أن يكون عليه الصلاة والسلام أراد أن يخبرهم بأنه عاين كل ما يلقون بعد خروجهم من هذه الدار حتى يستقروا فى الجنة أو النار.

الثانى:أن يكون عليه الصلاة والسلام أراد أن يخبرهم بعظيم ما رأى من أمور الغيب بذكر الجنة والنار تنبيها على ذلك لأن الجنة قد روي أن سقفها عرش الرحمن والنار فى أسفل سافلين تحت البحر الأعظم أى الذى عليه قرار الأراضين فإذا رأى هذين الطرفين فمن باب أولى أن يرى ما بينهما انتهى منه بلفظه.

وقال الكرمانى [٢٦١] فى قوله ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته ما نصه فإن قلت هل فيه دلالة على أنه ﷺ رأى فى هذا المقام ذات الله تعالى قلت نعم إذ الشيء يتناوله، والعقل لا يمنعه والعرف لا يقتضى إخراجه انتهى.

وعبارته فى " إرشاد السارى " فى كتاب العلم ما من شيء لم أكن أريته بضم الهمزة أى مما تصح رؤيته عقلا كرؤية البارى تعالى ويليق عرفا مما يتعلق بأمر الدين وغيره إلا رأيته رؤية عين حقيقة حال كونى فى مقامى انتهى.

وقال الشيخ أكمل الدين فى شرح المشارق قوله فى مقامى يجوزا أن يكون المراد به المقام الحسى وهو المنبر ويجوز أن يكون المراد به المقام المعنوى وهو مقام المكاشفة والتجلى بالحضارات الخمسة التى هى عبارة عن حضرة الملك والملكوت والأرواح والغيب الإضافى والغيب الحقيقى فإنه البرزخ الذى له التوجه إلى الكل كنقطة الدائرة بالنسبة إلى الدائرة صلوات الله عليه وسلامه ونفحنا من نفحات قدسه بمتابعته انتهى.

– تكرار رؤيته ﷺ للجنة والنار يقظة ومناماً –

وقد تكررت رؤيته عليه السلام للجنة والنار يقظة ومناماً ودخوله لهما وإخباره عما فيهما كثيرا وكثرت الأحاديث الواردة في ذلك.

أخرج أحمد والبخاري في عدة مواضع منها في النكاح والترمذي عن عمران بن حصين وأحمد عن عبد الله بن عمرو، وأحمد ومسلم والترمذي عن أنس، وأبو داود الطيالسي وهناد ومسلم والنسائي عن ابن عباس وابن منده وأبو نعيم عن عبد الرحمن ابن حارثة ابن الأضبط السلمي عن جده رفعوه: « اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ – يعني ليلة الإسراء أو في النوم أو بالوحي أو بالكشف بعين الرأس أو بعين القلب لا في صلاة [٢٦٢] الكسوف ولا كما قيل – فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ »[١] وفي رواية لعبد الله بن الإمام أحمد في زيادات المسند عن ابن عمرو بن العاص فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء.

ورواه أحمد عن أبي هريرة بلفظ « اطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ »[٢].

وأخرج البخاري ومسلم والنسائي عن أسامة بن زيد مرفوعاً: « قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ إِلاَّ أَصْحَابَ النَّارِ فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ »[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٩٥/٥، رقم ٤٩٠٢)وأحمد (٧١٦/٤) والترمذي (٧١٦/٤) عن عمران بن حصين، وأحمد (١٧٣/٢) عن عبد الله بن عمرو، وأخرجه مسلم (٢٠٩٦/٤، رقم ٢٧٣٧) وأحمد (٢٣٤/١) والنسائي في الكبرى (٣٩٩/٥) والطيالسي (١١٢/١) عن عبد الله بن عباس.

(٢) أخرجه أحمد (٢٩٧/٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٩٧/٥، رقم ٦١٨١) ومسلم (٢٠٩٦/٤، رقم ٢٧٣٦).

وأخرج أحمد والشيخان عن أبى هريرة مرفوعاً رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه يعنى أمعاءه فى النار وكان أول من سيب السوائب زاد فى رواية وبحر البحيرة.

وأخرج أحمد والبخارى فى عدة مواضع ومسلم وابن ماجه عن أبى هريرة وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عمر مرفوعاً « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِى فِى الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ فَقَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ، فَوَلَّيْت مُدْبِراً ». فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ[1].

وأخرج ابن عساكر عن أنس مرفوعاً: أدخلت الجنة فرفع لى قصر فقلت لمن هذا قالوا لعمر بن الخطاب فما منعنى أن أدخله إلا غيرتك قال أبو بكر بن عياش راويه عن حميد عن أنس فقلت لحميد فى النوم أو فى اليقظة قال لا بل فى اليقظة[2].

وأخرج البخارى من حديث جابر مرفوعا:«رَأَيْتُنِى دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِى طَلْحَةَ وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالَ هَذَا بِلَالٌ [٢٦٣] وَرَأَيْتُ قَصْراً بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا فَقَالَ لِعُمَرَ الحديث[3].

وأخرج أحمد والترمذى وابن خزيمة فى صحيحه من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه وهو بريدة بن الحصيب قال أصبح رسول الله ﷺ يوما فدعا بلالا فقال « يَا بِلَالُ بِمَ سَبَقْتَنِى إِلَى الْجَنَّةِ إِنِّى دَخَلْتُ الْجَنَّةَ الْبَارِحَةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِى الحديث[4].

---

(١) أخرجه البخارى (١١٣٥/٣، رقم ٣٠٧٠) ومسلم (١٨٦٣/٤، رقم٢٣٩٥) وأحمد (٢/ ٣٣٩) وابن ماجه (١/ ٤٠، رقم ١٠٧).

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (١٤٧/٤٤).

(٣) أخرجه البخارى (١٣٤٦/٣، رقم ٣٤٧٦).

(٤) أخرجه الترمذى (٦٢٠/٥)وأحمد (٣٥٥/٥) وابن خزيمة (٢١٣/٢).

وأخرج أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة قال قال نبى الله ﷺ لبلال عند صلاة الفجر « حَدِّثْنِى بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ عِنْدَكَ فِى الإِسْلاَمِ مَنْفَعَةً فَإِنِّى سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَىَّ فِى الْجَنَّةِ » الحديث[١].

ولفظ البخارى عن أبي هريرة أن النبى ﷺ قَالَ لِبِلاَلٍ عِنْدَ صَلاَةِ الْفَجْرِ « يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِى بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِى الإِسْلاَمِ، فَإِنِّى سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَىَّ فِى الْجَنَّةِ »الحديث[٢].

وأخرج الترمذى والحاكم وصححه وتعقب عن أبي هريرة أيضاً مرفوعاً « رَأَيْتُ جَعْفَراً يَطِيرُ فِى الْجَنَّةِ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ »- بجناحين[٣].

وأخرج الطبرانى فى الكبير عن جابر مرفوعاً رأيت خديجة على نهر من أنهار الجنة فى بيت من قصب لا لغو فيه ولا نصب[٤]، وإسناده صحيح واقتصار من اقتصر على حسنه تقصير.

وأخرج النسائى والحاكم فى المستدرك عن أنس مرفوعاً دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة فقلت من هذا فقالوا حارثة بن النعمان كذا لكم البر كذا لكم البر[٥]- أى له قال هذه الدرجة بسبب بره لأمه وإسناده صحيح كما فى الإصابة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٠/٤، رقم٢٤٥٨) وأحمد (٣٣٣/٢).

(٢) أخرجه البخارى (٣٨٦/١، رقم ١٠٩٨).

(٣) أخرجه الترمذى (٦٥٤/٥) بدون بجناحين فى آخره، وقال هذا حديث غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن جعفر وقد ضعفه يحيى بن معين وغيره وعبد الله بن جعفر هو والد علي بن المديني.

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٨/٢٣).

(٥) أخرجه الحاكم فى صحيحه (٢٢٩/٣)عن عائشة، وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، و أخرجه النسائى فى الكبرى (٦٥/٥)عن عائشة.

وأخرج أحمد ومسلم والنسائى عن أنس [٢٦٤] مرفوعاً دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدى فقلت ما هذه الخشفة فقيل الخميصاء بنت ملحان يعنى أم سليم الأنصارية.

وأخرج البخارى والترمذى وقال حسن صحيح وابن حبان فى صحيحه عن أنس أيضاً مرفوعاً « بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِى الْجَنَّةِ إِذْ عَرَضَ لِى نَهْرٌ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ — المجوف – قُلْتُ لِلْمَلَكِ مَا هَذَا قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذى أَعْطَاكَهُ اللَّهُ – قَالَ – ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى طِينَةٍ فَاسْتَخْرَجَ مِسْكاً ثُمَّ رُفِعَتْ لِى سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَرَأَيْتُ عِنْدَهَا نُوراً عَظِيماً »[١].

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه بسند جيد عن عائشة مرفوعاً ادخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل درجتين.

وأخرج الطبرانى فى الكبير بسند حسن عن أبى أمامة مرفوعاً دخلت الجنة فرأيت على باها الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر[٢].

وأخرج الطبرانى فى الكبير عن أوس بن أوس الثقفى مرفوعاً بينا أنا جالس إذ جاءنى جبريل فحملنى فأدخلنى جنة ربى فبينا أنا جالس إذ جعلت فى يدى تفاحة فانفلقت التفاحة بنصفين فخرجت منها جارية لم أر جارية أحسن منها حسنا ولا أجمل منها جمالا تسبح تسبيحا لم يسمع الأولون والآخرون بمثله فقلت من أنت يا جارية قالت أنا من الحور العين خلقنى الله تعالى من نور عرشه فقلت لمن أنت فقالت أنا للخليفة المظلوم عثمان بن عفان[٣].

وخرجه الملائى فى سيرته من حديث أنس وخيثمة بن سليمان من حديث عقبة بن عامر الجهنى راجع " الرياض النضرة " وأخرج ابن مردويه عن على بن أبى طالب أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله خبرنى بما رأيت [٢٦٥] فى الجنة ليلة أسرى بك

---

(١) أخرجه الترمذى(٥/٤٤٩) وقال هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أنس.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٨/٢٤٩).

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١/٢١٩).

فقال يا ابن الخطاب لو لبست فيكم ما لبس نوح فى قومه ألف سنة أحدثكم كما رأيت فى الجنة لما فرغت منه.الحديث ذكره السيوطى فى الجامع فى مسند على وهو يدل على أن ما حدث به النبى ﷺ عن الجنة والنار والعالم العلوى والسفلى شيء يسير جدا بل أقل من القليل بالنسبة لما يعلمه وأُطلع عليه من أحوال ذلك.

وأخرج الحاكم فى المستدرك عن أنس قال صلى النبى ﷺ ذات ليلة صلاة فمد يده ثم أخرجها فسألناه عن ذلك فقال إنه عرضت على الجنة فرأيت فيها أغصان دالية قطوفها دانية فأردت أن أتناول منها شيئا وعرضت على النار فيما بينكم وبينى حتى رأيت ظلى وظلكم فيها[1].

وأخرج أيضاً عن ابن مسعود رفعه أنه عرضت على الجنة فرأيت فيها دالية قطوفها دانية فأردت أن أتناول منها شيئا فأوحى إلى أن استأخر فاستأخرت وعرضت على النار فيما بينكم وبينى حتى رأيت ظلى وظلكم فيها فأومأت إليكم أن استأخروا فأوحى إلى أن أقرهم الحديث.

وأخرج أبويعلى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال بينا نحن فى صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبى بن كعب يا رسول الله صنعت اليوم فى الصلاة شيئا ما كنت تصنعه قال إنه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا [٢٦٦] من عنب لآتيكم به فحيل بينى وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه ما بين السماء والأرض لا ينقص منه ذكره ابن كثير فى تفسيره وأورده فى الجمع من عند أحمد وعبد بن حميد وأبى يعلى والشاشى والضياء عن جابر بلفظ عرضت على الجنة بما فيها من النضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بينى وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض ولا ينقص ثم عرضت على النار فلما وجدت سفعها تأخرت عنها الحديث.

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٥٠٣/٤)وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

وأخرج أحمد والحاكم فى المستدرك والضياء المقدسى من طريق الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه مرفوعاً إنه عرضت على الجنة بما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت قطفا من عنبها لآتيكم به ولو أخذته لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه فحيل بينى وبينه وعرضت على النار فلما وجدت حر شعاعها تأخرت الحديث(1).

وأخرج مسلم من حديث أنس أنه عليه السلام قال وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً ». قَالُوا وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ »(2).

وأخرج أحمد وابن أبى شيبة والترمذى وقال حسن صحيح واللفظ له والنسائى والحاكم وصححه والبيهقى فى الدلائل وابن جرير وابن مردويه عن حذيفة بن اليمان قال أُتِىَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يعنى ليلة الإسراء - بِدَابَّةٍ طَوِيلَةِ الظَّهْرِ مَمْدُودَةٍ هَكَذَا خَطْوُهُ مَدُّ بَصَرِهِ فَمَا زَايَلاَ ظَهْرَ الْبُرَاقِ حَتَّى رَأَيَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَوَعْدَ الآخِرَةِ أَجْمَعَ ثُمَّ رَجَعَا عَوْدَهُمَا عَلَى بَدْئِهِمَا قَالَ وَيَتَحَدَّثُونَ [٢٦٧] أَنَّهُ رَبَطَهُ لِمَ أَيَفِرُّ مِنْهُ وَإِنَّمَا سَخَّرَهُ لَهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ(3).

وفى لفظ عن حذيفة أنه حدث عن ليلة أسرى برسول الله ﷺ فقال ما زايل البراق حتى فتحت له أبواب السماوات فرأى الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع ثم عاد ولفظ ابن مردويه كما فى الدر المنثور فأرى ما فى السماوات وما أرى فى الأرض الحديث وفى الجمع للسيوطى أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل يضع حافره حيث منتهى طرفه فلم نـزايل ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس ففتحت لى أبواب السماء

---

(1) أخرجه أحمد (٣٥٢/٣) والحاكم فى المستدرك (٦٤٧/٤)وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(2) أخرجه مسلم (٣٢٠/١، رقم ٤٢٦).

(3) أخرجه الترمذى (٣٠٧/٥) وقال حديث حسن صحيح.

ورأيت أبواب الجنة والنار أحمد وابن أبي عمر وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والضياء عن حذيفة انتهى.

وأخرج أحمد والبخارى فى عدة مواضع منها فى الصلاة والرقاق والفتن والاعتصام ومسلم فى المناقب فى فضائل النبى ﷺ والترمذى فى التفسير، والنسائى فى الرقائق وغيرهم واللفظ للبخارى عن أنس بن مالك ﷺ أن النبى ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن بين يديها أمورا عظاما ثم قال من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه فوالله لا تسألونى عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت فى مقامى هذا قال أنس فأكثر الناس البكاء وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول سلونى سلونى قال أنس فقام إليه رجل فقال أين مدخلى يا رسول الله قال النار فقام عبد الله بن حذافة فقال من أبي يا رسول الله [٢٦٨] قال أبوك حذافة ثم أكثر أن يقول سالونى سالونى فبرك عمر على ركبتيه وقال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا قال فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك ثم قال رسول الله ﷺ أولى والذى نفسى بيده لقد عرضت على الجنة والنار آنفا فى عرض هذا الحائط وأنا أصلى فلم أر كاليوم فى الخير والشر(١).هكذا أورده فى باب ما يكره من كثرة السؤال من كتاب الاعتصام وساقه أيضاً بنحوه فى باب وقت الظهر من كتاب الصلاة وأورده فى باب التعوذ من الفتن من كتاب الفتن بلفظ عن أنس ﷺ قال سألوا النبى ﷺ حتى أحفوه بالمسألة فصعد النبى ﷺ ذات يوم المنبر فقال لا تسألونى عن شيء إلا بينته لكم ولفظ رواية مسلم لا تسألونى عن شيء إلا بينته لكم فلما سمع ذلك القوم أرموا ورهبوا أن يكون بين يديه أمر قد حضر ثم قال البخارى فى روايته عن أنس فجعلت أنظر يمينا وشمالا فإذا كل رجل رأسه فى ثوبه يبكى فأنشأ رجل كان إذا لاح يدعى إلى غير أبيه فقال يا نبى الله من أبي فقال أبوك حذافة ثم أنشأ عمر فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا نعوذ بالله من سوء الفتن فقال النبى ﷺ ما رأيت فى

---

(١) أخرجه البخارى (٦/٢٦٦٠، رقم ٦٨٦٤) ومسلم (٤/١٨٣٢، رقم ٢٣٥٩).

الخير والشر كاليوم قط إنه عرضت لى الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط وفى رواية مسلم لم أر كاليوم قط فى الخير والشر إنى صورت لى الجنة [٢٦٩] والنار فرأيتهما دون هذا الحائط.

وأورده البخارى أيضاً فى باب رفع البصر إلى الإمام فى الصلاة ولفظه فيه عن أنس بن مالك قال صلى لنا النبى ﷺ ثم رقى المنبر فأشار بيده قبل قبلة المسجد ثم قال لقد رأيت الآن منذ صليت لكم الجنة والنار ممثلتين فى قبلة هذا الجدار فلم أر كاليوم فى الخير والشر ثلاثا وفى لفظ لمسلم فى الفضائل عن أنس بن مالك بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال عرضت على الجنة والنار فلم أر كاليوم فى الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الحديث.

وقد ذكره السيوطى فى جامعه الصغير من عنده فقال شارحه المناوى فى " فيض القدير " ما نصه وقد تجلى له ﷺ الكون كله وزويت له الأرض بأسرها فأرى مشارق الأرض ومغاربها وكل ذلك عند اندراج المسافات فى حقه انتهى.

قلت وقوله فى عرض هذا الحائط العُرض بضم العين الجانب وقيل الوسط وقيل الجهة وعرض الجنة والنار عليه فى الحائط يحتمل أن يكون حقيقة وأنه عليه السلام رآهما من ذلك الموضع كما يقال رأيت الهلال فى منـــزلى فى الطاق والمراد من موضع الطاق ويدل له قوله فى الحديث الآخر فتناولت منها قطفا من عنب لكن هذه رؤية أخرى فى صلاة الكسوف غير هذه الرؤية أنها فى صلاة الظهر ويحتمل أن يكون مجازا من باب التمثيل وأنه ضرب له [٢٧٠] ﷺ مثلهما وشرح له أمرهما بأمر أريه فى الحائط وجهته ويدل عليه رواية مثلت لى وصورت لى والقدرة صالحة لكليهما وقد قال الأُبى فى شرح مسلم قال القرطبى ظاهر أحاديث الكسوف أنه ﷺ رأى الجنة حقيقة لتناوله العنقود والنار لتأخره مخافة أن يصيبه لهبها ولقوله ﷺ رأيت فيها فلانا وفلانا وظاهر هذه الأحاديث يعنى أحاديث صلاة الظهر أنها صورت له ﷺ ولا إحالة فى ذلك كما تصور الأشياء فى الأجسام الصقيلة فإن قلت الحائط ليس بصقيل قيل الصقالة شرط عادى لا عقلى فيجوز أن تنخرق له العادة فتمثل له فى الحائط انتهى.

ويأتى قريبا عن شيخ مؤلف الإبريز أنه عليه الصلاة والسلام توجه ببصيرته إلى الجنة والنار وهو فى الصلاة حتى بلغ نورها إليهما وحضرت صورتهما فيها ثم تعدى ذلك إلى بصره وكان المقابل له عرض الحائط فرأى صورتهما مرتسمة فيه ﷺ وفى الجمع للسيوطى حديث من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه فوالله لا تسألونى عن شيء إلا أخبركم به ما دمت فى مقامى هذا والذى نفسى بيده لقد عرضت على الجنة والنار آنفا فى عرض هذا الحائط وأنا أصلى فلم أركا اليوم فى الخير والشر أحمد والبخارى ومسلم عن أنس انتهى.

رؤيته ﷺ لما فى السماوات وما الأرض ووعد الآخرة

وأحاديث هذا الباب أعنى باب رؤيته ﷺ الجنة والنار وما فيهما كثيرة وفيما تقدم زيادة [٢٧١] أنه أرى ما فى السماوات وأرى ما فى الأرض ووعد الآخرة أجمع وأنه قال سلونى لا تسألونى عن شيء يعنى أى شيء كان من أحوال الدنيا والآخرة وأحوال الملك والملكوت مما وقع أو واقع أو هو يقع الآن إلا بينته لكم وفى كنـز العمال حديث لا تسألونى عن شيء إلى يوم القيامة إلا حدثتكم أحمد والبخارى ومسلم عن عائشة انتهى.

وأخرج البخارى فى العلم والاعتصام ومسلم فى الفضائل من حديث أبى موسى قال سُئِلَ النَّبِىُّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ – وفى رواية أكثروا عليه المسألة – غَضِبَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ « سَلُونِى عَمَّا شِئْتُمْ ». قَالَ رَجُلٌ مَنْ أَبِى قَالَ « أَبُوكَ حُذَافَةُ ». فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ مَنْ أَبِى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ « أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ ». فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِى وَجْهِهِ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[1].

وأخرج أحمد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ

---

(١) أخرجه البخارى (١/٤٧، رقم ٩٢)ومسلم(٤/١٨٣٤، رقم ٢٣٦٠).

بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ لاَ تَسْأَلُونِى عَنْ شَىْءٍ إِلاَّ أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ ». فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ مَنْ أَبِى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « أَبُوكَ حُذَافَةُ بْنُ قَيْسٍ » الحديث[1].

وأخرج أبو يعلى بسند صحيح عن أنس قال خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان فخطب الناس فقال لا تسألونى عن شيء إلا أخبرتكم به ونحن نرى أن جبريل معه فقال عمر يا رسول الله إنا كنا حديث عهد بجاهلية فلا تبد علينا [٢٧٢] سوآتنا فاعف عنا عف الله عنك.

وأخرج أيضاً بسند لا بأس به عن ابن عمر مرفوعاً لا يزال هذا الحى من قريش آمنين حتى يردوهم عن دينهم كفارا فقام إليه رجل قال يا رسول الله أفى الجنة أنا أم فى النار فقال فى الجنة ثم قام إليه آخر فقال أفى الجنة أنا أم فى النار قال فى النار ثم قال اسكتوا عنى فأسكت عنكم فلولا أن تدافنوا لأخبرتكم بملأ من أهل النار حتى تعرفوهم ولو أمرت أن أفعل لفعلت.

فهذه أحاديث تدل على معرفته بكل شيء حتى بأهل الجنة وأهل النار تفصيلاً إلا أنه كان يسكت عن أكثر الأشياء ولا يبديها لما يخشى فى ذلك تارة ولعدم الإذن له تارة أخرى.

– معرفته ﷺ بأهل الجنة والنار –

ومما يصرح بمعرفته بأهل الجنة والنار تفصيلاً ما أخرجه أحمد والترمذى فى أبواب القدر فى باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار والنسائى وابن أبى حاتم كلهم من طريق أبى قبيل حيى بن هانئ المعافرى البصرى عن شفى بن ماتع الأصبحى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِى يَدِهِ كِتَابَانِ فَقَالَ « أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ ». فَقُلْنَا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلاَّ أَنْ تُخْبِرَنَا.فَقَالَ لِلَّذِى فِى

(١) أخرجه أحمد (٢/٥٠٣).

يَدِهِ الْيُمْنَى « هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلاَ يُزَادُ فِيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَداً ». ثُمَّ قَالَ لِلَّذِى فِى شِمَالِهِ « هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ[٢٧٣] وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلاَ يُزَادُ فِيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَداً » فَقَالَ أَصْحَابُهُ فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَقَالَ « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَىَّ عَمَلٍ وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَىَّ عَمَلٍ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا ثُمَّ قَالَ « فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ » قال الترمذى وفى الباب عن ابن عمر وهذا حديث حسن غريب صحيح انتهى[1].

وقال الحافظ ابن حجر إسناده حسن وفى الخلعيات وهى الفوائد المنتقاه الحسان من الصحاح والغرائب تخريج أبى نصر الشيرازى من أصول سماعات القاضى أبى الحسن على بن الحسن بن الحسين الخلعى وهى عشرون جزءا فى الجزء السادس منها من طريق ابن لهيعة حدثنا أبو قبيل أنه سمع شفيا يقول حدثنا رجل من أصحاب النبى ﷺ قال أبو قبيل لا أحسبه إلا عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال هذا كتاب من رب العالمين فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا وهذا كتاب من رب العالمين فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا الحديث وساقه البغوى فى تفسيره من طريق بشر بن بكر عن سعيد بن عثمان عن أبى الزاهرية عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ بنحوه ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبى قبيل عن شفى عن رجل من الصحابة فذكره.

وأخرج أيضاً فى تفسيره عن ابن عباس قال خرج النبى ﷺ فسمع ناسا من أصحابه [٢٧٤] يذكرون القدر فقال إنكم قد أخذتم فى شعبتين بعيدتى الغور فيهما

---

(١) أخرجه الترمذى(٤/٤٤٩، رقم ٢١٤١) وأحمد (٢/١٦٧) والنسائى(٦/٤٥٢).

هلك أهل الكتاب من قبلكم ولقد أخرج يوما كتابا فقال وهو يقرؤه هذا كتاب من الرحمن الرحيم فيه تسمية أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم مجمل على آخرهم لا ينقص منهم أحد، فريق فى الجنة وفريق فى السعير ثم أخرج كتابا آخر فقرأه علينا كتاب لمن الرحمن الرحيم فيه تسمية أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم مجمل على أخرهم لا ينقص منهم أحد، فريق فى الجنة وفريق فى السعير، ذكره فى كنـــز العمال.

وقد ذكر الشيخ الأكبر فى فتوحاته فى الباب الخامس عشر وثلاثمائة حديث الكتابين هذا بعد أن تعرض لذكر علم ضم المعانى بعضها إلى بعض فى حضرة الكلمات وذكر أنه علم عجيب وأنه رآه وشاهده وقال بعده ما نصه ولو أخذ المخلوق يكتب هذه الأسماء على ما هى عليه من هذين الكتابين لما قام بذلك كل ورق فى العالم قال فمن هنا يعرف كتابة الله من كتابة المخلوقون انتهى.

وذكره أيضاً قبل هذا فى الباب الرابع وثلاثمائة وزاد بعده ما نصه مع صغر جرم الكتابين وكثرة الأسماء فيعلم من ذلك إيراد الكبير على الصغير من غير تكبير الصغير أو تصغير الكبير وإلا فأى ديوان يحصر أسماء هؤلاء ويعلم أن الأمر الذى لا يحيله العقل لا يستحيل نسبة إلاهية فتعلم أن الله قادر على إيجاد المحال العقلى كإدخال الجمل فى سم الخياط مع بقاء هذا على صغره وهذا على كبره انتهى منه بلفظه.

قيل وقصد به رد ما ذكره المتكلمون من أن قدرته تعالى [٢٧٥] لا تتعلق بإيجاد المحال العقلى ومثلوا له بجعل الدنيا بأثرها فى قشرة فستقة أو بيضة مع بقاء كل منهما على حاله لأن الأجسام الكثيرة يستحيل عندهم أن تتداخل وتكون فى حيز واحد أى مكان صغير وما للمتكلمين من عدم تعلق القدرة بالمحال العقلى هو الذى انفصل عنه غير واحد من الأئمة الكبار كالشيخ الأستاذ أبى إسحاق الإسفرايينى فى كتاب " الترتيب " فى أصول الفقه ونقله عن أبى الحسن الأشعرى وكالشيخ بدر الدين الزركشى فى شرحه لجمع الجوامع وكالشيخ أبى عبد الله محمد بن يوسف السنوسى فى شرحه لصغراه وكالعارف بالله أبى زيد عبد الرحمن محمد الفاسى فى حواشيه عليه بل

هو مذهب أهل السنة وعقيدة أهل الله تعالى وهذا الذى للشيخ الأكبر قال بعضهم إنه كلام لا يجوز اعتقاد ظاهره قال وقد قيل إنه مدسوس عليه والله أعلم انتهى.

وأقول المتعين أن كلام الشيخ الأكبر لا يؤخذ على ظاهره وأنه ليس فى المحال العقلى حقيقة كما يتبادر منه لما فيه من المخالفة للعقيدة السنية التى لا يخالفها الشيخ ولا يخرج عنها بحال ولم يلزم عليه من المحالات التى منها قلب الحقائق وتعلق القدرة بإيجاد الشريك والولد ونحوه تعالى الله عن ذلك وإنما هو فى خصوص أشياء ظهر للمتكلمين أنها من المحال العقلى وظهر له هو من كشفه أنها فى نفس الأمر وعند الله تعالى ممكنات يصح تعلق القدرة بها منها هذه المسألة أعنى مسألة إيراد الكبير على الصغير مع بقاء كل منهما على حاله وحينئذ فهى مما تقصر العقول عنه لا مما تحيله [٢٧٦] وجعل الشيخ لها من المحال العقلى هو بالنظر إلى مذهب المتكلمين لا بانظر إلى فهمه لقوله إن ذلك لا يستحيل نسبة إلاهية وقد قالوا إن وراء طور العقل أطوارا كثيرة لا نهاية لها دنيا وأخرى ولا ينقل العبد فيها من طور إلى طور إلا ربه عز وجل بتهيأته لذلك بحسن المعاملة والتقوى وسلوك مسالك الأولياء العارفين وفى كلام للشيخ صدر الدين القونوى قال إن للعقول حدا تقف عنده من حيث هى مقيدة بأفكارها فقد تحكم باستحالة أشياء كثيرة هى عند أصحاب العقول المطلقة من القيود المذكورة من قبيل الممكنة الوقوع بل واجبة الوقوع لأنه لا حد لعقول مطلقة تقف عنده بل ترقى دائما فتتلقى من الجهات العلية والحضرات الإلهية وعلى الجملة ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [فاطر: ٢] انتهى.

وقال عين القضاه الهمدانى قدس سره فى تناهيده لا تبادر إلى التكذيب فيما لا يدركه عقلك الضعيف فإن العقل خلق لإدراك بعض الموجودات كما أن البصر خلق لإدراك بعض المحسوسات وهو عاجز عن إدراك المشمومات والمسموعات والمذوقات

فكذلك العقل يعجز عن إدراك كثير من الموجودات نعم هو مدرك لأشياء محصورة قليلة بالإضافة إلى كثيرة الموجودات التى هو عاجز عن إدراكها انتهى.

وقال النابلسى فى شرحه للتائية الكبرى لابن الفارض لدى قوله فما فوق طور العقل أول قبضتى ما نصه يعنى أن القبضة الأولى من ابتداء الفتح الربانى [٢٧٧] فوق طور العقل الطور الأول الذى فيه العقلاء فلا يدرك العقلاء من حيث أفكارهم ما يدركه العارفون فى الطور الذى فوق طور العقل ومن هنا يقع الإنكار من عقلاء العلماء على أحوال العارفين وأقوالهم انتهى.

وقد ذكر الشيخ الأكبر ﷺ أن أهل الجنة ينكحون جميعا نسائهم وجواريهم فى آن واحد نكاحا حسيا بإيلاج ووجود لذة خاصة بكل امرأة من غير تقدم قال وهذا هو النعيم الدائم والاقتدار الإلهى والعقل يعجز عن إدراك هذه الحقيقة من حيث فكره وإنما يدركه بقوة إلاهية فى قلب من شاء من عباده والله على كل شيء قدير انتهى.

وذكر أيضاً فى الباب السادس والثمانين ومائتين من فتوحاته إنه شوهد فى منـــزل النور الذى لا شعاع له من المنازل الإلهية إتساع الصغير لدخول الكبير فيه مع بقاء كل منهما على حاله حسا لا خيالا وقد وسعه ولا تدرى كيف ولا تنكر ما تراه قال فسبحان من تعالى أى ارتفع عن إدراك ما تطيقه العقول وفضل إدراك البصر عليها لا إله إلا هو العزيز الحكيم انتهى راجعه.

وفى الإبريز فى صدر الباب الأول بعدما ذكر فيه سؤال شيخه ﷺ عن هذا الحديث مع ما يقوله علماء الكلام من أن القدرة تتعلق بالممكنات دون المستحيل ما نصه فأجاب ﷺ وأما ما قاله علماء الكلام وأهل السنة والجماعة رضى الله عنهم هو العقيدة ولا يمكن أن يكون فى أطوار الولاية ولا فى معجزات الرسالة ما تحيله العقول نعم يكون فيهما ما تقصر [٢٧٨] عنه العقول فإذا أرشدت إلى المعنى المراد قبلته وأذعنت له والكتابة المذكورة فى هذين الكتابين كتابة نظر كتابة قلم وذلك أن صاحب البصيرة لا سيما سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد ﷺ إذا توجه قصده إلى شيء لأن ينظره فإن بصيرته تخرق الحجب التى بينه وبين المنظور إليه حتى

يبلغ نورها إليه ويحيط به فإذا حصلت صورة المنظور إليه فى البصيرة وفرضناها بصيرة كاملة فإن حكمها يتعدى إلى البصر وتصير القدرة الحاصلة لها حاصلة للبصر أيضاً فيرى البصر الصورة مرتسمة له فيما يقابله فإن كان المقابل له حائطا رآها فى حائط وإن المقابل له يده رآها فى يده وإن كان المقابل لها قرطاسا رآها فى قرطاس وعلى هذا يتخرج حديث مثلت لى الجنة والنار فى عرض هذا الحائط لأنه ﷺ توجه ببصيرته إليهما وهو فى صلاة الكسوف فخرق ذلك إلى بصره وكان المقابل له عرض الحائط فرأى صورهما فيه ﷺ.

وعليه أيضاً يتخرج حديث الكتابين فإنه ﷺ توجه ببصيرته إلى الجنة فحصلت صورته فى بصره وكان المقابل له الكتاب الذى فى يمينه فجعل عليه الصلاة والسلام ينظر إلى صورة الجنة وسكانها فى ذلك الجرم الذى فى يمينه فقال هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وقبائلهم وآبائهم ثم توجه ببصيرته إلى النار فحصلت صورتها فى البصر وكان [٢٧٩] المقابل له الجرم الذى فى شماله فجعل ينظر إلى صورتها وجميع ما فيها فقال هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وآبائهم وقبائلهم فإن كان فى حديث مثلت لى الجنة والنار إشكال ففى هذا إشكال وإن كان لا إشكال فيه فهذا أيضاً لا إشكال فيه.

ومبنى الإشكال على حمل الكتابة على كتابة القلم ولو كانت هناك كتابة بالقلم لتناقضت مع آخر الحديث بأن فيه ثم نبذهما أى الكتابين أى طرحهما ورمى بهما وكيف يرمى ﷺ بكتاب جاء من رب العالمين وفيه أسماء أصفيائه ورسله وخيرته من خلقه والنبى ﷺ أشد الخلق تعظيما لله ولرسله وملائكته وإنما سمى الصورة الحاصلة فى الجرم كتابة لمشابهتها للكتابة فى الدلالة على ما فى الخارج على أن ما فى الخارج قد تطلق أيضاً الكتابة عليه لأن الكتابة مأخوذة من الجمع فكل مجموع يقال فيه مكتوب ومنه سميت كتائب الحرب كتائب لتكتبها واجتماعها والواحدة كتيبة أى مكتوبة ومجموعة ومضمومة إلى غيرها من الكتائب وإنما أضيفت الكتابة إلى رب العالمين لأن النور الذى هو سبب فى حصول الصورة التى عبر عنها بالكتابة ليس هو من طوق

العبد ولا من كسبه وإنما هو مد ربانى ونور من عند الله سبحانه فخرج من هذا أن المراد بالكتابة الصورة الحاصلة فى النظر لا غير ومصورها فى النظر مشكل لحصول سائر الأشياء فى النظر فإن إنسان العين مع صغره ترسم فيه الصور العظيمة كصورة السماء وهو أصغر من [٢٨٠] العدسة فالحديث من نوع الممكنات وهكذا سائر المعجزات والخوارق والله أعلم انتهى منه بلفظه.

وهو غير ما للشيخ الأكبر لأن ظاهر كلامه أنه فهم أنهما كتابة لقوله بجواز إيراد الكبير على الصغير مع بقاء كل واحد منهما على حاله جسالا خيالا فحمل الحديث على ذلك والشيخ مولانا عبد العزيز فهم أن الكتابة المذكورة فيه كتابة خيال ونظر وهو متداخل ولا يترتب على اجتماعها فى جرم صغير محال والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأخرج أحمد والبخارى فى عدة مواضع منها غزوة أحد ومسلم فى كتاب الفضائل عن عقبة بن عامر قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ، كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ « إِنِّى بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، وَإِنِّى لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِى هَذَا، وَإِنِّى لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّى أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا ». قَالَ فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [1].

فأخبر أنه كشف له عن الحوض وأنه ينظر إليه يعنى نظرا حقيقيا من مقامه ذلك وهو فوق المنبر وأنه أعطى مفاتيح خزائن الأرض وقد أورده البخارى أيضاً فى الجنائز فى باب الصلاة على الشهيد ولفظه فيه عن عقبة بن عامر إن النبى ﷺ خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال إنى فرطكم وأنا شهيد عليكم إنى والله لأنظر إلى حوضى الآن وإنى قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض الحديث وبهذا اللفظ ذكره أيضاً فى علامات النبوة وكذا فى باب أحد يحبنا ونحبه قبيل غزوة [٢٨١] الرجيع إلا أنه قال فيه إنى فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإنى لأنظر إلى

---

(١) أخرجه البخارى (٤/١٤٨٦، رقم ٣٨١٦)وأحمد (٤٣١/٥).

حوضى الآن وإنى أعطيت مفاتيح الخزائن أو قال مفاتيح الأرض... الحديث وهو لفظ مسلم أيضاً إلا أنه قال وإنى والله لأنظر وقال وإنى قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض ويتعلق بخصوص إعطائه للخزائن الإلهية المشار لها بقوله تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ [الحجر:٢١] وقوله ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[المنافقون:٧] ولمفاتيحها المشار إليها بقوله ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الزمر:٦٣] أحاديث عديدة نذكر الآن جملة منها:

أخرج أحمد والشيخان وغيرهم عن أبى هريرة مرفوعاً بين وفى رواية بينما أنا نائم إذ أتيت بخزائن الأرض[1]... الحديث ولفظ مسلم من طريق همام ابن منبه قال هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها وقال رسول الله ﷺ بين أنا نائم أتيت خزائن الأرض... الحديث وفى الجمع والجامع للسيوطى: بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبين أنا نائم أوتيت بمفاتيح الغيب فوضعت فى يدى يعنى بالإفراد وفى رواية بالتثنية الشيخان والنسائى عن أبى هريرة انتهى.

قلت بهذا اللفظ أخرجه أيضاً أحمد عن أبى هريرة وفى لفظ آخر له عنه نصرت بالرعب وأوتيت خواتيم الكلام وبينما أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدى وفى أخرى له وللبيهقى فى السنن عن طاوس مرسلاً نصرت بالرعب [٢٨٢] وأعطيت الخزائن الحديث.

وفى الجمع نصرت بالرعب وأعطيت جوامع الكلم وبين أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدى. أحمد عن أبى هريرة انتهى.

وأخرج الشيخان والترمذى عن سمرة بن جندب مرفوعاً نحن الآخرون السابقون، وبين أنا نائم إذ أوتيت بخزائن الأرض الحديث.

---

(١) أخرجه البخارى(٣/١٠٨٧، رقم ٢٨١٥) وأحمد (٢/٤٥٥).

وأخرج أحمد والبخارى والترمذى عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَت اسْتَيْقَظَ النَّبىُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ « سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ»الحديث[1]

كأنه أوحى إليه فى نومه ذلك بما سيقع بعده من الفتن وبما يفتح عليه وعلى أمته بعده من الخزائن أى خزائن الرحمة الإلهية والأعطية الربانية أو خزائن الأقضية أو خزائن فارس والروم ونحوهما فعبر عن ذلك بالإنــزال ويحتمل أنه على ظاهره وأن صور ذلك نــزلت إلى سماء الدنيا أو إلى الأرض فرآها والله أعلم.

وأخرج أحمد وابن أبى شيبة والبيهقى عن على مرفوعاً « أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ ». فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هُوَ قَالَ « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ الحديث[2].

وفى رواية أخرى له عنه أعطيت أربعا لم يعطهن أحد من أنبياء الله أعطيت مفاتح الأرض الحديث رمز السيوطى لصحته

قال فى التيسير وفيه نظر وقال فى فيض القدير كيف وقد أعله الهيثمى وغيره بأن فيه عبد الله بن محمد بن عقيل أى راويه عن محمد بن على عن أبيه سيء الحفظ وإن كان صدوقا فالحديث حسن لا صحيح انتهى.

وخرج ابن سعد فى طبقاته عن سالم [٢٨٣] بن أبى الجعد أن رسول الله ﷺ قال أوتيت فيما يرى النائم مفاتيح الدنيا.

وأخرج أحمد والطبرانى فى الكبير عن ابن عمر مرفوعاً « رَأَيْتُ — وفى رواية لقد رأيت - قُبَيْلَ الْفَجْرِ كَأَنِّى أُعْطِيتُ الْمَقَالِيدَ وَالْمَوَازِينَ فَأَمَّا الْمَقَالِيدُ فَهَذِهِ الْمَفَاتِيحُ وَأَمَّا الْمَوَازِينُ فَهَذِهِ الَّتِى تَــزِنُونَ بِهَا فَوُضِعْتُ فِى كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ أُمَّتِى فِى كِفَّةٍ فَوُزِنْتُ بِهِمْ

---

(١) أخرجه البخارى (٥٤/١، رقم ١١٥)وأحمد (٢٩٧/٦)والترمذى (٤٨٧/٤)وقال الترمذى حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٩٨/١) وابن أبى شيبة (٨٠٤/٦)والبيهقى فى الكبرى (٢١٣/١).

فَرَجَحْتُ ثُمَّ جِيءَ بِأَبِي بَكْرٍ فَوُزِنَ بِهِمْ فَوَزَنَ ثُمَّ جِيءَ بِعُمَرَ فَوُزِنَ فَوَزَنَ ثُمَّ جِيءَ بِعُثْمَانَ فَوُزِنَ بِهِمْ ثُمَّ رُفِعَتْ »[1] راجع الجمع فى حرف الراء واللام.

وأخرج الحاكم فى الكنى عنه أيضاً مرفوعاً أريت قبل الغداة كأنى أعطيت المقاليد.

وأخرج أحمد وابن حبان فى صحيحه والضياء المقدسى فى المختارة برجال الصحيح وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما مرفوعاً: أتيت بمقاليد الدنيا أى بمفاتيحها على فرس أبلق أى لونه مختلط ببياض وسواد جاءنى به جبريل عليه قطيفة من سندس أى ما رق من الدباج قال فى التيسير وهو الصحيح ووهم ابن الجوزى انتهى.

أى حيث أورده فى موضوعاته زاد فى التيسير فخيره بين أن يكون نبيا عبدا أو نبيا ملكا فاختار الأول وترك التصرف فى خزائن الأرض فعوض التصرف فى خزائن السماء انتهى.

ويعنى بكونه ترك التصرف فى خزائن الأرض أنه لم يأخذ من أموالها ونفائسها وزهد فيها وفى مملكتها رغبة فيما عند الله تعالى ولزوما لمقام العبودية الذى هو مقامه عليه الصلاة والسلام وبكونه عوض عنها التصرف فى خزائن السماء أى أنه أعطى التصرف فى الخزائن العلوية كلها الذى من أعطيه [٢٨٤] كان له التصرف فى المملكة الربانية بأجمعها، ولذا لما أمر القمر أن ينشق فرقتين امتثل أمره وانشق وأمر الشمس مرة بعد الغروب بالرجوع فرجعت وطلعت بعدما غربت ومرة أخرى بالوقوف وعدم الغروب فوقفت له حتى قضى وتره منها وطلب نـزول المطر فنـزل ومرة أخرى حبسه فانحبس وإرسال الرياح فأرسلت وإمساكها فأمسكت إلى غير ذلك، ولما أسرى به أتته ملائكة السماوات فما فوقها خاضعة طائعة وأظهر الكل الانقياد له والدخول تحت حكمه وولايته وجاءت لدعوته الأشجار والأحجار والحيوانات العجم وكلمته بلسانها وسجدت له وانقادت لأمره وأتاه ملك الجبال وقال له بعثنى إليك ربك لتأمرنى

---

(١) أخرجه أحمد ٧٦/٢).

بأمرك وأخبر عن نفسه كما يأتى أنه لو شاء أن تصير معه الجبال ذهبا لصارت إلى غير ذلك.

وأخرج الطبرانى بسند حسن والبيهقى فى الزهد من طريق عطاء عن ابن عباس فى حديث له يأتى بعد بتمامه إن شاء الله تعالى إن إسرافيل أتاه فقال إن الله بعثنى إليك بمفاتيح خزائن الأرض الحديث(١).

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه من طريق إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أيضاً أنه أتاه رضوان خازن الجنان ومعه صفت من نور يتلألأ فقال هذه مفاتيح خزائن الدنيا فنظر النبى ﷺ إلى جبريل كالمستشير له فضرب جبريل بيديه إلى الأرض أن تواضع فقال يا رضوان لا حاجة لى فيها فنودى أن ارفع بصرك فرفع فإذا السماوات فتحت أبوابها إلى العرش وبدت جنة [٢٨٥] عدن فرأى منازل الأنبياء وعرفهم وإذا منازله فوق منازل الأنبياء فقال رضيت قال ابن عساكر هذا حديث منكر إسحاق كذاب وجويبر ضعيف نقله فى الخصائص الكبرى وطريق الجمع بين هذه الروايات تعدد المجيء بالمفاتيح إليه فى النوم تارة وفى اليقظة أخرى من جبريل مرة ومن إسرافيل مرة ومن رضوان مرة والظاهر أن المأتى به ثانيا منها فيه زيادة على المأتى به أولاً كما وكيفا وكذا المأتى به ثالثا ورابعا حتى كان المأتى به أخيرا مفاتيح الكون أجمع بسائر أنواعه وجميع تصرفاته وأحواله لكونه خليفة الله الأكبر فى العالم كله ونائبه فى المملكة الربانية بأجمعها.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٨٨/٧) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣١٥/١٠) فيه سعدان بن الوليد ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

– المراد بالخزائن فى أحاديثه ﷺ –

ولنذكر أقاويل العلماء والصوفية فى هذا فنقول:

– من العلماء من قال المراد بالخزائن فى هذه الأحاديث المعادن الأرضية من زمرد وياقوت وذهب وفضة، ومنهم من قال المراد بها البلاد التى هذه المعادن فيها.

– ومنهم من قال ممالبك الكفار التى فتحت له ولأمته من بعده.

– ومنهم من قال خزائن تلك الممالبك.

– ومنهم من قال المقصود من هذ، أن الله تعالى ملكه جميع الأموال ما بأيدى الناس وما ليس بأيديهم فالكل جعله الله له وجعل له التصرف فيه بما شاء بإذن من هو بيده وبغير إذنه.

– ومن الصوفية وأهل الذوق من قال المراد بها الحقائق الإلهية وهى المعبر عنها بالأسماء والصفات أوتيها ﷺ لقطبيته وخلافته فالخزائن له تعالى والتصرف [٣٨٦] بها وفيها لخليفته الأعظم ﷺ.

– ومنهم من قال المراد بها خزائن المملكة الربانية بأسرها والكون بتمامه أعطى ﷺ مقاليدها ومفاتيحها ليتصرف فيها بما شاء وكيف شاء.

وعلى هذا قول الشيخ الأكبر فى فتوحاته فى الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة بعدما ذكر أن من كماله ﷺ أنه خص بست لم تكن لنبى قبله ما نصه فأخبر ﷺ أنه أعطى مفاتيح الخزائن وهى خزائن أجناس العالم ليخرج إليهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم إذ علمنا أنه السيد ومن اعتبر تعيين الخزائن فى الأرض فليس فى الأرض إلا خزائن المعادن والنبات لا غير ثم قال فلما أعطى ﷺ مفاتيح خزائن الأرض علمنا أنه حفيظ عليم فكل ما ظهر من رزق فى العالم فإن الاسم الإلهى لا يعطيه إلا عن أمر محمد ﷺ الذى بيده المفاتيح كما اختص الحق تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها إلا هو وأعط هذا السيد منــزلة الاختصاص بإعطائه مفاتيح الخزائن انتهى منه بلفظه.

وفى " المواهب اللدنية " ما نصه ومنها يعنى من خصائصه ﷺ أنه أعطى مفاتيح الخزائن قال بعضهم وهى خزائن أجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم

فكل ما ظهر من رزق فى العالم فإن الاسم الإلهى لا يعطيه إلا عن محمد ﷺ الذى بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو وأعطى هذا السيد الكريم منــــزلة الاختصاص بإعطائه مفاتيح الخزائن انتهى.

ولم يعين هذا البعض القائل لا هو ولا شارحه وقد علمت أنه الشيخ الأكبر.

وفى شرح همزية الإمام البوصيرى لابن حجر الهيتمى لدى قولها يا أبا القاسم ما نصه ووجه اختصاص تلك الكنية به ﷺ الإعلام بأنه ﷺ هو الخليفة الأعظم عن الله تعالى فى جميع شئونه لا سيما مقام قسمة الأرزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال ﷺ فى الحديث الصحيح أيضاً إنما أنا قاسم والله يعطى ولأجل هذا عدوا من خصائصه ﷺ أنه أعطى مفاتيح الخزائن قال بعض العلماء وهى خزائن أجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ما ظهر فى هذا العالم فإنما يعطيه محمد ﷺ الذى بيده المفاتيح وكما اختص تعالى بمفاتيح الغيب الكلى فلا يعلمها إلا هو كذلك اختص ﷺ بإعطائه مفاتيح الخزائن الإلهية فلا يخرج منها شيء إلا على يديه ﷺ انتهى.

ونحوه أو مثله ذكره الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بنيس فى شرحها أيضا.

وفى " فيض القدير " فى الكلام على حديث أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء قبلى نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح خزائن الأرض الحديث ما نصه والمراد خزائن العالم بأسره ليخرج لهم بقدر ما يستحقون فكل ما [٢٨٨] ظهر فى العالم فإنما يعطيه الذى بيده المفتاح بإذن الفتاح وكما اختص سبحانه بمفاتيح علم الغيب الكلى فلا يعلمها إلا هو خص حبيبه فأعطاه مفاتيح خزائن المواهب فلا يخرج شيء منها إلا على يده انتهى منه بلفظه.

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان فى صحيحيهما وأبو نعيم فى الدلائل وغيرهم عن ثوبان مرفوعاً « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ – أى ضمها وجمعها – فَرَأَيْتُ – وفى رواية فأريت وفى أخرى

حتى - مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِى سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِىَ لِى مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ الحديث [1].

وفى لفظ لابن ماجه عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ إن رسول الله ﷺ قال زويت لى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأعطيت الكنــزين الأصفر أو الأحمر والأبيض يعنى الذهب والفضة وقيل لى إن ملكك إلى حيث زوى لك.الحديث.

وأخرج أحمد والضياء المقدسى فى المختارة من حديث شداد بن أوس مرفوعاً « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ زَوَى لِىَ الأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِى سَيَبْلُغُ مَا زُوِىَ لِى مِنْهَا وَإِنِّى أُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَبْيَضَ وَالأَحْمَرَ »[2]يريد بالأحمر الذهب وبالأبيض الفضة والمراد بهما ما أفاءه الله على رسوله وأمته من كنوز كسرى وهرقل وقد امتدد والحمد لله سلطان أمته فى مشارق الأرض ومغاربها فطبق ما بين أقصى الأرض الهند إلى مشارق الصين ثم بعد فى المغرب إلى بحر طنجه حيث [٢٨٩] لا عمارة وراءه وذلك مما لم يتقدم مثله لأمة من الأمم السالفة وظهر بذلك مصداق هذا الحديث الشريف.

وأخرج البيهقى وأبو نعيم فى دلائليهما عن البراء بن عازب قال لما كان يوم الخندق أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق وعرضت لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك إلى رسول الله ﷺ فجاء فلما رآها النبى ﷺ ألقى ثوبه وأخذ المعول وقال بسم الله ثم ضرب ضربة فكسر ثلثها وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إنى لأنظر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع ثلثها الآخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إنى لأنظر قصر المدائن الأبيض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢١٥/٤، رقم ٢٨٨٩)والترمذى (٤٧٢/٤)وأحمد (٢٧٨/٥)وأبو داود (٤/ ٩٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٢/٤).

إنى لأنظر إلى صنعاء من مكانى هذا الساعة وإنى لأنظر أبواب صنعاء من مكانى هذه الساعة.

وأورده فى الجمع وفى كنـــز العمال عازين له لأحمد وللنسائى عن البراء بلفظ الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إنى لأبصر قصورها الحمر من مكانى هذا الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إنى لأنظر المدائن وأنظر قصورها البيض من مكانى هذا الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إنى لأنظر إلى أبواب صنعاء من مكانى هذا.

قلت: وهو محمول على النظر الحقيقى والرؤية الحقيقية خلافا [٢٩٠] لمن حمله كأمثاله على الرؤية القلبية أو على العلم بأنه عدولا عن الظاهر وتكلف بلا موجب وتقصير فى جانب من عظم الله.

وأخرج البيهقى من طريق ابن إسحاق قال حدثت عن سلمان قال ضربت فى ناحية من الخندق فعطف على رسول الله ﷺ فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على نـــزل فأخذ المعول من يدى فضرب فلمعت تحت المعول برقة أخرى قلت يا رسول الله ما هذا الذى رأيت يلمع قال أما الأولى فإن الله تعالى فتح على بها اليمن وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح بها المشرق.

قال ابن إسحاق فحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه كان يقول فى زمن عمر وفى زمن عثمان وما بعده افتتحوا ما بدا لكم فوالذى نفسى بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا والله تعالى قد أعطى محمد ﷺ مفاتيحها. انظر الخصائص الكبرى فى باب ما وقع فى غزوة الخندق من الآيات والمعجزات.

وأخرج مالك فى الموطأ فى العمل فى جامع الصلاة وأحمد والشيخان عن أبى هريرة مرفوعاً أَتَرَوْنَ – وفى رواية قَالَ « هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِى هَا هُنَا – أى مقابلتى ومواجهتى فى جهة القبلة فقط – فَوَاللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَىَّ خُشُوعُكُمْ وَلاَ رُكُوعُكُمْ، إِنِّى لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِى »[1].

---

(١) أخرجه البخارى (١٦١/١، رقم ٤٠٨).

وأخرج مسلم واللفظة له النسائي وابن خزيمة في صحيحه عنه أيضاً قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوما ثم انصرف فقال يا فلان [٢٩١] ألا تحسن صلاتك ألا ينظر المصلى إذا صلى كيف يصلى فإنما يصلى لنفسه إنى والله لأبصر من ورأى كما أبصر من بين يدى ولفظ ابن خزيمة فى آخره إنكم ترون أنى لا أراكم إى والله لأرى من خلف ظهرى كما أرى من بين يدى[1].

وأخرج عبد الرزاق فى جامعه والحاكم فى المستدرك وأبو نعيم من حديثه أيضاً مرفوعاً إنى لأنظر إلى ما ورائى كما أنظر إلى ما بين يدى.

وأخرج أحمد وعبد الرزاق بسند صحيح من حديثه أيضاً والذى نفسى بيده إنى لأنظر زاد فى رواية فى الصلاة إلى من ورائى كما أنظر إلى من بين يدى فسوا صفوفكم وأحسنوا ركوعكم وسجودكم وفى رواية لأحمد إنى أنظر أو قال إنى لأنظر ما ورائى كما أنظر ما بين يدى الحديث.

وأخرج أبو نعيم عن أبى سعيد الخدرى مرفوعاً إنى أراكم من وراء ظهرى.

وأخرج أحمد والشيخان والنسائى عن أنس مرفوعاً « أَتِمُّوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنِّى لأَرَاكُمْ مِنْ بَعْدِ ظَهْرِى إِذَا مَا رَكَعْتُمْ وَإِذَا مَا سَجَدْتُمْ »[2] هكذا ذكره السيوطى فى الجامع عازيا له لمن ذكر وقد أخرجه البخارى فى مواضع منها فى باب الخشوع فى الصلاة ولفظه فيه وهو لمسلم أيضاً أقيموا الركوع والسجود فوالله إنى لأراكم من بعدى وربما قال من بعد ظهرى إذا ركعتم وإذا سجدتم ومنها فى باب عظة الإمام الناس فى إتمام الصلاة وذكر القبلة ولفظه فيه عن أنس بن مالك قال صلى بنا النبى ﷺ صلاة ثم رقى المنبر فقال فى الصلاة وفى الركوع إنى لأراكم من ورائى كما أراكم يعنى من أمامى.

---

(١) أخرجه مسلم (٣١٩/١، رقم ٤٢٣) والنسائى (٤٩٥/١).

(٢) أخرجه البخارى (٢٤٤٩/٦، رقم ٧٢٧٨) ومسلم (٣٢٠/١، رقم ٤٢٥) والنسائى فى المجتبى (٢١٦/٢).

ومنها فى باب [٢٩٢] إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف ولفظه فيه حدثنا أنس قال: أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال أقيموا صفوفكم وتراسوا فإنى أراكم من وراء ظهرى وقد عزى فى الجمع هذا اللفظ للبخارى والنسائى وابن حبان فى صحيحه عن أنس.

ومنها فى الترجمة قبل هذه ولفظه فيها أقيموا الصفوف فإنى أراكم خلف ظهرى. وأخرجه أيضاً مسلم فى الصلاة بألفاظ منها قوله عن أنس أن نبى الله ﷺ قال أتموا الركوع والسجود فوالله إنى لأراكم من بعد ظهرى إذا ما ركعتم وإذا ما سجدتم قال وفى حديث سعيد إذا ركعتم وسجدتم.

ومنها قوله عن أنس قال صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال أيها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف فإنى أراكم أمامى ومن خلفى. ثم قال والذى نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا وما رأيت يا رسول الله قال رأيت الجنة والنار.

رؤيته عليه الصلاة والسلام لأصحابه من وراء ظهره رؤية حقيقية

ثم الرؤية المذكورة فى هذه الأحاديث مذهب الجمهور وهو الصواب المختار أنها على ظاهرها وأنها رؤية حقيقية وإدراك حقيقى اختص به ﷺ انخرقت له فيه العادة وعلى هذا عمل البخارى فإنه أخرج هذا الحديث فى علامات النبوة، وكذا نقل عن أحمد وغيره خلافا لمن حمل الرؤية فيه على الرؤية القلبية وهى رؤية [٢٩٣] البصيرة وإن صح أو على العلم إما بوحى بأن يوحى إليه كيفية فعلهم وإما بإلهام بأن يلهمه الله تعالى حالتهم وهيأتهم فإن ذلك بخلاف ما تظاهرت عليه الظواهر التى لا يحيلها عقل ولا يعارضها شرع ولو كان المراد العلم لم يقيد بقوله من وراء ظهرى ومنهم من حملها على أنه كان يلتفت يمينا وشمالا التفاتا يسيرا لا يلوى فيه عنقه يدرك به حال من وراءه ولا يخفى ما فيه من التكلف والعدول عن الظاهر بلا موجب مع ما فيه من

ارتكاب ما لا يليق بالمقام الأعلى وقد أنكره أحمد على قائله والظاهر أنها كانت من غير عضو ولا مقابلة ولا شيء مما جرت به العادة بناء على مذهب أهل الحق وهم أهل السنة من أن الرؤية لا يشترط لها عقلا عضو مخصوص ولا مقابلة ولا شعاع ولا تتوقف على ضوء ولا على قرب كما لا تتوقف على الآلة المخصوصة التى هى العين وإنما هذه أمور عادية يجوز عقلا حصول الإدراك مع عدمها ولذا حكموا بجواز رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة خلافا لأهل البدع بوقوفهم مع العادة.وجوز بعضهم كونها برؤية عينية وإنه انخرقت له فيهما العادة أيضاً وصحح وآخرون كونها بعين خلف ظهره يرى بها من ورائه لا يحجبها الثياب.ولا غيرها وبعض المتكلمين أن تكون بإدراك خلق له فى القفى أعم من كونه فى بنية أم لا أخذا من قوله فى بعض الروايات إنى لأبصر من قفايا كما أبصر من بين يدى.

وقيل كان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط يبصر بهما لا يحجبهما أيضاً ثوب ولا غيره قاله مختار بن محمود الحنفى [٢٩٤] الزاهدى شارح القدورى من الحنفية.

ورده أبو الفضل قاسم بن سعيد العقبانى قائلا هذا مع ما وصف به من كمال الخلقة يشين ولو أن إنسانا كانت له عينان فى قفاه لكان أقبح شيء وخيال غيره هو قول مرغوب عنه بل ساقط، ونازع بعضهم فيه وفى القولين قبله بأنها تحتاج لتوقيف من الشارع، ورواية من قفاى ليست نصا فى المراد وقيل بل كانت صورهم تنطبع فى حائط قبلته كما تنطبع فى المرآة فترى أمثلتهم فيها فيشاهد أفعالهم، ورد بأنه يحتاج أيضاً إلى توقيف وظاهر الحديث أن ذلك يختص بحالة الصلاة ويؤيده ما أخرجه الحميدى فى مسنده وابن المنذر فى تفسيره والبيهقى عن مجاهد فى قوله تعالى ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٩] قال كان النبى ﷺ إذا قام فى الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

ويحتمل أن يكون ذلك واقعاً فى جميع أحواله ﷺ وهو الظاهر، ومذهب أهل الباطن ومحققى أهل الباطن ونقل عن مجاهد أيضاً وعن جمع من المتقدمين وعللوه بأنه إنما كان يبصر من خلفه لأنه كان يرى من كل جهة لأنه كان كله نورا وقد ثبت مثله

لكثير من خواص أمته وما ذاك إلا بما أمدهم الله به من نور مشكاته المفاض عليهم. وفى الفتوحات فى الباب التاسع والستين فى معرفة أسرار الصلاة وعمومها ما نصه اعلم أن النبى ﷺ كله وجه بلا قفا فإنه قال ﷺ إنى أراكم من خلف ظهرى فأثبت الرؤية لحاله ومقامه فثبتت الوجهية له [٢٩٥] وذكر الخلف والظهر لبشريته ﷺ فإنهم ما يرون رؤيته ويرون خلفه وظهره ﷺ ولما ورثته ﷺ فى هذا المقام وكانت لى هذه الحالة كنت أصلى بالناس بالمسجد الأزهر بمدينة فاس قلت وهو المعروف الآن بمسجد عين الخيل قال فإذا دخلت المحراب أرجع بذاتى كلها عينا واحدا فأرى من جميع جهاتى كما أرى قبلتى لا يخفى على الداخل ولا الخارج ولا واحد من الجماعة حتى إنه ربما يسهو من أدرك معى ركعة من الصلاة فإذا سلمت ورددت وجهى إلى الجماعة أدعوا أرى ذلك الرجل يجبر ما فاته فيخل بركعة فأقول له فاتتك كذا وكذا فيتم صلاته ويتذكر فلا يعرف هذه الأشياء ولا هذه الأحوال إلا من ذاقها انتهى منها بلفظها.

وفى نــزهة الزاد وبغية الحاوى للعارف بالله القطب سيدى المختار بن أحمد الكنتى فى الباب الخامس فى بدء الوحى والأسراء ما نصه ثبت عنه ﷺ أنه لما حمل على الرفرف والتمع بصره جعل يرى بجميع بدنه فيرى من أمامه كما يرى من خلفه وكما يرى عن يمينه وشماله وذلك بأن صار كله بصرا فحينئذ تأهل أن يرى ربه لما أمده به من وضع يده بين كتفيه حتى وجد بردها على فؤاده فعلم بذلك علوما شتى ثم قطرت نقطة العلم على قلبه وفؤاده فازداد علما على علم انتهى المراد منه بلفظه.

وقال العارف الحفنى فى حاشيته على الجامع الصغير فى الكلام [٢٩٦] على رواية أتموا الركوع والسجود ما نصه قوله لأراكم أى رؤية إدراك وكشف قلبى فلا تتوقف على وجود البصر ولا على وجود الضوء فهو خرق للعادة قال وهذا الإدراك حاصل له ﷺ من حين رأى ربه ليلة الإسراء بعين بصره وما قيل كان له ﷺ حدقتان فى ظهره رد بأن ذلك مشوه للخلقة وقد كان سيدنا موسى يرى النملة السوداء فى الليلة الظلماء مسيرة عشرة أيام وقيل فراسخ من حين كلمه الله تعالى ثم قال فذاك الإدراك

ليس بحدقتين فى ظهره كسم الخياط لا يحجبهما الثياب كما قال بعضهم فإنه لا أصل له إذ هو مشوه وليس هذا خاص بالصلاة انتهى.

وفى فيض القدير فى حديث أتموا الصفوف ما نصه قال فى المطامح فى أبى داود عن معاوية ما يدل على أن هذا كان فى أواخر عمره ولذا قال عياض كان ذلك له بعد ليلة الإسراء كما كان موسى يرى النملة السوداء فى الليلة الظلماء من عشرة فراسخ بعد ليلة الطور انتهى منه بلفظه.

قلت وعياض ذكر هذا فى الشفا فى فصل وفور عقله ﷺ من الباب الثانى فراجعه وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنهما أنها سئلت عن هذا الإدراك فقالت زيادة زاده الله إياها فى حجته وهو بضم الهاء يعنى فى معجزته وضبط بعضهم لها وهو بفتحها على أن معناه أن هذه الزيادة إنما وقعت له فى آخر عمره فى حجة الوداع غير صحيح.

مراقبة النبى ﷺ لأصحابه وقد ذكروا [٢٩٧] من جملة فوائد هذه الأحاديث مراقبة النبى ﷺ لأصحابه فى حالة الصلاة كما أنه كان يراقبهم فى غيرها من الأحوال سرا وعلانية ظاهرا وباطنا غيبة وحضورا وقد كان على قدمه فى هذا كبار العارفين والأولياء حتى كان الشيخ عبد القادر الجيلانى ﷺ كثيرا ما يقول لأصحابه على كرسيه إنى أراكم كالزجاجات وكم من مريد أراد أن يرتكب بعض المحرمات وهو غائب عن شيخه فخرج عليه ومنعه من ذلك وقضياهم فى هذا كثيرة: منها أنه وقع لعارف أن مريده أراد الزنا بامرأة فلما هم سمع صوت شيخه من بلاد بعيدة يقول له هكذا تفعل يا فلان ففر هاربا.

ووقع لآخر مع مريده فى نظير هذا أنه ما شعر إذ هم إلا والشيخ قد لطمه لطمة أذهبت بصره فخرج وأمر من جاء به إلى الشيخ فقال ادع الله لى أن يرد بصرى فإنى تائب إلى الله تعالى فقال نعم ولكن لا تموت إلا أعمى فدعى له فرد عليه بصره ثم عمى قبل موته بثلاثة أيام.

ووقع للشيخ أبى الغيث ابن جميل اليمنى أنه كان له تلميذ بالعجم فهم بالزنا بامرأة فضربه الشيخ بقبقابه مع زجر وغضب بحضرة الفقراء فلم يدروا بحضرة الفقراء

فلم يدروا ما الخبر حتى قدم الشخص العجمى بقبقاب الشيخ بعد شهر تائبا أمدنا الله تعالى بمدد أوليائه ومن علينا بسلوك سبيل أصفيائه آمين وقد حكى بقى بن مخلد عن عائشة أنه عليه الصلاة والسلام كان يبصر [٢٩٨] ويرى فى الظلمة كما يبصر ويرى فى الضوء وهذا أخرجه عنها البيهقى وابن عدى وابن عساكر وإسناده ضعيف.

وأخرج البيهقى أيضاً فى الدلائل عن ابن عباس قال كان النبى ﷺ يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء وهو أيضاً ضعيف ضعفه غير واحد لكنه حسن بشواهده وما اشتهر من خبر لا أعلم ما وراء جدارى قال الحافظ ابن حجر فيما نقله عنه فى فيض القدير فى الكلام على حديث أتموا الصفوف لا أصل له قال فى الفيض ويعرض وروده فالمراد به أنه لا يعلم الغيب إلا بإطلاعه تعالى انتهى وراجع ما تقدم فى هذا الخبر والله الهادى والمرشد بمنه.

وأخرج أحمد والشيخان والترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وأبو عوانة وابن حبان فى صحيحه عن جابر مرفوعاً: الَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ « لَمَّا كَذَّبَنِى قُرَيْشٌ قُمْتُ فِى الْحِجْرِ، فَجَلَّى اللَّهُ لِى بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ »[1].

وفى هذا انكشاف الأشياء له ﷺ عند التوجه والالتفات إليها بحقائقها وأحوالها ومتعلقاتها ونظره بعين البصر والبصيرة إليها بحيث لا يغيب عن نظره شيء منها وهذا واقع لغيره من أولياء الله تعالى فكيف به ﷺ الذى كل نوال من نواله وكل خير وفضل فى العالمين منه ومن أياديه وأفضاله.

وأخرج الطيالسى وابن أبى شيبة وأحمد والحميدى والبخارى فى مواضع منها علامات النبوة ومسلم فى الفتن والعدنى وابن حماد فى الفتن [٢٩٩] وأبو عوانة والحاكم فى المستدرك عن أسامة بن زيد قال أشرف النبى ﷺ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ

---

(١) أخرجه البخارى (١٧٤٣/٤، رقم ٤٤٣٣).

الْمَدِينَةِ فَقَالَ « هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى إِنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ»[1] وفى رواية إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كموقع القطر. وفى أخرى إنى أرى الفتن تقع خلال بيوتكم مواقع القطر.

رؤية الشيء وسماعه قبل وجوده للأنبياء والأولياء

يجوز رؤية الشيء وسماعه قبل وجوده للأنبياء والأولياء قلت وبهذا الحديث ونحوه استدل الصوفية على جواز بل وقوع رؤية الشيء وسماعه قبل وجوده للأنبياء والأولياء بناء على ما هو المتبادر من هذا الحديث إنها رؤية بصرية وقضايا الأولياء فى رؤيتهم بل وسماعهم للأشياء قبل وجودها لا تنحصر كثرة ومن ثم أطبقوا على رؤيته تعالى وسمعه للمعدوم الممكن الذى علم أنه سيوجد مخالفين فى ذلك للمتكلمين فى قولهم إن السمع والبصر إنما يتعلقان بالموجودات والمراد بها كل ما له تحقق فى الخارج فقط ولا يتعلقان بالمعدوم ممكنا كان أو مستحيلا ومن أدلة الصوفية فى هذا قوله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ [المجادلة: ١] فإن قولها إنما كان فيما لا يزال وتعلق سمعه وبصره إنما هو فى الأزل وقد قال العلامة ابن ذكرى فى بعض تقاييده التى قيدها على الصغرى للسنوسى ما قاله الصوفية هو المتعين لأن تعلقهما تعلق انكشاف فيلزم على تخصيصه بالموجود حال وجوده بعده فى الأزل انتهى نقله الشيخ جسوس فى شرح عقائد الرسالة وفى بعض أجوبة الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف [٣٠٠] السنوسى لما ذكر له اعتراض بعض المتأخرين على ما وقع على لأبى طالب المكى أى فى "قوت القلوب " من التصريح بتعلق سمع الله تعالى وبصره بالموجودات والمعدومات قبل وجودها وإن مثله وقع فى المواقف النفرية الصوفية أى ووقع أيضاً للشيخ الجليل القصرى مؤلف " شعب الإيمان فى شرح الأسماء " قال لا يخفى على ما فى اعتراضه على هذا الولى من سوء الأدب بل الواجب التسليم لأولياء

---

(١) أخرجه البخارى (٦٤٤/٢، رقم ١٧٧٩)ومسلم (٢٢١١/٤، رقم ٢٨٨٥).

الله تعالى فيما خفى علينا علمه من كلامهم إذ ليس يستوى من ينظر فى النور ومن ينظر فى الظلمات انتهى نقله العارف الفاسى فى حواشيه على شرح الصغرى والله أعلم.

وأخرج أحمد والترمذى فى أبواب الزهد وقال حسن غريب وابن ماجه والحاكم فى المستدرك والضياء المقدسى فى المختارة وأبو الشيخ فى العظمة وأبو نعيم وابن منيع عَنْ أَبِى ذَرٍّ رفعه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ « إِنِّى أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً لِلَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ ». لَوَدِدْتُ أَنِّى كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ(١).

وأخرج الطبرانى فى الكبير والضياء وابن أبى حاتم فى التفسير وأبو الشيخ فى العظمة وأبو نعيم عن حكيم بن حزام قال بينما رسول الله ﷺ فى أصحابه إذ قال لهم أتسمعون وفى لفظ هل تسمعون وفى آخر تسمعون ما أسمع قالوا ما تسمع من شيء قال إنى [٣٠١] لأسمع أطيط السماء وما تلام أنْ تئط ما فيها موضع شبر وفى رواية قدم إلا وعليه ملك ساجد أو قائم(٢).

وأخرج ابن منده وابن عساكر عن عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه مرفوعاً هل تسمعون ما أسمع أطت السماء وحق لها أن تئط ليس منها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد(٣).

وتقدم من حديث سيدنا العباس عند البيهقى وغيره أنه عليه الصلاة والسلام كان وهو فى المهد يسمع وجبة القمر أى سقطته حين يسجد تحت العرش ذكره السيوطى

---

(١) أخرجه الترمذى (٥٥٦/٤)وأحمد(١٧٣/٥)وابن ماجه (١٤٠٢/٢).

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢٠١/٣).

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (٣٨١/٥٢).

فى خصائصه وغيره وفيها أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام كان يسمع حفيف أجنحة جبريل وهو بعد فى سدرة المنتهى ويشم رائحته إذا توجه بالوحى إليه وذكر ذلك أيضاً الشعرانى فى " كشف الغمة " ناقلاً له عن خط شيخه جلال الدين السيوطى.

قلت وهذا أعنى رؤية الإنسان للأشياء البعيدة عنه جدا فى الأرض برا وبحرا وفى السماء أو ما فوقها وسماعه لها وشمه لرائحتها لا ينكر فإنه واقع لأولياء الله كثيرا فكيف به عليه الصلاة والسلام.

وفى " الفتوحات " فى الباب الثانى وثلاثمائة ورد فى حديث نبوى صحيح عند أهل الكشف وإن لم يثبت طريقه عند أهل النقل لضعف الراوى ولقد صدق فيه قال رسول الله ﷺ لولا تـزيد فى حديثكم وتمريج فى قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع انتهى.

قلت: وهو طرف من حديث أخرجه أحمد وابن جرير الطبرى ولفظ ابن جرير فيه لولا تمريج قلوبكم وتـزيدكم [٣٠٢] فى الحديث لسمعتم ما أسمع وتقدم لفظ أحمد وما فى الحديث من الكلام فليراجع.

وفى المواهب اللدنية من خصائصه عليه السلام أنه كان يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه صوت غيره ولا سمعه قال شارحها فقد كان يخطب فتسمعه الهواتف فى البيوت ويسمع أطيط كما السماء مر بسط ذلك فى شمائله انتهى.

وانظر إلى ما أخرجه البيهقى وأبو نعيم عن عائشة أن النبى ﷺ جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو فى بنى علم فجلس فى مكانه وفيه معجزة وكرامة وكأنه فهم أن الخطاب عام فى حق من بلغه الصوت ولو كان خارجا عن المسجد النبوى ولو بعيدا منه ولذلك جلس امتثالا وأدبا وكأن القرينة على ذلك بلوغ الصوت له بطريق المعجزة الخارقة للعادة وإن لم يظهر لجلوسه هو فى مكانه فائدة فقد تكون موجودة ولا يطلع عليها إذ قد تخفى فى بعض الأوامر والنواهى ولذلك يحكم الفقهاء على ما خفيت فيه بأنه تعبدى والله أعلم.

وانظر أيضاً إلى ما ورد من قول سيدنا عمر بن الخطاب أثناء خطبته يوم جمعة لسارية بن زنيم الدؤلى وكان قد أمره على جيش وسيره إلى فارس وذلك سنة ثلاث وعشرين من الهجرة فرآهم من المدينة وهو يخطب وقد جعل العدو عليهم كمينا على يسار الجبل - يا سارية الجبل، الجبل يعنى خذ طريق الجبل واحذر كمين العدو ورفع صوته فألقى الله ذلك فى أسماع سارية وأصحابه وكانوا بنهوند بلد بأقصى العراق جنوبى همدان بينها وبين المدينة [٣٠٣] أكثر من مسيرة شهر فعدلوا إلى الجبل ففتح الله عليهم وهى قضية مشهورة أخرجها الواقدى وسيف فى الفتوح والبيهقى فى الدلائل واللالكائى فى شرح السنة وابن الأعرابى فى كرامات الأولياء وابن مردويه وغيرهم. راجع الإصابة فى ترجمة سارية المذكور وفى منن ... أن القطب الحلبى الحافظ أفرد لطرقها جزءا.قال بعض وكان هذا فى حياة سارية فلما مات فى مصر دفن أيضاً فى قلعة الجبل فكأنه امتثل قول عمر بعد وفاته أيضاً راجع الرحلة الكبرى لسيدى عبد الغنى النابلسى.

وفى العهود المحمدية فى عهد الاستعداد لوقوف عرفة ما نصه إن لله تعالى رجالا يسمعون كلام من بينهم وبينه مسيرة ثلاثين ألف سنة وراثة إبراهيمية قال وقد وقع لى فى ابتداء أمرى أنى كنت أسمع كلام من فى أقطار الأرض من الهند والصين وغيرهما حتى إنى كنت أسمع كلام السمك فى البحار المحيطة ثم إن الله حجب ذلك عنى وأبقى معى العلم كى لا أنكر مثل ذلك على أحد. وكان سيدى أحمد بن الرفاعى يتكلم على الكرسى بأم عبيدة فيسمعه من حوله من القرى والله على كل شيء قدير انتهى.

وقد ذكر بعض الكبار أنه انخرق لسمعه ﷺ وبصره وشمه وإدراكه ولمسه وسائر حواسه جميع الكون وسائر المملكة الربانية وأنه يرى منها ما شاء متى شاء ويسمع ويُسمع ويشم ويُشم ويلمس ويتناول ويأخذ ويعطى كذلك ويحول ويتصرف ويفعل ما شاء على الوجه الذى شاء وأذن له فيه [٣٠٤] ولا ينحجب عنه شيء أو يمتنع منه أيًا كان إذا أراده على أى وجه كان وأى وصف فى المملكة كلها عموما، قلت والأحاديث والآثار الواردة فى هذا الباب والحكايات المنقولة عن أهل الله تعالى تشهد

بذلك وتأمل ما تقدم عن الشيخ عبد السلام الأسمر أن الله تعالى أطلعه على جميع الكائنات وكشف له عن ملكوت السماوات والأرض والجنة وما فيهما ظاهرا وباطنا وعن سيدى أحمد بن الرفاعى من أنه صحب ثمانمائة ألف أمة ممن يأكل ويشرب ويروث وينكح وأنه لا يكمل الرجل حتى يصحب هذا العدد ويعرف كلامهم وصفاتهم وأسماءهم وأرزاقهم وآجالهم ولا تستقر نطفة فى فرج أنثى إلا وينظر إليها ويعلم بها وأمثال هذا عن الأولياء كثير وهم قطرات أوجداويل من بحار علمه ومعرفته وما أطلعه الله عليه وأراه إياه بل ما نالوا ذلك إلا منه ولا اغترفوه إلا من بحره الطام الذى لا حد له ولا نهاية والعقول كلها لا تتسع لإدراك ماهيته وحقيقته والله ذو الفضل العظيم والمن على ما يشاء من خلقه لا رب سواه سبحانه وتعالى.

– عرض الأنبياء عليه ﷺ –

وقد ورد فى الأحاديث عرض الأنبياء عليه أخرج عبد بن حميد ومسلم فى الإيمان والترمذى وابن حبان فى صحيحه وأبو عوانة عن جابر مرفوعاً « عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً صَاحِبُكُمْ – يَعْنِي نَفْسَهُ – وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً دِحْيَةُ »(١).

قال الشيخ [٣٠٥] على القارى فى جمع الوسائل فى هذا الحديث إماء إلى أفضليته ﷺ حيث لم يقل عرضت عليهم فإنهم كالحشم له والعسكر تعرض على السلطان دون العكس ولهذا قال بعض العارفين أنه ﷺ بمنـــزلة القلب فى الجيش والأنبياء مقدمته والأولياء سامته والملائكة يمنة ويسرة متظاهرين متعاونين كما قال تعالى ﴿ وَالْمَلائِكَةُ

---

(١) أخرجه مسلم (١/١٥٣، رقم ١٦٧)والترمذى (٥/٦٠٤)وأبو عوانة(١/١٣٠)وابن حبان(١٤/١٢٣).

بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: ٤] والشياطين قطاع الطرق فى الدين والمراد بالأنبياء المعنى الشامل للرسل وذلك العرض ليلة الإسراء كما جاء فى روايات أخر كرواية أبى العالية عن ابن عباس ورواية ابن المسيب عن على وأبى هريرة كشف له عن صور أبدانهم كما كانت وقيل كان فى المنام ويؤيده ما ورد فى بعض الطرق أنه قال بينا أنا نائم رأيتنى أطوف بالكعبة وذكر الخبر انتهى المراد منه.

وعبارة المناوى عرض على الأنبياء أى فى النوم بأن مثلت له صورهم على ما كانت عليه حال حياتهم أو فى اليقظة ليلة المعراج لأنه رآهم ليلته بصورهم الحقيقية التى كانوا عليها حالة الحياة واجتمع بهم حقيقة فى السماوات وفى بيت المقدس ثم ذكر ما يقرب كلا من الاحتمالين ثم قال وقال عرض على دون عرضت ليبين أنهم كانوا كجنوده فإن الجيش يعرض على السلطان ولا يعرض السلطان عليه انتهى.

– عرض الأمم عليه ﷺ –

وورد فيها أيضاً أعنى الأحاديث عرض الأمم عليه أخرج أحمد والبخارى فى الرقائق وفى الطب وغيرهما ومسلم فى الإيمان والترمذى فى الزهد والنسائى فى الطب عن ابن عباس والطبرانى فى الكبير عن عمران بن [٣٠٦] حصين مرفوعاً « عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَاداً كَثِيراً سَدَّ الأُفُقَ فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ أُمَّتِى، فَقِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. ثُمَّ قِيلَ لِى انْظُرْ. فَرَأَيْتُ سَوَاداً كَثِيراً سَدَّ الأُفُقَ فَقِيلَ لِى انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا. فَرَأَيْتُ سَوَاداً كَثِيراً سَدَّ الأُفُقَ فَقِيلَ هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ». فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِى الشِّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلاَءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا،

فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ « هُمُ الَّذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ »[1].

وفى رواية أخرى عن ابن مسعود ذكرها فى الطريقة المحمدية أريت الأمم بالموسم يعنى وأنا فى موسم الحج بمنى فرأيت أمتى قد ملؤا السهل والجبل فأعجبنى كثرتهم وهيأتهم قيل لى أرضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون الحديث.

– عرض الأنبياء بأممهم عليه ﷺ –

وفيها أيضاً عرض الأنبياء بأممهم عليه أخرج عبد الرزاق فى مصنفه والطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود مرفوعاً عرضت على الأنبياء بأممها فجعل النبى يمر ومعه الثلاثة والنبى ومعه العصابة والنبى ومعه النفر والنبى وليس معه أحد حتى عرض على موسى معه كبكبة من بنى إسرائيل فأعجبونى فقلت من هؤلاء فقيل هذا أخوك موسى ومعه بنى إسرائيل قلت فأين أمتى قال انظر عن يمينك فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال ثم قيل لى انظر عن يسارك فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال فقيل لى أرضيت فقلت رضيت يا رب رضيت يا رب فقيل إن مع هؤلاء سبعين [٣٠٧] ألفا يدخلون الجنة بغير حساب الحديث[2].

وأخرج البزار بسند صحيح عن ابن عباس قال أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ثم عدنا إليه فقال عرضت على الأنبياء بأممها الحديث.

---

(١) أخرجه البخارى (٢١٧٠/٥، رقم ٥٤٢٠)

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٦٢١/٤)وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة.

– عرض الناس عليه ﷺ –

وفيها أيضاً عرض الناس عليه أخرج أحمد والدارمى والشيخان والترمذى والنسائى وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى مرفوعاً: « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ، وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ ». قَالُوا فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « الدِّينَ »[1].

– عرض الجنة والنار عليه ﷺ –

وفيها أيضاً عرض الجنة والنار عليه وقد تقدم ذلك فى عدة أحاديث فى الصحيح وغيرها.

– عرض الأيام عليه ﷺ –

وفيها أيضاً عرض الأيام عليه أخرج الطبرانى فى الكبير عن أنس مرفوعاً عرضت على الأيام فعرض على فيها يوم الجمعة فإذا هى كمرآة بيضاء وإذا فى وسطها نكتة سوداء فقلت ما هذه قيل الساعة[2].

– عرض الأمة بأعمالها عليه ﷺ –

وفيها أيضاً عرض هذه الأمة عليه من أولها إلى آخرها بأعمالها حسنها وقبيحها وتمثيلها له فى الماء والطين وإراءته ما تلقاه من بعده أخرج البزار وأبو يعلى والبيهقى فى الدلائل وابن جرير وابن مردويه وابن أبى حاتم وغيرهم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال فى حديث الإسراء وعرضت على أمتى فلم يخف على التابع والمتبوع.

---

(١) أخرجه البخارى(١/١٧، رقم ٢٣)ومسلم (٤/١٨٥٩، رقم ٢٣٩٠).

(٢) أخرجه الطبراني فى الأوسط (٧/١٥).

وأخرج الطبراني في الكبير والضياء المقدسي في المختارة بسند صحيح عن حذيفة بن أسيد الغفاري مرفوعاً: عرضت على أمتي البارحة لدى هذه [٣٠٨] الحجرة أولها وآخرها حتى لأنا أعرف بالرجل منهم من أحدكم بصاحبه وقيل يا رسول الله عرض عليك من خلق منهم أرأيت من لم يخلق قال صوروا لي في الطين فوالذي نفسي بيده لأنا أعرف بالإنسان منهم من الرجل بصاحبه(١).

وذكره في كنـــز العمال من إخراج الحسن بن سفيان والطبراني في الكبير والضياء المقدسي وأبي نعيم عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد بلفظ: عرضت على أمتي البارحة أدنى هذه الحجرة من أولها إلى آخرها فقال رجل يا رسول الله هذا عرض عليك من خلق فكيف من لم يخلق قال صوروا لي في الطين حتى لأنا أعرف بالإنسان منهم من أحدكم بصاحبه.

قال العارف الحفني وقوله لدى هذه الحجرة يعني مسكنه قال وهذا من الأمور الخوارق للعادة فلا يقال كيف تجتمع الأمة كلها في هذا المكان الصغير انتهى.

وأخرج أبو داود الطيالسي وأحمد ومسلم وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان وأبو عوانة عن أبي ذر مرفوعاً « عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ »(٢).

وأخرج أبو داود والترمذي في الصلاة وابن خزيمة والبيهقي في السنن من حديث المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أنس مرفوعاً « عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةِ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرَ ذَنْباً أَعْظَمَ مِنْ

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨١/٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣٩٠/١، رقم ٥٥٣)وأحمد(١٧٨/٥)وابن خزيمة(٢٧٦/٢) والطيالسي (١/ ٦٥).

سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أُوتِيهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا »[1]. استغربه الترمذى وذكر أنه ذكره للبخارى فلم يعرفه واستغربه [٣٠٩] وقال لا أعرف للمطلب سماعا من أحد من الصحابة وقال ابن حجر فى إسناده ضعف لكن له شواهد. وقال الزين العراقى استغربه البخارى لكن سكت عليه أبو داود.

وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى رافع قال قال رسول الله ﷺ مثلت لى أمتى فى الماء والطين وعلمت الأسماء كلها كما علم آدم الأسماء كلها ذكره السيوطى فى خصائصه فى جمع الجوامع وابن زكرى فى شرحه للصلاة المشيشية والشيخ مرتضى فى شرح القاموس أوله وغير واحد وأخرجه الحاكم والديلمى أيضاً من حديث أم حبيبة كما ذكره فى شرح المواهب أول فصل المعجزات.

وأخرج أحمد والطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك بسند صحيح عن أم حبيبة مرفوعاً « رَأَيْتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِى بَعْدِى وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ وَسَبَقَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا سَبَقَ فِى الأُمَمِ قَبْلَهُمْ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُوَلِّيَنِى شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهِمْ فَفَعَلَ »[2].

وأخرج مسلم فى أواخر صحيحه فى كتاب الفتن من حديث ابن مسعود فى الدجال قال فيه ويبعثون عشرة فوارس طليعة قال رسول الله ﷺ إنى لأعرف أسمائهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ أو قال من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ. الحديث.

---

(١) أخرجه الترمذى (١٧٨/٥)وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه قال وذاكرت به محمد بن إسماعيل وأستغربه قال محمد ولا أعرف للمطلب بن عبد الله سماعا من أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا قوله حدثني من شهد خطبة النبي ﷺ قال وسمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول لا نعرف للمطلب سماعا من أحد من أصحاب النبي ﷺ قال عبد الله وأنكر علي بن المديني أن يكون المطلب سمع من أنس.

(٢) أخرجه أحمد (٤٢٧/٢).

– عرض ما هو كائن –

وفيها أيضاً عرض ما هو كائن من أمر [٣١٠] الدنيا وأمر الآخرة عليه، أخرج ذلك أحمد وابن خزيمة وابن حبان وأبو عوانة وغيرهم من حديث حذيفة بن اليمان عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ ويأتي لفظه بعد إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر أرباب الخصائص من خصائصه ﷺ أنه عرضت عليه أمته كلها حتى رآها وعرض عليه ما هو كائن فيها من خير أو شر وما تعمل من الأعمال الحسنة أو القبيحة إلى قيام الساعة وأنه عرض عليه بنو آدم كلهم من لدن أبيهم آدم إلى من بعده وأنه تجلى له الكون كله فرآه وعلم ما فيه.

قال الشيخ عبد الرءوف المناوى فى " فيض القدير" لدى قوله فى الحديث عرضت على

أمتى البارحة إلى آخره ما نصه قالوا من خصائصه ﷺ أنه عرضت عليه أمته بأسرهم حتى رآهم وعرض عليه ما هو كائن فيهم حتى تقوم الساعة. قال الإسفرائينى وعرض عليه الخلق كلهم من لدن آدم فمن بعده كما علم آدم عليه السلام أسماء كل شيء انتهى.

وقال العارف الحفنى فى حاشيته على الجامع لدى قوله عرضت على أمتى بأعمالها ما نصه أى جميعها ملتبسة بأعمالها كما أطلعه الله تعالى على جميع الخلق من لدن آدم إلى الساعة قال أى علم من وجد منهم ومن يوجد بعده إلى يوم القيامة انتهى.

وفى حاشية الشرح الروض لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى للشهاب أحمد الرملى فى الكلام على الخصائص ما نصه: ومنها أنه عرض عليه الخلق كلهم من آدم [٣١١] إلى من بعده كما علم آدم أسماء كل شيء ذكره الإسفرائينى فى تعليقه قاله فى الزخائر انتهى.

وفى " الخصائص الكبرى " للسيوطى فى خصائصه ﷺ قال وعرض أمتى عليه بأسرهم حتى رآهم وعرض عليه ما هو كائن فى أمته حتى تقوم الساعة انتهى.

وفى " كشف الغمة " فى الكلام على خصائصه ﷺ ما نصه وعرض عليه أمته بأسرهم حتى رآهم وعرض عليه ما هو كائن فى أمته إلى يوم القيامة بل عرض عليه سائر الأمم كما علم آدم أسماء كل شيء انتهى.

وتقدم قول المناوى فى الفيض فى الكلام على حديث عرضت على الجنة والنار ما نصه وقد تجلى له ﷺ الكون كله وزويت له الأرض بأسرها فأرى مشارق الأرض ومغاربها وكل ذلك عند اندراج المسافات فى حقه انتهى.

والأمر أوسع مما تحمله العقول أو تحويه الأوراق والنقول وربنا على كل شيء قدير ويهب ما يشاء لمن يشاء من غير حساب ولا تقدير.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد والترمذى فى التفسير فى سورة [ص] واللفظ له ولأحمد والمروزى فى كتاب " الصلاة " عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ آتانى الليلة ربى وفى رواية أحمد « أَتَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ - أَحْسِبُهُ يَعْنِي فِي الْمَنَامِ - قال كذا فى الحديث وفى رواية أحمد - أَحْسِبُهُ يَعْنِي فِي النَّوْمِ - فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى قَالَ قُلْتُ لاَ » قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ - أَوْ قَالَ نَحْرِي - فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ [٣١٢] هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى قَالَ قُلْتُ نَعَمْ.الحديث[١].

وقد أخرجه الترمذى من حديث سلمة بن شبيب وعبد بن حميد قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبى قلابة عن ابن عباس به ثم قال قال أبو عيسى يعنى نفسه وقد ذكروا بين أبى قلابة وبين ابن عباس فى هذا الحديث رجلا. ثم أخرجه ثانيا من حديث محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام يعنى الدستوائى حدثنى أبى عن قتادة عن أبى قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال آتانى ربى فى

---

(١) أخرجه الترمذى(٣٦٧/٥)وقال حديث حسن غريب.وأخرجه أحمد (٣٦٨/١)وعبد بن حميد (٢٢٨/١).

أحسن صورة فقال يا محمد قلت لبيك ربى وسعديك قال فيم يختصم الملأ الأعلى قلت ربى لا أدرى فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما بين المشرق والمغرب. الحديث.

وقال الترمذى فيه هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه قال وفى الباب عن معاذ بن جبل وعبد الرحمن بن عائش عن النبى ﷺ ثم أخرج ثالثا من حديث محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هانئ حدثنا أبو هانئ اليشكورى حدثنا جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبى كثير عن زيد بن سلام عن أبى سلام أى وهو منطور الحبشى عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمى أنه حدثه عن مالك بن يوخامر السكسكى عن معاذ بن جبل ﷺ قال احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة فصلى رسول الله ﷺ وتجوز فى صلاته، فلما سلم دعا بصوته قال لنا على مصافكم كما أنتم [٣١٣] ثم انفتل إلينا ثم قال أما إنى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة إنى قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى انشغلت فإذا أنا بربى تبارك وتعالى فى أحسن صورة فقال يا محمد قلت لبيك رب قال فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أدرى قالها ثلاثا قال فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى أى انكشف وظهر وبدا لى كل شيء يعنى من العوالم العلوية والسفلية مطلقا كما هو ظاهره وعرفت أى عرفته عيانا كما قاله ابن حجر الهيتمى فى شرح المشكاة فقال يا محمد قلت لبيك ربى قال فيم يختصم الملأ الأعلى قلت فى الكفارات. الحديث.

ثم قال قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال هذا حديث حسن صحيح وقال هذا أصح من حديث الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال حدثنا خالد بن اللجلاج حدثنى عبد الرحمن بن عائش الحضرمى قال سمعت رسول الله ﷺ فذكر الحديث وهذا غير محفوظ هكذا ذكر الوليد فى حديثه عن عبد الرحمن بن عائش قال سمعت رسول الله ﷺ. وروى بشر بن بكر عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر هذا الحديث بهذا الإسناد عن

عبد الرحمن بن عائش عن النبى ﷺ وهذا أصح وعبد الرحمن بن عائش لم يسمع من النبى ﷺ انتهى.

قلت حديث ابن عباس من طريق أيوب عن أبى قلابة أخرجه أيضاً أحمد فى مسنده من روايته عن [٣١٤] عبد الرزاق عن معمر عن أيوب به، ومن طريق قتادة عن أبى قلابة أخرجه أيضاً أبو يعلى فى مسنده من رواية هشام الدستوائى عنه، وقد ذكر أحمد بن حنبل أن قتادة أخطأ فيه، وأخرجه من وجه آخر عن ابن عباس ابن جرير الطبرى فى تفسيره وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال حدثنا أحمد بن عيسى التميمى حدثنا سليمان بن عمر بن سيار حدثنى أبى عن سعيد بن زربى عن عمر بن سليمان عن عطاء عن ابن عباس قال قال النبى ﷺ رأيت ربى فى أحسن صورة فقال لى يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا يا رب فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما فى السماوات والأرض فقلت يا رب فى الدرجات والكفارات ونقل الأقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فقلت يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وفعلت وفعلت فقال ألم نشرح لك صدرك ألم أضع عنك وزرك ألم أفعل بك ألم أفعل قال فأفضى إلى بأشياء لم يؤذن لى أن أحدثكموها قال فذلك قوله فى كتابه ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ إلى قوله ﴿ مَا رَأَى ﴾ [النجم: من الآية ٨: ١١] فجعل نور بصرى فى فؤادى فنظرت إليه بفؤادى. أورده ابن كثير فى تفسيره وقال إسناده ضعيف والسيوطى فى الدر المنثور.

وحديث معاذ أخرجه أيضاً من طريق جهضم بن عبد الله بالسند السابق أحمد فى مسنده وذلك بنحو من رواية الترمذى هذه وفيه أيضاً فتجلى لى كل شيء وعرفت ومن عنده أورده ابن كثير فى تفسيره وقال عقبه هو حديث المنام المشهور ومن [٣١٥] جعله يقظة فقد غلط وهو فى السنن من طرق قال وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذى من حديث جهضم بن عبد الله اليمامى به وقال حسن صحيح انتهى.

قلت وبكون الرؤية هنا منامية يرتفع إشكال قوله فى أحسن صورة لأن الرائى قد يرى غير المتشكل متشكلا والمتشكل بغير شكله على أن الصوفية رضوان الله عليهم

ذكروا أن الحق تعالى يتجلى لخلقه على طريق التنــزل منهم إليهم فى الصور كلها من غير حلول ولا كيفية ولا تغير عما هو عليه فى ذاته العلية من التنــزيه وعدم المثلية مستدلين على ذلك زيادة على ما كوشفوا به منه بأدلة نقلية. وفى المرقاة لعلى القارى الحنفى قال سمعت شيخنا الشيخ عطية السلمى ناقلا عن شيخه أبى الحسن البكرى إن لله تعالى تجليات صورية مع تنــزه ذاته الأحدية عن المثلية قال وبهذا يندفع كثير من المتشابهات القرآنية والحديثية انتهى.

وحينئذ فما ورد فى الكتاب أو السنة من التنــزيه مصروف إلى الذات الهوية وما ورد فيهما من التشبيه مصروف إلى الصور التى يقع التجلى فيها والله أعلم.

وقد أخرج حديث معاذ المذكور محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة وابن خزيمة والحاكم فى صحيحيهما والرويانى والطبرانى فى الكبير وابن مردويه والدارقطنى وابن عدى وغيرهم وأفاد غير واحد من الحفاظ أنه حديث قوى صحيح، وحديث عبد الرحمن بن عائش بالياء وبالهمز ويقال له [٣١٦] عياش أخرجه جماعة ممن نذكره قريبا، وأخرجه أيضاً من غيرهم محمد بن نصر فى كتاب الصلاة والطبرانى فى السنة والحكيم الترمذى فى النوادر وأفاد فى الإصابة فى ترجمة عبد الرحمن بن عائش هذا أن رواية الوليد بن مسلم بالتصريح بسماع ابن عائش من النبى ﷺ أخرجها ابن خزيمة والدارمى والبغوى وابن السكن وأبو نعيم من طرق إليه أعنى إلى الوليد وأنه لم ينفرد بالتصريح المذكور بل تابعه فيه حماد بن مالك الأشجعى والوليد بن مزيد البيروتى وعمارة بن بشر وغيرهم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، أخرج رواية الأول وهو حماد: البغوى وابن خزيمة من طريقه عن جابر.

ورواية الثانى وهو ابن مزيد: الحاكم وابن منده والبيهقى من طريق العباس ابنه عنه عن ابن جابر والأوزاعى. ورواية الثالث وهو عمارة: الدارقطنى فى كتاب الرؤية من طريقه عن ابن جابر.

قلت وفى الجمع فى مسند عبد الرحمن بن عايش الحضرمى قال ابن عساكر له حديث واحد عن عبد الرحمن بن عايش الحضرمى قال صلى بنا رسول الله ﷺ ذات

غداة فقال قائل ما رأيت أسفر وجها منك الغداة فقال ما لى وقد رأيت ربى الليلة فى أحسن صورة فقال لى يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أعلم فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما فى السماوات والأرض ثم تلا ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥] الحديث. ابن منده والبغوى [٣١٧] والبيهقى فى السنن وابن عساكر انتهى.

وأخرج الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمة محمد بن المبارك الصورى من طريق عبد الله الدارمى عنه عن الوليد عن ابن جابر عن خالد بن اللجلاج سمعت عبد الرحمن بن عايش سمعت رسول الله ﷺ يقول رأيت ربى فى أحسن صورة قال فيم يختصم الملأ الأعلى قلت أنت أعلم يا رب. فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما فى السماء وما فى الأرض وتلا ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ انتهى.

وأخرج البيهقى فى كتاب " الأسماء والصفات " فى باب ما ذكر فى الصورة من طريق الوليد بن مزيد البيروتى قال حدثنا ابن جابر قال وحدثنا الأوزاعى أيضاً قالا حدثنا خالد بن اللجلاج قال سمعت عبد الرحمن بن عياش الحضرمى يقول صلى بنا رسول الله ﷺ ذات غداة فقال له قائل ما رأيتك أسفر وجها منك الغداة فقال ما لى وقد تبدا لى ربى فى أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد قال قلت أنت أعلم أى رب قال فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد قلت أنت أعلم أى رب فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما فى السماء والأرض وتلا هذه الآية ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥] قال فيما يختصم الملأ الأعلى يا محمد قلت فى الكفارات رب الحديث.

وأفاد فى الإصابة أيضاً رواية بشر بن بكر التى أشار إليها الترمذى وهى التى لم يقع فيها تصريح بالسماع أخرجها الهيثم بن كليب فى مسنده وابن خزيمة والدارقطنى من طريقه عن ابن [٣١٨] جابر عن خالد ابن اللجلاج سمعت عبد الرحمن بن عايش يقول قال رسول الله ﷺ

قلت وفى المشكاة عن عبد الرحمن بن عائش قال قال رسول الله ﷺ رأيت ربى فى أحسن صورة قال فيما يختصم الملأ الأعلى قلت أنت أعلم فوضع كفه بين كتفيا فوجدت بردها بين ثديا فعلمت ما فى السماوات والأرض وتلا ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام:٧٥]. رواه الدارمى مرسلاً انتهى.

قال ابن حجر الهيتمى فى شرحها فى معنى فعلمت ما فى السماوات والأرض أى جميع الكائنات التى فى السماوات بل وما فوقها كما يستفاد من قصة المعراج، والأرض هى بمعنى الجنس أى وجميع ما فى الأراضين السبع بل وما تحتها كما أفاده إخباره عليه السلام عن الثور والحوت اللذين عليهما الأرضون كلها انتهى على نقل صاحب المرقاة، وزاد ويمكن أن يراد بالسماوات الجهة العليا والأرض الجهة السفلى فيشمل الجميع ثم ذكر أنه لابد من التقييد فى هذا وله المراد ما أعلمه الله به فما فيهما قال وذكر يصح إطلاق الجميع كما هو الظاهر انتهى. قلت جميع من أدلته التقييد فى التخصيص واللفظ يفيد العموم وهناك ما يعضضه ويدل على بقائه على عمومه كرواية فتجلى لى كل شيء وعرفت ورواية وعلمنى كل شيء ولا مانع من عمومه لا شرعا ولا عقلا مجرد استبعاد العقول القاصرة المحصورة لذلك لا يفيد فى هذا الباب كما هو واضح لأولى الألباب والله أعلم.

وأفاد فى الإصابة أيضاً أن عبد الرحمن بن عايش هذا مختلف فى صحبته فقال ابن حبان له صحبة والبخارى له حديث واحد إلا أنهم مضطربون فيه وابن السكن يقال له صحبة وذكره فى الصحابة [٣١٩] محمد بن سعد والبخارى وأبو زرعة الدمشقى وأبو الحسن بن سميع وأبو القاسم البغوى وأبو عروبة الحرانى وغيرهم، وقال أبو حاتم الرازى والترمذى لم يسمع من النبى ﷺ راجعها فى ترجمته، وفى الاستيعاب وأسد الغابة لا تصح له صحبة لأن حديثه مضطرب.

قلت ومن المحدثين من روى هذا الحديث عنه عن رجل من الصحابة من غير تعيين أخرج أحمد والطبرانى عن عبد الرحمن بن عايش الحضرمى عن رجل من

أصحاب النبي ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات غداة وهو طيب النفس مسفر الوجه فسألناه فقال وما يمنعني وأتاني ربي الليلة في أحسن صورة فقال يا محمد قلت لبيك ربي وسعديك قال فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أدري فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثدي حتى تجلى لي ما في السماوات وما في الأرض قال ثم قرأ ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام:٧٥] قال في الخصائص الكبرى له طرق وهو مطول انتهى.

قلت وفي تلاوته للآية المذكورة إشارة إلى أنه كشف له عن الملكوت الأعلى والأسفل وأرى ما فيهما كما وقع ذلك لسيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام والمناسب لمقامه عليه السلام أن يكون كشفه أكمل وما اطلع عليه من ذلك أجلى وأتم وأفضل فيكون قد تجلى له جميع ما في الكون حتى رآه وعلمه علما تفصيليا ولا مانع من ذلك لا عقلي ولا شرعي وربنا قدير على كل شيء ونبيه أهل لكل خير ﷺ.

وقد قال البيهقي [٣٢٠] في كتاب " الأسماء والصفات " بعد إخراجه لحديث ابن عياش هذا عن النبي ﷺ بلا واسطة ما نصه هذا حديث مختلف في إسناده فروى هكذا ورواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد بن جابر أي وهو أخو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر السابق عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عياش عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن زيد ابن سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عياش الحضرمي عن مالك بن يوخامر عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ.

ورواه موسى بن خلف العمي عن يحيى أى ابن أبي كثير عن زيد أى ابن سلام عن جده ممطور وهو أبي سلام عن أبي عبد الرحمن السكسكي عن مالك بن يوخامر عن معاذ. وقيل فيه غير ذلك.

قلت أفاد في الإصابة أن طريق زهير بن محمد أخرج أحمد في مسنده قال ولكن رواية زهير بن محمد عن الشاميين ضعيفة كما قال البخاري وغيره وهذا منه وإن طريق جهضم بن عبد الله أخرجها أحمد وابن خزيمة والروياني والترمذي والدارقطني وابن

عدى وغيرهم وإن طريق موسى بن خلف أخرجها الدارقطني وابن عدى ونقل عن أحمد أنه قال هذه الطريقة أصحها، قال الحافظ فإن كان الأمر كذلك فإنما روى هذا الحديث عن مالك بن يوخامر أبو عبد الرحمن السكسكى لا عبد الرحمن بن عائش ويكون للحديث سندان ابن جابر عن خالد عن عبد الرحمن بن عائش ويحيى عن زيد عن أبي سلام عن أبي عبد الرحمن عن مالك عن معاذ قال ويقوى [٣٢١] ذلك اختلاف السياق بين الروايتين انتهى.

ثم قال البيهقي عقب ما مر عنه ورواه أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس وقال فيه أحسبه يعنى فى المنام. ورواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس.

قلت: رواية أيوب تقدم أنه أخرجها أحمد والترمذى ورواية قتادة الترمذى وأبو يعلى قال فى الإصابة ورواه أيوب عن أبي قلابة مرسلاً لم يذكر فوقه أحد أخرجه الترمذى وأحمد وكذا أرسله بكر بن عبد الله المزنى عن أبي قلابة أخرجه الدارقطني، ورواه سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي قلابة فخالف الجميع قال عن أبي أسماء عن ثوبان، وهى رواية أخطأ فيها سعيد بن بشير، وأشد منها خطأ رواية أخرجها أبو بكر النيسابورى فى الزيادات من طريق يوسف بن عطية عن قتادة عن أنس، وأخرجها الدارقطني، ويوسف متروك انتهى.

ثم أخرج البيهقي بسنده إلى البخارى قال: عبد الرحمن بن عائش الحضرمى له حديث واحد إلا أنهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية. قال الشيخ أى البيهقي وقد روى من أوجه أخر كلها ضعيفة وأحسن طريق فيه طريق جهضم بن عبد الله، ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على أن ذلك كان فى المنام انتهى.

قلت: بعد ما نقل فى الإصابة عن ابن السكن أنه ليس لعبد الرحمن بن عائش حديث غير هذا وذكر أنه سبقه إلى ذلك البخارى ولكن ليس فى عبارته تصريح، قال عقب ذلك قلت وقد وجدت له حديثا آخر مرفوعا، وله حديث ثالث موقوف ثم ذكر الأول راجعه [٣٢٢] ثم هذا الحديث وارد أيضاً عن جماعة آخرين من الصحابة غير الأربعة المذكورين معاذ وابن عباس وعبد الرحمن بن عائش متصلا أو مرسلاً

والرجل من الصحابة، فأخرج الطبرانى فى السنة وابن مردويه عن جابر بن سمرة مرفوعاً إن الله تجلى لى فى أحسن صورة فسألنى فيم يختصم الملأ الأعلى قلت يا رب ما لى به علم فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديي فما سألنى عن شيء إلا علمته الحديث.

وأخرجا أيضاً عن أبى هريرة مرفوعاً: رأيت ربى فى أحسن صورة فقال يا محمد فقلت لبيك ربى وسعديك ثلاث مرار قال هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديي ففهمت الذى سألنى عنه فقلت نعم يا رب الحديث.

وأخرجا أيضاً والشيرازى فى الألقاب عن أنس قال أصبحنا يوما فأتنا رسول الله ﷺ فأخبرنا فقال أتانى ربى البارحة فى منامى فى أحسن صورة فوضع يده بين ثديي وبين كتفى فوجدت بردها بين ثديي فعلمنى كل شيء الحديث.

قلت وهذه الرواية رواية فتجلى لى مع كل شيء وعرفت يفيدان أنه أعلم بكل شيء واطلع على كل شيء مما يتعلق بأمر العوالم كلها دنيا وأخرى.

وأخرجا أيضاً ومحمد بن نصر المرزوى عن أبى أمامة مرفوعاً أتانى ربى فى أحسن صورة فقال يا محمد فقلت لبيك وسعديك قال فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أدرى فوضع يده بين ثديي فعلمت فى مقامى ذلك ما سألنى عنه من أمر الدنيا والآخرة.الحديث.

قلت وهو يفيد أن السؤال وقع [٣٢٣]عن أشياء عديدة منها ما يتعلق بأمر الدنيا ومنها ما يتعلق بأمر الآخرة وإن لم يخبر أصحابه بها كلها.

وأخرج البزار والطبرانى فى السنة ومحمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة عن ثوبان قال خرج إلينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال إن ربى عز وجل أتانى الليلة فى أحسن صورة فقال لى يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا أعلم يا رب قال فوضع كفيه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله فى صدرى فتجلى لى ما بين السماء والأرض فقلت نعم يا رب يختصمون فى الكفارات والدرجات. الحديث.

وأخرج البزار أيضاً عن ابن عمر مرفوعاً: إني صليت في مصلاة فضرب على أذني فجاءني ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة. الحديث ذكره السيوطي في خصائصه الكبرى مختصرا فيه على هذا القدر، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد الرحمن بن صابت الجمحي المكي قال قال رسول الله ﷺ إن الله تجلى لي في أحسن صورة فسألني فيم اختصم الملأ الأعلى فقلت ربي لا علم لي به فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فما سألني عن شيء إلا علمته فهؤلاء أيضاً ستة من الصحابة جابر بن سمرة وأنس وأبو أمامة وثوبان وابن عمر ومعهم واحد من التابعين وهو عبد الرحمن بن صابت، وذكر في الجمع ممن ورد عنه من الصحابة أبا رافع وطارق بن شهاب البجلي الكوفي وكانت له رؤية ولم يسمع من النبي ﷺ على ما قال أبو داود، وأبا عبيدة بن الجراح ونص كلامه: أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة أحسبه قال في المنام فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى قلت [٣٢٤] لا فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماوات وما في الأرض. ثم ذكر بقية الحديث وقال في تخريجه عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال حسن غريب ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة عن ابن عباس والترمذي والطبراني في الكبير وابن مردويه عن معاذ بن جبل والطبراني في الكبير وابن مردويه عن أبي أمامة والطبراني في الكبير وابن مردويه عن أبي رافع والطبراني في الكبير وابن مردويه عن طارق بن شهاب والطبراني في السنة وابن مردويه عن جابر بن سمرة والحكيم والطبراني في السنة وابن مردويه عن أبي هريرة والطبراني في السنة وابن مردويه عن أنس والطبراني في السنة والخطيب عن أبي عبيدة بن الجراح والحكيم والطبراني في السنة عن عبد الرحمن بن عياش الحضرمي وأحمد عنه عن بعض الصحابة والحكيم والبزار والطبراني في السنة عن ثوبان انتهى.

وها هنا في هذا الحديث رواية فيها بعد ذكر الوضع فعلمت علم الأولين والآخرين ذكره غير واحد من المعتبرين وصححوها ولم أقف الآن لشدة القصور في بعض الكتب على من خرجها من الأئمة الحفاظ في كتابه ، وممن ذكره العارف بالله

سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه " الجواهر والدرر" وحديثها على ما قال: أتانى الليلة آت من ربى قال وفى رواية أتانى ربى عز وجل فوضع أصابعه بين ثديى حتى وجدت برد أنامله فعلمت علم الأولين والآخرين ثم ذكر أنه سأل شيخه سيدى على الخواص عن المراد بهذا الحديث هل العلم عام لجميع ما علمته [٣٢٥] أمته من معقول ومنقول فى فقه أو نحو أو أصول أو غير ذلك؟ فقال له نعم هو شامل لجميع ذلك قال فقلت له فما المراد بالأولين والآخرين فقال من تقدمه من الأمم ومن تأخر من أتباعه إلى يوم القيامة راجعه.

وفى " الفتوحات المكية " فى الباب الرابع والثلاثين بعد ما ذكر أن الله تعالى عبادا خرق لهم العادة فى إدراكهم العلوم فمنهم من جعل له إدراك ما يدرك بجميع القوى بقوة البصر خاصة وآخر بقوة السمع وهكذا جميع القوى ثم بأمور عرضية خلاف القوى من ضرب وحركة وسكون وغير ذلك ما نصه قال رسول الله ﷺ إن الله ضرب بيده بين كتفى فوجدت برد أنامله بين ثديى فعلمت علم الأولين والآخرين فدخل فى هذا العلم كل معلوم معقول ومحسوس مما يدركه المخلوق، فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية والمعنوية، فلهذا قلنا إن ثم أشياء أخر خلاف هذه القوى تدرك به المعلومات انتهى.

وقال ابن حجر المكى فى شرح الهمزية لدى قوله لك ذات العلوم ما نصه أكثر علوم نبينا ﷺ تتعلق بالمغيبات بدليل فعلمت علم الأولين والآخرين انتهى.

وتقدم فى كلام الشيخ سيدى عبد الغنى النابلسى فى شرح الفصوص وصفه بالصحة أيضاً وقد أشار إليه من قال:

إن تــك فــاتح الخــيرات طــرا فــإنك قــد ختمــت المرســلينا
لــوم الآخــرين علــيك قصــت وقــد أوتيــت عــلم الأوليــنا

كما أشار إلى حديث أنا مدينة العلم وعلى بابها من قال أيضاً: [٣٢٦]

قلــبى بــنجد نــازل بقــبابى فــيها ملــيح ســيد الأعــراب
عرضت عليه كنوز الأرض فلم يرد عــلما بــأن مصــيرها لذهــاب

وإذا سألت عن العلوم فإنه لمدينة مفتوحة الأبواب

وقد ذكر غير واحد أنه وقع هذا الوضع مرة أخرى ليلة الإسراء ففى كتاب لأبى الحسن على بن غالب تكلم فيه على أحاديث الحجب نقلاً عن أبى الربيع بن سبع فى شفاء الصدور عن ابن عباس قال قال على سلونى قبل أن تفقدونى سلونى عن علم لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل أعلمنى رسول الله ﷺ مما علمه ربه ليلة الإسراء ثم ذكر الحديث، وفيه أنه عليه الصلاة والسلام قال أتانى جبريل وكان السفير بى إلى ربى إلى أن انتهى إلى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل فى مثل هذا المقام يترك الخل خله فقال إن تجاوزته احترقت بالنور إلى أن قال: قال يعنى النبى ﷺ وسألنى ربى فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها بين ثديي فأورثنى علم الأولين والآخرين وعلمنى علوما شتى فعلم أخذ على العهد بكتمانه إذ علم أنه لا يقدر على حمله أحد غيرى وعلم خيرنى فيه فكنت أسر إلى أبى بكر وإلى عمر وإلى عثمان وإليك يا أبا الحسن وعلمنى القرآن فكان جبريل عليه السلام يذكرنى به وعلم أمرنى بتبليغه إلى العام والخاص من أمتى ولقد عاجلت جبريل عليه السلام فى آية نزل على بها فعاتبنى ربى وأنزل على ﴿ **وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾ [طه: ١١٤] [٣٢٧] انتهى المراد منه، وقد نقله فى المواهب اللدنية فى المقصد الخامس فى الإسراء والمعراج من قوله أتانى جبريل إلى آخره لكنه جعله من حديث ابن عباس فأوهم أن ابن عباس رواه بلا واسطة وليس كذلك وقال فى آخره رواه فى كتاب شفاء الصدور كما ذكره ابن غالب والعهدة فى ذلك عليه انتهى.

وقال الحافظ الشامى فى معراجه بعد نقله لكلام صاحب المواهب هذا وهو كذب بلا شك انتهى.

فجزم ببطلانه مع نقل غير واحد له من أهل الله وغيرهم وممن نقله الشيخ الأستاذ المربى القطب أبو زين العابدين سيدى المختار بن أحمد بن أبى بكر الكنتى ثم الواف فى

نــزهة الراوى وبغية الحاوى فى الباب الخامس منه فى بدء الوحى والإسراء وربك أعلم بما فى نفس الأمر.

وفى " روح البيان " لدى قوله تعالى ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ** ﴾ [الإسراء: ١] الآية أثناء كلامه على قصة الإسراء ما نصه قال ﷺ سألنى ربى فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد قال أى يد قدرته لأنه سبحانه منــزه عن الجارحة فوجدت بردها فأورثنى علم الأولين والآخرين وعلمنى علوما شتى فعلم أخذ على كتمانه إذ علم أنه لا يقدر على حمله غيرى، وعلم خيرنى فيه، وعلم أمرنى بتبليغه إلى العام والخاص من أمتى وهو الإنس والجن.

قال وهذا التفصيل يدل على أن العلوم الشتى هذه العلوم الثلاثة كما يدل عليه الفاء وهى زائدة على علوم الأولين والآخرين فالعلم الأول من باب الحقيقة الصرفة والثانى من باب [٣٢٨] المعرفة والثالث من باب الشريعة انتهى منه بلفظه.

وقال العلامة ابن زكرى فى شرحه لصلاة ابن مشيش ما نصه جميع علوم النبيين والمرسلين تنــزلت فيه ﷺ كما يدل عليه قوله أورثنى ربى علم الأولين والآخرين.

وفى شرح البردة للزركشى عن ابن عباس أنه عليه السلام لما ولد قال فى أذنه رضوان خازن الجنان أبشر فما بقى لنبى علم أى بكسر فسكون إلا قد أعطيته فأنت أكثرهم علما وأشجعهم قلبا انتهى.

- وهذا الذى نقله عن ابن عباس ذكر فى المواهب اللدنية أنه رواه الحافظ أبو بكر بن عائذ فى كتابه المولد قال كما نقله عنه الشيخ بدر الدين الزركشى فى شرح بردة المديح قال فى شرح المواهب وهذا أرسله ابن عباس، ومرسل الصاحب وصل فى الأصح وحكمه الرفع إذ لا مجال للرأى فيه انتهى والله أعلم.

وأخرج أحمد وأبو داود فى سننه واللفظ له والحاكم فى المستدرك والبيهقى والطبرانى فى الكبير عن المقدام بن معد كرب الكندى مرفوعاً « أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ

أَلاَ إِنِّى أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِى شَبْعَاناً عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ.الحديث[1]

أخرجه أبو داود فى باب لزوم السنة من كتاب السنة وأخرجه الترمذى أيضاً فى أبواب العلم لكن لا بهذا اللفظ وأورده الحافظ ابن حجر فى أول لسان الميزان بلفظ ألا إنى أتيت الكتاب ومثله معه ألا إنى أتيت القرآن ومثله معه وذكر بقية الحديث ثم قال حسنه الترمذى وصححه الحاكم والبيهقى انتهى.

وأورده بعضهم من عند أبى داود وابن حبان [٣٢٩] من حديث المقدام أيضاً بلفظ ألا إنى أتيت الكتاب وما يعدله الحديث ومعناه أنه عليه الصلاة والسلام أتى القرآن العظيم بما اشتمل عليه من الأحكام الظاهرة والعلوم المتكاثرة التى يمكن أن تدرك منه لأهل العلم الظاهر بالوجوه المعروفة والطرق المألوفة ومثلها معها من الأحكام التى لم يصرح بها فيه والعلوم التى لا يدركها منه أكثر العلماء وإن كان يمكن أن تستنبط منه بوجه غير مألوف وأمر غير معروف لمن أمده الله بعلومه اللدنية أو تقول معناه أنه عليه السلام أوتى القرآن العظيم بعلومه وأسراره وخواصه وجميع ما يشتمل عليه من تصريح أو تلويح أو رمز أو إشارة ومن ظاهر وباطن الباطن إلى غير ذلك من كل ما يمكن أن يعلمه منه البشر والخلق من غيره ﷺ وأتى أيضاً مثل ذلك وما يعدله من علوم أخر وأحكام مختصة به ومعارف وأسرار لا يحاط بها انفرد بها ﷺ ولم يؤتَها أحد سواه أخذها ﷺ من ربه تبارك وتعالى بلا واسطة شيء ويمكنه أخذها واستنباطها من القرآن أيضاً لكونه جامعا لعلوم الأولين والآخرين ولكن بفهم اختص به وإلهام خاص لم يحصل لغيره والأول أقرب إلى الأفهام والثانى أنسب وأليق بالمقام والله أعلم.

وفى شرح همزية الإمام البوصيرى للعلامة ابن حجر الهيتمى لدى قولها:

وسع العالمين علما وحلما ... فهو بحر لم تغنيه الأغنياء

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/٢٠٠) وأحمد (٤/١٣٠).

[٣٣٠] ما نصه أى وسع علمه ﷺ علوم العالمين الإنس والملائكة والجن لأن الله تعالى أطلعه على العالم فعلم علم الأولين والآخرين ما كان وما يكون كما مر وحسبك فى ذلك القرآن الذى أوتيه ﷺ ومثله معه كما صح عنه ﷺ وقد قال تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:٣٨]ويلزم من إحاطته ﷺ بالعلوم القرآنية ومثلها الذى أتيه أيضاً أنه ﷺ أحاط بعلوم الأولين والآخرين وأن علومهم مندرجة ومنغمرة فى علومه ﷺ انتهى.

قلت والكتاب فى قوله ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:٣٨]هو القرآن وقيل اللوح المحفوظ فكل ما يطلق عليه اسم شيء فهو فى القرآن إما صريحا وإما إشارة إما ضمنا وإما إلتزاما والشيء أعم من الموجود والمعدوم عند أهل اللغة وقد قال تعالى أيضاً ﴿ وَنَزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]وقال ابن مسعود فيما أخرجه سعيد بن منصور عنه من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضاً فيما أخرجه ابن أبى حاتم عنه إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله عز وجل وفيما أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم عنه قال أنزل الله لنا فى هذا القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء ولكن علمنا يقصر عما بين لنا فى القرآن، وقال ابن عباس فيما نقله عنه غير واحد جميع العلم فى القرآن ولكن تقاصر عنه أفهام الرجال وقال أيضاً [٣٣١] ما حرك طائر جناحيه إلا وجدنا ذلك فى كتاب الله تعالى.

وقال بعضهم ما من شيء فى العالم إلا وهو فيه. وقال آخر ما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه لمن فهمه الله تعالى.

ويقال ما من حادثة إلا وإليها إشارة فيه بطريق علم الحروف ولا تنكشف إلا لأهله. وقال بعض النظار فى القرآن أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع ما وقع ويقع من الكائنات، وهو كلام الشيخ أبى مدين ﷺ لا يكون المريد مريدا حتى يجد فى القرآن كل ما يريد.

وقال الشافعى جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن.

وقال أيضاً جميع ما حكم به النبى ﷺ فهو مما فهمه من القرآن. ثم أخرج ما يؤيده وهو حديث إنى لا أحل إلا ما أحل الله فى كتابه ولا أحرم إلا ما حرم الله فى كتابه وقال ما نـــزل بأحد من الدين نازله إلا وهى فى كتاب الله تعالى.

وقال بعض العلماء ما ثبت من الأحكام ابتداء بالسنة فهو فى الحقيقة مأخوذ من كتاب الله لأنه أوجب علينا اتباع الرسول وفرض علينا الأخذ بقوله.

وقال آخر للقرآن العظيم مفاهيم كثيرة لا تنحصر كثرةً كل يفهم منه على قدر مقامه ومرتبته وبحسب قابليته ومشربه وحالته فأفهام أرباب النهاية مغايرة لأفهام غيرهم من أهل البداية والعارف فهمه مغاير لفهم العابد وأفهام أرباب الحقائق مغايرة لأفهام غيرهم من أصحاب العلوم والطرائق، وفهم الفقيه [٣٣٢] مغاير لفهم الصوفى لكن مع تغاير هذه الأفهام لا اختلاف بينهم لاتحاد قواعدهم غير أن ما كشفته المعرفة للعارف خفى على العابد مع اطلاع العارف على ما انكشف للعابد إذ كلام العارف مع أهل السماء وكلام العابد مع أهل الأرض وما انكشف لأهل النهاية لا يطلع عليه أهل البداية لعدم استكمالهم السلوك، وما انكشف للصوفى لا ينكشف للفقيه مع اطلاع الصوفى على ما ينكشف للفقيه لأن كلام الصوفى فى بواطن الأمور وما تكلموا فى بواطنها حتى أتقنوا ظواهرها، وكلام الفقيه فى ظواهر الأمور لاشتغاله بالقشر عن اللباب وكل ميسر لما خلق له ﴿ كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ [الإسراء: ٢٠].

وفى القوت والإحياء حياء وشفاء الصدور لابن سبع نقلاً عن بعض العلماء والمراد به سهل بن عبد الله التسترى قال لكل آية من القرآن ستون ألف فهم وما بقى من فهمها أكثر.

وفى " الميزان " للشعرانى نقلاً عن شيخه سيدى على الخواص أن الكامل يترقى حتى يصير يستخرج جميع أحكام القرآن وآدابه من صورة الفاتحة ثم يترقى حتى يصير يستخرج أحكام القرآن كله وأحكام الشريعة وجميع أقوال المجتهدين ومقلديهم إلى يوم

القيامة من أى حرف شاء من حروف الهجاء ثم يترقى إلى ما هو أبلغ من ذلك. راجعه.

وفى شرح صلاة السيد سيدى أحمد البدوى للشيخ عبد الرحمن العيدروس نقلاً عن جده العيدروس الأكبر عبد الله قال لو شئت أن أصنف [٣٣٣] على حرف الألف ألف مجلد لفعلت، وكان يقول هل من مبارز فى جميع العلوم وعن عم جده هذا سيدى عمر المحضار قال لو أردت أن أملى فى تفسير ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ [البقرة: ١٠٦] حمل مائة ألف جمل وما ينفد تفسيره لفعلت.

وعن بعاد الإشراف من بنى علوى أنه رأى بعض أولياء بلدهم من بيت أبى الفضل يقول له يا شريف وجدنا تحت كل حرف من القرآن أربعمائة ألف لكل من المعانى وكل حرف منها له معانى فى موضع غير المعانى التى له فى موضع آخر.

وعن سيدى على الخواص قال إن الله أطلعنى على معانى صورة الفاتحة فظهر لى منها معانى مائتى ألف علم وسبعة وأربعين ألف علم وتسعمائة وتسعة وتسعين علما.

قال الشيخ عبد الرحمن العيدروس هذا وأشباه ذلك ونظائره كثير ولا يخفى على من تتبعه والله واسع عليم انتهى.

قلت وفى العهود المحمدية فى عهد أن لا ندعى العلم إلا لغرض شرعى ما نصه وقد استخرج أخى الشيخ أفضل الدين من سورة الفاتحة مئتى ألف علم ونيفا وأربعين ألف علم وذكرنا منها فى كتابنا المسمى " بتنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء " ثلاثة ألاف علم لا يتعقلها الإنسان إلا إن رأى أسماءها إذ لم تخطر له قط على بال انتهى.

ولأجل هذا الجمع العظيم سمى قرآنا من القرء الذى هو الجمع وذلك أن القرآن ليس هو إلا ظاهر علم الله تعالى ولا ريب أن علمه تعالى محيط بالجزئيات والكليات فالقرآن محيط بها أيضاً فإنه أمر الله المنـــزل كما قال تعالى ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ [٣٣٤] أَنـــزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾ [الطلاق:٥] وأمره صفته المحيطة بكل شيء القائمة على كل شيء

فافهم هكذا قال بعض الأكابر ومن هذا ونحوه تطلع على نقطة كماله ﷺ من العلوم التى ما نالها أحد من الخلائق أجمعين بل ولا شم لها رائحة ولا يشمها أبد الآبدين.

وها هنا تنبيه وإنذار وهو أنا رأينا كثيرا من الناس يقدمون على أخذ علم بعض الحوادث المستقبلة من القرآن بطريق من الطرق الحسابية أو نحوها بمجرد النظر العقلى والجولان الفكرى وذلك منهم خطأ بل مخطر لأن الواقع قد لا يكون كذلك فيؤدى إلى نسبة شبه الكذب لكلام الله تعالى وإن بالفحوة والإشارة والقرآن ينـــزه عن مثل ذلك والهجوم على هذا وشبهه لا ينبغى إلا لذى بصيرة نورانية يُصدق كشفه فتحه وأما غيره فخطاؤه فيه أكثر من صوابه وكم رأينا من خطأ وقع فى هذا لمن يعد من الأكابر فكيف بمن هو دونهم من العوام والأصاغر والله المرشد.

وأخرج الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية ونعيم بن حماد فى الفتن من حديث ابن عمر مرفوعاً إن الله تعالى قد رفع لى الدنيا أى أظهرها وكشفها لى بحيث أحط بجميع ما فيها قال فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها لى يوم القيامة كما أنظر إلى كفى هذه جليانا من الله جلاه لنبيه كما جلاه للنبيين من قبل.قال فى الجمع وفى الكنـــز بعد أن أورده من عند نعيم بن حماد وسنده ضعيف وقد أورده فى الخصائص الكبرى كما أورده غير واحد وأكثرهم يقتصر على عزوه للطبرانى.

وأخرج [٣٣٥] الشيخان وغيرهما عن حذيفة بن اليمان قال: قام فينا رسول الله ﷺ مَقاماً مَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلاَءِ - يعنى الحاضرين عنده من الصحابة - هَؤُلاَءِ وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ.

وقد أخرجه أيضاً أبود اود فى أول كتاب الفتن وعياض فى الشفا من طريقه، وفى رواية أخرى لأبى داود قال حذيفة بن اليمان: والله ما أدرى أنسى أصحابى أم تناسوا

والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته.

وأخرج مسلم عنه أيضاً قال أخبرنى رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة فما منه شيء إلا قد سألته إلا أنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة[1].

وأخرج الحاكم فى الكنى عن على قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاما بما يكون إلى أن تقوم الساعة.

وأخرج أحمد وابن سعد فى طبقاته والطبرانى فى الكبير بسند صحيح عن أبى ذر قال تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه فى الهواء إلا وهو يذكرنا منه علما فقال رسول الله ﷺ ما بقى شيء يقرب إلى الجنة ويباعد عن النار إلا وقد بين لكم.

وأخرج أبو يعلى والطبرانى [٣٣٦] وابن منيع عن أبى الدرداء قال لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلا ذكرنا منه علما. [2]

وفى رواية إلا ذكر لنا منه علما أى ذكر لنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره مما يتعلق بالأرض قال فى شرح المواهب وهذا تمثيل لبيان كل شيء تفصيلاً تارة وإجمالا أخرى والمعنى لم يدع شيئا إلا بينه لنا بحيث لا يخفى علينا شيء بعده انتهى.

قال فى المواهب اللدنية ولا شك أن الله تعالى قد أطلعه على أزيد من ذلك وألقى عليه علم الأولين والآخرين، وأما علم عوارف المعارف الإلهية فتلك لا يتناهى عددها وإليه ﷺ ينتهى مددها انتهى.

وقد كان عليه الصلاة والسلام خطب قبل وفاته الشريفة خطبا عديدة منيفة أطال فيها كلها مرات فى حصص وافرة من الزمن ومرة من العصر إلى الغروب ومرة من الصباح إلى الغروب يعلمهم فى كل خطبة منها بما سيكون أو بما كان ويكون من

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢١٧/٤، رقم ٢٨٩١) وأبو داود (٩٤/٤).

(٢) أخرجه أحمد(١٥٣/٥).

ابتداء الخلق إلى انتهائه. منها ما تقدم فى حديث حذيفة وعلى ومنها ما يأتى فى حديث غيرهما.

أخرج أحمد والبخارى فى تاريخه والطبرانى عن المغيرة بن شعبة قال قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فأخبرنا بما يكون فى أمته إلى يوم القيامة وعاه من وعاه ونسيه من نسيه.

وأخرج البغوى وابن عساكر فى تاريخه عن يزيد بن أبى مريم السلولى عن أبيه وهو مالك بن ربيعة بصرى أو كوفى له أحاديث قال قام فينا رسول الله ﷺ مقاما [٣٣٧] ثم حدثنا ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

وفى صحيح البخارى فى أول بدء الخلق قال وروى عيسى بن أبى موسى البخارى التيمى وهو الملقب بجندار عن أبى حمزة أى وهو محمد بن ميمون السكرى عن رقبة أى ابن مصقلة العبدى الكوفى عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ قَامَ فِينَا النَّبِىُّ ﷺ مَقَاماً، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ.وهذا وصله الطبرانى من طريق عيسى المذكور عن أبى حمزة عن رقبة بالسند المذكور، وأخرجه أيضاً الدارقطنى فى الأفراد وغيره.

قال فى " إرشاد السارى " ودل ذلك على أنه أخبر بجميع أحوال المخلوقات منذ ابتدئت إلى أن تفنى إلى أن تبعث قال وهذا من خوارق العادات ففيه تيسير القول الكثير فى الزمن القليل انتهى.

قلت ولا بدع فى هذا فإن الله تعالى يفعل ما يشاء يطيل الزمن القصير ويبسطه بالنسبة إلى بعض عباده ويقصر الطويل ويقبضه وييسر الكثير فى القليل كل ذلك إذا شاء وقد كان زمن ذهابه ﷺ ومجيئه فى الإسراء وقطعه لتلك المسافات الطويلة ولقائه للملائكة والأنبياء وصلاته بهم ودخوله الجنة والنار ورؤيته لما فيهما ومناجاته لربه تعالى وتردده منه إلى موسى وغير ذلك فى مدة يسيرة مقدار ثلاث ساعات أو أربع على ما قاله بعضهم، وفى كلام السبكى أن ذلك كان قدر [٣٣٨] لحظة، وفى كلام النابلسى فى شرح التائية الكبرى لابن الفارض أنه كان فى زمن يسير بحيث رجع

وفراشه على سخونته الأولى، وفى كلام غيرهم أنه عليه السلام ذهب وجاء ولم يتم ماء إبريقه انصبابا، وفى مناقب الشيخ موسى السدراطى من أكابر أصحاب الشيخ أبى مدين أن له وردا فى اليوم والليلة سبعين ألف ختمة، وكذلك نقل عن الشيخ عيسى المغربى وكان من أولياء الله إن ورده فى كل يوم ذلك أعنى سبعين ألف ختمة وسمع منه أنه ختم القرآن بعد طوافه فى الملتـــزم وهو مقدار ثلاث أو أربع خطوات، وقال المناوى فى شرحه للجامع الصغير قال القسطلانى أخبرنى شيخ الإسلام البرهان بن أبى شريف أنه كان يقرأ خمسة عشرة ختمة فى اليوم والليلة، وفى الإرشاد أن النجم الأصبهانى رأى رجلا من اليمن ختم فى شوط أو أسبوع، قال الشيخ عبد الغنى النابلسى فى شرحه لتائية ابن الفارض وفى شرحه للطريقة المحمدية وأخبرنى بعض الثقات أن شيخنا العارف بالله عبد الوهاب الشعراوى ختم بين المغرب والعشاء ختمتين، وفى الميزان للشعرانى عن الشيخ سيدى على المرصفى أنه أخبره أنه قرأ يعنى فى أيام سلوكه فى يوم وليلة ثلاثمائة ألف ختمة وستين ألف ختمة وذكر ذلك أيضاً فى الطبقات فى ترجمته وزاد كل درجة ألف ختمة وهكذا قال أيضاً فى كتاب الأخلاق وزاد وكان على هذا المقام شيخنا القاضى زكريا فكان إذا قرأنا معه لا نلحقه وكذلك الشيخ نور الدين الشونى لغلبة روحانيتهما على جسمانيتهما انتهى.

[٣٣٩] وفى شرح الطريقة المحمدية للخادمى لدى قول أصله وكرامات الأولياء حق إلى آخره ما نصه وفى بعض الكتب عن فصل الخطاب لخوجة بارسا أن الواحد من تلامذة حضرة الجنيد قدس سره يدخل الدجلة لأجل الغسل فيرى نفسه فى ديار الهند فيتـــزوج ويحصل له أولاد فيدخل الماء مرة أخرى فيجد نفسه فى ساحل الدجلة فيلبس ثيابه ويجيء زاويته وأصحابه يتوضئون الوضوء.

وفى بعض الكتب عن السمعانى قدس سره قال أكثر أوقاتى يمر على أى بعد آداء أورادى بعد صلاة الفجر أتوجه وأنخلع من هذا العالم داخلا فى عالم آخر وأكون فيه مائة وعشرين سنة متعبدا ومستغرقا فى عبادته تعالى كل سنتها ثلاثمائة وستون يوما أصلى فى كل يومها خمسا وأصوم شهرا فى كل سنتها فعند فراغى من توجهى أرفع

رأسى فالشمس إما طالعة أو يكون وقت الإشراق. وفهم مثل هذا الكلام لا يمكن إلا لأهل الباطن كمعراجه ﷺ قال خوجة محمد بارسا فعند وصول السالك إلى هذا يعبد الله فى نفس مقدار ألف سنة كما روى عن على ﷺ أنه يختم بالتجويد والترتيل ما بين وضع قدميه حين الركاب انتهى.

قلت ومثل هذا لا يتسهل إلا بفيض ربانى ومدد رحمانى وتغلب روحانية الشخص على جسمانيته والروح من أمر الله وأمر الله كلمح البصر أَو أقرب وعرض كلمات القرآن كلها مع معانيها فى لسان الولى كلمح بالبصر وهو فى مناقب الأولياء كثير وربنا على كل شيء قدير وانظر الطبقات [٣٤٠] الشعرانية فى ترجمة الشيخ سيدى إبراهيم المتبولى ففيها بعض قضايا من هذا النمط، وانظر أيضاً الفتوحات فى الجواب عن السؤال الثانى والستين من أسئلة الحكيم الترمذى وقد ذكر فيها مما هو من هذا الباب حكاية الجوهرى وقال إن هذه المسألة من مسائل ذو النون المصرى الستة التى تحيلها العقول ولله قوى فى العالم خلقها مختلفة الأحكام خص أولياءه بها فلا ينكرها إلا جاهل مما ينبغى للجناب الإلهى من الاقتدار راجعه.

وفى الإنسان الكامل فى الباب الرابع والخمسين بعد ذكره لخرق العادة فأقصى ما نصه: كما أن الحق تعالى قد يبسط الآن الواحد حتى يكون له فيه أعمال كثيرة وأعمار ويتـــزوج ويولد له ولم يكن ذلك عند غيره بل عند جميع أهل الدنيا إلا فى أقل من ساعة من نهار هذا أمر وقعنا فيه وأدركناه ولا يؤمن به إلا من له نصيب منا انتهى منه بلفظه.

وأخرج أحمد ومسلم كلاهما عن أبى زيد وهو عمر بن أخطب الأنصارى قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وفى رواية صلاة الصبح ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنـــزل فصلى وفى رواية ثم نـــزل فصلى بنا الظهر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نـــزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا وفى رواية فحدثنا بما كان وبما هو كائن فأعلمُنا أحفظنا.

قال فى إرشاد السارى فبين فى هذا المقام المذكور زمنا ومكانا ما فى حديث عمرو ﷺ وأنه كان على المنبر [٣٤١] من أول النهار إلى أن غابت الشمس انتهى.

قلت ويحتمل أن يكون ما فى حديث عمر فى زمن آخر وخطبة أخرى ولا مانع من التعدد وربك أعلم.

وأخرج الترمذى فى أبواب الفتن فى باب ما جاء ما أخبر النبى ﷺ أصحابه ما هو كائن إلى يوم القيامة عن أبى سعيد الخدرى قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه. الحديث. وذكره فى الجمع بلفظ صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر بنهار ثم خطب إلى أن غابت الشمس فلم يدع شيئا هو كائن إلى يوم القيامة إلا حدثنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وعزاه للترمذى ونعيم بن حماد فى الفتن عن أبى سعيد، قال الترمذى وفى الباب عن حذيفة وأبى مريم وأبى زيد بن أخطب والمغيرة بن شعبة وذكروا أن النبى ﷺ حدثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة وهذا حديث حسن صحيح انتهى.

والظاهر أن هذا مقام آخر غير مقام حديث أبى زيد لاختلاف الراوى فيهما والمروى معا أما الراوى فظاهر وأما المروى فلأن فى الأول أن الخطبة من أول النهار إلى آخره وأنه أخبره بما كان ويكون، وفى الثانى أن الخطبة من بعد صلاة العصر إلى الغروب وأنه أخبره بما سيكون وقد تردد فى هذا القرطبى فى التذكرة فإنه بعد ما ذكر فيها وذلك فى باب ما يكون من الفتن وإخبار النبى [٣٤٢] ﷺ بها حديث مسلم عن أبى زيد ثم حديث الترمذى عن أبى سعيد قال بعده ما نصه فظاهر هذا أن ذلك المقام كان من بعد صلاة العصر لا قبل ذلك وهذ تعارض فيجوز أن يكون ذلك فى يومين فيوم خطب فيه من بعد العصر ويوم قام فيه خطيبا كله ويجوز أن تكون الخطبة من بعد صلاة الصبح إلى غروب الشمس كما فى حديث أبى زيد واقتصر بعض الرواة فى الذكر على ما بعد العصر كما فى حديث أبى سعيد الخدرى وفيه بعد والله أعلم انتهى.

وأخرج النسائى من طريق هناد بن السرى عن أبى الأحوص عن عطاء بن السائب عن بريد بن أبى مريم عن أبيه قال كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فأسرينا ليلة فلما كان وجه الصبح نـــزل رسول الله ﷺ فنام ونام الناس فلم يستيقظ إلا بالشمس قد طلعت علينا فأمر رسول الله ﷺ المؤذن فأذن ثم صلى الركعتين قبل الفجر ثم أمره فأقام فصلى بالناس ثم حدثنا بما هو كائن حتى تقوم الساعة ذكره فى باب كيف يقضى الفائت من الصلاة قبيل كتاب الآذان.(١)

وأخرج أحمد وأبو عوانة فى مسنديهما من طريق أبى هنيدة البراء بن نوفل عن والان العدوى عن حذيفة بن اليمان عن أبى بكر الصديق قال أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغداة ثم جلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء [٣٤٣] الآخرة ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبى بكر ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه صنع اليوم شيئا لم يصنعه قط قال فسأله فقال نعم عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد.(٢) لحديث. فى ذكر الشفاعة فى الموقف وممن ذكره التقى السبكى فى شفاء السقام وقال عقبه ما نصه وهذا الحديث يشير إلى أمر عظيم مما رآه النبى ﷺ وأعلمه فى ذلك اليوم لا يحيط به إلا الله تعالى ومن أعلمه إياه وأن ما اشتمل عليه حديث أنس وأبى هريرة وغيرهما من التفاصيل جزء يسير مما علمه النبى ﷺ من أحوال يوم القيامة انتهى.

وأورده أيضاً السيوطى فى جمع الجوامع بطوله فى مسند أبى بكر الصديق وقال فى أوله عن أبى هنيدة البراء بن نوفل عن والان العدوى عن حذيفة عن أبى بكر قال أصبح إلى آخره ثم قال فى آخره أحمد وابن المدينى فى كتاب تعليل الأحاديث المسندة والدارمى وابن راهويه والحارث بن أبى أسامة والبزار وقال تفرد به البراء بن نوفل عن

---

(١) أخرجه النسائى فى الكبرى (٤٩٤/١، رقم ١٥٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٤/١) وأبو عوانة (١٥١/١).

والان ولا نعلمهما رويا غير هذا الحديث وابن أبي عاصم فى السنة وأبو يعلى والشاشى وأبو عوانة وابن خزيمة وقال فى أوله إن صح الخبر ثم قال فى آخره إنما استثنيت صحة الخبر فى الباب لأنى فى الوقت الذى ترجمت الباب لم أكن أحفظ عن والان خبرا غير هذا ولا راويا غير البراء ثم وجدت له خبرا ثانيا وراويا آخر قد روى عنه عن مالك بن [٣٤٤] عمير الحنفى، وابن حبان فى صحيحه والدارقطنى فى العلل وقال والان مجهول والحديث غير ثابت، والأصبهانى فى الحجة والضياء انتهى.

قلت بعد أن نقل الحافظ ابن حجر فى لسان الميزان له فى ترجمة هذا عن الدارقطنى فى العلل أنه قال فيه إنه ليس بمشهور والحديث غير ثابت قال بعده ما نصه كذا قال وقد قال يحيى بن معين بصرى ثقة وذكره ابن حبان فى الثقات وأخرج حديثه فى صحيحه قال الحافظ قلت وكذا أخرجه أبو عوانة وهو من زياداته على مسلم انتهى فهذه أحاديث كثيرة وهى مفيدة بمجموعها إحاطته عليه الصلاة والسلام بعلوم الأولين والآخرين من أهل السماوات والأراضين وعلمه بما كان ويكون إلى يوم الدين بل إلى دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وبأحوال الدنيا كلها والآخرة بأجمعها برزخا وموقفا وجنة ونارا وغيرها بل وبأحوال العالم أجمع وأنه لا يخفى عليه من أمره شيء وذلك بعمومه شامل للخمس والروح وغيرهما من كل ما أخفى وأبهم عن أكثر الخلق أو عن جميعهم سواه ﷺ وبها يستدل من يقول بإحاطة علمه عليه السلام على ما فيه وقد قال العارفون رضوان الله عليهم إنه عليه الصلاة والسلام أحاط علمه بمكونات الله تعالى ومصنوعاته وجميع ما كان من مخلوقاته من الأزل إلى الأبد عرشا وفرشا وما بينهما وما فوق وما تحت مما بلغ علمه إلينا ومما لم [٣٤٥] يبلغ تفصيلاً لا يشذ عنه من علمها شيء، واستدلوا على ذلك بأدلة عديدة:

منها ما تقدم من الأحاديث الدالة على العموم فإنها محمولة عندهم على عمومها ولكن فى المكونات خاصة دون الذات العلية وأوصافها وإن استدل بها متعمقون كما يأتى على الإحاطة حتى فيها فإن ذلك ليس بصحيح ولا يعول عليه لا عقلا ولا شرعا ولا كشفا.

ومنها ما هو مقرر عندهم وعند غيرهم وصرح به فى عدة أحاديث من أن العوالم كلها مخلوقة بسببه ومن أجله ومن نوره عليه الصلاة والسلام وأنه أصل الموجودات كلها وعنصرها ومادتها وواسطها والحجاب الأعظم بينها وبين موجدها سبحانه وتعالى وأن به حياتها وقيامها ودوامها، ومنها استمدادها فى جميع أحوالها وعليه فلا يمكن بل ولا يتصور فى العقول السليمة أن يغيب عنه شيء من ذواتها وأفعالها ولا أن يخرج عن جنابه أدنى ذرة من أحوالها والفردَ أنه أصلها ومادتها وإليه وجهتها وبه هيأتها ولولا هو تلاشت وتهافتت.

ومنها ما شهد به الذوق السليم العرفانى ونور الكشف الإيقانى من إحاطته علما بذلك واختلائه لجميع ما يعرض هنالك بحيث لا يرتاب أحد من أهل الكشف الصحيح فيه ولا ينحو نحو غيره ولا يصطفيه والكشف ها هنا موافق لما جاءت به الأخبار وما ينقل من الأحاديث والآثار ولا يترتب عليه محذور لا عقلا ولا شرعا لأن الله [٣٤٦] تعالى لن يهب العلم بما شاء من مصنوعاته ومكوناته لمن شاء على وجه الإحاطة أو غيرها كما قال ﴿ **لاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥] يعنى لا يحيط أحد ولا مخلوق بشيء من معلوماته إلا إذا أراد تعالى أن يحوطه بشيء منها كالعالم فإنه يحوطه به لأنه لا حجر عليه من أحد فى شيء يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ومنها أنهم نظروا فى أحوال أمثالهم من أهل الله وما ينقل عنهم فى هذا الباب من العجائب التى لا تنضبط والإخبارات بالمغيبات التى لا تنحصر وما أكرمهم الله به من العلم بأحوال الجن والإنس والملائكة وجميع الحيوانات وسائر الجمادات وأحوال الجنة والنار والعرش والكرسى والسماء والأرض وما تحت الثرى وما فوق العرش وغير ذلك من أنواع المخلوقات وعجائب المصنوعات التى تقصر عنها عقول البشر ويكل فيها السمع والبصر ووجدوا فيها ما هو قريب من الإحاطة بهذه المكونات من حيث الجملة أو ما يدل بظاهره عليها وما نالوا ذلك إلا به عليه الصلاة والسلام ومنه وهو واسطتهم وواسطة غيرهم فى كل خير وفضل بل الأولياء بأجمعهم نقطة من بحر الأنبياء

والرسل عليهم الصلاة السلام الذى هو كالنقطة أيضاً بالنسبة إلى بحور علمه عليه الصلاة والسلام التى لا تكيف ولا يحيط مخلوق من المخلوقات ببعض أبعاضها فضلا عن جميعها وحينئذ فكيف يقال مع ذلك إنه عليه الصلاة والسلام لم يعرف بعض المكونات [٣٤٧] أو لم يحط علما بها.

قلت والمنقول عن أهل الله تعالى فى هذا كثير ولا يخفى عليك ما تقدم فيه عن سيدى أحمد الرفاعى وسيدى عبد السلام بن سليم الأسمر، وفى الإبريز فى الباب السادس بعد ما ذكر فيه رؤيا رأى فيها شيخه مولانا عبد العزيز الدباغ ﷺ بعد موته وهو يقول له إن ذاتى ليست محجوبة فى القبر بل وفى العالم كله عامرة له ومالئة له وفى أى موضع تطلبنى تجدنى إلى آخرها ما نصه وكذا سمعته ﷺ يقول فى حياته إن العالم كله قد يكون أحيانا فى وسط جوفى. وسمعته ﷺ أحيانا يقول ما السماوات السبع والأرضون السبع فى نظر العبد المؤمن إلا كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض انتهى.

وفيه أيضاً قبيل الباب السابع نقلاً عن شيخه المذكور قال ﷺ ما نصه ولقد رأيت وليا بلغ مقاما عظيما وهو أنه يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة والوحوش والحشرات والسماوات ونجومها والأراضين وما فيها وكرة العالم بأسرها تستمد منه ويسمع أصواتها وكلامها فى لحظة واحدة ويمد كل واحد بما يحتاجه ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن هذا بل أعلى العالم وأسفله بمنـــزلة من هو فى حيز واحد عنده ثم يرجع هذا الولى فينظر فيرى مدده من غيره وهو النبى ﷺ ويرى مدد النبى ﷺ من الحق سبحانه فيرى الكل منه تعالى ثم قال فى الإبريز قلت وهذه [٣٤٨] صفة شيخنا ﷺ غوث الزمان والأقطاب السبعة تحته قال: وقال لى ﷺ مرة إنى أرى السماوات السبع والأراضين السبع والعرش داخلة فى وسط ذاتى وكذا ما فوق من العرش السبعين حجابا وفى كل حجاب سبعون ألف عام وبين كل حجاب وحجاب سبعون ألف عام وكل ذلك معمور بالملائكة الكرام وكذا ما فوق الحجب السبعين من عالم الرقا بتشديد الراء وتشديد القاف بعدها فكل هؤلاء المخلوقات لا يقع فى فكرهم شيء فضلا عن جوارحهم إلا بإذن رجل واحد رحمه الله.

قال فى الإبريز قلت ولهذا الكلام شرح يعرفه أربابه رزقنا الله رضاهم وجعلنا من زمرتهم وحزبهم آمين يا رب العالمين انتهى.

وفيه أيضاً فى الباب الرابع فى ذكر ديوان الصالحين فى الكلام على أهل الديوان ما نصه قال ﷺ ولهم التصرف فى العوالم كلها السفلية والعلوية وحتى فى الحجب السبعين وحتى فى عالم الرقا بالراء وتشديد القاف وهو ما فوق الحجب السبعين فهم الذين يتصرفون فيه وفى أهله وفى خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم فلا يهجس فى خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف رضى الله عنهم أجمعين قال وإذا كان هذا فى عالم الرقا الذى هو فوق الحجب السبعين التى هى فوق العرش فما ظنك بغيره من العوالم انتهى.

– الطوق الأخضر –

قلت والحجب المذكورة كل حجاب منها عالم مخصوص وعالم الرقا عالم كبير مملوء بالخلق أى الملائكة وفوقه الطوق الأخضر المحيط بجميع العوالم وهو النور المحمدى وهو [٣٤٩] انتهاء عوالم المخلوقات ومن ورائه لا خلاء ولا ملأ كان الله ولا شيء معه.

وفى الإنسان الكامل فى الباب السابع والثلاثين قال أثناء كلام له ما نصه كل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف فى جميع المملكة الوجودية ويعلم كل واحد منهم ما اختلج فى الليل والنهار فضلا عن لغات الطيور. وقد قال الشبلى رحمه الله لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء فى ليلة ظلماء ولم أشعر بها لقلت إنى مخدوع أو ممكور بى. وقال غيره لا أقول ولم أشعر بها لأنه لا يتهيأ لها أن تدب إلا بقوتى وأنا محركها فكيف أقول لا أشعر بها وأنا محركها.

وفى الصلاة الأكبرية وهى المنسوبة للشيخ الأكبر فى وصف خليفة الزمان فهو قطب دائرة الوجود ومحل السمع والشهود فلا تتحرك ذرة فى بالكون إلا بعلمه ولا تسكن إلا بحكمه لأنه مظهر الحق ومعدن الصدق انتهى.

وفى الإبريز فى الباب الرابع أيضاً ما نصه سمعت الشيخ ﷺ مرة وأنا معه خارج باب الحسبة أحد أبواب فاس حفظها الله تعالى يقول إيش هو الديوان والأولياء الذين يقيمونه كلهم فى صدرى وسمعته مرة يقول إنما يقام الديوان فى صدرى وسمعته ﷺ مرة أخرى: السماوات والأرضون بالنسبة إلى كالمؤذونة فى فلاة من الأرض يصدر هذا الكلام منه ﷺ وما أشبهه إذا شهدنا منه زيادة بل هو فى زيادة دائما ثم قال وكنت داخلا معه ذات يوم من باب الفتوح فسألته عن أسمائه تعالى وعددها وإن من العلماء [٣٥٠] من قال أنها أربعة آلاف فقال ﷺ إنى فى لحظة قدر تغميضة العين وفتحها أشاهد من أسمائه تعالى ما ينوف على مائة ألف والترقى هكذا على الدوام فى كل لحظة انتهى.

وقال فيه أيضاً أوائل الباب الثانى فى الكلام على آية ﴿ **وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى** ﴾ [النجم: ٥٠] بعد ما ذكر نقلاً عن الشيخ ﷺ أن عادا هذه كانت قبل سيدنا نوح وأن الله تعالى أرسل إليه نبيا يسمى هويد ما نصه نقلاً عنه أيضاً قال ولسيدنا هويد المذكور كتاب وأنا أحفظه كما أحفظ جميع كتب المرسلين فقلت له وتعدها قال أحفظها ولا أعدها اسمعوا منى ثم جعل يعدها كتابا كتابا انتهى.

وفيه أيضاً فى الباب الأول فى الكلام على معنى حديث إن هذا القرآن أنــزل على سبعة أحرف بعد ما ذكر عن الشيخ ﷺ أنه عليه السلام كان لا يعرف الكتابة بالاصطلاح والتعلم ويعرفها من جهة الفتح الربانى ما نصه عنه وكيف لا والأولياء الأميون من أمتى الشريفة المفتوح عليهم يعرفون خطوط الأمم والأجيال من لدن آدم عليه السلام وأقلام سائر الألسن وذلك ببركة نوره ﷺ فكيف به وهو عليه السلام انتهى.

وفيه أيضاً فى الكلام على آية؟ ما نصه وما رأيت من يعرف السريانية على آية اللسان ما نصه وما رأيت من يعرف السريانية وجميع اللغات التى لبنى آدم وللجن وللملائكة وللحيوانات مثله انتهى.

يعنى مثل شيخه مولانا عبد العزيز ﷺ انتهى.

❀

وفى الوصية الصغرى للشيخ العارف بالله الغوث سيدى عبد السلام بن سليم الأسمر [٣٥١] الفيتورى الطرابلسى ما نصه ولا يسمى العارف عندى عارفا عند أهل الطريقة حتى يعرف من هو على الهدى ومن هو على الضلال بعلم لدنى من الله تعالى قال بل الذى عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء ولا جميع الكون وهذا مقامى الآن والحمد لله على نعمائه التى لا تحصى والله المعطى الوهاب يهب لعباده ما يشاء سبحانه وتعالى انتهى منها بلفظها.

وفى لطائف الأعلام للقاشانى فى ترجمة صاحب الزمان أنه خرج عن حكم الزمان لتحققه بجمعية البرزخية الأولى وعن تصرف ماضيه ومستقبله فيه وفى كل ما بيده وأنه يتمكن من طى الزمان ونشره وبسط المكان وجمعه حقيقة لا وهما فيتلوا علوم الأولين جميعها بلفظة واحدة مشتملة على جميع المعانى والألفاظ الكائنة من المبدأ إلى المنتهى وتعرض على عينه جميع العالمين من أعيان الجواهر والأعراض التى كانت من مبدأ الوجود والإيجاد وتكون إلى منتهاه كل ذلك بلحظة واحدة كما أخبر عن مقامه من بلغ ذلك بقوله:

وأتلو علوم العالمين بلفظة ... وأجلو على العالمين بلحظة

فيلحظ بعينه جميع الآثار والصفات والنعوت الأصلية والعارضة وكذا الكمالات الحاصلة لتلك الآثار والمتعلقة بها ويلحظ أيضاً الحال المعنوى الذى يحصل ذلك اللحظ فيه وإنه إن شاء ظهر فى زمان أقل من لمحة فسمع أصوات الداعين كلهم وفهمها كلها وعرف مفهوم سائر اللغات التى كلها بالنسبة إليه على السوية [٣٥٢] لأنه مظهرها من حيث تعييناها فى الحقيقة البرزخية وإن شاء ...... فانظر إلى هذه الحالة التى وصل إليها العارفون وأهل الله تعالى من أهل الدائرة والعدد مما أخبروا عن أنفسهم وعن غيرهم فيها وهم الصادقون المصدقون وهم جداول من بحره عليه الصلاة والسلام بل لا نسبة بينه وبينهم أصلاً:

السنفس بالنبى فى الفضل خلقا ... فهو البحر والإمام أضاء

كل فضل فى العالمين فمن فضل ... النبى إستعارة الفضلاء

فعلم يقينا منها أنه ﷺ لا يخفى عليه شيء فى العوالم الخلقية كلها خفيا كان أو جليا ظاهريا كان أو باطنيا حسيا كان أو معنويا لأنه الحقيقة التى ارتقت على غيرها من حقائق الموجودات والناس هو الجنس العالى على جميع الأجناس والنورانى الذى أضاءت من نوره الأنوار وانتشرت عنه جميع المصنوعات وسائر الأسرار قال فى الإبريز فى الكلام على معنى قول ابن الفارض شربنا على ذكر الحبيب مدامة...الخ نقلاً عن شيخه ﷺ ما نصه واعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأراضين وجنات وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها وجدها بعضا من نور النبى ﷺ وأن مجموع نوره ﷺ لو وضع على العرش لذاب ولو وضع للحجب السبعين التى فوق العرش لتهافتت ولو [٣٥٣] جمعت المخلوقات كلها ووضع عليها ذلك النور العظيم لتهافتت وتساقطت انتهى.

وقد قال العارفون إن الله تعالى يتجلى على العارف فى ذاته بجميع أسمائه وصفاته التى اقتضاها ظهور الكون على العموم والإطلاق وإن فى حقيقة كل عارف؟ وذاته الإحاطة بكل مخلوق وموجود، قال فى "جواهر المعانى"فى الفصل الثانى من الباب الخامس نقلاً عن شيخه الشيخ أبى العباس أحمد التيجانى ﷺ قال أثناء جواب له ما نصه فإن فى حقيقة كل عارف الإحاطة بجميع الملائكة وبجميع الموجودات من العرش إلى الفرش يراها فى ذاته كلها فردا فردا حتى أنه إذا أراد أن يطالع غيبا فى اللوح ينظر إليه فى ذاته ويفتش فيه وليس هذا الكمال إلا للآدمى ولهذا جعلت الخلافة العامة المطلقة عن الله تعالى فيه لأجل هذه الإحاطة انتهى منها بلفظها.

وقال فيها أيضاً فى الفصل الثالث من الباب المذكور نقلاً عن شيخه أيضاً فى جواب له قال ما نصه ومما أكرم الله به قطب الأقطاب أن يعلمه علم ما قبل وجود الكون وما وراءه وما لا نهاية له وأن يشهده الذات بعين الذات وأن يعلمه جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات وهى الأسماء العالية وأن يخصصه بأسرار دائرة الإحاطة يعنى اسم الله العظيم الأعظم وجميع فيوضه وما احتوى عليه انتهى منها بلفظها.

[٣٥٤] أيضاً وقد قالوا إن ما فى مرتبته ﷺ من تجليات الأسماء والصفات والحقائق لا مطمع فى دركه لأحد من أولى العزم من الرسل فضلا عمن هو دونهم من النبيين والمرسلين وإن ما فى مرتبة أولى العزم من الرسل من ذلك لا مطمع فى دركه لأحد من عموم المرسلين وإن ما فى مرتبة المرسلين من ذلك لا مطمع فى دركه لأحد من عموم النبيين وإن فى مرتبة النبيين من ذلك لا مطمع فى دركه لأحد من الأقطاب وإن ما فى مرتبة الأقطاب من ذلك لا مطمع فى دركه لأحد من عموم الصديقين فالنبى ﷺ هو صاحب المرتبة التى لا تلحق والمكانة التى لا تدرك فضلا عن أن تسبق ﷺ وهذا ما يرجع إلى علمه عليه الصلاة والسلام بالمكونات وما انفصل عنه من جميع المخلوقات وأما ذات الحق تعالى وأوصافها وأسماؤها وعلومها وأسرارها التى علوم المكونات بالنسبة إليها كالنقطة من أبحر غير متناهية فقالوا أعنى العارفين إنه ﷺ أوتى منها غاية ما يمكن أن يعلم ويليق بجلالة قدره الرفيع عند الله تعالى مما لم يعلمه بشر ولا مخلوق سواه ولم يشم له أكابر الخلق كالأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين رائحة فضلا عمن هو دونه، وأما معرفة حقيقتها وكنهها والإحاطة بها وبما لديها من عظمتها [٣٥٥] وكبريائها وجلالها وجمالها فلا سبيل لمخلوق إليها ولا مطمع لأحد فى نيلها ولو بلغ ما بلغ أو وصل إلى ما وصل لا فى الدنيا ولا فى الآخرة لأن معرفة الذات والعلم بجميع ما لها من الأسماء والصفات من خصائص الربوبية ومن الأمور التى انفرد بها جل وعلا هذا كلامهم رضوان الله عليهم وهم أدرى وبمعرفة الصواب أحق وأحرى لما لديهم من نور البصيرة وصفاء الطوية والسريرة.

ومما يشهد لما ذكروه من الأمر الأول وهو أنه عليه السلام أوتى من علوم الذات العلية وأسرارها ما لم يعلمه غيره حديث البخارى فى الأدب فى باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ومسلم فى الفضائل عن عائشة قالت صنع النبى ﷺ شيئا فرخص فيه وتنــزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال ما بال أقوام يتنــزهون عن الشيء أصنعه فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية هذا لفظ البخارى ولفظ مسلم عن عائشة قالت صنع رسول الله ﷺ أمرا فترخص فيه فبلغ ذلك ناسا من أصحابه فكأنهم كرهوه

وتنـــزهوا عنه فبلغه ذلك فقام خطيبا فقال ما بال رجالا بلغهم عنى أمر ترخصت فيه فكرهوه وتنـــزهوا عنه فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية وفى لفظ آخر عن عائشة قالت رخص رسول الله ﷺ فى أمر فتنـــزه [٣٥٦] عنه ناس من الناس فبلغ ذلك النبى ﷺ فغضب حتى بان الغضب فى وجهه ثم قال ما بال أقوام يرغبون عما رخص لى فيه فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية وحديث أحمد والبخارى وهو من أفراده عن مسلم فى الإيمان فى باب قول النبى ﷺ أنا أعلمكم بالله عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا إنا لسنا كهيأتك يا رسول الله إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيغضب حتى يعرف الغضب فى وجهه الشريف ثم يقول إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا وعند أبى نعيم لأنا بزيادة لام التأكيد ولفظ أحمد عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يأمرهم بما يطيقون فيقولون إنا لسنا كهيأتك قد غفر الله عز وجل لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيغضب حتى يرى ذلك فى وجهه قالت ثم يقول والله إنى لأعلمكم بالله وأتقاكم له قلبا وفى حديث آخر لمسلم أخرجه فى الصوم عن عمر بن أبى سلمة أما والله إنى لأتقاكم لله وأخشاكم له وفى آخر له أيضاً فيه عن عائشة والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم له وأتقى.

وكان عليه الصلاة والسلام أعلم لأن الله تعالى جمع له بين علم اليقين الذى هو تصور الأشياء كما هى تصورا براهنيا قطعيا وعين اليقين التى هى شهود الأشياء كما [٣٥٧] هى شهودا كشفيا بصريا عيانيا وحق اليقين الذى هو التحقق بالأشياء وإدراكها على ما هى عليه ذاتا ووصفا وحقيقة علما وعينا وشهودا ذوقيا مع الخشية القلبية واستحضار العظمة الإلهية والجلال والكمال ومحاسن الخلال على وجه ونهج لم يقع لغيره من الناس ولم يبلغه أحد سواه من سائر الأجناس ومن كان كذلك كان أعرف العارفين بالله والواصل فى العلم به وخشيته وتقواه إلى ما لم يصل إليه أحد من خلق الله.

وفى فيض القدير فى الكلام على حديث إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا نقلاً عن القرطبى قال إنما كان عليه الصلاة والسلام كذلك لما خص به من أصل خلقته من كمال الفطنة وجودة القريحة وسداد النظر وسرعة الإدراك ولما رفع عنه من موانع الإدراك وقواطع النظر قبل تمامه ومن اجتمعت له هذه الأمور سهل عليه الوصول إلى العلوم النظرية وصارت فى حقه كالضرورية ثم إنه تعالى قد أطلعه ﷺ من علم صفاته وأحكامه وأحوال العالم على ما لم يطلع عليه غيره فإذا كان فى علمه بالله أعلم الناس لزم أن يكون أخشاهم له لأن الخشية منبعثة عن العلم ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٨] انتهى.

وفى الصحيحين من حديث أنس مرفوعاً أما والله إنى لأخشاكم لله تعالى وأتقاكم له.[١] والخشية خوف مع هيبة وإجلال وهى تابعة للعلم [٣٥٨] وثمرة المعرفة بالله وصفاته فإذا كان عليه السلام أخشى الناس لله لزم من ذلك أن يكون أعلمهم به وأعرفهم بجلاله وجماله.

وفى المواهب اللدنية الخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين والهيبة للمحبين والإجلال للمقربين وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما قال عليه السلام إنى لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية رواه البخارى.

وقال عليه السلام لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا رواه البخارى من حديث أبى هريرة وفيه دلالة على اختصاصه ﷺ بمعارف بصرية وقلبية وقد يطلع الله عليها غيره من المخلصين من أمته لكن بطريق الإجمال وأما تفاصيلها فاختص بها ﷺ انتهى.

---

(١) أخرجه البخارى (٥/١٩٤٩، رقم ٤٧٧٦).

وقال غيره فى قوله عليه السلام - لو تعلمون ما أعلم - المخرج عند البخارى من حديث طويل عن أبى هريرة[1]دليل على أنه علم ما لم يعلمه وفهم ما لم يفهمه واطلع على ما لم يطلع عليه غيره من سائر البشر بل وجميع الخلق.

وفى تحفة الأخيار ومعونة الأبرار لسيدى المهدى الفاسى فى الكلام على أسمائه ﷺ ما نصه وأما بالغ وبمعناه واصل فمعناهما واصل إلى الله وبالغ إليه والله أعلم، ومعنى الوصول إلى الله الوصول إلى العلم به وهو ﷺ أعلم الخلق بالله على الإطلاق بأنهى ما [٣٥٩] يمكن فى حق المخلوق علمه وتسعه دائرة عقله وهو أوفر العالمين عقلا وأوسعهم صدرا وأقواهم عارضة ﷺ انتهى.

وقال العلامة ابن زكرى فى الإلمام والإعلام ما نصه ولما أراد الله تعالى إظهار سيادته لجميع الخلق وتقدمه عليهم وكونه موضع نظره منهم الذى به بدر عليهم مسوغات رزقه ركب فيه أكمل العقول وأوسعها من العلوم والمعارف ما لم يتأهل له عقل مخلوق وبلغ فى مكانة العلم بأحكام الله وأيامه وسياسة خلقه وتأديبهم ما يصلح معاشهم ومعادهم مبلغا لم يصله أحد من الخلق انتهى المراد منه وراجعه.

قال العلامة الحفنى فى حواشيه على جامع السيوطى قيل إنما أتى بضمير الخطاب فى أعلمكم إشارة إلى أن جبريل أعلم من النبى ﷺ ورد ذلك وإنما أتى بضمير المخاطب لأنه المناسب للمقام انتهى.

والذى قال إن جبريل أعلم من النبى ﷺ هو أبو حامد الغزالى فى الإحياء بل كلامه فى آخر كتاب التفكر منها يشعر بأعلامية الملائكة المقربين كلهم ونصه ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته وكل ما عرفناه نـــزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والأولياء وما عرفوه قليل نـــزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه الأنبياء وجملة ما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه سيدنا محمد ﷺ وما عرفه الأنبياء كلهم فهو قليل بالإضافة إلى ما عرفته الملائكة المقربون كإسرافيل

(١) أخرجه البخارى (٢٣٧٩/٥، رقم٦١٢٠).

وجبريل وغيرهما انتهى. وهو قول مرغوب عنه بل لا يعول عليه أصلا وكأنه استند فيه إلى قوله ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ ﴾ [النجم: ٥،٦] وهو جبريل عليه السلام فيكون المصطفى متعلما منه ومعلوم مقام المتعلم من المعلم وإلى ما أخرجه ابن خزيمة والطبرانى فى الأوسط وأبو بكر البزار فى مسنده والبيهقى فى الشعب وسعيد بن منصور فى سننه وابن سعد وأبو الشيخ فى العظمة كلهم من حديث أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ بينا أنا جالس وفى لفظ قاعد إذ جاءنى جبريل عليه السلام فوكز بين كتفى. الحديث وفيه فالتفت إلى جبريل فإذا هو كأنه جالس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله على وفى رواية فعرفت فضل خشيته على خشيتى. الحديث وهذا قال العلماء إنه تواضع منه ﷺ أى تنـــزل منه عن مرتبته ومقامه عبودية لله تعالى وأدبا مع جبريل حتى تعلم بذلك مرتبته ومكانته فى العلم به تعالى راجع شروح الشفا والآية المذكورة هى بخصوص العلم التشريعى ومع ذلك فهو خاص لجبريل من مرتبة حجابيته ﷺ فكان يأتى به منه إليه دون العلم الاختصاصى فإنه لا واسطة بينه وبين ربه تعالى فيه أصلا لا من جبريل ولا من غيره.

قال الفرغانى فى شرحه لتائية ابن الفارض الكبرى لدى قوله فيها على لسان الحضرة المحمدية فلا تسمىَ فيها مريدا فمن دعى مرادا لها جذبا فقيرا لعصمتى

ما نصه أنه نفى التسمية باسم المريد إلى نفى قول من فسر قوله [٣٦١] تعالى ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ ﴾ [النجم: ٥،٦] فإن المعلم هو جبريل عليه السلام وشديد القوى ذو مرة وصفه وكان المصطفى متعلما ومريدا له والقول الصحيح المؤيد ببيان صريح من قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ [النساء: ١١٣]إن معلمه ﷺ ليس إلا تلك الحضرة ففى إضافة تعليمه ﷺ إلى جنابه الأقدس بلفظ الإفراد لا بصيغة الجمع إشارة واضحة إلى عدم وساطة أحد من جبريل وغيره فى تعليمه العلم الاختصاصى من مقام الولاية ومقامه التشريعى من مقام النبوة والرسالة وكان علم جبريل عليه السلام حاصلا له فى ضمن الوساطة من مقام نبوته لا بالأصالة انتهى منه بلفظه.

وكيف يكون جبريل أو غيره من الملائكة المقربين أعلم وعلومهم كلها بل وعلوم الأولين والآخرين إنما هى مستمدة من مرتبته ﷺ وكيف يكون ذلك أيضاً وله ﷺ من ربه فى كل آن من ابتداء وجود نوره المحمدى قبل خلق جبريل وغيره من المخلوقات إلى ما لا نهاية له علوم وأسرار يتلقاها منه إليه لا يعلمها جبريل ولا غيره من نبى مرسل ولا ملك مقرب وتقدم قول سيدنا على عندى من العلم الذى أسره إلى رسول الله ﷺ ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل.

وقال أبو يزيد البسطامى لبعض الفقهاء فى مناظرة له معه للنبى ﷺ علم عن الله تعالى [٣٦٢] لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل عليهما السلام وكيف يكون أيضاً وقد صح أنه علم علم الأولين والآخرين ومن الأولين الملائكة المقربون وفى همزية الإمام البوصيرى:

وسع العالمين علما.

ومن جملة العالمين جبريل وغيره من الملائكة وكيف يصح أيضاً وقد علم بالإجماع أفضليته ﷺ على سائر المخلوقات من ملك وغيره وإذا كان أفضل كانت علومه أكثر وأتم وأكمل.

والعجب من شارح الإحياء حيث لم يتصد للكلام على هذا المحل بما يناسب المقام ولا بسط القول فى هذه المسألة مع أنها أحق بالبسط والكلام وأولى بالتنبيه عليها والرد على أبى حامد ﷺ وإن جل فيها بل اقتصر على ما نصه وهذا يشعر بتفضيل الملائكة على الأنبياء وهو مذهب المصنف وللأئمة السنة فيه خلاف مبسوط فى محله انتهى.

مع أن من عادته فيما هو دونها البسط والإسهاب بل ربما خرج إلى حد الإطناب والمتيقظ قد يغفل والحازم قد ينسى أو يذهل.

وقد تكلم معه فيها صاحب الإبريز بما يشفى ويكفى فجزاه الله خيرا ونصه وسألته يعنى شيخه مولانا عبد العزيز الدباغ ﷺ عن كلام صاحب الإحياء فى كتاب التفكر حيث قال إن سيدنا جبريل أعلم من سيد الأولين والآخرين ﷺ فقال لى ﷺ لو عاش سيدنا جبريل مائة ألف عام إلى مائة ألف عام إلى ما لا نهاية له ما أدرك ربعا من

معرفة النبى ﷺ [٣٦٣] ولا من علمه ربه تعالى وكيف يمكن أن يكون سيدنا جبريل أعلم وهو إنما خلق من نور النبى ﷺ فهو وجميع الملائكة بعض نوره ﷺ وجميعهم وجميع المخلوقات يستمدون المعرفة منه ﷺ وقد كان الحبيب ﷺ مع حبيبه عز وجل حيث لا جبريل ولا غيره واستمد ﷺ من ربه تعالى إذ ذاك ما يليق بعطية الكريم وجلاله وعظمته مع حبيبه ﷺ ثم بعد ذلك بمده مديدة جعل تعالى يخلق من نوره الكريم جبريل وغيره من الملائكة عليهم الصلاة والسلام قال ﷺ وجبريل وجميع الملائكة وجميع الأولياء أرباب الفتح وحتى الجن يه.فون أن سيدنا جبريل عليه السلام حصلت له مقامات فى المعرفة وغيرها ببركة صحبته للنبى ﷺ بحيث لو عاش سيدنا جبريل عليه السلام طول عمره ولم يصحب سيد الوجود ﷺ وسعى فى تحصيلها وبذل المجهود واتقى ما حصل له مقام واحد منها، فالنفع الذى حصل له من النبى ﷺ لا يعرفه إلا هو ومن فتح الله عليه قال ﷺ وسيدنا جبريل إنما خلق لخدمة النبى ﷺ وليكون من جملة حفظة ذاته الشريفة ﷺ وونيسة له انتهى المراد منه وراجعه وذلك فى الباب السابع.

– الذات العلية لا يحيط بها بشر ولا مخلوق –

ومما يشهد لما ذكروه من الأمر الثانى وهو أن الذات [٣٦٤] العلية لا يحيط بها بشر ولا مخلوق أصلا وإن بلغ فى العلم بالله والمعرفة به المبلغ الأعلى آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار ونصوص هى فى عين كل جاهل ومعاند كالفصوص:

فمن الآيات قوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الأنعام: ٩١]قيل فى معناه ما عرفوه حق معرفته وقيل ما أجله حق إجلاله وما عظموه حق تعظيمه كما تستحقه ذاته وينبغى لجلاله وما يكون لهم ذلك وليس فى وسع الممكن حصوله ولا يقتضيه استعداده وهو شامل للملائكة جميعا وللأرواح المهيمة فمن دونهم والجن والإنس من رسول ونبى وولى بل كل ممكن حتى الحقيقة الكلية التى هى أول مبدع وأقرب مقرب لأن تعظيم المعظم بصيغة اسم الفاعل على قدر معرفته بالمعظم بصيغة

اسم المفعول وما أحد من المخلوقين عرف الله حق معرفته كما يعرف تعالى نفسه لا أصحاب المعارف التى أنتجتها العقول ولا أصحاب المعارف التى أنتجتها التجليات وأن للمقيد أن يعرف مطلق عن الإضافة والتقييد بل الكل فى حجاب ولو بلغ ما بلغ فالمنـــزه الصرف فى حجاب والمشبه الصرف فى حجاب والجامع بينهما فى حجاب وكل حاكم عليه بحكم فهو فى حجاب بحسب مرتبته ومنـــزلته عند الله تعالى.

وقد أخرج الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم والضياء المقدسى فى المختارة عن جابر مرفوعاً ما فى السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وملك قائم أو ملك راكع أو ملك ساجد فإذا كان يوم القيامة [٣٦٥] قالوا جميعا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئا[1].

وأخرج الديلمى عن ابن عمر مرفوعاً: إن لله تعالى ملائكة فى السماء الدنيا خشوعا منذ خلقت السماوات والأرض إلى أن تقوم الساعة يقولون سبحان ذى الملكوت فإذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ولله ملائكة فى السماء الثانية منذ خلقت السماوات والأرض إلى أن تقوم الساعة فإذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ولله ملائكة فى السماء الثالثة سجودا منذ خلقت السماوات والأرض إلى أن تقوم الساعة فإذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك[2].

وأخرج ابن السنى والحكيم الترمذى ولكن ببعض مخالفة عن معاذ مرفوعاً: لو عرفتم الله عز وجل حق معرفته لمشيتم على البحور أو لزالت بدعائكم الجبال ولو خفتم الله حق مخافته لعلمتم العلم الذى ليس معه جهل ولكن لم يبلغ ذلك أحد قيل يا رسول الله ولا أنت قال ولا أنا الله عز وجل أعظم من أن يبلغ أحد أمره كله.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢/١٨٤).

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٣/٩٣)وقال حديث صحيح على شرط البخارى و لم يخرجاه.

وقال ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قيل معناه لا تتمكن من إدراكه ولمحه والنظر إليه وذلك لشدة لطافته وكمال نـــزاهته وبعده عن كثافة الأكوان ولذا قال ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أى لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير وقد قالوا إن الوجود الحق بالنسبة إلى الأرواح أبلغ لطافة من الأرواح بالنسبة إلى الأجسام [٣٦٦] ومن شدة لطافته وكثافة الأرواح بالنسبة إليه لا تدركه الأرواح وما ثم مخلوقا حادث لطيف إلا وهو أكثف ما يكون بالنظر إلى لطافته.

وقال الشيخ الأكبر قدس الله روحه فى فتوحاته المكية إن الوجود الحق لو كان فى كفة والعدم الصرف فى كفة وقام بها الميزان لاستويا وذلك من كمال لطافته تعالى ولهذا لا يشبهه شيئا ولا يشبه شيء ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]

وقيل معنى لا تدركه الأبصار لا تعرفه حقيقة لأن حقيقته لا يعلمها غيره وإن رآه المؤمنون كالشمس والقمر مع اجتماع العالم على رؤيتهما لا يدركون حقيقتهما وهما من خلقه ومسيران بأمره فكيف تطمح نفس موحد إلى توهم إدراك الذات العلية.

وقيل معناه لا تحيط به لتعاليه عن التناهى ولا يلزم من الرؤية التى تحصل للمؤمنين فى الدار الآخرة والتى حصلت لنبينا ﷺ فى الدنيا تحديد ولا إحاطة كالسماء والأرض نراهما ولا نحيط بهما مع علمنا بأنهما محصورتان محدودتان فكيف بمن ليس كمثله شيء، كما أنه لا يلزم منها جهة مخصوصة كالليل والنهار نراهما وليس فى جهة فكيف بمن ليس كمثله شيء، ولا يلزم منها أيضاً إدراك جميع الصفات بل ولا إدراك حقيقة صفة واحدة كالماء فإنا نراه ونشربه ولا نعلم له لونا لأنه كلما جبل فى شيء يكون لونه لون ذلك الشيء ولونه القائم به لا يدركه أحد ولا يقدر أحد من المحققين أن يخبر عنه بلون [٣٦٧] فكيف بمن ليس كمثله شيء.

وقال ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ [طه: ١١٠] يعنى هو عالم بهم وبأحوالهم الحاضرة والمستقبلة والماضية وهم لا يحيطون بمعلوماته

علما وقيل بذاته وقال ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال فى الفتوحات بين لك فى هذه الآية أن العقل وغيره ما أعطاه الله من العلم إلا ما شاء ولا يحيطون به علما ولذا قال ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ ﴾ [طه: ١١١]عقب قوله ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ أى إذا عرفوا أنهم لا يحيطون به علما خضعوا وذلوا وطلبوا الزيادة من العلم فيما لا علم لهم به منه والوجوه هنا أعيان الذوات وحقائق الموجودات إذ وجه كل شيء ذاته انتهى.

وقال ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦]قيل معناها فوق العلماء كلهم من هو أعلم منهم وهو الحكيم العليم وقيل فوق كل صاحب علم من هو أعلم منه، قال فى الشفا قال زيد بن أسلم وغيره حتى ينتهى العلم إلى الله تعالى قال وهذا مما لا خفاء به إذ معلوماته لا يحاط بها ولا منتهى لها انتهى.

وقال ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه:١١٤] أمره بطلب الزيادة من العلم وما ذاك إلا لأن هناك من العلم ما ليس عنده وإذا كان هو بهذه المثابة فغيره أولى وأحرى.

قال فى الفتوحات والمراد بهذه الزيادة الزيادة من العلم المتعلق بحضرة الإله لتـــزيد معرفته بتوحيده فيزيد رغبة فى تحميده فيزداد فضلا على تمجيده دون انتهاء ولا انقطاع فطلب منه الزيادة [٣٦٨] وقد حصل من العلوم والأسرار ما لم يبلغه أحد انتهى.

وقال فيها أيضاً فى الباب الرابع والتسعين ومائتين ما نصه أمربطلب الزيادة من العلم أتراه أمره بطلب الزيادة من العلم بالأكوان لا والله ما أمره إلا بالزيادة من العلم بالله بالنظر فيما يحدثه من الكون فيعطيه ذلك الكون عن آية نسبة الإلهية ظهر ولهذا نبه ﷺ القلوب فى دعائه اللهم إنى أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم غيبك والأسماء نسب إلهية والغيب لا نهاية له فلابد من الخلق على الدوام والعالم من المخلوقين لابد أن يكون علمه متناهيا فى كل حال أو زمان وأن يكون قابلا فى كل نفس لعلم ليس عنده محدث متعلق بالله أو بمخلوق يدل على الله ذلك العلم فافهم انتهى بلفظها.

وقال فى الباب الأحد والخمسين ومائتين فى عدم السر ما نصه أمر الله نبيه أن يقول ﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه:١١٤]ومن طلب الزيادة فما ارتوى وما أمره إلى وقت معين ولا حد محدود بل أطلق بطلب الزيادة والعطاء دنيا وأخرى، يقول النبى ﷺ فى شأن يوم القيامة يعنى إذا طلب الشفاعة فأحمده بمحامد يعلمنيها الله لا أعلمها الآن فالله لا يزال خلاقا إلى غير نهاية فينا فالعلوم إلى غير نهاية وليس غرض القوم من العلم إلا ما يتعلق بالله كشفا ودلالة وكلمات الله لا تنفد وهى أعيان موجوداته فلا يزال طالب العلم عطشان أبدا لا أرى له فإن الاستعداد الذى يكون عليه [٣٦٩] يطلب علما يحصله فإذا حصل أعطاه ذلك العلم استعدادا لعلم آخر كونى أو إلهى فإذا علم بما حصل له . . . أمرا يطلبه استعداده الذى حدث له بالعلم الحاصل عن الاستعداد الأول يعطش إلى تحصيل ذلك العلم فطالب العلم كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا والتكوين لا ينقطع فالمعلومات لا تنقطع فالعلوم لا تنقطع فأين الرى فما قال به إلا من جهل ما يخلق فيه على الدوام والاستمرار ومن لا علم له بنفسه لا علم له بربه فإن النفس بحر لا ساحل له يشير إلى عدم النهاية انتهى بلفظها.

وقال ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء:٨٥] وهو خطاب عام يشمل جميع الخلق من ملك مقرب ونبى مرسل وولى مجتبى وغيرهم ولذا قال فى فتح البارى فى التفسير وهى تتناول جميع علم الخلق بالنسبة إلى علم الله تعالى انتهى.

وفى الفتوحات كان شيخنا أبو مدين يقول إذا سمع من يتلو هذه الآية القليل منه أعطيناه وما هو لنا بل هو معار عندنا والكثير منه لم نصل إليه فنحن الجاهلون على الدوام انتهى.

وقال فى الإحياء فى آخر كتاب التفكر جميع علوم الملائكة والجن والإنس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه لم يستحق أن يسمى علما بل هو إلى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب، فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء:٨٥] انتهى.

وقال ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦]أى تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم أو تعلم [٣٧٠] حقيقة أمرى ولا أعلم حقيقة أمرك ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ إلى غير ذلك.

ومن الأحاديث ما أخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه ومسلم وغيرهما من رواية ابن عباس عن أبى بن كعب وعن رسول الله ﷺ فى قصة الخضر مع موسى عليهما السلام وفيه فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين فى البحر فقال الخضر يا موسى ما نقص أى اقتبس من علمى وعلمك من علم الله أى معلوماته إلا كنقرة هذا العصفور فى البحر[1].

وفى رواية إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر.

وفى أخرى ما علمى وعلمك فى جنب علم الله تعالى إلا كما أخذ هذا العصفور بمنقاره من هذا البحر.

وفى أخرى والله ما علمى وعلمك فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر.

وفى أخرى ما علمك وعلمى وعلم الخلائق فى علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره.

قال فى إرشاد السارى فى التفسير ما نصه: ولفظ النقص ليس على ظاهره أى لأن علم الله تعالى لا يدخله نقص قال وإنما معناه إن علمى وعلمك بالنسبة إلى علم الله تعالى كنسبة ما أخذه العصفور بمنقاره إلى ماء البحر قال وهذا على التقريب إلى الأفهام وإلا فنسبة علمهما إلى علم الله تعالى أقل.

وروى النسائى من وجه آخر عن ابن عباس أن الخضر قال لموسى أتدرى ما يقول هذا الطائر قال لا يقول، قال ما علمكما الذى تعلمان فى علم الله إلا كمثل ما نقص منقارى من جميع هذا البحر انتهى.

---

(١) أخرجه البخارى (١٧٥٣/٤، رقم ٤٤٤٨) ومسلم (١٨٤٩/٤، رقم ٢٣٨٠).

وقال الدميرى فى حياة الحيوان فى ترجمة العصفور [٣٧١] بعد ما ذكر أيضاً أن هذا النقص ليس على ظاهره ما نصه قلت وهذا على التقريب للأفهام وإلا فنسبة علمهما أقل وأصغر انتهى.

وأخرج الشيخان أيضاً من حديث أنس فى حديث الشفاعة قال ﷺ فيأتونى وفى رواية فأوتى فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربى فيؤذن لى فأقوم بين يديه فيلهمنى محامد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها الله عز وجل هذا لفظ مسلم، ولفظ البخارى فيلهمنى الله محامد أحمده بها لا تحضرنى الآن ثم أخر ساجد الحديث[١].

وفى رواية لهما عنه فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنى وفى رواية مسلم يعلمنيه الحديث.

ولأحمد بمحامد لم يحمده بها أحد قبلى ولا يحمده أحد بعدى.

وأخرجا أيضاً من حديث أبى هريرة فى حديث الشفاعة أيضاً وفيه فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى الحديث.

وفى بعض طرقه عند البخارى فيلهمنى الله محامد لا أقدر عليها الآن فأحمده بتلك المحامد.

وأخرج مسلم والأربعة عن عائشة مرفوعاً اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[٢].

قال فى التيسير ولم يخرجه البخارى انتهى.

---

(١) أخرجه البخارى (٢٧٢٧/٦، رقم ٧٠٧٢) ومسلم (١٨٣/١، رقم ١٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣٥٢/١، رقم ٤٨٦).

قال فى الإحياء وليس المعنى إنى أعجز عن التعبير عما أدركت بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله قال ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل انتهى.

قلت [٣٧٢] ومعناه كما ذكره غير واحد لا أقدر على الإتيان بجميع الثنآت الواجبة أو المستحقة للك والثناء عليك هو المماثل لثنائك على نفسك ولا قدرة لأحد عليه.

وفى المقصد الأثنى للغزالى قال لم يرد به أنه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه فى العبارة عنه بل معناه إنى لا أحيط بمحامدك وصفات ألوهيتك وإنما أنت المحيط بها وحدك فإذا لا يخلو مخلوق عن ملاحظة حقيقة ذاته بالحيرة والدهشة وأما اتساع المعرفة فإنما يكون فى معرفة أسمائه وصفاته انتهى.

وفى لطائف المنن لابن عطاء الله بعد ذكره لحديث الشفاعة السابق ما نصه وفى هذا الحديث من الفوائد أن الإيمان يزيد وينقص وفيه أن المعارف لا تتناهى من قول لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها الله عز وجل ويشهد لذلك قوله ﷺ لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ويشهد له قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ [طه: ١١٠]انتهى.

وأخرج أبو داود الطيالسى وأحمد وابن منيع وأبو داود والترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه وأبو يعلى ويوسف القاضى فى سننه والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى السنن والضياء المقدسى عن على ﷺ قال كان النبى ﷺ كَانَ يَقُولُ فِى آخِرِ وِتْرِهِ « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ »[1]

---

(١) أخرجه الترمذى (٥٦١/٥)وقال حديثحسن غريب من حديث على لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث حماد بن سلمة، وأخرجه النسائى فى المجتبى (٧٣/٣) وأحمد (١٥٠/١) الطيالسى(١٩/١) وأبو داود(٦٤/٢).

قال السيوطى فى الجمع ورواه أبو داود الطيالسى بلفظ لا أحصى [٣٧٣] نعمتك ولا ثناء عليك.

وفى الإحياء فى الكلام على أذكار النوم ثم قل اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك. فقال العراقى فى تخريجها رواه النسائى فى اليوم والليلة من حديث على وفيه انقطاع انتهى.

وأخرج أحمد وعبد الرزاق وابن أبى شيبة ومسلم من طريق الأعرج عن أبى هريرة عن عائشة قَالَتْ فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِى عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ »[1].

وفى لفظ لأحمد عن عائشة قالت فزعت ذات ليلة وفقدت رسول الله ﷺ فمدت يدى فوقعت على قدمى رسول الله ﷺ وهما منتصبتان وهو ساجد وهو يقول أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك.الحديث.

وفى بعض روايته لا أبلغ مدحتك ولا أحصى ثناء عليك الحديث، وله طرق أخرى منها عند ابن خزيمة من رواية النضر عن عروة عن عائشة نحو حديث أبى هريرة عنها لكنه قال فى آخره لا أحصى أثنى عليك ولا أبلغ كل ما فيك وسنده صحيح.

ومنها فى الخلعيات من طريق على ابن الحصين عنها وقال فى آخره لا أحصى أسماءك ولا ثناء عليك وسنده ضعيف.

وفى الجمع [٣٧٤] للسيوطى حديث أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من غضبك وأعوذ برحمتك من عذابك وأعوذ بك منك لا أحصى رحمتك ولا ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. الدارقطنى فى الأفراد عن عائشة. وفيه أيضاً

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥٢/١، رقم ٤٨٦)وأحمد (٢٠١/٦) وابن أبى شيبة (١٩/٦).

حديث أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك أثنى عليك لا أبلغ كل ما فيك. الحاكم فى المستدرك والبيهقى فى السنن عن عائشة.

وأخرج أبو نعيم فى حليته عن خالد بن الطفيل بن مدرك الغفارى أن رسول الله ﷺ بعث جده مدركا إلى ابنته يأتى بها من مكة قال وكان رسول الله ﷺ إذا سجد وركع قال اللّهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أبلغ ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة مرفوعاً « اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِى دِينِىَ الَّذِى هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِى وَأَصْلِحْ لِى دُنْيَاىَ الَّتِى فِيهَا مَعَاشِى وَأَصْلِحْ لِى آخِرَتِى الَّتِى فِيهَا مَعَادِى وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِى فِى كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِى مِنْ كُلِّ شَرٍّ »[1]

وأخرج أحمد وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن عائشة أن النبى ﷺ علمها هذا الدعاء « اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمِ » الحديث[2]، وأخرجه أبو داود الطيالسى والطبرانى فى الكبير من حديث جابر بن سمرة عزاه لهما فى الجمع والجامع لكن بإسقاط عاجله وآجله فى [٣٧٥] الموضوعين.

وأخرج ابن أبى شيبة والترمذى وقال غريب وابن ماجه والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة مرفوعاً « اللَّهُمَّ انْفَعْنِى بِمَا عَلَّمْتَنِى وَعَلِّمْنِى مَا يَنْفَعُنِى وَزِدْنِى عِلْماً الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ »[3].

وأخرج الطبرانى فى الأوسط وابن عدى فى الكامل وأبو نعيم فى الحلية كلهم من رواية الحكم بن عبد الله الأبلى عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عائشة مرفوعاً

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٨٧، رقم ٢٧٢٠).

(٢) أخرجه أحمد(٦/١٤٦)وابن ماجه(٢/١٢٦٤)وابن حبان (٣/١٥٠).

(٣) أخرجه الترمذى(٥/٥٧٨) وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأخرجه ابن ماجه(١/٩٢)وابن أبى شيبة(٦/٥٠).

إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى من الله فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وأورده السخاوى فى المقاصد بلفظ كل يوم لا أزداد فيه علما يقربنى من الله الحديث. وقال خرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى جامع العلم وآخرون بسند ضعيف من حديث عائشة به مرفوعاً انتهى.

وقال المناوى فى التيسير هو معلول من طرقه كلها بل قيل بوضعه انتهى.

والذى قال بوضعه هو ابن الجوزى وأعله بالحكم المذكور وقال إنه كذاب يروى الموضوعات عن الأثبات وحكى عن الصورى قال هذا حديث منكر لا أصل له عن الزهرى ولا يصح عن رسول الله ﷺ ولا أعلم أحداً حدث به غير الحكم انتهى.

وأقره على وضعه العراقى فى تخريج الإحياء الكبير وانتقد السيوطى على ابن الجوزى فى التعقبات فما أتى بطائل سوى أن للحديث شواهد ثم ذكر بعضها ولا ما يخفى فيها من بعد ما بين الشاهد والمشهود على أنه قد تكرر فى فن المصطلح أن الشاهد لا ينجع فى الموضوع [٣٧٦] والله أعلم.

وقد ذكر بعض العارفين أن المراد بالعلم فيه علم التوحيد أى العلم المتعلق بالله تعالى وصفاته وأفعاله لا علم الأحكام الفرعية لأن فيه زيادة تكليف على أمتى وقد بعث ﷺ للرحمة وطلب التخفيف على الأمة إلا أن يقال المراد زيادة الأحكام التى فيها ثواب مع قلة المشقة وهو بعيد والأول أظهر وعليه فمعنى قوله يقربنى إلى الله إلى معرفته وزيادة العلم به وقوله فلا بورك لى دعاء وخبر قال فى التيسير وذلك لأنه كان دائم الترقى فى كل لمحة فالعلم كالغذاء له قال بعضهم أشار المصطفى إلى أن على العارف أن يكون دائم التطلع إلى مواهب الحق تعالى فلا يقنع بما هو فيه بل يكون دائم الطلب قارعا باب النفحات راجيا حصول المزيد ومواهبه تعالى لا تحصى ولا نهاية لها وهى متصلة بكلماته التى ينفد البحر دون نفادها وتنفد أعداد الرمال دون أعدادها ومقصوده تبعيد نفسه من ذلك وبيان أن عدم الازدياد ما وقع قط ولا يقع أبدا لما ذكر انتهى.

وأخرج الديلمى عن أنس مرفوعاً اللهم إنى أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم وباسمك العظيم الأعظم وباسمك الكبير الأكبر.

وأخرج أحمد وابن أبى شيبة والطبرانى فى الكبير وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الله بن عبد الرحمن بن مسعود عن أبيه فإنه مختلف فى سماعه [٣٧٧] من أبيه والبيهقى وأبو يعلى وابن السنى فى عمل اليوم والليلة وابن أبى الدنيا فى كتاب الدعاء وغيرهم عن عبد الله بن مسعود رفعه ما أصاب مسلما قط حزن ولا هم وفى رواية هم أو حزن فقال اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنــزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى إلا أذهب الله تعالى همه وأبدله مكان همه فرجا وفى رواية حزنه فرجا قالوا يا رسول الله أفلا نتعلم هذه الكلمات فقال ﷺ بلى ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن.

قال الذهبى معترضا على الحاكم: فيه أبو سلمة الجهنى ما روى عنه إلا فضيل بن مرزوق ولا يعرف اسمه ولا حاله.

قال الحافظ ابن حجر ولكنه لم ينفرد به وذكره مع ذلك ابن حبان فى الثقات.

وأخرج الطبرانى فى الكبير وابن السنى فى عمل اليوم والليلة عن أبى موسى مرفوعاً: من أصابه هم أو حزن فليدع بهؤلاء الكلمات اللهم إنى عبدك وابن أمتك فى قبضتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنــزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى فقال قائل يا رسول الله إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات قال أجل فقولوهن وعلموهن [٣٧٨] فإنه من قالهن وعلمهن الناس لما فيهن أذهب الله كربه وأطال فرحه.

قال العارف بالله أبو زيد الفاسى فى حواشيه على دلائل الخيرات عند ذكره لحديث ابن مسعود: وهو صريح فى نفى حصول الإحصاء بأسمائه تعالى لأحد من الخلق وقد قال أعلم الخلق بالله: لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك انتهى.

وفى أول الجواهر المضية فى طبقات الحنفية للحافظ أبى محمد عبد القادر بن محمد القرشى الحنفى المصرى روى أبو بكر قال علمنى رسول الله ﷺ هذا الدعاء قال: قل اللهم إنى أسألك بمحمد نبيك وبإبراهيم خليلك وبموسى نبيك وبعيسى روحك وكلمتك وبتوراة موسى وبإنجيل عيسى وبزبور داود وبفرقان محمد ﷺ وكل وحى أوحيته وقضاء قضيته وأسألك بكل اسم هو لك أنـــزلته فى كتابك أو استأثرت به فى علم غيبك وأسألك باسمك الطاهر المطهر الأحد الصمد الوتر وبعظمتك وكبريائك ونور وجهك أن ترزقنى القرآن والعلم وأن تخلطه بلحمى ودمى وسمعى وبصرى وتستعمل به جسدى بحولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك انتهى.

وقد أورده فى القوت فى الفصل الخامس وفى الإحياء فى الباب الثالث من كتاب الأذكار والدعوات ببعض مغايرة وقال العراقى فى تخريج الإحياء رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه أن أبا بكر أتى النبى ﷺ فقال إنى أتعلم القرآن وينفلت منى فذكره، وعبد الملك وأبوه [٣٧٩] ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبى بكر انتهى.

وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبى سعيد الخدرى مرفوعاً لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفا واحدا ما أحاطوا بالله أبدا. وأورده فى الجمع عازيا له للعقيلى فى الضعفاء عن أبى سعيد بلفظ لو أن الإنس والجن والشياطين منذ يوم خلقوا إلى يوم فنائهم قاموا صفا واحدا ما أحاطوا بالله عز وجل أبدا قلت وهو تمثيل وتقريب وبيان لكون الإحاطة به تعالى معذرة على الخلق بكل وجه وبأى اعتبار وإن الحق تعالى لا يحيطون به ولا يحويه عالم ولا غيره تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ومن الآثار ما فى القوت قال روينا عن أبى بكر الصديق ﷺ كلمة مجملة بالغة فى وصف التوحيد أنه قال فى خطبته الحمد لله الذى لم يجعل السبيل إلى معرفته إلا بالعجز عن درك معرفته انتهى.

وفى الرسالة القشيرية قال الجنيد أشرف كلمة فى التوحيد ما قاله أبو بكر الصديق سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته انتهى.

وفى كتاب إلجام العوام عن علم الكلام لحجة الإسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى ما نصه قال سيد الصديقين يعنى سيدنا أبا بكر ﷺ العجز عن درك الإدراك إدراك انتهى.

وفى الإحياء فى كتاب التوحيد والتوكل حكاية عن حال السالك قال إلهى إن لم يكن للسان جرأة فى الثناء عليك فهل للقلب مطمع فى معرفتك فنودى إياك أن تتخطى رقاب [٣٨٠] الصديقين فارجع إلى الصديق الأكبر فاقتد به فإن أصحاب سيد الأنبياء كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أما سمعته يقول العجز عن درك الإدراك إدراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا أن تعرف أنك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا انتهى.

وقال فيها أيضاً فى كتاب المحبة والشوق ما نصه كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الأنبياء الإقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وقال سيد الصديقين ﷺ العجز عن درك الإدراك إدراك سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته انتهى.

وفى كتاب حل الرموز ومفاتيح الكنوز لعز الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسى ما نصه وسئل الصديق ﷺ بما عرفت ربك فقال عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى فقيل له وهل يتأتى لبشر أن يدركه فقال العجز عن درك الإدراك إدراك انتهى.

قلت وفى رواية عنه ذكرها الجيلى فى إنسانه والسيد شيخ ابن محمد الجفرى فى كنـــز البراهين إدراك العجز عن الإدراك إدراك وقد نظم هذا من قال وقيل إنه الإمام ابن عرفة:

ألا إن إدراك الحقيقة معجز وإدراك نفس العجز عين الحقيقة

كما قاله الصديق أول قائل بفكر سليم أو محض بديهة

قال فى حل الرموز: معنى هذه الإشارة الصديقية أن الحواس الخمس [٣٨١] التى هى آلة الإدراك لسائر المحسوسات لا وصول لها إلى إدراكه فإذا علمت أن الحق سبحانه وتعالى منـــزه عن الإدراك بهذه الحواس لكنه ذاته وصفاته لعجزها عن إدراكه فقد عرفت الحق سبحانه وتعالى.

وقال غيره معناه أن التحقق بالعجز عن لحاق إدراك ما لا يدرك غاية الإدراك له والعجز عن حصول العلم بما لا يعلم نهاية العلم به.

ولك أن تقول فى معناه أيضاً أن من أحاط علما بما يجب له تعالى وما يستحيل وما يجوز على الوجه المطابق للمعقول والمنقول ثم علم بعد ذلك أن الكنه محجوب وأن عقول الخلائق كلها عاجزة عن الوصول إليه وأمسك عن الخوض فيه كان هو العارف بخلاف من يتوهم أنه أدركه بعقله أو بحاسة من حواسه أو أنه ممكن الإدراك فيصير متطلبا لكنهه باحثا عن حقيقته فإنه مبتدع ظان أنه فى المعرفة وهو فى أودية الضلال المبين والجهل المتين ومما هو مشهور من كلامهم لا يعرف الله إلا الله وهو من كلام الجنيد على ما ذكره الشيخ أبى حامد الغزالى فى المقصد الأسنى وغير واحد كالقاشانى والنفراوى فى شرحيهما لرسالة ابن أبى زيد القيروانى وعبارة الغزالى أثناء كلاما له بل أقول الخاصة الإلهية ليست إلا لله تعالى ولا يعرفها إلا الله تعالى ولا يتصور أن يعرفها إلا هو أو من هو مثله وإذا لم يكن له مثل فلا يعرفها غيره فإذاً الحق ما قاله الجنيد رحمه الله حيث لا يعرف الله إلا الله تعالى ولذلك لم يعط أجل خلقه إلا أسماء حجبه فقال ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١] فوالله ما [٣٨٢] عرف الله تعالى غير الله فى الدنيا وفى الآخرة انتهى منه بلفظه.

وقد نقله الشيخ مرتضى فى شرحه لكتاب الإحياء أو من كلام أبى سعيد الخراز على ما نقله فى اليواقيت عن الشيخ الأكبر فى الباب الثانى والسبعين من فتوحاته وعبارته فيه الإنسان إنما يسمى الشيء بعد معرفته إياه وإذا لم يكن للإنسان إليه طريق وإنموذج فلا علم له ولا اسم له عنده ولا علامة فكيف يعرفه فلذلك لا يعرف الله إلا الله أعنى أخص وصفه وكنه معرفته انتهى.

وفى الباب السادس عشر من الفتوحات نسبته لأبى سعيد الخراز وأبى حامد وأمثالهما ويأتى قريبا نصه وقال فى الباب الثلاثين وثلاث مائة أثناء كلام له ما نصه فما أعطاك إلا منك وما هو عليه لا يعلمه منه إلا هو فكل عالم فمن نفسه علمه فلذلك قال أهل الله لا يعرف الله إلا الله ولا النبى إلا النبى ولا الولى إلا الولى انتهى.

وقال اليوسى فى حواشيه على شرح الكبرى هى عبارة تحكى عن بعض السلف قال وأنشد بعضهم.

لا يعرف الله إلا الله فاتئدوا والدين دينان إيمان وإشراك

وللعقول حدود لا تجاوزها والعجز درك عن الإدراك إدراك

ومن كلامهم أيضاً قالوا إن مبلغ العلم فى الذات والصفات إنما هو التنزيه ببيان ما يستحيل وأما الكنه فمحجوب وقالوا أيضاً تعالى الله تعالى أن يحيط علم بذاته أو تدرك العقول شيئا من صفاته وغاية الأمر اعتقاد غاية التعظيم ونهاية التنزيه [٣٨٣] والعلم فإنه تعالى متصف بجميع الكمالات اللائقة به خلافا للمعطلين متنزه عن أيشبهه شيء من الكائنات خلافا للمشبهين وقالوا أيضاً إنه لا يوصل إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته، لأن كل إشارة يشير بها الخلق إلى الحق مردودة عليهم لأنها من جنسهم مخلوقة مثلهم حتى يشيروا إلى الحق بالحق ولا سبيل لهم إلى ذلك وهذا ذكره ابن غانم المقدسى فى حل الرموز وقالوا أيضاً وهو من كلام الجنيد حسبما فى العوارف إذا تناهت عقول العقلاء فى التوحيد تناهت إلى الحيرة ولذا ورد فى الحديث اللهم زدنى فيك تحيرا.

وقالوا أيضاً علم جميع الأولياء بالنسبة إلى علم الأنبياء كنقطة من بحر وعلم الأنبياء بالنسبة إلى علمه ﷺ كذلك وعلم النبى ﷺ بالنسبة إلى علم الله كذلك.

وفى روح البيان لدى قوله تعالى ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآية قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة فى الرسالة الرحمانية فى بيان الكلمة العرفانية علم الأولياء من علم الأنبياء بمنـــزلة قطرة من سبعة أبحر وعلم الأنبياء من علم نبينا محمد ﷺ بهذه المنـــزلة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه بهذه المنـــزلة انتهى.

وقالوا أيضاً إن علوم الأولين والآخرين وسائر الخلق أجمعين بالنسبة لعلوم الذات العلية كلا شيء وما علوم الخلائق بالنسبة إلى علم الخالق؟.

وقالوا أيضاً إن حقائق الصفات الأزلية من حيث ما هى فى عين الذات العلية لا تدرك ما لم تدرك حقيقة الذات [٣٨٤] وحقيقتها لا مطمع فى دركها بوجه ولا حال لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وقالوا أيضاً إنه تعالى من حيث اعتبار وحدته الحقيقية وتجرده عن المظاهر الكونية وعن الأوصاف المضافة إليه من حيث المظاهر وظهوره فيها لا يدرك ولا يحاط به ولا يعرف ولا ينعت ولا يوصف فكل ما يدرك فى الأعيان فى أى مظهر كان ما كان أو يشهد من الأكوان بأى وجه أدركه الإنسان وفى أى حضرة حصل الشهود والإيقان فإنما ذلك المدرك أضواء وسطوع وألوان مختلفة الكيفية متفاوتة الكمية وكثرة الجميع محسوسة والأحدية فيها معقولة أو محدوسة وكل ذلك أحكام الوجود وليس هو الوجود فإن الوجود واحد والواحد من كونه واحدا لا يدرك بالكثير من حيث ما هو كثير وبالعكس ذكره الصدر القونوى فى رسالة مفتاح الغيب وأنشدوا

إن الإلـــه الـــذى بيده .... بكم والله والله مـــــا هـــــذا هـــو الله

وإنمـــا هـــو معـــنى فى العقول بدا إذا تحققـــت قلـــت مـــا هـــو الله

وقد قالوا الوجود اثنان وجود حادث وهو وجود المخلوقات الظاهر للحس والعقل ووجود قديم وهو المتخيل فى العقول على حسب إدراكاتها والعقل لا يقدر أن ينفك عن هذا التخيل إلا أنه لابد من تنـــزيه الحق عنه واعتقاد أن حقيقته تعالى

خارجة عنه وعن كل ما يتصوره كل متصور فى الوجود، قال النابلسى فى شرحه للديوان الفارضى فى كلامه على التائية الكبرى وقد اغتفر للقاصرين الجاهلين من [٣٨٥] عوام المؤمنين هذا المعنى فى إيمانهم بالله عز وجل.

قال الشيخ الأكبر قدس الله سره: الحق تعالى إنما حجر علينا أن نتخذ له صورة فى الخارج ولم يحجر علينا أن نتخذ له صورة فى نفوسنا وهذا من الضرورات العقلية فإن الحكم فرع التصور وهو مقتضى الثنوية فى الوجود ولنا كلام على هذا فى غير هذا المحل من كتبنا انتهى.

وقالوا أيضاً الكمال كمالان كمال لا يقبل الزيادة بحال وهو كمال الحق تعالى لغناه عن كل ما سواه وكمال يقبل الزيادة وهو كمال كل ما عداه ولو نبيا أو رسولا لقوله ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه: ١١٤].

وقالوا أيضاً الجهل بالله قسمان أحدهما جهل بألوهيته وما تستحقه من الكمالات وتتنـزه عنه من المحالات وهو كفر إجماعاً والثانى جهل بحقيقته وكنه ذاته من حيث ما هى هى وهو صريح الإيمان وكمال المعرفة به تعالى.

وأقاويل السلف فمن بعدهم فى هذه كثيرة والمحققون من المتأخرين على أن كمالات الحق تعالى لا تتناهى حقيقة وأدلة استحالة دخول ما لا نهاية له فى الوجود إنما تنهض فى الممكنات ولأبى العباس أحمد بن ذكرى التلمسانى:

والعقل لا يحيط بالجلال	وما لربنا من الكمال
يعلمه هو بلا نهاية	لا العقل فالحد له غاية

والله الموفق.

ومن النصوص قال الجزولى فى دلائله وبحق أسمائك المخزونة المكنونة التى لم يطلع عنيها أحد من خلقك قال محشيه العارف بالله أبو زيد ما نصه هو ظاهر فى عموم الأنبياء [٣٨٦] والملائكة وكافة الخلق ثم ذكر ما يشهد له فانظره ونحوه قول شارحه سيدى المهدى الفاسى فى مطالع المسرات: يعم الأنبياء والملائكة وكافة الخلق والأحاديث تشهد له انتهى.

وفيها أيضاً فى تحفة الأخيار لدى قول الجزولى اللهم وكما اصطفيتهم سفراء إلى رسلك إلى قوله وخرقت لهم كنف حجبك بعد ما قرر أن الله تعالى أزاح عن الملائكة عليهم السلام الحجب العدمية الوهمية التى تحجب غيرهم ما نصه وبعد هذا لا يفهم مما هنا عدم الحجب بالكلية ومعرفة الكنه والحقيقة والإحاطة به على ما هو عليه عز وجل إذ لا يعرف الله إلا الله ولا يحيطون به علما وإنما يحصل لكل أحد رؤية وسماع وتعرف بوجه من التعرف لا يكيف كل على قدره وقرب منـــزلته وما منا إلا له مقام معلوم، وإذا كان عين الوجود والحجاب والواسطة لكل موجود سيدنا محمد ﷺلم يظفر بذلك و لم يتطلع لما هنالك وقد قال ﷺ لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال له ربه عز وجل ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه: ١١٤] فكيف بغيره انتهى بلفظهما.

وقال فى مطالع المسرات آخر الكتاب لدى قوله حتى أعرفك حق معرفتك ما نصه وهى معرفة حق لا معرفة حقيقة إذ لا يعرف الله إلا الله ولا يحيطون به علما والعجز عن الإدراك إدراك. وقال: أعلم الخلق بالله لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقيل له ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه: ١١٤] انتهى منه بلفظه.

وفى المقصد الأسنى للغزالى ما نصه فإن قلت [٣٨٧] فما نهاية معرفة العارفين بالله تعالى فنقول نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفته بالحقيقة هى أنهم لا يعرفونه وأنهم لا يمكنهم البتة معرفته فإنه يستحيل أن يعرف الله تعالى المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى فإذا انكشف لهم ذلك انكشافا برهانيا كما ذكرناه فقد عرفوه إلى بلوغ المنتهى الذى يمكن فى حق الخلق من معرفته وهو الذى أشار له الصديق الأكبر حيث قال العجز عن الإدراك إدراك بل هو الذى عناه سيد البشر صلوات الله تعالى عليه وسلامه حيث قال لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ثم قال فإن قلت فإذا لم يعرفوا حقيقة الذات واستحال معرفتها فهل عرفوا

الأسماء والصفات معرفة تامة حقيقية قلنا هيهات ذلك أيضاً لا يعرفه بالكمال والحقيقة إلا الله تعالى ثم بين ذلك راجعه.

وقال فى شرح الإحياء فى كتاب " ترتيب الأوراد فى الأوقات " لدى ذكر الأصل إن أحداً لا يحيط بكنه جلاله تعالى وجماله فإن ذلك غير مقدور لأحد من الخلق ما نصه إذ نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هى أنهم لا يعرفونه وأنهم لا تمكنهم البتة معرفته وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى وهو المشار إليه فى الخبر لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أى لا أحيط بمحامدك وصفات [٣٨٨] ألوهيتك وإنما أنت المحيط بها وحدك فلا يتجرأ أحد من الخلق لنيل ذلك وإدراكه إلا ردته سبحات الجلال إلى الحيرة ولا يشرئب أحد لملاحظته إلا غطى الدهش طرفه وأما اتساع المعرفة فإنما يكون فى معرفة أسمائه وصفاته انتهى منه بلفظه.

وقال فيه أيضاً فى آخر كتاب التفكر لدى قول أصله ثم جميع علوم الملائكة والجن والإنس إذا أضيفت إلى علم الله سبحانه لم يستحق أن يسمى علما بل هو إلى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب ما نصه إذا لا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى إلا من له مثل علمه وليس ذلك إلا له تعالى فلا يعرفه سواه تعالى وتقدس وإنما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه وعلم الله تعالى لا يشبهه علم الخلق البتة فلا تكون معرفته به معرفة تامة حقيقية أصلا بل إيهامية تشبيهية فنهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هى أنهم لا يعرفونه وأنهم لا تمكنهم معرفته البتة وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى.ثم قال بعده بيسير لدى قول الأصلى ولكن يستفاد من الفكر فى الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته ما نصه أشار به إلى أن اتساع المعرفة إنما يكون فى معرفة أسمائه وصفاته وفيها تتفاوت درجات الملائكة والأنبياء والأولياء فى معرفته قال وهذا أيضاً لا يعرفه بالكمال على الحقيقة إلا الله تعالى وفى الروضات العرشية للشيخ سيدى مصطفى البكرى بعد [٣٨٩] كلام له ما نصه والحاصل أن الذات العلية من حيث

الكنه لا تدرك ولا تعلم ولا ترى ولا يحاط بها لا دنيا ولا أخرى ومن قال بالإدراك فمراده من بعض الوجوه وإذا كان الأنس بالله لا يمكن لعدم المناسبة فكيف يمكن الإدراك والرؤية ومن قال بالأنس فمراده بما يفيضه الحق لا بالحق انتهى منه بلفظه.

وفى الإبريز فى فصل الكلام على الأشياخ الذين ورثهم الشيخ ﷺ ما نصه وسمعته ﷺ يضرب مثلا فى كون العبد لا يطيق معرفة ربه سبحانه وتعالى على ما هو عليه فى كبريائه وعظمته فيقول إن الآنية من الفخار لو أمدها الله بالإدراك وسألها سائل عن صانعها المعلم الذى صنعها كيف هو وكيف طوله وكيف لونه وكيف عقله وكيف إدراكه وكيف سمعه وكيف بصره وكم حياته فى هذه الدار وما هى الآلات التى صنعها بها إلى غير ذلك من أوصاف المعلم صانعها الظاهرة والباطنة فإنها لا تطيق معرفة ذلك ولا تطيق ذاتها حمل تلك المعارف ولا يطيق مصنوع أبدا معرفة صفات صانعه على ما هو عليه قال ﷺ فإذا كان هذا العجز فى حادث مع حادث فما بالك بالصانع القديم سبحانه وتعالى فلا يطيق مخلوق أى مخلوق كان معرفته بالحقيقة لا فى هذه الدار ولا فى تلك الدار أبد الآبدين ودهر الداهرين والله أعلم انتهى منه بلفظه.

وفى الفتوحات المكية فى الباب السادس والأربعين ما نصه واختلف أصحابنا يعنى المتكلمين من [٣٩٠] أهل السنة فى العلم المحدث هل يتعلق بما لا يتناهى من المعلومات أم لا فمن منع أن تعرف ذات الله تعالى منع من ذلك ومن لم يمنع من ذلك لم يمنع حصوله ولكن ما نقل إلينا أنه حصل لأحد فى الدنيا وما أدرى فى الآخرة ما يكون فإنا قد علمنا أن محمدا ﷺ قد علم علم الأولين والآخرين وقد قال ﷺ عن نفسه أنه يحمد الله غدا يوم القيامة بمحامد لم يكن يعلمها عند ما يطلب من الله عز وجل فتح باب الشفاعة أخبر أن الله يعلمه إياها فى ذلك الوقت ولا يعلمها الآن ولو علمها غيره لم يصدق قوله علمت علم الأولين والآخرين وهو ﷺ الصادق فى قوله فحصل من هذا أن أحداً لم يتعلق علمه يعنى فى الدنيا بما لا يتناهى ولهذا ما تكلم الناس إلا فى إمكانه أيمكن أم لا وما كل ممكن واقع انتهى المراد منه بلفظه.

قلت وكأنه أراد أن أحداً لم يتعلق علمه بما لا يتناهى من القديم كما هو مقتضى دليله وأما ما لا يتناهى من الحادث كالمقدورات الغير متناهية فسيأتى لنا عنه أن علم النبى ﷺ متعلق بها إلا أنه مشكل على القول بتعدد العلم الحادث بتعدد المعلومات وقد ذكر إشكاله العلامة اليوسى فى حواشيه على شرح الكبرى للسنوسى عند التعرض للكلام على العلم الحادث وتعدده ونصه وها هنا بحث شريف وهو أنه إذا كان علم الحادث يتعدد ونحن نقول بجواز أن يعلم العبد ما لا يتناهى بإن يتعلق علمه مثلا بجميع المقدورات [٣٩١] التى لا تتناهى ولذا وقع التخصيص من الله وحينئذ لو علم ما يتناهى لكان بعلوم لا تتناهى ولو كان للإنسان مثلا علوم لا تتناهى لاستدعت محالا لا تتناهى ضرورة إن لكل علم محلا فيجب أن يكون فى الإنسان جواهر لا نهاية لها وهو محال وهو قول النظام لا يقال يعلم ما يتناهى لكن بتوالى العلوم وتعاقبها على ما هو شأن المعلومات لا باجتماعها لأنا نقول الكلام فى تجويز ذلك وهو يؤدى إلى المحال فيكون تجويزه محالاً فتعارضت هنا مقدمات ثلاث:

إحداها: أن العلم الحادث يتعدد بتعدد المعلومات التالية إن المخلوق يجوز أن يعلم ما لا يتناهى.

الثانية: أن الجسم يتركب من جواهر متناهيات فلابد من منع إحدى هذه المقدمات والأقرب عنده منع الثانية فإنه لا نـــزاع بين العلماء فى أن علم المخلوق لا يحيط بجلال الله تبارك وتعالى ولا يحيطون به علما وفى ذلك بحث تأمل انتهى منه بلفظه.

قلت وكان وجه البحث أن هذا الدليل إنما ينهض فيما لا يتناهى إذا كان قديما .لا ينهض فى ما إذا كان حادثا كالممكنات التى ستوجد والتى تعلق العلم بعدم إيجادها مع أن كلامهم يشملها على أنه إنما يفيد عدم الوقوع وليس الكلام فيه وإنما هو فى الجواز وعدمه ومما يدل على الجواز بل الوقوع فى الحادث ما يأتى إن شاء الله تعالى من تعلق العلم النبوى بجميع الممكنات الثابتة بل والعدمية وكل منهما غير متناهى فالأقرب حينئذ هو منع المقدمة الأولى وهى تعدد العلم الحادث فإنها غير متفق عليها بل ما ذكر

فيها [٣٩٢] هو قول الأشعرى وكثير من المعتــزلة قالوا إن العلم بهذا الشىء غير العلم بذلك الشىء ومذهب جماعة من الأشاعرة أنه صفة واحدة لا تعدد فيها تتعلق بكل ما يجليه الله تعالى لعبده من المعلومات قياسا على صفة الله وهو مخلص من ورطة هذا الإشكال وأسمح فى النفس من مقابلة الموقع فى هذا المحال فإن قلنا إن العلم نسبة خاصة كما قيل به فى الصفات وأنها نسب واعتبارات وهو مذهب الصوفية فالنسب ليست بشىء موجود فى الخارج تتعلق الرؤية بخصوصه وإنما هى أمور اعتبارية فيمكن حينئذ أن يكون لكل معلوم علم وأن يتعلق علم العبد بما لا يتناهى واللازم على ذلك وهو عدم تناهى النسب لا محال فيه وربك أعلم بالصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

وفى " الفتوحات المكية " أيضاً فى الباب الخمسين فى معرفة رجال الحيرة والعجز بعد كلام ما نصه فرجال الحيرة هم الذين نظروا فى هذه الدلائل واستقصوها غاية الاستقصاء إلى أن أداهم ذلك النظر إلى العجز والحيرة فيه من نبى أو صديق قال ﷺ اللهم زدنى فيك تحيرا فإنه كلما زاد الحق علما به زاده ذلك العلم حيرة ولا سيما أهل الكشف لاختلاف الصور عليهم عند الشهود فهم أعظم حيرة من أصحاب النظر فى الأدلة بما لا يتقارب قال ﷺ بعد ما بذل جهده فى الثناء على خالقه بما أوحى به إليه لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وقال أبو بكر الصديق ﷺ [٣٩٣] فى هذا المقام وكان من رجاله: العجز عن درك الإدراك إدراك أى إذا علمت أن ثما مولى فعلم بذلك هو العلم بالله تعالى فكان الدليل على العلم به عدم العلم به والله قد أمرنا بالعلم بتوحيده وما أمرنا بالعلم بذاته بل نهى عن ذلك بقوله تعالى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران: ٣٠] ونهى رسول الله ﷺ عن التفكر فى ذات الله تعالى إذ من ليس كمثله شىء كيف يوصل إلى معرفة ذاته فقال الله تعالى آمرا بالعلم لتوحيده فاعلم أنه لا إله إلا الله فالمعرفة به من كونه إلها والمعرفة بما ينبغى للإله أن يكون عليه من الصفات التى يمتاز بها عن من ليس بالإله وعن المألوه هى المأمور بها شرعا فلا يعرف الله إلا الله انتهى المراد منه بلفظه.

وقال فيها أيضاً فى الباب السادس ما نصه اعلموا أن المعلومات بوجه ما أربعة الحق تعالى وهو الموصوف بالوجود المطلق لأنه سبحانه ليس معلولا لشىء ولا علة بل هو موجود بذاته والعلم به عبارة عن العلم بوجوده ليس غير ذاته مع أنه غير معلوم الذات لكن يعلم بما هو عليه من صفات المعانى وهى صفات الكمال وأما العلم بحقيقة ذاته فممنوع لا يعلم بدليل ولا ببرهان عقلى ولا يأخذها حد فإنه سبحانه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شىء فكيف يعرف من يشبه الأشياء وتشبهه من لا يشبهه شىء ولا يشبهه شيئا فمعرفتك به إنما هى أنه ليس كمثله شىء وأما الماهية فلا يجوز ذلك عليه، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران: ٣٠] [٣٩٤] وقد ورد المنع من الشرع عن التفكر فى ذات الله انتهى المراد منه بلفظه.

وفيها أيضاً فى الباب السادس عشر ما نصه اعلم أن الكون لا تعلق له بعلم الذات أصلا وإنما متعلقه العلم بالمرتبة وهو مسمى إله فهو الدليل المحفوظ الأركان الشاهد على معرفة الإله وما يجب أن يكون عليه سبحانه من أسماء الأفعال ونعوت الجلال ولا بآية حقيقة صور الكون عن هذه الذات المنعوتة بهذه المرتبة المجهولة العين والكيف وعندنا لا خلاف فى أنها لا تعلم بل يطلق عليها نعوت تنـزيه عن صفات الحدوث وأن القدم لها والنعوت التى تطلق لوجودها إنما هى أسماء تدل على سلوب من نفى الألوهية وما يليق بالحدوث وهذا يخالفنا فيه جماعة من المتكلمين الأشاعرة ويتخيلون أنهم قد علموا من الحق صفة نفسية ثبوتية وهيهات أن لهم ذلك وأخذت طائفة ممن شاهدناه من المتكلمين كأبى عبد الله الكتانى وأبى العباس الأشقر والضرير السلاوى صاحب الأرجوزة فى علم الكلام على أبى سعيد الخراز وأبى حامد وأمثالهما فى قولهم لا يعرف الله إلا الله وإنما اختلف أصحابنا فى رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة إذا رأيناه بالأبصار ما الذى نرى وكلامهم فيه معلوم عند أصحابنا وقد أوردنا تحقيق ذلك فى هذا الكتاب مفرقا فى أبواب منازله وغيرها بطريق الإيماء لا بالتصريح فإنه مجال ضيق تقف العقول فيه لمناقضة [٣٩٥] أدلتها فهو المرئى سبحانه على الوجه الذى قاله وقاله رسول الله ﷺ وعلى ما أراده من ذلك فإن الناظرين فيما قاله وأوحى به إلينا اختلفوا

فى تأويله وليس بعض الوجوه بأولى من بعض فتركنا الخوض فى ذلك إذ الخلاف فيه لا يرتفع من العالم بكلامنا ولا بما نورده فيه انتهى منه بلفظه.

وفيها أيضاً فى الباب التاسع والستين وثلاثمائة فى معرفة منـــزل مفاتيح خزائن الجود فى الوصل الثالث ما نصه ولما لم يكن فى الإمكان أن يخلق الله فيما خلق قوة فى موجود يحيط ذلك الموجود بالله علما من حيث قيامها به لم يدرك بعقل كنه جلاله ولم يدرك ببصر كنه ذاته عند تجليه حيثما تجلى لعباده فهو تعالى المتجلى الذى لا يدرك الإدراك الذى يدرك فيه هو بنفسه لا علما ولا رؤية فلا ينبغى أن يقفو الإنسان علم ما قد علم أنه لا يبلغ إليه.

قال الصديق ﷺ العجز عن درك الإدراك إدراك فمن لا يدرك إلا بالعجز كيف يوصف المدرك له بتحصيله انتهى بلفظه أيضا.

وقال فى كتاب " التجليات " فى الكلام على تجلى العزة ما نصه ما لك وللحق تعالى أية مناسبة بينك وبينه وفى أى وجه تجتمع اترك الحق للحق فلا يعرف الحق إلا الحق يقول الحق وعزة الحق لا عرفت نفسك حتى أجليك لك وأشهدك إياك فكيف تعرفنى تأدب فما هلك أمرؤ عرف قدره واقتد بالمهتدين من عباده انتهى.

وقال فيه أيضاً فى تجلى بأى عين [٣٩٦] تراه من زعم أنه يدركه على الحقيقة فقد جهل وإنما يدركه المحدث من حيث نسبته إليه كما علمه من حيث نسبته إليه.

وقال الشيخ صدر الدين محمد بن إسحاق القونوى تلميذ الشيخ الأكبر وربيبه فى رسالة له سماها مفتاح الغيب ما نصه، فصل ولما كان الحق تعالى من حيث حقيقته فى حجاب عزه لا نسبة بينه وبين ما ستراه كما سبق التنبيه عليه كان الخوض فيه من هذا الوجه والتشوق إلى طلبه تضييعا للوقت وطلبا لما لا يمكن تحصيله ولا الظفر به إلا بوجه جلى وهو إن وراء ما تعين به أمر به ظهر كل متعين لذلك قال سبحانه بلسان الرحمة والإرشاد ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠] فمن رأفته أن اختار راحتهم وحذرهم عن السعى فى طلب ما لا يحصل لكن لهذا الوجود الحق من حيث مرتبته عروض وظهور فى نسب علمه التى هى الممكنات ويتبع

ذلك العروض والظهور أحكام وتفاصيل وآثار بها تتعلق المعرفة التفصيلية وفيها ومنها يفهم الكلام وأما ما وراء ذلك فلا لسان له ولا خطاب يفصله بل الإعراب عنه يزده إعجاما والإفصاح إبهاما على ما ستعرفه إن شاء الله تعالى انتهى منه بلفظه.

ومثله للعارف بالله الجامى قدس سره فى شرحه لنقش الفصوص الذى سماه نقض النصوص فراجعه.

وفى التعريفات للسيد الشريف الجرجانى ما نصه حجاب العزة هو العمى والحيرة إذ لا تأثير للإدراكات الكثيفة فى كنه الذات فعدم نفوذها [٣٩٧] فيه حجاب لا يرتفع فى حق الغير أبدا. انتهى.

وفى كتاب " اللمع الأفقية " وهو كتاب التراجم للشيخ الأكبر فى ترجمة المنة ما نصه حجاب العزة لا يرفع ولا يمكن أن يرفع وآخر حجاب يرفع رداء الكبرياء عن وجهه فى جنة عدن كما جاء الخبر عن النبى ﷺ وقال القطب سيدى عبد الكريم الجيلى فى كمالاته فى الكلام على اسمه تعالى الواسع ما نصه والإنسان الكامل ولو عرف أنه هو الله وتحقق بما تحقق به من الأسماء والصفات فإنه لا يبلغ غاية الكنه الذاتى ولا يستوفيه بوجه من الوجوه ولهذا قال الصديق الأكبر العجز عن الإدراك إدراك وقال سيد المقربين وخاتم المرسلين لا أحصى ثناء عليك وقال تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الأنعام آية:٩١]يعنى المقربين والكمل المحققين من الأنبياء والمرسلين ومن دونهم من الأولياء والصديقين وسائر المؤمنين والكافرين جميعا ما قدروا الله حق قدره بل هو فوق ما عرفوه وقدره وراء ما قدروه فافهم انتهى منه بلفظه.

وفى " اللوائح " للشيخ إسماعيل حقى صاحب " روح البيان " ما نصه واعلم أن كنه ذاته تعالى لا يكون مرئيا لتعذر الوصول إلى إدراكه وإليه يشير تعلق العلم بمرتبة الألوهية فى قوله ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]وقولهم تجلى الذات يشيرون بذلك إلى لمعة من لمعات الذات وشعاع من أشعتها فلا يلزم منه تعلق الإدراك والعلم بكنه الذات والمعتـــزلة لما غفلوا عن مرتبة الربوبية – أى فى قوله تعالى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]وقوله ﷺ إنكم سترون

ربكم - والألوهية والذات أنكروا الرؤية ولم يرو لرب فى ربها وربكم فإنه لا يلزم من [٣٩٨] عدم كونه مرئيا بحسب الذات كونه غير مرئى بحسب الصفات كما قال ﷺ فى مرتبة الذات نور أنا أراه وفى مرتبة الصفات رأيت ربى فى صورة شاب قطط فإن الله تعالى يتعلق الإدراك بصفاته فى الجملة وربما لا ندرك شيئا بكنهه وقد ندرك صفة من صفاته المعرفة له كمعرفة زيد بكتابه وكمن لم ير السلطان فإنهم إذا نقشوا له صورة ذلك السلطان فى صحيفة فقد يحصل له بعض الإدراك وإن لم يبلغ علمه درجة الكمال لكونه وراء حجاب بعد انتهى المراد منه بلفظه.

وقال فى روح البيان لدى قوله ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]ما نصه والعلم بالألوهية من قبيل العلم بالصفات لأن الألوهية صفة من الصفات فلا يلزم أن يحيط بكنهه تعالى أحد فإنه محال إذ لا يعرف الله إلا الله.

قال بعض الكبار لما كان ما تنتهى إليه معرفة كل عارف مرتبة الألوهية ومرتبة أحديتها المعبر عنها بالتعيين الأول لكنه ذاته وغيب هويته ولا إحاطة صفاته أمر فى كتابه العزيز نبيه الذى هو أكمل الخلق قدراً ومنـــزلة وقابلية فقال فاعلم أنه لا إله إلا الله تنبيها له ولمن يتبعه من أمته على قدر ما يمكن معرفته من جناب قدسه ويمكن الظفر به وهو مرتبة الألوهية وما وراءها من حضرة الغيب المطلق وغيب الهوية خارج عن طوق الكون إذ ليس وراءها اسم ولا رسم ولا نعت ولا وصف ولا حكم وليس فيه [٣٩٩] قوة الكون المقيد أن يعطى غير ما يقتضيه تقييده فكيف يمكن له أن يدرك حضرة الغيب المطلق وغيب الهوية انتهى منه بلفظه.

وقال فى جواهر المعانى نقلاً عن الشيخ أبى العباس التيجانى ﷺ فى شرحه ليقوتة الحقائق أثناء كلام له فيه ما نصه فإن كلام الله تعالى فى ماهيته وهو المعنى القائم بالذات منطمس مضمر لا عبارة عنه ولا تدرك له حقيقة ولا تعرف له كيفية فكيف نعبر عنه لأن حقيقته تابعة لحقيقة وجوده المطلق وهى الذات المطلقة المقدسة فكما لا تعرف حقيقة الذات من حيث ما هى هى كذلك لا تعرف حقيقة الكلام الأزلى من حيث ما هو هو فى عين الذات العلية فلا تدرك حقيقته ما لم تدرك حقيقتها ولا مطمع

فى درك حقيقتها بوجه ولا حال لا فى الدنيا ولا فى الآخرة قال سبحانه وتعالى ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ [طه: ١١٠] فكما بعد درك حقيقة ذاته العلية كذلك بعد درك حقيقة الكلام الأزلى كسائر الصفات العلية من القدرة والإرادة والعلم إلى آخر صفات المعانى كلها حقائقها تابعة لحقيقة وجود فما ذاته لم تعلم حقيقة ذاته لا تعرف حقائقها انتهى منه بلفظه.

وفى الجواهر المضية فى طبقات الحنفية فى أوائلها فى الكلام على أسمائه تعالى ما نصه فصل: قال القاضى ابن عربى وعندى أنه ليس لله تعالى اسم ولا صفة إلا وقد اطلع [٤٠٠] عليها رسول الله ﷺ.

قال ابن الحضار وهذا عندى حسن قال والذى عليه جل العلماء إن ما وجب لله سبحانه لا يحيط به مخلوق ويدل عليه قوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ ﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية وقوله ﷺ سبحان الله عدد خلقه، الحديث انتهى منها بلفظه.

وانظر هل أراد بالقاضى ابن عربى الصوفى أعنى الشيخ الأكبر كما هو المتبادر من تنكيره أو أراد به المعافرى صاحب العارضة والأحكام وغيرهما كما هو الظاهر من وصفه بالقاضى فإن كان الأول فالظاهر أنه أراد ما ذكره بعضهم من أنه عليه السلام تحقق بمعرفة جميع الصفات والأسماء الإلهية التى يتوقف عليها وجود الكون قال وبقى وراءها من الأسماء والصفات ما لا توقف لوجود الكون عليه انتهى فقوله ليس لله اسم ولا صفة يعنى به من الأسماء والصفات التى يتوقف وجود الكون عليها دون غيرها مما وراءها فإنه لم يعلمه جميعا أحد فضلا عن تحققه به لكن الترقى حاصل له ﷺ على الدوام وهو فى ذاته تعالى وصفاته وأسمائه كما يأتى وإن كان الثانى فالظاهر أنه أراد الأسماء والصفات الباطنة وهى التى لم يقم عليها دليل أصلا لا من كتاب من الكتب المنـــزلة ولا من غيرها هذا ما يليق بنفس كل.

ثم وجدت فى لطائف الأعلام للقاشانى ما نصه عبد الله هو العبد الذى لا يكون [٤٠١] فى عباد الله أرفع منه مقاما ولا أشرف منه شأنا تجليات الحق له هى أكمل

التجليات وأعمها وأشرفها وأتمها فلا أتم من كشفه ولا أعم من تجليه بحيث لم يبق لله اسم ولا صفة ولا وجه من وجوه معارفه إلا وقد كشفها الله لهذا العبد الذى سماه عبد الله وليس ذلك لأحد إلا لنبينا ﷺ بالأصالة والأقطاب من ورثته بالتبعية له قال تعالى ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن: ١٩] فمنح الله نبينا ﷺ هذا الاسم إشارة عند الطائفة إلى ما بينا انتهى منه بلفظه والقاشانى هذا هو أحد أتباع الشيخ الأكبر الشاربين من مشربه التابعين له فى مذهبه المعولين على آرائه ومطلبه فيظهر أن الكلام المذكور له ويكون وصفه بالقاضى سبق قلم منه والله أعلم.

وفى الفصوص فى فص الحكمة الشعيثية أثناء كلام له ما نصه فإن صور التجلى ما لها نهاية تقف عندها وكذلك العلم بالله ما له غاية فى العارفين به يقف ذلك العلم عندها بل هو معنى العارف فى كل زمان بطلب الزيادة من العلم به رب زدنى علما رب زدنى علما رب زدنى علما فالأمر لا يتناهى من الطرفين. انتهى.

وبيانه أن العارف وليا كان أو نبيا أو رسولا أو ملكا فى كل مقام أو منـــزل أو مرتبة أو شيء من الأشياء أقيم فيه يحصل له من العلم بأسماء الله تعالى وصفاته ومن القيام بآدابه أو وظائفه ما يناسب المقام الذى فوقه الذى هو محتجب عنه [٤٠٢] فيستعد بذلك لهذا الذى هو أعلى وأرفع وأكمل وإن كان الذى هو فيه فى الفضيلة بحيث المنتهى فيقول رب زدنى علما فإذا زاد علمه وارتقى لما هو أعلى استعد لعلم آخر فيقول رب زدنى علما وهكذا إلى ما لا نهاية له دنيا وأخرى فأمر التجلى والعلم لا يتناهى من طرف الحق لعدم تناهى كمالاته وعلومه حقيقة والطلب لا ينتهى من جانب العبد لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وقد كان سيدنا محمد ﷺ أعلم الخلق بالله و لم يستغن مع ذلك عن زيادة الله فكان يطلب من ربه الزيادة والترقى وربه تعالى يزيده فى كل لحظة من العلم به ما يزيد رفعة وجلالة بسببه وقد خاطبه الله تعالى بقوله ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه: ١١٤] وقوله ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [العلق: ١٩]فأمره بطلب الزيادة من العلم وبالاقتراب أى زيادة القرب من جنابه العلى وقد ذكر العارفون أنه كان يترقى فى الزمن الفرد إلى مقامات لا يبلغها الإحصاء ولا يحصرها

العد وإن مقاماته غير محصورة ولا مدركة لنا لسعة إطلاقه ﷺ وإفاضة الحق عليه فى كل وقت ما يعجز عن حمله جميع الأنبياء والمرسلين وسائر الخلائق أجمعين، ومن اطلع على حقيقته ﷺ وعلم ما يحصل لها من الترقيات فى كل لحظة من اللحظات وحالة من الحالات اعترف بعدم تناهى فضله على الإطلاق كما يعترف باستحالة تناهى كمالات الملك الخلاق وفى بردة المديح: [٤٠٣]

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

وكلامه هذا صريح فى أمرين أحدهما أن وصفه عليه السلام بالأوصاف اللائقة ليس بتوقيفى أى لا يتوقف على ورود الشرع بوصفه بها بخصوصها بل يجوز وصفه بكل ما هو من أوصاف الكمال من غير إشعار بنقص وإن لم يرد من الشرع وصف به وهذا بخلاف أسمائه ﷺ فإنها توقيفية اتفاقا على ما حكاه الغزالى وأقره الحافظ فى فتح البارى.

كمالاته عليه السلام لا حصر لها ولا حد فى الواقع ثانيها أن كمالاته ﷺ لا حصر لها ولا حد فى الواقع ونفس الأمر مطلقا وهو كذلك عند المحققين من أهل الله تعالى خلافا لمن يقول من العلماء إنها محصورة متناهية، ومن اطلع على شيء من أحوال الحقيقة المحمدية وعلم تدرجها بانسلاخها عن العوارض الإمكانية فى مدارج المعارف الأحدية دنيا وأخرى علم ذلك وتحققه إذ ما من كمال حصل لها إلا وبعده كمال آخر وهكذا إلى ما لا نهاية له أبدا وفى الهمزية:

تتباهى بك العصور وتسمو بك علياء بعدها علياء

يعنى تتفاخر وتتمدح بوجودك الأزمنة كلها من لدن وجودها إلى يوم القيامة وما بعده فكل عصر يفخر على العصر الذى قبله لوجودك فيه بكمال أعلى مما قبله فى ضمن حقيقتك وما هو بعدها من أطوارها وترتفع وتعلو بتلبسها بك مرتبة علياء [٤٠٤] بعدها فى الزمن والعلو مرتبة أخرى أعلى منها وهكذا إلى ما لا نهاية له وفى

القرآن العزيز ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ [الضحى: ٤] قال القطب سيدى على بن وفا فى الكلام على معناه الإشارى وللحظة المتأخرة وهى الثانية خير لك من اللحظة المتقدمة وهى الأولى لأنه يترقى فى المتأخرة إلى كمالات زائدة عما ترقى إليه فى المتقدمة وفى المدخل لابن الحاج بعد ذكره لهذه الآية وتأييده بها ما ذهب إليه مالك من أفضلية المدينة ما نصه فكل مقام أو مكان أو شيء من الأشياء أقيم فيه عليه الصلاة والسلام فهو أفضل من الأول وإن كان الأول فى الفضيلة بحيث المنتهى ثم كذلك إلى ما لا نهاية له انتهى ولهذا قال عليه السلام ليغان على قلبى فأستغفر الله أى لتراكم الأنوار والمعارف على قلبى وتكثر التجليات الذاتية والصفاتية على باطنى ولبى بسبب ترقى فى المعارج العرفانية والكمال وارتقاء على ما هو أعلى وأوسع فى الحال فأستغفر الله مما كنت فيه قبل ذلك وأتوب إليه مما أسلفته من التقصير هنالك وقد نقل الشيخ زروق فى بعض شروحه على الحكم العطائية أن أبا الحسن الشاذولى اجتمع بالنبى ﷺ وقال يا رسول الله إنك قلت إنه ليغان على قلبى قال نعم قال ما هذا الغين فقال ﷺ هو غين أنوار لا غين أغيار يا مبارك فسماه مباركا وأجابه بهذا الجواب.

وفى اللطائف للقاشانى فى الكلام على الغيون بعد ما ذكر أنه يراد بها تجليات [٤٠٥] الذات الأقدس ما نصه تكاد الذى يغطى قلبه ﷺ ويغسله إنما هو تجليات ذاتية متظاهرة فكان لقوة حقيقتها وغلبة أحديتها تمحو حطم بشريته وتمحو أثر خلقيته بحيث لا تبقى أثرا ولا رسما بل تذهب العين فى العين بالكلية فلهذا يستغفر الله أى يطلب الغفر والستر خوفا من غلبة أحكامها عليه وتظاهر آثارها لئلا يهمل حكم نبوته وكمال وسطيته ولألا يظهر أثر ذلك للخلائق فيعبد أو يقال فيه كما يقال فى عيسى وعزير عليهما السلام انتهى.

ومثله ذكره أيضاً الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن محمد سعد الدين الفرغانى فى شرحه لتائية ابن الفارض الكبرى وهو أول شارح لها ووفاته فى حدود سنة سبعمائة وفى كلام غير واحد من الأكابر أن الترقى المذكور له ﷺ غير مقصور على حالة الحياة الدنيوية بل هو موجود فى حياته البرزخية وفى الموقف وفى الجنة لا ينقطع

ما دام ملك الله موجودا فخرج من هذا أن علمه ﷺ ومقامه وكماله يقبل الزيادة دائما وأبدا وإن غايات كمالاته وعلومه ومراتبه وارتقائه لا حد لها ولا انتهاء بل هو دائم الترقى بما لا يطلع عليه ويعلم كنهه إلا الله تعالى وإن الترقى الحاصل له ﷺ هو فى الذات الإلهية وكمالاتها وأسرارها وعلومها لا فى غير ذلك وذكر بعضهم أنه عليه السلام كان يزداد علما بجزئيات الأسماء الإلهية والكوائن الجزئية التى [٤٠٦] لا تتناهى قال لأن الكائنات لا تــزال تظهر كل آن بالتجلى الإلهى وكل تجل له اسم إلهى يخصه يظهر من الغيب إذ لا تكرار فى التجلى للوسع الإلهى فلهذا كان ﷺ لا يزال يزداد علما مع الآنات دنيا وبرزخا وآخرة وإن كان عالما بما لا يتناهى إجمالا وفى عبارة إن الترقى حاصل له فى مدارج الجزئيات الداخلة تحت أجناس الكمالات المتعلقة بإكمال الدين والشفاعة للمذنبين الحاصلة له ﷺ على الكمال قبل وفاته لأن جزئياتها وأشخاصها لا تنتهى إلى غاية كنعيم أهل الجنة فليتأمل

وفى المواقف للأمير عبد القادر الجزائرى فى الموقف السادس والثمانين ومائتين ما نصه قال تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه: ١١٤] الأمر لأعلمهم وأقربهم إلى الحق سيدنا محمد ﷺ والأمر إذا تعرى من البيان وقرائن الأحوال اقتضى التكرار عند المحققين فهو ﷺ مأمور بطلب الزيادة من العلم فى كل وقت وهذا من حيث اتصال الروح بالجسم الكريم وأما من حيث روحانيته الفاضلة وإنسانيته الكاملة فهو منبع العلوم الجامع بين الحقائق الإلهية والكونية وكما أن ذات الحق تعالى كتاب كلى وأم جامع للأشياء قبل تفصيلها وعلمه بنفسه كتاب مبين كذلك هو ﷺ من حيث إنسانيته الكاملة وحقيقته الجامعة كتاب جملى وأم جامع للأشياء بعد تفصيلها وعلمه بنفسه كتاب مبين انتهى المراد منه وانظر تمامه [٤٠٧] والله أعلم.

وفى شرح الفصوص لشرف الدين داود بن محمود بن محمد القيصرى ما نصه وأما الذات الإلهية فحار فيها جميع الأنبياء والأولياء كما قال سيد البشر ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك وقال بعض الأولياء العجز عن درك الإدراك إدراك وقال آخر:

قــد تحــيرت فــيك خــذ بيدى   يــا دلــيلا لمــن تحــير فــيك

وقال الشيخ ﷺ :

ولســت أدرك مــن شيء حقيقته   وكــيف أدركــه وأنــتم فــيه

انتهى منه بلفظه.

وفى نقد الفصوص فى شرح نقش الفصوص للشيخ الأكبر والشرح للعارف بالله الجامى قدس سره ما نصه وقال بعضهم من ذهب من المحققين إلى أن حقيقة الحقى مجهولة فإنما يعنى بذلك أن الحق من حيث الإطلاق المشار إليه لا يتعين فى تعقل ولا يتجلى فى مرتبة ولا ينضبط بمدرك وفى كتاب " مفتاح الغيب " يعنى للصدر القونوى أن الجهل بهذه الذات عبارة عن عدم معرفتها مجردة عن المظاهر والمراتب والتعينات لاستحالة ذلك فإنه من هذه الحيثية لا نسبة بين الله سبحانه وبين شيء أصلا وأيضا فيه يعنى فى الكتاب المذكور وتتعذر معرفة هذه الذات أيضاً من حيث عدم العلم بما انطوت عليه من الأمور الكامنة فى غيب كنهها التى لا يمكن تعينها وظهورها دفعة بل بالتدريج انتهى منه بلفظه.

قلت والقونوى ذكر هذا الكلام فى باب كشف السر الكلى [٤٠٨] فراجعه.

وفى اليواقيت للعارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى أواخر المبحث الأول فى بيان أن الله تعالى واحد أحد ما نصه الحق تعالى له مرتبتان مرتبة هو عليها فى علا ذاته ومرتبة تنــزل منها لعقول عباده فما عرف الخلق منه إلا رتبة التنــزل لا غير لأن الله تعالى لم يكلف الخلق أن يعرفوه تعالى كما يعرف الله نفسه أبدا ولو كلفهم بذلك لأدى إلى الإحاطة به كما يحيط هو بنفسه وذلك محال لتساوى علم العبد وعلم الرب حينئذ انتهى منها بلفظها.

— لا قائل بمساواة أحد له تعالى فى علمه —

وتقدم قوله فى العهود المحمدية وذلك فى عهد أن نميط الأذى عن طريق المسلمين أن الله تعالى لم يكلف عبدا بأن يعرف الله تعالى كما يعرف الله نفسه أبدا وإن لله

تعالى بنفسه علما اختص به لا يعلمه ملك مقرب ولا نبى مرسل لأنهم لو علموه لساووه فى العلم ولا قائل بذلك من جميع الملل فضلا عن دين الإسلام انتهى.

وقال فى كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان ما نصه وسألونى عن مقام المعرفة بالله عز وجل هل أحد يصل فيه إلى حد يصير يعرف الله تعالى كما يعرف الله نفسه أم لا يصح ذلك لأحد فأجبتهم لا يصح ذلك لأحد ولو ارتفعت درجته لابد أن الحق تعالى يستأثر عن عباده بعلم آخر ما يذوقه ملك مقرب ولا نبى مرسل إذ لو علم العبد ربه كما يعلم تعالى نفسه لتساوى علم ربه فى العلم به ولا قائل بذلك فلابد من الجهل به تعالى ولو بوجه من الوجوه قال تعالى﴿ **وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥] [٤٠٩] أى من ذلك العلم المنكر المشعر بالقلة فغاية ما يعطيه لعباده من العلم به إنما هو جزء محصور وأما قول بعضهم إذا حيط الحق تعالى عباده به أحاطوا به فذلك على سبيل الفرض والتقدير ولم يبلغنا حصول هذا المقام لأحد ومن هنا قال العارفون سبحان من كان عين العلم به عين الجهل به والجهل به عين العلم به وسبحان من يعرف بأنه لا يعرف أى أنه يعرف المعرفة الممكنة للخلق فقط دون المعرفة الغير الممكنة وإذا كان العلم ببعض خلقه لم يتيسر لأحد منهم فكيف به تعالى قال تعالى ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ [المدثر: ٣١] إلى أن قال بعد كلام وقد نهانا الله تعالى عن التفكر فى ذاته بقوله ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ﴾ [آل عمران: ٣٠] أى أن تتفكروا فيها فإن العقول ليس لها فى معرفة كنه ذات الله قدم وسيأتى بسط ذلك فى مواضع إن شاء الله تعالى انتهى منه بلفظه.

وقال فى كتابه الذى سماه بالموازين الذرية المبينة لعقائد الفرق العلية فى أوله ما نصه ما سمى أحد من الخلق إلا وهو يعرف ربه تعالى فى رتبة التقييد أى التشبيه وعلم الخلق بربهم وما ثم منهم أحد إلا وهو يجهله فى رتبة الإطلاق أى التنـزيل وعلم الله بنفسه فإن قلنا إننا عرفناه صدقنا وإن قلنا لم نعرفه صدقنا لعدم الإحاطة كما أنشدوا شعراً:

قد قلت أنسه معروف بمعرفتى وبحر علمى وعقلى غارق فيه

يـــداك إلا بجهـــل ظاهـــر فـــيه   فقـــل لعـــلمك لا تفرح فما ظفرت

[٤١٠] انتهى.

وقال فيه أيضاً ما نصه فصل الحيرة فى الله من كمال المعرفة به وهى مساوته فى العالم النورى والنارى والترابى لأن العالم ما ظهر إلا على ما هو عليه فى العلم الإلهى وما هو فى العلم الإلهى لا يتبدل ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠] الآية، فما فُطر العالم إلا على الحيرة وذلك لأن المرتبة الإلهية تنفى بذاتها التقييد عنها والقوابل تنفى الإطلاق عنها ولا تشهد إلا صورتها من التقييد فهذا هو سبب شدة الحيرة فى الوجود ولا أحد أشد حيرة فى الله تعالى من العلماء به ولهذا ورد أنه ﷺ كان يقول زدنى اللهم فيك تحيرا ومع ذلك فأعلى ما يصل إليه العلماء بالله تعالى من طريق نظرهم مبتدأ البهائم لأنها كغيرها مفطورة على الحيرةفى الله عز وجل، والإنسان يريد أن يخرج بما أعطاه الله تعالى من العقل وارروية وإمعان النظر عن الحيرة التى فطر عليها فلا يصح له ذلك وإلى هذا الذى قررناه الإشارة بقوله تعالى فى حق قوم ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان: ٤٤] فإن التشبيه بالأنعام إنما هو فى الحيرة لا فى المحار فيه فليس ذلك نقصا فى الأنعام وقوله بل هم أضل سبيلا أى طريقا لأنهم زادوا على ضلال البهائم وحيرتهم فى الله تعالى والحيرة عمى بلا شك ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى أعنى جاهلا بالذات وأضل سبيلا كما كان فى الدنيا ولذلك كان العارف المحقق عمرو بن [٤١١] عثمان المكى يقول فى صفة العارفين وكما هم اليوم يكونون غدا ثم قال واعلم أن حيرة أهل الكشف والشهود أعظم من حيرة أهل النظر فى الأدلة لاختلاف الصور عليهم عند الشهود فإن أصحاب النظر والفكر ما برحوا بأفكارهم فى الأكوان فلهم أن يحاروا ويعجزوا وهؤلاء ارتفعوا عن الأكوان وما بقى لهم شهود إلا فيه فهو شهودهم فكانت حيرتهم باختلاف التجليات أشد من حيرة النظار فى معارضات الدلالات وفى الحقيقة ما فى الوجود إلا الله ولا يعرف الله إلا الله فمن وصل إلى الحيرة من المقربين فقد وصل والسلام انتهى المراد منه.

قلت وفى " الفتوحات المكية " باب مخصوص فى معرفة رجال الحيرة والعجز وهو الباب الخمسون وقد نقلنا عنه قريبا فليرجع إليه بتمامه من أراده وحديث زدنى اللهم فيك تحيرا تقدم فى كلام الشيخ الأكبر بلفظ اللهم زدنى فيك تحيرا وذكره القيصرى فى شرح الفصوص بلفظ رب زدنى فيك تحيرا وقال فى معناه أى رب زدنى فيك علما فإنى كلما ازداد فيك علما ازداد حيرة من كثرة علمى بالوجوه والنسب التى لذاتك انتهى.

وقال فى محل آخر بعد ذكر الحديث فى تفسير تحيرا أى هداية وعلما فإن وجود اللازم يستلزم وجود الملزوم بخلاف الحيرة الحاصلة من الجهل فإنها الحيرة المذمومة لذلك جعل يعنى الشيخ الضلال الموجب للحيرة المذمومة فى مقابلة الهدى الموجب للحيرة المحمودة وقال فى الموازين الذرية [٤١٢] أيضاً ما نصه فما عرفه تعالى أحد من كل وجه ولا جهله أحد من كل وجه ولا يخرج أحد من الجهل بالله تعالى إلا أن علم الله تعالى كما يعلم الله نفسه وذلك ممنوع عند المحققين كما مر إيضاحه فى الفصول السابقة فالخلق كلهم فى حجاب عن الإحاطة برتبة الإطلاق ولا يرفع عنهم هذا الحجاب أبد الآبدين ودهر الداهرين ما دام الوجود عبداً ورياً فافهم انتهى.

وقال فيها أيضاً بعد ما تعرض لذكر لشيء من الهواتف الربانية المشعرة بجهل الخلق بكمال معرفتهم بربهم عز وجل مما سمعه هو أو بلغه عن سماع غيره من ملك أو جنى أو غيرهما ما نصه فانظرها ترى جميعها مشعرة بأن حجاب الجهل بالذات المقدسة لا يرتفع لا دنيا ولا أخرى فسبحان من كان العلم به عين الجهل والجهل به عين العلم به كما أنشدوا فى ذلك شعراً:

إن الصفات التى جاء الكتاب بها ... تنزهت عن مجال العقل والفكر

وكيف يدرك من لا شيء يشبهه ... من يأخذ العلم عن حس وعن نظر

فالعلم بالله عين الجهل فيه به ... والجهل بالله غير العلم فاعتبر

فكل عارف فى حجاب عن شهود الذات أزلا وأبدا ولا يزال الحق تعالى غير معلوم من هذا الوجه لا شهودا ولا ذوقا وسبب ذلك ما قدمناه أوائل الفصول من أن

التجلى الذاتى فى غير مظهر ممنوع بين أهل الحقائق وما بقى إلا التجلى فى المظاهر من صور المعقولات والمعتقدات وتلك إنما هى جسور يعبر عليها بالعلم [٤١٣] أى يعلم أن وراء هذه الصور أمرا لا يصلح أن يشهد ولا أن يعلم وليس وراء هذا المعلوم الذى لا يشهد ولا يعلم حقيقة ما يعلم أصلا انتهى المراد منه.

وأصل ما ذكره أخيرا فى " الفتوحات المكية " فإنه قال فيها فى الباب التاسع والسبعين ومائتين ما نصه اعلم أن التجلى الذاتى ممنوع بلا خلاف بين أهل الحقائق فى غير مظهر والتجلى فى المظاهر وهو التجلى فى صور المعتقدات كائن بلا خلاف والتجلى فى المعقولات كائن بلا خلاف وهما تجلى الاعتبارات لأن هذه المظاهر سواء كانت صور المعقولات أو صور المعتقدات فإنها جسور يعبر عليها بالعلم قال أى يعلم أن وراء هذه الصور أمرا لا يصلح أن يشهد ولا أن يعلم وليس وراء ذلك المعلوم الذى لا يشهد ولا يعلم حقيقة ما يعلم أصلا انتهى منه بلفظه.

ثم قال فى الفتوحات بعد هذا فى الباب الثانى والثمانين ومائتين بعد ما قرر أن العلم بالله إنما متعلقه العلم بتوحيد الألوهية لمسمى الله لا توحيد الذات فإن الذات لا يصح أن تعلم أصلا وإن العلم بالتوحيد لا يكون ذوقا أبدا ولا تعلق له إلا بالمراتب وإن الفكر فى الذات ممنوع شرعا ما نصه ومشاهدتها من حيث نفسها ممنوعة عند أهل الله وإنما لها مظاهر تظهر فيها بتلك المظاهر تتعلق برؤية العباد وقد وردت بها الشرائع وما بأيدينا من العلم به إلا صفات تنـــزيه أو صفات أفعال ومن زعم أن عنده علما [٤١٤] بصفة نفسية فباطل زعمه فإنها كانت تحده ولا حد لذاته فهذا باب مغلق دونه الكون لا يصح أن يفتح انفرد به الحق سبحانه إلى أن قال ويتعلق بهذا المنـــزل علم الزجر والردع لمن قال من الناس إنه قد علم ذات الحق تعالى وإنه لا ينكشف له جهله بما زعم أنه عالم به إلا فى الدار الآخرة فيعلم هناك أن الأمر على خلاف ما كان يعتقده من علمه وأنه لا يعلم دنيا ولا آخرة قال تعالى ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧] انتهى المراد منه بلفظه.

والذى تقدم للشعرانى أوائل الفصول التى أشار إليها هو قوله، فصل رؤية الحق تبارك وتعالى بعين البصر فى هذه الدار ممنوعة لغير سيدنا محمد ﷺ وما بقى لغيره إلا الشهود بالقلب دون الرؤية بالعين ومن لازم ذلك يعنى الرؤية مطلقا لا يفيد كونها بالقلب الحجاب وإن تفاوت فيه الناس ويسمى حجاب العظمة الذى لا يرفع عن وجه الذات أبد الآبدين ودهر الداهرين كما أشار إليه حديث وليس بين العباد وبين أن يروا ربهم إلا رداء الكبر على وجهه فى جنة عدن فجميع التجليات الواقعة للعباد فى الدنيا والآخرة لا تخرج أبدا عن رتبة التقييد إذ التجلى الذاتى فى غير مظهر ممنوع بين أهل الحقائق كما سيأتى بسطه فى الميزان وأنشدوا شعرا:

ولم يبدو من شمس الوجود ونورها ... على عالم الأرواح شيء سوى القرص

وليس تنال الذات من غير مظهر ... ولو هلك الإنسان من شدة الحرص

[٤١٥] وإيضاح ذلك هو أن رؤية البارى جل وعلا من أكبر النعيم والحجاب عنه من أكبر الجحيم ولا يصح لنا نعيم قط ولا عذاب فى غير مظهر لأن غير المظهر كحالة الفناء لا لذة فيه ولا ألم وإذا وقع التجلى فى المظاهر وقع فى اللذات والآلام وسرت فى العالم بلا حكم للنعيم والعذاب البسيط فى الوجود أبدا وإنما يوجد فى المركب.

ومن هنا كان أبو يزيد البسطامى ﷺ يقول أهل أحدية الذات لا نعيم عندهم ولا عذاب وكان يقول ضحكت زمانا وبكيت زمانا وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكى انتهى والكل منه بلفظه.

وانظر اليواقيت والجواهر له فى المبحث الرابع فى وجوب اعتقاد أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وأنها ليست معلومة فى الدنيا لأحد فقد ذكر فيها كلام محققى الصوفية فى هذا خصوصاً الشيخ الأكبر ومن جملة ما ذكره قوله وقال أيضاً يعنى الشيخ الأكبر فى شرحه لترجمان الأشواق كل من الخلق واقف خلف حجاب العزة الأحمى وعند هذا الحجاب تنتهى علوم العالمين ومعرفة العارفين ولا يصح لأحد أن يتعدى هذا الحجاب ولو كان من أكابر الأحباب وقال سيدى على بن وفا رحمه الله جلت ذات

الحق تعالى أن تدخل تحت إحاطة علم أو إدراك انتهى ومن جملته أيضاً قوله فإن قيل فإذا قلتم بمنع وقوع التجلى الذاتى فى ماذا تتعلق رؤيتنا للحق تعالى فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب الثانى [٤١٦] والثمانين ومائتين إن الرؤية تتعلق بحجاب العظمة بيننا وبين الحق تعالى ويحمل على ذلك ما ورد من النصوص إذ لو وقع هذا الحجاب لعلمت ذات الحق تعالى وكل من زعم أنه علم ذات الحق من رؤيته له فلابد أن ينكشف له جهله فى الدار الآخرة فيعلم يقينا أن الأمر على خلاف ما كان يعتقده فى دار الدنيا ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧] انتهى.

وفى المبحث الثانى والعشرين منها ما نصه وقال يعنى الشيخ الأكبر فى لواقح الأنوار أيضاً اعلم أن حجاب الكبرياء على الذات المتعالى لا يرتفع أبدا كما أشار إليه خبر مسلم بقوله ﷺ وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وإذا كان هذا الحجاب لا يرتفع فما وقعت الرؤية دائما إلا على الحجاب فصح قول من قال إن الحق يصح أن يرى ومن قال لا يصح أن يرى لحمله على هاتين الحالتين انتهى.

قلت والحديث الذى أشار إليه أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان من حديث أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى عن النبى ﷺ قَالَ « جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِى جَنَّةِ عَدْنٍ »[1].

وفى الكبير للطبرانى من حديث ابن عمرو وسهل بن سعد رفعه إن دون الله عز وجل سبعين ألف حجاب من نور وظلمة فما من نفس تسمع شيئا من حس تلك الحجب إلا زهقت[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١/١٦٣، ١٨٠).

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٦/١٤٨).

وأخرجه [٤١٧] أيضاً أبو يعلى والعقيلى قال فى الجمع فى دون الله تعالى مخالفة وضعف وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات فلم يصب انتهى.

قال بعضهم والمراد بذكر العدد فيه التكثير لا التحديد وفى الفتوحات فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على حضرة الكبرياء الإلهى ما نصه ثم زاد رسول الله ﷺ فى تجليه أى تجلى الحق يوم القيامة فى الزور الأعظم على كثيب المشاهدة فى جنة عدن وذلك اليوم الكبير أنه تعالى يتجلى لعباده ورداء الكبرياء على وجهه ووجه الشيء ذاته فحال الحجاب بينك وبينه فلم تصل إليه الرؤيا فصدق لن ترانى وصدقت المعتـــزلة فما وصلت الأعين إلا إلى الرداء وهو الكبرياء وما تجلى لك إلا بنا فما وصلت الرؤية إلا إلينا ولا تعلقت إلا بنا فنحن عين الكبرياء على ذاته قال وسعنى قلب عبدى انتهى المراد منه بلفظه.

وقال الجامى قدس سره فى شرحه لنقص الفصوص فى الفص اليوسفى ما نصه اعلم أن النور الحقيقى يدرك به وهو لا يدرك لأنه عين ذات الحق سبحانه من حيث تجردها عن النسب والإضافات ولهذا حين سئل النبى ﷺ هل رأيت ربك قال نور أنى أراه أى النور المجرد لا تمكن رؤيته وكذا أشار الحق فى كتابه لما ذكر من ظهور نوره فى مراتب المظاهر فقال ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] فلما فرغ من ذكر مراتب التمثيل قال نور على نور فأحد النورين هو الضياء والآخر هو النور [٤١٨] المطلق ولهذا تمم فقال ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [النور: ٣٥] أى يهدى الله بنوره المتعين فى المظاهر إلى نوره المطلق الأحدى ولما سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن رؤية النبى ﷺ ربه أخبر أنه رآه فأخبر بقول عائشة عن النبى ﷺ وقد سألته عن رؤية ربه وقوله عليه السلام لها نور أنى أراه وراجع السائل ابن عباس فى ذلك فقال ابن عباس ويحك ذاك إذا تجلى فى نوره الذى هو نوره أى إنما تتعذر الرؤية والإدراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والإضافات فأما فى المظاهر ومن وراء حجابية المراتب فالإدراك ممكن كما قيل:

كالشـــمس تمنعك اجتلائك وجهها ... فـــإذا اكتســـت برقـــيق غيم أمكنا

وإلى مثل هذا أشار النبى ﷺ فى بيان الرؤية الجنانية المشبهة برؤية الشمس والقمر فأخبر عن أهل الجنة أنهم يرون ربهم وأنه ليس بينه وبينهم حجاب إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن فنبه ﷺ على بقاء رتبة الحجابية وهى رتبة المظهر فاعلم ذلك انتهى منه بلفظه.

وفى المواقف للأمير عبد القادر الجزائرى فى الموقف التاسع ومائة أثناء كلام له ما نصه **فرؤية الوجود الحق مجردا عن المظاهر والقيود محال فى الدنيا والآخرة لرسول وللملك ولأشرف مخلوقا وأقربه سيدنا محمد ﷺ ولهذا يقول إمامنا محى الدين يعنى ابن عربى الحاتمى:**[٤١٩]

و لم يبدو من شمس الوجود ونورها	على عالم الأرواح شيء سوى القرص
وليس تنال الذات من غير مظهر	ولو هلك الإنسان من شدة الحرص

انتهى المراد منه وراجعه، وقد دلت هذه النصوص الأخيرة على أن التجلى بالذات البحت وهى المجردة عن القيود والنسب والإضافات غير ممكن لأحد ولابد من حجاب من الحجب الأسمائية والصفاتية وفى شرح النابلسى للديوان الفارضى قال معلوم أن التجليات هى ظهوره تعالى بآثار أسمائه الحسنى وصفاته العليا إلا أن معنى ذلك ظهوره بذاته فى عوالم إمكاناته فإن الظهور الذاتى يستحيل فى عالم الإمكان إذ حيث تعالى بذاته لا مكان ولا زمان ولا شيء معه من الأكوان كما كان ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان انتهى.

وفى شرح الفصوص ونقشها للعارف بالله الجامى قال الذات من حيث هى هى لا تعطى عطاءا ولا تتجلى تجليا انتهى وقال بعضهم غاية علم العلماء بالله أن يعلموا ما ظهر فى العلم وما ظهر فيه خارج عن مقتضى نسبة البطون المشار إليها بقوله فى الحديث القدسى كنت كنزا مخفيا ومقتضى حقيقة هذه النسبة أن لا يقع فيها تجل لأحد أبدا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة لأن التجلى ظهور انتهى.

قلت والهبات والعطايا والمنح الذاتية لا تكون من حضرة الذات من حيث إطلاقها لأنها من هذه الحيثية لا تقتضى عطاء ولا منحة ولا تكون أبدا إلا من [٤٢٠] تجلى

حضرة الاسم الجامع الذى هو الله كما أن المنح الأسمائية كلها لا تكون إلا من حضرة اسم أو اسمين أو أسماء متعددة من حضارات الأسماء الإلهية من غير هذا الاسم ولذا قال فى الفصوص العطاء الإلهى لا يمكن إطلاق عطائه فيكون منه يعنى من ذاته البحث من غير أن يكون على يدى سادن من سدنة الأسماء انتهى.

كمل بعون الله تعالى الجزء الأول منقولا بخط المؤلف المذكور ضاعف الله له الأجور ويليه الجزء الثانى وأوله قال القيصرى فى شرح الفصوص ولا يتجلى الحق من حيث... على يد كاتبه العبد الفقير الراجى عفو ربه القدير أحمد بن الحسين بن أحمد البركة بن أحمد البدوى الشهير زويتن غفر الله له ذنوبه وستر بمنه عيوبه وكان الفراغ منه ضحوة الرابع عشر من شهر ذى الحجة الحرام عام ستة وخمسين وثلاثمائة وألف وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين على ذمة الشريف الجليل العالم الأديب سيدى المنتصر حفيد المؤلف المذكور ضاعف الله له ولنا الأجور.

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة